حسين قاسم العزيز

البابكية

أو انتفاضة الشعب الأذربيجاني
ضد الخلافة العباسية

رسالة لنيل الدكتوراه
من جامعة موسكو
عام ١٩٦٦

مكتبة النهضة - بغداد
دار الفارابي - بيروت

وزارة التعليم العالي والمتوسط الخاص
لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية
معهد اللغات الشرقية
التابع لجامعة موسكو الحكومية (المسماة باسم لومونوسوف)

حسين قاسم العزيز
(العراق)

البابكية

انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية

رسالة مرشحة
لنيل لقب دكتوراه (كانديدات) في
العلوم التاريخية

المرشدان العلميان:
الدكتور يه. أ. بلاييف
الدكتور ض. م. بونياتوف

موسكو ١٩٦٦

مقدمة

دراسة موجزة للموضوع ولمصادر البحث

البابكية او انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية حدث مهم لا في تاريخ القفقاس في القرون الوسطى فحسب ، وانما في حياة الخلافة كلها · ولم تأت هذه الاهمية من طول المدة التي استغرقتها ولا من سعة الاراضي التي شملتها ولا من كونها خاتمة انتفاضات الخـرّمية الجسام فقط ، وانما ايضا لما لها من آثار جسيمة في كيان الخلافة العباسية ، حيث زعزعت ذلك الطود الشامخ ونخرته فتركته خاويا عاجزا عن أن يقف على قدميه أو يستعيد ما كان له من سابق عز وهيبة وجلال وسلطان · فكانت الانتفاضة كزوبعة هوجاء مدمرة عصفت بشجرة سحوق مهيبة تركتها منخورة ضعيفة ·

والخلافة العباسية وان خرجت منتصرة من حروبها مع البابكيين ، لكنها فقدت عزها وهيبتها وجلالها حتى تجرأ الكندي المسيحي على التهكم بالعلماء المسلمين وفي قصر الخليفة المأمون بالذات ملوحا بانهزام الجيوش العباسية امام قوى بابك ، بل وتجرأ الغلمان الاتراك على الخلفاء أنفسهم فيما بعد وكان نشوء واستقلال الامارات الاقطاعية في الاطراف هو اسلوب تطور الاقطاع ونمو اللامركزية نتيجة فقدان هيبة الخلافة وضعف السلطة المركزية · ولئن تعرضت الخلافة في السابق الى انتفاضات وارهاصات ، الا ان جلال السلطان وهيبة الخلافة لم يتعرضا لسوء ، أما من جراء الانتفاضة البابكية فان السوء شمل الخلفاء أنفسهم اذ أصبحوا ألعوبة بيد الاتراك ، الذين أصبحوا ذوي شأن نتيجة شعورهم بأهمية دورهم في القضاء على الانتفاضة · ولحق الضرر بالخلافة ذاتها حيث اقتطعت اجزاء من تلك الامبراطورية الواسعة لتتكون منها امارات ذات كيانات اقطاعية وراثية مستقلة فعليا وذات ارتباط ديني بالخلافة (حيث ظل الاعتراف بالخليفة العباسي اميرا للمؤمنين فقط · وكان نشوء هذه الامارات أسلوبا لتطور الاقطاع ونمو اللامركزية ·

تناول موضوع الانتفاضة مؤرخو العصور الوسطى بأسلوب يتفاوت بين خفة وحدة التهجم عليها سواء من أدركها منهم أو من تلاهم ، وغالبيتهم تعرضوا لها بايجاز عدا الطبري ومن نقل عنه كابن الاثير وقد اختلفوا في الجوانب التي تطرقوا اليها فبعضهم تكلم عن الفعاليات الحربية وآخرون عن حياة بابك وغيرهم عن نشاط

الخـــرمية وجلهم تطرقوا الى موضوع الانتفاضة عرضا الا واقد بن عمرو التميمي الذي ألف كتابا ـ كما يخبرنا ابن النديم (١) ـ عن حياة بابك ، لكن هذا الكتاب لم يصل الينا مع الاسف · ولقد تميزت كتابات مؤرخي العصـور الوسطـى بالطابـع المعادي للانتفاضة لان المؤرخين كانوا يكتبون ما يلائم أذواق الحكام والامراء وذوي اليسار من الناس ، وهؤلاء هم الذين يكرمون الكتاب على مؤلفاتهم ، وكان لخوف المؤرخين من السلطة ولانحدارهم الطبقي ولعدم تعرفهم على الاساس الحقيقي لانتفاضات الجماهير ـ وذلك منتظـر مـن مـؤرخي تلك الحقبـة ـ ولسيطـرة الاوهـام وتضليلات السلطة الاقطاعية ، كان لكل ذلك أثر في موقفهم المعادي من الانتفاضات فكانوا يتهمونها بشتى النعوت والصفات الكريهة ويلحقون بها تهما وأباطيل لكي يبرروا قساوة السلطة عند التنكيل والبطش والافناء بجماهير الشعب المنتفضة · وأقوى حجة دامغة وأكبر ذريعة تتخذ لستر الاعمال الوحشية ، هي اتهام المنتفضين بمقاومة الدين الاسلامي والعنصر العربي والاخلاق الفاضلة ·

والعلماء البرجوازيون الحاذقون الحاقدون على الانتفاضات الجماهيرية كرروا اتهامات مؤرخـي العصور الوسطى رغم ادراكهم ان تلك الروايات الضعيفـة مدسوسة وهم يبرقعون نواياهم ببهرجة علمية براقة وذلـك باستخدام أسانيـد مـؤرخي القرون الوسطى المعادية ، فتراهم يرددون فرية الاباحة ومشاعية الزوجات والليالي الماجنة وأطلقوا عليها الشيوعية (كذا !) ·

والملاحظ انهم لا يهتمون بحال الشعوب وما تلاقيه من تعسف واستغلال فعندما يبحثون مواضيع الجزية والخراج والضرائب الاخـرى يوجهون جـل اهتمامهم الى مسميات الضرائب وكميتها وتاريخ وضعها وتطورها ومقاديرها العامة والخاصة · ولكن ما هو تأثيرها في حياة الناس ؟ هل كانت مـذلة مهينة ومرهقة ؟ · لقـد قام المستشرقون الغربيون بأعمال عظيمة في احياء المخطوطات العـربية ونشرها وبذلوا جهودا جبارة ، ولكن مع تلك الاعمال الجسيمة كانت تتسـرب مفـاهيم وآراء العلماء البرجوازيين في معاداة الحركات الجماهيرية ، ولقد بهرت أسماء لامعة مثل نولوكه وفلوكل وكريمر وموللر وميور وغيرهم ، انفـاس بعـض المؤلفين السوفياتيين فوقعوا في شباكهم نتيجة اعتمادهم في دراساتهم على مؤلفات هؤلاء العلماء ، ولـربما كان لجهل البعض منهـم اللغـة العـربية من عـذر في اجترارهم للتهـم التـي استخلصها المستشرقون الغربيون من بعض مصادر القرون الوسطى ، ولا يخفى ان المصادر السنية وخاصة الحنبلية هي أشد المصادر عداء للفرق والمذاهب الاسلامية وغير الاسلامية على أساس أن السلطة كانت دائما تحتضن المذهب السني بينما مصادر المعتزلة والخوارج والشيعة والاسماعيلية تعتبر مصادر فرق مناهضة للسلطة ·

لقد دأب الكتاب الايرانيون خطأ على اعتبار بابك ثائرا قوميا ايرانيا نادى بتحرير

(١) الفهرست ـ طبعة فلوكل ـ ليبزك ١٨٧١ ـ ٧٢ جـ ١ ص ٣٤٣ ، القاهرة ـ ص ٤٩٤ ·

ايران وتخليصها من نير الاستعباد الاجنبي علىاساس ان آذربيجان مقاطعةايرانية وان بابك والخرمية ايرانيون صرف (٢) • وخير ما تلاحظ هذه الآراء لـدى صديقي (٣) وخليلي (٤) ونفيسي (٥) • وفات هؤلاء ان بابك عراقي الاصل (والده من المدائن) ومولده ومنشأه في آذربيجان (أمـــه آذربيجانية) والخرمية مـــن أجنـاس مختلفة كالايرانيين والديالمة والآذربيجانيين ومن غيرهم •

لم يعن ــ مع الاسف ــ بأمر هذه الانتفاضة المهمة عناية جديرة بحقها ، فليس هناك كتاب مخصص لها (ما عدا كتاب حياة بابك الذي ألفه واقد والذي لم يصل الينا وما عدا كتيب صغير ألفه تومارا (٦) ونبـــذة مختصرة فـــي كتيب صغيـــر ألفـــه يامبولسكي (٧) ، وانمـا هنالك أبحاث عرضية في بطون المصادر والمراجع والموسوعات وفي المجلات ، واذا استثنينا جوزي (٨) تومـارا ويامبولسكي وبونيياتوف (٩) ، فـان أكثر البحوث والمقالات خالية من التحليل العلمي النزيه ويكثر فيهـا التشويـه ومسخ الحقائق وتنطلق من وجهة نظر معادية• فلأجـــل اكمـــال الصورة الحقيقيـــة لواقع الانتفاضة ، بقدر ما هو متيسر من المصادر والمراجع ، وضعنـا نصب أعيننـــا دراسة الانتفاضة وحياة قائدها من جوانب مختلفة بأسلوب علمي من وجهة نظر عربية لتضاف الى أبحاث من وجهات نظر مختلفة ولا يمكن ان تكون هذه الدراسة كاملة ما لم يعثرعلى كتاب واقد بن عمرو التميمي وما يعثر عليه في المستقبل من مصادر تعود للمنتفضين او المعبرة عن وجهة نظرهم او القريبة اليهم (١٠) •

ان اهم القضايا التي عالجها البحث هي التالية :

١ ــ ما علاقة (البـابكية) الخرمية بالمزدكية ؟ وهل هنـاك اهداف لدى المنتفضين

(٢) لاحظ بونيياتوف ــ آذربيجان في القرن السابع ــ التاسع ص ٣٥ ــ ٣٦ •
(٣) G. H. Sadighi. Les Mouvements Religieux Iraniens. Paris. 1938.
(٤) خليلي ، عباس ، ايران واسلام • طهران ، ١٣٣٦ (باللغة الايرانية) •
(٥) نفيسي ، سعيد ، اذربيجان قهرماني بابك خرم دين (بالآذربيجانية) •
(٦) تومارا ، م• ، بابك ، موسكو ، ١٩٣٦ •
(٧) يامبولسكي ، ز• اي• ، انتفاضة بابك ، باكو ، ١٩٤١ •
(٨) جوزي ، بندلي صليبة ، بابك والبابكية ، اخبار الجامعة الباكوية الحكومية ، نمرة ١ ، باكو، ١٩٢١ (باللغة الروسية) و « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » ، دار الروائع ، بيروت •
(٩) مجموعة مقالات في مجلة اخبار اكاديمية علوم آذربيجان السوفييتية ، الاعداد ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٩٥٩ ــ ١٩٦١ ،و آذربيجان في القرون السابـــع ــ التاسع ، باكو ، ١٩٦٥ م (باللغة الروسية) •
(١٠) وحتى يعثر على تلك المصادر تظل دعوة الدكتور طه حسين تناشد المؤلفين (وايسر ما يجب على المؤرخ المحقق ان يسمع او يقرأ ما تحدث به او كتبه المنهزمون والمنتصرون جميعا) ــ الشيخان ــ ص ٨ ــ ٩ •

لاعادة المجد الكسروي والديانة الزرادشتية ؟ ام ان الخرمية غطاء ايديولوجي لمعارضة الفلاحين الثورية ضد الاستغلال الاقطاعي في القرون الوسطى ؟ هل للقضية علاقة بمعالجة الاراضي ؟

٢ ـ هل للعوامل الاقتصادية من أثر في سوء معاملة العرب لاهل البلدان المفتوحة (أهل الذمة ، الموالي) واحتقار السلطة والارستقراطية العربية للشعوب المغلوبة ؟ وهل الشعوبية ـ بطابعها التقدمي في العصر الاموي حينما نادت الجماهير بالمساواة بين الشعوب ، وبطابعها الرجعي حينما تبنتها الارستقراطية الايرانية لتحقير شأن العرب القدامى بدافع من تعارض مصالحها مع مصالح الارستقراطية العربية حول النفوذ ، هل كانت الشعوبية رد فعل لتلك المعاملة ؟

٣ ـ ما علاقة احترام مركزالمرأة الذي نادىبه المزدكيون ومنثم الخرميونبالاباحة والمجون والاستهتار ؟

٤ ـ مدى تطبيق البابكيين للاهداف التي سعى اليها الخرميون ؟ ٠

كانت الانتفاضة واحدة من أعظم انتفاضات الفلاحين الجماهيرية ، ولئن ساهمت فيها فئات أخرى مختلفة ، لاسباب تتعلق بها وبمجمل وضع الانتفاضة فان ذلك لم يغير من طبيعتها كنضال طبقي ضد الاستغلال الاقطاعي وما يرتبط به من تسلط حكومي ، لان غالبية المنتفضين هم من الفلاحين المرهقين بأوزار الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي معا وقد رفعوا راية النضال بوجه السلطة والاقطاع معا هادفين التحرر من ربقة عبودية الخنوع الاقطاعي والاستغلال الوحشي ومن الضرائب الجائرة واتخذوا تعاليم الخرمية الدينية (التي هي فرقة دينية متطورة عن المزدكية في العهد الاسلامي) غطاءآيديولوجيا وسلاحا فكريا لانتفاضتهم الاقتصادية الاجتماعية بوجه الاقطاعوالسلطة الممثلة لمصالحه فهي وان اتخذت الاطار الديني شكلا لمعارضتها الثورية الا انها في مضمونها انتفاضة اقتصادية اجتماعية (من حيث الاهدافالتي سعت اليها والقاعدة التي اعتمدت عليها) ٠ وان نكران طابعها الطبقيوتصوير مضمونها بالعنصرية والطائفية (١١) والقومية(١٢) يتناقض واهدافها في التحرر من الجور الاقطاعي وفي تحسين احوال المساهمين فيها معاشيا وفي احترام مركز المرأة المتدني ٠ ان فرية اعادة المجد الساساني والدين الزرادشتي أريد بها اثارة المسلمين على المعدمين المنتفضين ولتشويه حقيقة الانتفاضة القائمة لاسباب اقتصادية واجتماعية والمتعارضة اهدافها مع مصالح الارستقراطية الاقطاعية والسلطة ٠ واليوم يحلو للكتاب البرجوازيين تكرار تلك المعزوفة لاخفاء طابع

---

(١١) يصر الدوري ، عبد العزيز في مختلف كتبه على اعتبار الانتفاضة سعت لاحياء الدين المجوسي ولاعادة مجد ايران الساساني ٠

(١٢) كما يصور ذلك بعض المؤلفين الايرانيين ولا شك ان الحركة القومية غير معروفة بعد في القرون الوسطى ٠

الانتفاضة الطبقي . ولكن جل الجهد المبذول يتلاشى امام الحقائق الناصعة التي تبرز بين طيات المصادر لتعلن عن التعسف والجور والاستغلال .

لما كانت البابكية قد اتخذت تعاليم الخرمية اطارا ايديولوجيا لنضالها فقد تحتمت الضرورة لدراسة القضايا الفلسفية والدينية لمعرفة تطور البابكية الخرمية عن المزدكية، والاطلاع على الديانة الايرانية وما نجم عنها من حركات وفرق دينية مناهضة كالمانوية والمزدكية ، ولتمييز الزندقة عن الخرمية ، هذا بالاضافة الى دراسة القضايا الاقتصادية لمعرفة تطور أساليب الانتاج وتأثيرها في تغيير العلاقات الاجتماعية وما ينجم عنها من أزمات وأثرها في التطور التاريخي للحركات الفكرية والاجتماعية . ومن الطبيعي ان الدراسات الماركسية ـ اللينينية التيقامت على التحليل العلمي الدقيق لحوادثالتاريخ، واستخلصت نتائج باهرة في تحديد الطابع الطبقي في النضال المستمر بين المستغلين والمستغلين في كل العهود وأوضحت الاشكال التي اتخذتها المعارضة الثوريةضد الاقطاع في القرون الوسطى والغطاء الايديولوجي للحركات المناهضة . ان هذه الدراساتتعطي امكانية جيدة لتفهم العلاقات الاجتماعية بصورة صحيحة وترشد الى طبيعة التطور التاريخي وعلله الحقيقية والى تحديد طابع كل حركة أو انتفاضة أو ثورة كما وتفتحآفاقا واسعة لتحليل الحوادث تحليلا علميا .

الفصل الاول

تحليل المصادر والمراجع
المبادئ الأيديولوجية والحركة البابكية

لم ينصرف البحث الى دراسة الفعاليات الحربية للانتفاضة فقط ، وانما توسعت الدراسة لتشمل الظروف الاقتصادية والاجتماعية لجميع المساهمين في تلك الانتفاضة لمعرفة الدوافع الحقيقية ولما كانت الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية تحتم دراسة المزدكية والمجتمع الذي نشأت فيه والديانة الزرادشتية التي ناهضتها المزدكية · لهذا امتد البحث من القرن الثاني الميلادي الى القرن التاسع الميلادي ثم نظرة سريعة على القرون الثلاثة التي اعقبت نهاية الانتفاضة ·

ودراسة هذه الحقبة الطويلة بمواضيعها المختلفة أوجبت ضرورة الاطلاع على مختلف انواع المصادر التاريخية والدينية والفلسفية والاقتصادية · ولما كانت آذربيجان وأرمينيا قد أحتلتا من قبل الرومان ـ البيزنطيين والساسانيين ومن ثم من قبل العرب فقد دخل تاريخ شعوب هذه البلدان ضمن تاريخ تلك الدول (١٣) فكان علينا ان ندرس تاريخ الحروب الرومانية البيزنطية ـ الساسانية والفتوحات الاسلامية · ولما كانت مصادر ومراجع البحث كثيرة ومتشعبة فاننا سنقتصر الكلام على تلك التي عنت بأمور الانتفاضة مشيرين أحيانا الى غيرها ·

لا يخفى ان اذربيجان منقسمة الى شمالية وجنوبية وان الكلام اذ يدور الان حول آذربيجان بصورة عامة فعند البحث لوحظت الاماكن حسب تقسيماتها الادارية بدقة ·

لم تقتصر ميادين الانتفاضة على اذربيجان لوحدها بل امتدت رقعتها الى الاجزاء الشرقية من أرمينيا والى الشمال الغربي من ايران لهذا كان من الضروري الاطلاع بقدر المستطاع على المصادر الايرانية والارمنية والسريانية لعمل موازنة بينها وبين المصادر

(١٣) تاريخ الاتحاد السوفييتي (بالروسية) ، القسم الاول ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٤١ ·

الاسلامية وان كانت لا تختلف عنها بطابعها المعادي للانتفاضة • مما لا يخفى على أحد ان أقرب المصادر العربية الى سلطة الخلافة هي المصادر السنية وهي المعبرة عن لسانها في أغلب الاحيان وأشد المؤرخين السنيين تعصبا ضد الفرق المناهضة هم الحنابلة أما مصادر الفرق الاخرى فأقل غلوا في تعصبها ضد المنتفضين على السلطة • واذا خفف المؤرخ السني من حدة تهجمه على المنتفضين اتهم بالمروق عن فرقته •

كانت فترة الانتفاضة الطويلةملىء بالحوادث الجسام والحروب المفزعة ولقدصور الشعراء تلك الاحداث والاماكن والاشخاص بروائع من الصور الشعرية الفنية ، ولئن كان الشعراء متملقين متزلفين للسلطة والى الحكام والقواد وصوروا الحوادث والانتصارات من وجهة نظر السلطة الحاكمة فان تلك الاشعار التي تمتليء بها دواوين الشعراء مليء بأسماء الجبال والوديان والمعارك المهمة ولهذا درسنا دواوين الشعراء أبي تمام ، حبيب بن أوس الطائي (١٤) ، والبحتري ، أبو عبادة ، الوليد بن عبيد بن يحيى (١٥)،وعلي بن الجهم(١٦)وغيرهم بالاضافة الى مطالعة ديوان الحماسة(١٧) فيما يخص الاشعار المتعلقة بانتفاضاتأخرى ومطالعة كتب أدبية أخرى كالبيان والتبيين للجاحظ (١٨) والكامل للمبرد (١٩) والعقد الفريد لابن عبد ربه (٢٠) والاغاني لابي الفرج الاصبهاني (٢١) ، وما تزخر به بطون المصادر التاريخية المختلفة وقد جمعنا القصائد في ملحق ألحقناه في آخر البحث •

تنقسم مصادر البحث الى عربية وفارسية وأرمنية وسريانية والعربية هي التي كتبت باللغة العربية سواء كان المؤرخون عربا أم سواهم واما الفارسية والارمنية والسريانية فهي التي كتبت بلغات اهلها • ولما كان مؤرخو القرون الوسطى لا يعنون بالتاريخ لذاته ولما كانوا يلمون بمعارف عديدة ـ على الاغلب ـ فانهم كانوا يحشرون مواضيع مختلفة مع المواد التاريخية كالفقه والادب والفلسفة والفلك والتنجيم ، لهذاقلما تخلو المصادر من التنوع وهذا ما يخلق الصعوبة احيانا في تحديد المصادر بالنسبة الى موضوعاتها •

١ ـ المصادر العربية : ـ وبصورة عامة يمكن تصنيفها الى تاريخية ودينية وأدبية وجغرافية • والمصادر التاريخيةهي التي تعنى بصورة اكثر بالحوادث التاريخية وأهم مؤرخي هذه المصادر حسب تسلسلهم الزمني :

(١٤) ديوان أبي تمام ،بشرح الخطيب التبريزي ، وتحقيق محمد عبده عزام ، جزءان ، القاهرة •
(١٥) ديوان البحتري ، طبعة هندية ١٣٢٩هـ•
(١٦) ديوان علي بن الجهم ، بتحقيق خليل مردم بك ، دمشق ١٩٤٩م •
(١٧) ديوان الحماسة ، مختصر شرح العلامة التبريزي ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥م•
(١٨) البيان والتبيين ، بتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٦٩هـ•
(١٩) طبعة ليبزك ، ١٨٦٤م•
(٢٠) بتحقيق محمد سعيد العريان ، ط ٢ ، ثمانية اجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٣ •
(٢١) ٢١ جزءا ، القاهرة ، ١٩٠٤م•

ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المعروف بابن قتيبة، ولد في عنفوان الانتفاضة البابكية (في عام ٢١٣هـ او ٢١٥هـ / ٨٨٩م) وهو ايراني الاصل مؤرخ وأديب ولكنه يعني بالقضايا الادبية اكثر من اهتمامه بالحوادث ٠ ولهذا فانه لم يرتب كتابهعيون الاخبار(٢٢)على تسلسل الحوادث اما بقية كتبه كالمعارف(٢٣) وادب الكاتب (٢٤) وأنساب العرب في كتاب المغرب وملوك الشام والحيرة (٢٥) والشعر والشعراء (٢٦) فتطغى عليها القضايا الادبية ، واما كتاب الامامة والسياسة المنسوب اليه فمشكوك بأمره وله كتاب « فضل العرب » (٢٧) غير مطبوع أوضح فيه رده على الشعوبية وأنكر دعواهم للمساواة بين الشعوب واحتقرهم رغم ايرانيته ولربما لتوليه قضاء الدينور أثر في ذلك ثم عدل عن رأيه واعتبر جميع الشعوب متساوية ٠

البلاذري ، ابو العباس ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود توفي عام ٢٧٩هـ/٨٩٢م وأصله على الاغلب من ايران مؤرخ البلاط العباسي كان يتعمد الدقة في اسناد الرواية، وكتابه فتوح البلدان ، (٢٨)لم يسر فيه وفق تسلسل الحوادث وانما قسمه حسبالبلدان والمقاطعات ، وهو حافل بتاريخ الفتوحات الاسلامية وصيغ الامان ومقادير الضرائب ويتطرق الى الخراج ويعدد الاقطاعات التي اقطعت في عهود مختلفة (كما في الصفحات ٣٤٦ ـ ٣٨٤) ويتكلم عن نزوح القبائل العربية واستيطانها في الاماكن الجديدة ٠ ومع انه من أقرب الناس عهدا الى الانتفاضة حيث كانت في ايام شبابه فانه لم يكتب عنها الا تلميحا ٠ اما كتابه انساب الاشراف ، (٢٩) فاستفادتنا منه بالنسبة للانتفاضة محدودة ٠

الدينوري ، ابو حنيفة ، احمد بن داود ٠ (توفي عام ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) ختم الدينوري كتابه الاخبار الطوال (٣٠) بوفاة الخليفة العباسي المعتصم ومع ذلك فان الحوادث المذكورة عن الانتفاضة البابكية رغم الاخطاء والاختلافات فانها مقتضبةوقليلة التحامل على قائد الانتفاضة وجماعته ٠

(٢٢) ٤ مجلدات طبعة كوتنكن ، ١٨٩٩م ، والقاهرة ، ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠م٠

(٢٣) طبعة رغوتينغين ، ١٨٥٠ م ، والقاهرة ، ١٩٦٠م٠

(٢٤) طبعة ليدن ، ١٩٠٠م ، والقاهرة ، ١٣٠٠هـ ٠

(٢٥) طبعة كوتا ، ١٧٧٥م٠

(٢٦) طبعة دي غويه ، ليدن ، ١٩٠٤م٠

(٢٧) نقل عنه الآلوسي ، محمود شكري ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، القاهرة ١٩٢٣م٠ ج ١ ص ١٦٩ ، ١٧١ ، ونشره كرد علي ، محمد بأجمعه ضمن كتاب رسائل البلغاء ٠

(٢٨) طبعة ليدن ١٨٦٦م٠

(٢٩) ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ج ٤ و ج ٥ ، القدس ١٩٣٦ ، ج ١١ ، باعتناء اهلوارت، ليدن ١٨٨٣م٠

(٣٠) باعتناء جورجاس ، ليدن ، ١٨٨٨م ، ووضع فهارسه وقدم له كراتشكوفسكي في ليدن ، ١٩١٢م٠

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الاخبـــاري • (متـــوفي بعـــد ٢٩٢ هـ) • ألـــف كتابـــه التـــاريخ (٣١) على التسلسل الزمني ويقول ليسترنج بان اليعقوبي انهى كتابه التاريـــــخ في سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤ م (٣٢) وتنتهي حوادثه ـ كما أشار بونيياتوف ـ بسنوات ٨٧٢ ـ ٨٧٣ م (٣٣) • وكتاب التاريخ اهتم بالفتوح والضرائب وانتفاضات الشعوب ويحتوي على تفاصيل جيدة ومهمة عـن ولاة وعمـال البريد والخراج في ارمينيا وآذربيجان وفيه ذكـر عن حوادث الانتفاضة باقتضاب وكمؤرخ شيعي لا يتحامل بشدة على معارضي السلطة • امتـازت كتاباته بخفة تهجمها على الانتفاضة وعلى بابك •

الطبري ، ابو جعفر ، محمد بن جرير بن زيد بن خالد بن كثير الآملي الاصل (من طبرستان في شمال ايران) ولد بآمل اثناء الانتفاضة المازيارية وبعد سقوط البذ مركـز الانتفاضة البابكية بعامين (حيـــث ولد في عام ٢٢٤ هـ) وتوفي في عام ٣١٠ هـ (٣٤) ويعتبر بعد أبي حنيفة الدينوري من أقل المؤرخين السنيين تحاملاً على بابك ويمتاز كتابه، تاريخ الرسل والملوك (٣٥) الذي ألفه على السنين ، بكثرة تفاصيل حوادث فعاليـــات الانتفاضة ولا سيما في اعوامها الاخيرة وهذا ما تنتقص اليه المصادر الاخرى المعاصرة لتاريخ الطبري • لكن الطبري لم يهتم بالسنوات السابقة لمجيء بابك كما وانه غير دقيق في اختيار رواياته اذ يحشر الشيء ونقيضه ويأتي بالغث والسمين ولكن رغم ذلك فـان بين طيات صفحات تأريخه الكثير من المعلومات المفيدة لا عن تاريخ الانتفاضة البابكيـة والانتفاضات الخرمية فحسب بل وحتى تاريخ ايران في عهد الاكاسرة وذلك لمعرفته اللغة الفارسية ومطالعته الخداي نامه (٣٦) الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية ، وغيرها من الكتب المترجمة • والطبري فقيه وأديب ومحدث ومؤرخ وتلمس اثر ذلك في مؤلفاتـــه المختلفة • (بدلا عن الخداي نامه كتب الباحث الهندي خدابخش ـ(الحضارة الاسلامية ـ ص ١٧٧ ـ ٨) خطأ الشاهنامه) •

المسعودي ، ابو الحسن، علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي متوفي ٣٤٦هـ/ وكتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر (٣٧) ذو أهمية تاريخية من ناحية انه كـــان يقرن الحوادث التاريخية بمشاهداته الشخصية وان كان يصدق كل ما يسمع وقد زار مناطق الخرمية وشاهد طوائفهم وكتب ما شاء له خياله ان يكتب • اما الحوادث التاريخية فانه

(٣١) جزءان ، طبعة ليدن ، ١٨٨٣م ، ٣ اجزاء طبعة النجف ، ١٣٥٨هـ•

(٣٢) كي ليسترنج ، بغداد ، ص ٢٦٩ • *Le Strange, Guy, Bagdad, London, 1900, p. 269.*

(٣٣) بونيياتوف ، آذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، باكـــو ، ١٩٦٥ ، ص ٨ (باللغـــة الروسية) •

(٣٤) انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٤٠ •

(٣٥) طبعة دي غويه ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٧٩ ـ ١٨٨٥م ، وطبع القاهرة بتحقيق محمد ابـــو الفضل ابراهيم ـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٠م•

(٣٦) حول ذلك لاحظ دننت ، دانيل ـ الجزية والاسلام ، (الترجمة العربية) ص ٤٧ •
Dennet, Danel G., Conversation and the Poll Tax in Early Islam, Combridge, 1950.

(٣٧) طبعة القاهرة ، ١٩٥٨ م•

قلما يعنى بتدقيقها وكتبه في الحقيقة خليط بين الجغرافية والتاريخ والادب والاساطير كما في الشبيه والاشراف (٣٨) واخبار الزمان (٣٩) ٠ وفي كتابه مروج الذهب اخبار وافية عن اسر بابك وجلبه الى سامراء واعدامه الا ان طابع الارتباك واضح عليها كما وانها تخلو من التحامل على الانتفاضة وقائدها ٠ ولا اعلم سر اعجاب خدابخش الهندي بالمسعودي حتى اعتبره اعظم من الدينوري والبلاذري والطبري (٤٠) ٠

الاصبهاني ، ابو عبدالله ، حمزة بن الحسن ، ايراني متعصب ضد العرب ، ولد حوالي ٢٧٠ هـ وتوفي حوالي ٣٦٠ هـ صاحب كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء (٤١) ، يعتقد محفوظ ، حسين على ان هذه التسمية ناقصة ويجب ان تكون (تواريخ سني ملوك الارض والانبياء أولي الامر) (٤٢) ٠ وقد اخطأ سمينوف Simonov, A. A. في تسمية الكتاب (في كتابته بالروسية) (٤٣) ٠ وكتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء على صغره واختصاره له أهميته ، كما لاحظ ذلك لويس (٤٤) ، لان مؤلفه أطلع على مصادر ايرانية كثيرة وخاصة حول تاريخ الساسانيين ٠

ابن النديم ، أبو الفرج ، محمد بن اسحق الوراق البغدادي ٠ ويعرف أيضا بابن أبي يعقوب النديم ، توفي ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م٠ ويعتبر كتابه الفهرست (٤٥) موسوعة علمية عنى بكل ابواب المعرفة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي تكلم فيه عن لغات العالم المعروفة في زمانه واسلوب كتابتها وعن الشرائع والنحو والادب ويسمي كل باب مقالة وتنقسم هذه الابواب الى ٣٢ فرعا ويسمي كل فرع فنا وقد احتوى هذا الكتاب على دراسات ــ وان لم تكن كاملة ومنظمة ودقيقة ــ مفيدة لا يمكن الاستغناء عنها ٠ لقد خصص ابن النديم الباب التاسع للمذاهب والمعتقدات وفي الفرع الاول من هذا الباب تكلم عن المانوية والمزدكية والخرمية وعن بابك ٠ لكن ابن النديم خلط بين المزدكية والخرمية حيث سمى المزدكية بالخرمية الاولى٠ وقد اعتمد قسم من المؤرخين والباحثين

(٣٨) طبعة ليدن ، ١٨٩٣

(٣٩) طبعة القاهرة ، ١٩٣٨ م ٠

(٤٠) خودابخش ، الحضارة الاسلامية ، ترجمة الخربوطلي ، علي حسني ٠ القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٧٩ ٠

(٤١) طبعة ليبزك ، ١٨٤٤ م ، وطبعة برلين ١٣٤٠هـ / ١٩٢١ ــ ٢ م ٠

(٤٢) في مقاله عن الاصبهاني حمزه بن الحسن ، مجلة سومر ــ مجلد ١٩ ــ بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٨٥ ــ ٦ ٠

(٤٣) فقد ذكر سمينوف اسم الكتاب تاريخ سنين ملوك الارض والانبياء ، وهذا خطأ مطبعي كما نظن ٠ لقد ذكر ذلك في مجلة مسائل التاريخ والدين والالحاد ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٨ ، ص ٣٥٥ ٠

(٤٤) لويس ، برنارد ، اصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو ، خليل أحمد والرجب ، جاسم محمد ، القاهرة ، ص ٥٤ *The Origins of Ismailism, Bernard, Lewis.*

(٤٥) طبعة ليبزك ، ١٨٧١ ــ ١٨٧٢ م وهي طبعة فلوكل ، وطبعة القاهرة ، مطبعة الرحمانية ٠

على كتابات ابن النديم كثيرا ويعتبر العالم الالماني فلوكل (٤٦) أول من استخـدم اقوال ابن النديم • لقد كتب ابن النديمعن حياة بابك منذ مولده حتى توليه قيادة الفرقةالخرمية وختمها بحفل زواج بابك من ارملة القائد السابق جاويدان ، اما بعد ذلك فقد لـزم ابن النديم الصمت والسبب كما يبدو انه اعتمد فقط على مصدر واحد (نسبه الى واقد بن عمرو التميمي) ربما تنتهي معلوماته الى هذا الحد •ورغم تحامل واقد فان الرواية غنية بأحداث قلما تطرق اليها الاخرون وقد رسمت صورة لحالة الخرمية قبل تولي بابـــك قيادتها • انتهت حياة ابن النديم في نهاية القرن الرابع وقد اعتبرنا كتابـــات مؤرخي القرنين الثالث والرابع الهجري اهم المصادر لانها اقرب عهـــدا الى حوادث الانتفاضة وهناك مصادر مهمة كثيرة رجعنا اليها تعود الى ازمان متأخرة من اجل ضبط التواريخ والاسماء والمواقعوقد استفدناكثيرا من كتاب العيونوالحدائق وهو لمؤلف مجهول (٤٧) ورغمصغره واختصاره(طبعتفصولمنهولا تزال الفصولالباقية غير مطبوعة)فهو يحتوي على معلومات دقيقة كما ، وان كتاب الكامل في التاريخ (٤٨) لابن الاثير ، عز الدينابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد الجزري (١١٦٠ ــ ١٢٣٣ م) غني بتفاصيل حوادث الانتفاضة وهو ان اعتمد على سابقيهالا انه لديه تفاصيل اضافية عن الحوادث وعنأسر بابك ومحاكمة الافشين لم تكن موجودة لدى من سبقه من المؤرخين •

أما المصادر الدينيةوهي التي تعنى بالامورالفقهية والمالية والفرق الدينية فهيمهمة من ناحية دراسة الاحوال الاقتصادية والاجتماعية وان كانت غير معبرة بصورة دقيقــة عن واقع الحال لان السلطة ما كانت تتقيد بما يفترضه رجال الدين وكان الفقهاءمختلفين حسب مذاهبهم ويحاولون التوفيق بين النصوص وبين رغبات السلطان ورغم ذلك فقــد زودتنا كتبهم بموادغزيرةعن الضرائب وكمياتهاوانواعها وعن الخراجوالاقطاعومعاملة أهل الذمة • لقد وجه ليون كيتاني Leone ceatani (٤٩) وبيكر G. H. Becker (٥٠) وولهاوزن J. Wellhausen (٥١) نقدهم الشديد الى فقهاء المسلمين واعتبروهم

....

(٤٦) حيث حقق وطبع كتاب الفهرست •

(٤٧) *Historia Chalifatus Al-Motasimi, C. Sandenbergh, Matthissen, Luduni Batvorum, E. J. Brilli, 1849* وهو كتيب صغير لا تتجاوز صفحاتــه ٧٥ صفحة من القطع الصغير لمؤلف مجهول يظن انه من القرن الرابع الهجري والكتيب هو الجزء الثالث من تاريخ الخلفاء من كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق •

(٤٨) المطبعة الازهرية ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ ، وطبعة القاهرة ايضا ، ١٩٣١ ــ ١٩٤٠ •

(٤٩) كايتاني ، ليون ، حوليات الاسلام ، ميلانو ، ١٩١٢ جـ ٥ ص ٢٨٠ ــ ٥٣٢

Leon Caetani, Annali Dell'Islam, Melano, 1912 V, pp. 280 - 532.

انظر دننت ، دانيل ، الجزية والاسلام (مترجم) ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٣٣

Daniel, G. Dannet, Conversation and the Poll Tax in Early Islam, p. 33.

(٥٠) G. H. BECER - Die Enststehung Von USR and Harag Land in Agypten «Islamstudien, 1 p. 219; Z. A. XVIII, 302-303

انظر دننت ، الجزية والاسلام ، ص ٤١

(٥١) J. Wellhausen, Das Arabische Reich und Sein sturz, Berlin,1902

وقد ترجم *Margaret Grahamweir* الكتاب الى الانكليزية *The Arab Kingdom and its Fall, Calcutta, 1927.* والى العربية يوسف العش ، الدولة العربية وسقوطها، دمشق سنة ١٩٥٦ ، وايضا محمد عبد الهادي ابو ريدة (تاريخ الدولة العربية الى نهاية العصر الاموي) ، القاهرة ، ١٩٥٨ •

انظر دننت ، الجزية والاسلام (مترجم) ، ص ٢٩ • وقد اعتمدنا النسخة التي ترجمهـــا يوسف العش •

مزورين لواقع الحال. وقد استنكر دننت تهجم هؤلاء على الفقهاء ويرى بأن الفقهاء والمؤرخين المسلمين كانوا يبذلون الجهد في محاولة رسم ما كان جاريا بالفعل في الولايات المختلفة (٥٢) ، ويرى لوكيكارد بأنه لا يمكن ان يؤخذ بصورة موثوقة بأن السياسة التطبيقية قد اتبعت جداول الفقه بالتفصيل (٥٣) . وأهم المصادر الدينية التي تعنى بالامور المالية هي . ـ كتاب الخراج (٥٤) للقاضي ابي يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (١١٣هـ ـ ٧٣١م / ١٨٢هـ ـ ٧٩٨م) ، وكتاب الخراج (٥٥) ليحيى بن ادمبن سليمان القرشي الاموي بالولاء(متوفى ٢٠٣) ، وكتاب الاموال (٥٦) للقاسم بن سلام، ابو عبيد (١٥٤هـ ـ ٢٢٤هـ) ، واختلاف الفقهاء (٥٧) للطبري ، والاحكام السلطانية (٥٨) للماوردي ، وابو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م) . واما الكتب الدينية التي تعنى باختلاف الفرق الاسلامية وغيرها وهذه مهمة بالنسبة لدراسة تاريخ الفرق الخرمية من ناحية منشئها وتطورها وأهم كتب الفقهاء والمتكلمين التي تبحث في الفرق هي مقالات المسلمين (٥٩) للاشعري ، ابو الحسن ، علي بن اسماعيل ، (٢٦٠هـ/٨٧٤م ـ ٣٢٤هـ/٩٣٦م) ، وكتاب التنبيهوالرد (٦٠) للملطي ، ابو الحسين محمد بن احمد (متوفي ٣٧٧هـ/٨٨٩م) ، وكتاب الفرق بين الفرَق (٦١) للبغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد ابن عبد الله (متوفي ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) وهو من متكلمي الاشعرية وقد اعتمد على الاشعري كثيرا ويذكره دائما بـ قال أستاذنا الجليل أبو الحسن ... والبغدادي قليل العناية بتدقيق الحوادث والاماكن والاسماء وكتابه مفعم بالشتائم والردود المقذعة على الخـُرّمية وبابك ولقد صدق الرازي ، فخر الدين اذ قال عنه انه شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح (٦٢) . فاذا كان هذا حاله مع الفرق الاسلامية فكيف يا ترى يكون موقفه مع غيرها ؟ . لقد حشّى كتابه بتهم وأباطيل ضد البابكية وهو الذي ابتدع رواية « الليلة الماجنة التي يطفي فيها الخرميون النور ويبتزون النساء (كذا) » وظلت تتكرر هذه الفرية بعده . ولا يختلف عنه كثيرا

(٥٢) الجزية والاسلام ، (مترجم) ـ ص ٤١ .

(٥٣) لوكيكارد ، الضريبة الاسلامية ، ص ٧٢ .
Frede Lokkegaard, Islamic Taxation in the Classic Period, Copenhagen, 1950, p. 72

(٥٤) طبعة بولاق ، ١٣٠٣ هـ ، وطبعة القاهرة ، ١٣٨٢ هـ.

(٥٥) طبع القاهرة ، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨ م وقد ترجم الكتاب الى الانكليزية *Ben Shemsh, Aharon* باسم *Taxation in Islam* طبع ليدن ، ١٩٥٨ م ، وقدم له كويتن *Goitein* وذكر في مقدمته (ان كتاب ابي يوسف اعمال قضائية بينما كتاب يحيى انما هو كتاب حديث) ص ، . الا ان تسمية الكتاب وما احتواه من امور مالية تدلان على ان الكتاب مخصص لمعالجة الامور المالية وما الاحاديث المروية الا لاثبات وجهاتالنظر.

(٥٦) طبع القاهرة ، ١٩٥٣ .

(٥٧) نشره شاخت ، ليدن ، ١٩٣٣ م .

(٥٨) القاهرة ، ١٩٦٠ م ، والاحكام السلطانية لابي يعلي الحنبلي (٤٥٨ هـ) ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ.

(٥٩) طبعة ريتر ، الاستانة ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .

(٦٠) القاهرة ، ١٩٤٩ .

(٦١) القاهرة .

(٦٢) مقال لفخر الدين الرازي طبعه وعلق عليه بول كراوس
Kraus, Paul , Les «Controverses» de Fakhr Al-Din Razi, B. I. E., VIX 205 F F and 212 F F. لاحظ ـ لويس ـ أصول الاسماعيلية (مترجم) ـ ص ٦٤ .

الاسفراييني أبو المظفر ، محمد بن طاهر ، صاحب كتاب التبصير بالدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين (٦٣) ٠ ومن الكتب المهمة عن الفرق كتاب الملك والنحل (٦٤)، للشهرستاني ، ابو الفتح محمد ، بن عبد الكريم ولد ٤٦٩هـ/١٠٧٧م وتوفي ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م ، وفيه ابحاث غزيرة عن المانوية والمزدكية ، الا ان الشهرستاني قد اغفل أمر بابك نهائيا ويقول فلوكل ان الجميع كانوا ينتظرون منه ان يكتب عـــن بابك (٦٥) ، والشهرستاني أخف لهجة في نقده للفرق من سابقيه ومع ذلك فان الرازي ، فخر الدين يتحفظ في الاعتماد على كتاب الملل والنحل ويقول بان الشهستاني كان متحاملا على الفرق لانه نقل معلوماته عن البغدادي الذي كان شديد التعصب على المخالفين (٦٦) ٠ ومن كتب الفرق أيضا كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٧) ، للرازي ، فخر الدين وهو مقتضب جدا ٠ وكتاب تلبيس ابليس (٦٨) لابن الجوزي ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي القرشي التيمي البكري ، الحنبلي (٥١٠هـ ــ ٥٩٧هـ) ، ويعتبر كتابه نقد العلم والعلماء او كما هو مشهور تلبيس ابليس عبارة عن ردود مقذعة عنيفة على أصحاب الفرق والبدع وهو كحنبلي شـــديد الحقد على الفرق السنية الاخرى فما بالك بغيرها وكتابه يحتوي على حوادث مبتسرة هزيلة مخطوءة ٠

وأما المصادر الجغرافية فقد عنت بوصف البلدان وطرق المواصلات فيها وابعاد المسافات بالفراسخ (الفرسخ = ٨ كيلومتر) بين المدن وثروات البـــلاد والضرائب المستحصلة وأحوال الناس ووصف معاشهم ولغاتهم وأسواقهم وعاداتهم وهي ذات مواضيع نافعة ولكثرتها سنكتفي بذكرها وأهمها كتاب البلدان (٦٩) لليعقوبي ومختصر كتاب البلدان (٧٠) لابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني (ألفه بعد ٩٠٢م) ، وكتاب المسالك والممالك (٧١) لابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (متوفى ٩١٣م) ويمكن اعتبار كتاب الخراج وصنعة الكتابة (٧٣) لابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (متوفي ٣٣٧هـ) من الكتب الجغرافية أيضا وقد ألفه حوالي ٩٢٨م ، والرسالة الثانية (٧٤) للخزرجي ، أبو دلف مسعر بن المهلهل ، الــذي زار المناطــق

(٦٣) القاهرة ، ١٩٤٠ م ٠
(٦٤) طبعة القاهرة ، ٤٨ ، ١٩٤٩ م ٠
(٦٥) مجلة جمعية الاستشراق الالمانية ، بابك ، ٥٣١
Flugel, G., Babek, Seine Abstammung and Erstes Auftreten, ZDMG, 1869, S. 531.
(٦٦) انظر الهامش ٦٢ ٠
(٦٧) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ١٩٣٨ ٠
(٦٨) القاهرة ٠
(٦٩) نشره دي غويه ، ١٨٩٢ ٠
(٧٠) ليدن ، ١٣٠٢ هـ ٠
(٧١) ليدن ، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م ٠
(٧٢) ليدن ، ١٩٢٧ ٠
(٧٣) ليدن ، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م ٠
(٧٤) رسالة ابي دلف الثانية ، موسكو ، ١٩٦٠ ٠

الشرقية وتجول في أرمينيا وآذربيجان في ٣٠ ـ ٤٠ القرن العاشر الميلادي وقد لاحظ بأن المحمرة من الخرمية يعقدون أعلامهم على جبل البـــذ (٧٥) ٠ في عام ٩٣٣م كتب الاصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي كتابه مسالك الممالك (٧٦) وقد نقله عن صور الاقاليم للبلخي وفي عام ٩٥١م باشر بن حوقل محمد العمل في مؤلف الاصطخري وأخرج كتابه المسالك والممالك (٧٧) ، معتمـدا على صور الاقاليم أيضا ٠ لقد أشرنا في حينه الى كتب المسعودي التي هي أقرب الى الجغرافية من التاريخ ٠ وبين أعوام ٩٨٥ ـ ٩٩٧م كتب المقدسي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ابي بكر (ولد٩٤٦ ـ وتوفي ١٠٠٠م) كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (٧٨) وأعظم عمل جغرافي قام به الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ولد ٥٧٤/ ٥٧٥هـ ـ ١١٧٩م وتوفي ٦٢٦هـ ـ ١٢٢٩م) حيث لخص معلومات البلاذري والطبري والجغرافيين السابقين وأضاف اليها مشاهداته الشخصية في كتابه معجم البلدان(٧٩)٠ أما المصادر الادبية التي ذكرت سابقا فقد أفادتنا في عكس جوانب من الانتفاضة وفي دراسة الشعوبية ٠

ب ـ **المصادر الفارسية** : وهي التي كتبت بالفارسية وهذه قليلة ومتأخرة عن عهد الانتفاضة حيث كان القرنان الثالث والرابع عصر المؤلفات العـــربية وبعـدها بدأت الترجمة والتأليف بالفارسية ٠

وقع بأيدينا مصدران احدهما (سياست نامه ، أو سير الملوك) (٨٠) ألف في نهاية القرن الخامس الهجري (٤٨٥هـ) والثاني (تاريخ طبرستان) (٨١) ألف في بداية القرن السابع الهجري (٦١٣هـ/١٢١٦م) ٠ ألف كتاب سياست نامه ، وزير السلجوقيين ألب ارسلان وملكشاه ، نظام الملك ، الخواجة أبو علي الحسن بن علـــي وقـــد ترجم زاخودير هذا الكتاب ترجمة جيدة الى اللغة الروسية (٨٢) كما وان هيوبـــرت دارك Hubert Dark قـد اعتنى بطباعة السياست نامه اعتناء جيدا (٨٣) ٠ يحتوي هذا الكتاب على مواضيع كثيرة خصصت للهراطقة (من الباطنية والخـــرمية والمزدكية) وتطرق الى انتفاضات الخـرمية ومنها البابكية وقد أشار الى أن خرمية جرجان رفعوا أعلاما حمراء (أي محمرة) (٨٤) في عهد الخليفة المهدي ٠ وقد اتهم الخرمية مكررا

(٧٥) ن٠ م٠ ، ص ١٣ ٠
(٧٦) باعتناء دي غويه ، ١٨٧٢ ٠
(٧٧) ليدن ، ١٨٧٣ ٠
(٧٨) باعتناء دي غويه ، ١٨٧٧ ٠
(٧٩) بيروت ، ١٩٥٠ ٠
(٨٠) طبعة باريس ، ١٨٩١ ٠
(٨١) انظر عنه اعمال بارتولد ، القسم الاول ، موسكو ، ١٩٦٣ ، ص ٦٢٦ ٠
(٨٢) موسكو ، ١٩٤٩ ٠
(٨٣) طهران ، ١٣٤٠ / ١٩٦٢ م ٠
(٨٤) النص الفارسي ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ص ٢٢٤ ٠

اقوال سابقيه بالمجون والاستهتار وهتك الاعراض · وفائدته تنحصر في ذكر تفاصيل الانتفاضة البابكية التي لم ترد عند الطبري وغيره من مؤرخي القرنين الثالث والرابع · وألف كتاب تاريخ طبرستان ، ابن أسفنديار بهاء الدين محمد بن حسن ، وقد طبع باعتناء عباس اقبال بمجلدين (٨٥) وترجمه الى الانكليزية عن نسخة محفوظة بالمتحف البريطاني ـ براون ـ Browne (٨٦) وهو وان كان من المصادر المتأخرة الا انه غني بحوادث طبرستان وخاصة انتفاضة المازيار وخرمية طبرستان ولو انه يتوسع في خياله حتى تصبح الحوادث التاريخية قصصا مسلية كما في قصة افشاء المازيار الى عبد الله بن طاهر سر مؤامرة الافشين لسم الخليفة المعتصم حيث لعب خيال ابن اسفنديار فيها واسعا ، اذ كيف تيسر للمازيار وهو في الاسر أن يعلم باليوم الذي سيقدم فيه الافشين على الامر ؟ وكيف يسمي المازيار الواثق والمتوكل وهما لما يسميا بهذين الاسمين بعد ؟ ولم يخف ابن اسفنديار عداءه للمنتفضين أبدا ·

جـ ـ المصادر الارمنية والسريانية : نظرا لامتداد رقعة الانتفاضة الى الجزء الشرقي من أرمينيا ومساهمة قسم من الشعب الارمني في الانتفاضة كان لزاما علينا ان ندرس أحوال الشعب الارمني وتاريخه في العهود السابقة وفي أيام الانتفاضة لمعرفة العوامل والدوافع التي أدت الى مساهمة الارمن بتلك الانتفاضة وفي غيرها والمصادر العربية غنية المواد حول أرمينيا وسكانها وخيراتها وولاتها وانتفضاتها ولكن تلك المصادر تعكس انطباع المؤرخين العرب فقط · ان أهم المصادر الارمنية التي استخدمت في البحث هي : تاريخ الخلفاء (٨٧) لمؤلفه كيفوند ، فارتابيد (المعلم) والذي عني بعرض مآسي الشعب الارمني وما قاساه من اضطهاد وظلم من بين مجمل تاريخ القفقاس منذ ٦٦١م ـ ٧٨٨م فقد وصف حرق الامراء الارمن في كنيسة ناخجيفان من قبل الامويين وتلاشي مقاومة أبناء الشعب بعد فقدان الامراء الاقطاعيين الارمن حيث وصف حالة الشعب البائس بأنهم أصبحوا كالانعام المقدمة للذئاب وليس أمامهم الا ان يلتجئوا بزفراتهم وآهاتهم الى السماء (ص ٢٣ ـ ٢٤) · لقد أمدنا كيفوند بمعلومات عن فداحة الضرائب وحرق المدن وعن الانتفاضات في العهد الاموي وأوائل العهد العباسي · ويعتبر تاريخ اغوان (٨٨) لمؤلفه كاكانكاتفاتسي ، موسيا من المصادر المهمة لا عن تاريخ أرمينيا فحسب ولكن عن القفقاس برمته ولا سيما القسم الثالث منه ويعطي هذا القسم معلومات طيبة عن بابك (أو بابان أو باب ـ كما تسميه المصادر الارمنية) والحروب العديدة التي خاضها وكان يطلق عليه بالوحش والقاتل وجميع الصفات التي

(٨٥) طهران ، ١٣٢٠ ش ، ١٩٤١ م ·

(٨٦) ليدن ، لندن ، ١٩٠٥ ·

(٨٧) ترجمه عن الارمنية بيترمان ، سانتبطرسبرغ ، ١٨٦٢ ·

(٨٨) توجد ترجمتان للكتاب من الارمنية أحداها ترجمة باتكانوف ، ك الى الروسية وقد اعتمد على نسخة شاخاتوني الخطية فقط ، والاخرى ترجمة داوست *G. J. F. Dowsett* الى اللغة الانكليزية

Te History of the Caucasian Albanians, by Movses Dasxuranci, London, 1961.

ويثمن بونيياتوف ترجمة داوست لانها اعتمدت على اكثر من ٤٠ نسخة خطية في مكتبات العالم ، بونيياتوف ، اذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ص ١٢·

تنم عن عدائه لبابك ولجماعته وقد بين الصلات التي توطدت بين بابك وفاساك أميـر سونيك وعن زواج بابك بابنة فاساك بعد وفاته وكان يعتبر بابك ايرانيا كأغلب المؤرخين الارمن ، وقد أعطى تفصيلات عن سهل بن سنباط وعلاقته ببابك ٠ وعلى قلة المعلومات التي يعطيها فاردان في كتابه التاريخ العام (٨٩) فانه لا يخفي حقده على بابك واتهمه بأنه ادعى الخلود وتصور بأنه ايراني من بغداد ٠ وأما المؤرخ ميخائيل السرياني(٩٠)، والذي تحدث عن غزو بابك لاراضي أرمينيا ، فانه يطلق على بابك ، كما يطلق عليـه الارمن لقب المهدي ، ولا بد وان هذه التسمية تلتقي بصورة ما مع الفرضية الخاطئة التي أطلقها أبو حنيفة الدينوري من أن أصل بابك يعود الى أبي مسلم ، وتنسج الروايات في الخيال على ان أحد أحفاد أبي مسلم سيكون المهدي المنتظر والذي سيأخذ بثأر جده ٠ وتحت تأثير هذه الرواية وقع ولا بد المؤرخون الارمن وميخائيل السرياني ، والمعلومات التي يعطيها ميخائيل عن غزو بابك لاراضي أرمينيا غير موضحة وانما تتكلم بصورة عـــامة ٠

المـراجع : قدمت الدراسات الماركسية اللينينية الكلاسيكية ، التي قامت عـلى أسس علمية وتحاليل دقيقة لتاريخ البشرية ، استنتاجات عظيمة تسلط أضواء كشافة على أحداث الماضي وتنير السبيل للتوصل الى حلول سليمة ٠ وفي دراسة ينتظر منها ان تكون شاملة لانتفاضة فلاحية في القرون الوسطى لا غنى لها عــن تلـــك الابحاث الاصلية في دراسة التطور التاريخي للبشرية ٠

وكم كان هاديا لنا في دراسة مشكلة التملك الاقطاعي للارض ، ذلـك التحليل الرائع الذي دبجه أنكلز ، ف٠ في رسالته التي بعث بها الى رفيقه ماركس ، ك٠ (حزيران ١٨٥٣م) (٩١) حيث يقول فيها « ان انعدام الملكية الخاصة للارض يصبح مفتاحا لفهم الشرق بأجمعه ٠ وفي هذا يكمن اساس تاريخه السياسي والديني كله ٠ ولكن لماذا لم تصل شعوب الشرق الى مرحلة التملك الخاص للارض بل ولا الى التملك الاقطاعي ؟ يخيل الي ان ذلك يفسر بشكل أساسي بالمناخ وبطبيعة الارض وبصورة خاصة في منطقة الصحراء الكبرى التي تمتد من الصحارى عبر بلاد العرب ، الفرس ، الهند ، التتـر حتى أعالي الجبال الاسيوية ٠ ان الشرط الاو للزراعة هنا هو طريقة الارواء الصناعية وهي اما ان تقوم به الجماعة او المحافظة او الحكومة المركزية » (٩٢) ٠ وهذا مـا أكده ماركس ، ك٠ في بحثه الممتاز عن التملك البريطاني في الهند بقوله : « ان الظروف المناخية وطبيعة السطح ٠٠٠ جعلت نظام الارواء الاصطناعي بالقنوات ومنشآت الري أساسا للزراعة في الشرق » (٩٣) ٠

(٨٩) التاريخ العام ، فاردان ، ترجمه من الارمنية أمين ، ن ٠ موسكو ١٨٦١ ٠

(٩٠) *Kurdian H. Papek e Sahlibn sunbat. Pazmaveb. Venice, 1959, p. 15.*

(٩١) رسالة انجلز الى ماركس ، حزيران ١٨٥٣ ، كارل ماركس وفريدريك انجلز ، الرسائل المختارة موسكو ، ١٩٥٣ ص ٧٤ـ٥ ٠

(٩٢) ن٠ م٠ ، ص ٧٤ـ٥ ٠

(٩٣) كارل ماركس وفريدريك انجلز المؤلفات المجلد التاسع الطبعة الثانية ص ١٣٢ ٠

لماذا اتخذ البابكيون تعاليم الخرمية اطارا ايديولوجيا لنضالهم ؟ هذا السؤال قد عثرنا على جوابه في مقولة انكلز في كتابه « الحرب الفلاحية في المانيا » ، والذي كان خير معين لنا في تفهم مشاكل فلاحي الشرق · يقول انكلز ، ف· « اتخذت المعارضة الثورية للاقطاع في القرون الوسطى أشكالا مختلفة طبقا لظروفها الزمنيـــة ، بشكل متدينين ، بشكل هرطقة مكشوفة ، وبشكل انتفاضة مسلحة » (٩٤) · لما كـان الظلم والاستغلال والارهاق مستمرا فلم كان الفلاحون لا ينتفضون دائما ؟ ولم لا ينضمون بأجمعهم للانتفاضات ؟ هذان السؤالان المعقدان واللذان توقف عليهما مصير الانتفاضة البابكية وجدنا تفسيرهما في مقولة انكلز ، ف· حيث أرجـــع احجام الفلاحين عـن الانتفاضات الى ما تعودوه من خنوع لاجيال عدة ·· الخ· (٩٥) ·

وفي المراجع التي اتبعت الاسلوب العلمي في مناقشتها للاحداث التاريخية مواد غزيرة عن تاريخ ايران والقفقاس كأبحاث بيكولفسكايا في كتـابها « مـدن ايـران في مستهل القرون الوسطى » (٩٦) ، وكتابها (بيزنطية وايران على مشارف القرن السادس والسابع » (٩٧) ، ومقالها في كتاب تاريخ ايران من الازمان القديمة الى نهاية القرن الثامن عشر » (٩٨) ، وان كنا لا نتفق مع بعض آرائها ، والتي لا يتسع المجال لذكرها هنا ، حيث ادرجت في البحث ، فان كتاباتها عن تاريخ ايـــران قبـــل الاسلام تتسم بالاصالة والجدية ، ولا شك ان معالجة دياكانوف لمشكلة المـــرأة الايرانية والحركة المزدكية في كتابه (مختصر تاريخ ايران القديم) (٩٩) قد اظهرت مبلغ العناية التـي بذلها في مراجعة مختلف المصادر والمراجع والنصوص المهمة · ومن المواضيع التي اعتمدنا دراستها عن الحركة المزدكية مقال سمينوف ، ف·١٠١ في « مجلة مسائل التاريخ والدين والالحاد » (١٠٠) عن المزدكية وهو مقال ممتع رغم ان سمينوف يسمي الخرمية بالمزدكية الجديدة وهذه التسمية تجدها في كتاب « تاريخ القرون الوسطى » (١٠١) أيضا · وعلى الرغم من أن كتاب ايفانوف مختصر فانه يحتوي بين دفتيه على حوادث متسلسلة تتسم بالتركيز والتحليل العلمي الدقيق ، وقد أفادنا بآرائه لا عن تاريخ ايران ما قبل الاسلام فحسب ، بل وحتى في دراسة الانتفاضات التـــي قـــامت في العهود الاسلامية ومنها الخرمية والبابكية · فقد حلل ببراعة سبب فشل الحركة المزدكية (ان الحركة المزدكية أضعفت بظروفها ، لانها لم تستطع أن تعارض بنظام اجتماعي ، ذلك الذي ناهضته ، كائنا ما كان تقدميا وشملت فقط قسما من السكان الكادحين ـ خاصة من أصل فارسي ـ مع ذلك هذه الحركة عزلت نفسها من امكانية الحلفاء ـ جماهير

---

(٩٤) انكلز الحرب الفلاحية في المانيا ، موسكو ، ١٩٥٢ ـ ص ٣٤ ·
(٩٥) ن·م· ، ص ٣١ ·
(٩٦) موسكو ، ١٩٥٦ ـ
(٩٧) موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٦٤ ·
(٩٨) لينينغراد ، ١٩٥٨ ·
(٩٩) طبعة موسكو ، ١٩٦١ ·
(١٠٠) العدد ٥ ، موسكو ، ١٩٥٨ ·
(١٠١) لمؤلفه الاستاذ سمينوف ، ف·ف· ، موسكو ، ١٩٦١ ·

الشعوب غير الايرانية المظلومة » (١٠٣) ٠ وقد لاحظ ايفانوف بصـــواب ان نجـاح الخلافة في حروبها قد أعان الاقطاعيين على خيانة بابك ، هؤلاء الذين قد انضموا في الاول للمنتفضين ومن ثم قاموا ضدهم مساعدين العرب (١٠٤) ٠

ولا تخلوا اعمال وأبحاث العلامة بارتولد والباحث كريمسكي ومرشدي الاول الاستاذ الراحل بيلاييف ، وهي غزيرة ، من فوائد اعانتنا على تفهـــم احوال شعوب ايران واذربيجان وارمينيا في العهد الاسلامي ، فقد لاحظ بيلاييف ان الانتفاضة المنظمة تحت شعارات الفرق الخرمية الدينية نشدت المساواة الاجتماعية وتعميم الملكية (١٠٥)٠ ولا يقل عن ذلك كتاب زاخودير (تاريخ القرون الوسطى الشرقية « الخلافة والشرق الادنى ») (١٠٦) ، وكتاب « تاريخ بلدان الشرق الاجنبية في القرون الوسطى » (١٠٧) حيث فيهما ابحاث قيمة عن تاريخ بلدان الشرق الاوسط مدروسة على اضواء التحليل العلمي ومثلها ابحاث ياكوبفسكي في « تاريخ ايران منذ الازمنة القديمة حتى نهاية القرن الثامن عشر » وفيه دراسات ضافية عن انتفاضات الخرمية والبابكية ٠ وفي « العراق في حدود القرنين ٨ ــ ٩ » وهي اعمال الـــدورة الاولى للمستعربين (١٠٨) ، ومقاله الممتع عن انتفاضة المقنع في مجلة الاستشراق السوفييتية « انتفاضة المقنع ، حركة الناس المرتدين اردية بيضاء » (١٠٩) ٠

وهناك دراسة ممتعة لتاريخ القفقاس وردت في بداية كتـــاب تـــاريخ الاتحاد السوفييتي (١١٠) وفيها تحليل المجتمع القفقاسي في العهود المختلفة من الرق والاقطاع وتشمل دراسة الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ومن الدراسات المهمة بحث الاستاذ بوليانسكي رغم انه غير مختص بتاريخ الشرق الاسلامي ويجهل العربية فانه قدم ابحاثا اقتصادية لتاريخ هذه البلدان في القرون الوسطى في كتابــــه « التاريخ الاقتصادي للبلدان الاجنبية في عهد الاقطاع » (١١١) ، الا ان بوليانسكي ظل لا يفرق بين ضريبة الخراج وضريبة الجزية حتى نهاية العصر الاموي اذ اعتبـــر بوليانسكي خطأ الجزية ضريبة على الارض والخراج ضريبة على الرأس ٠ صحيح ــ كما لاحـظ دننت (١١٢) ــ ان الجزية او الخراج يعنيان الضريبة بصورة عامة لو ذكرا مفردين ، ولكن في أواخر العهد الاموي تحدد مفهوم الضريبتين ٠ ويعتقد بوليانسكي ان الفتح العربي سارع في تطوير الاقطاع ، ولكننا نرى العكس وهو ان الفتح العربي الذي اراد

(١٠٢) موجز من تاريخ ايران القديم ، موسكو ، ١٩٥٢ ٠
(١٠٣) ن٠م٠ ، ص ٣٠ ٠
(١٠٤) ن٠م٠ ، ص ٤٠ ٠
(١٠٥) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٢١٦ ٠
(١٠٦) موسكو ، ١٩٤٤ ٠
(١٠٧) موسكو ، ١٩٥٧ ٠
(١٠٨) موسكو ــ لينينغراد ، ١٩٤٨ ٠
(١٠٩) موســكو ــ ليننغراد ، ١٩٤٨ ٠
(١١٠) موسكو ، ١٩٦١ ٠
(١١١) موسكو ، ١٩٥٤ ٠
(١١٢) الجزية والاسلام ٠

ان يفرض الارستقراطية القبلية قد جعل الاقطاع يسير بوتائر أبطأ ٠ ومن اجل ان يبرهن على فضل العرب في انتشار التجارة وازدهارها في مختلف الربوع ، ضرب مثلا على استعمال كلمة بازار ظانا بأنها عربية بينما هي ليست بعربية وكان الحري ان يذكر انتشار كلمة تعريفة العربية وبقالية العربية ٠

لقد كتب الباحث الارمني ليو مجلدات ضخمة عن تاريخ ارمينيا(١١٣) تناول فيها لا تاريخ ارمينيا فحسب ، وانما كل ما يتعلق بتاريخ ارمينيا من احداث وصلات من قريب او بعيد ٠ ومن المؤسف ان تغلب العناية بالكمية على الدقة العلمية فتاريخ ارمينيا الذي كتبه ليو قليل التحليل ضعيفه ويسرد روايات مؤرخي القرون الوسطى على علاتها دونما تمحيص او تدقيق او تعليق ،بل ويردد مفترياتهم وأساطيرهم ، فعلى سبيل المثال لا الحصر كتب هذا الخلط العجيب عن منشأ الخُـرّمية في آذربيجان وعن قيادتها حيث يذكر عن جاويدان انه كان يدعى المهدي (لم تطلق عليه هذه التسمية الا عند مؤرخي الارمن حيث كانوا يطلقونها على قادة الخرمية في آذربيجان) ثم قتل وجاء من بعده هارون (المعروف لدى غالبية المصادر ان بابك تولى قيادة الخرمية بعد جاويدان) وقتل هارون وجاء من بعده بابك (١١٤) ٠ ويعتبر ليو الانتفاضة البابكية ايرانية ، شأنه شأن مؤرخي العصور الوسطى الارمن (لكن الانتفاضة الفارسية لم تنل اي شيء من انتصار الامبراطور تيوفيل) (١١٥) ، كما وانه يردد تهم العلماء البرجوازيين عن مشاعية النساء لدى البابكيين ويبتكر لها مسميات فيسميها الشيوعية القديمة او البدائية (١١٦) (كذا !) ٠ وفي محاضرة القاها الاكاديمي السوفييتي الارمني مانانديان وطبعت بكراس باسم « الانتفاضات الشعبية في أرمينيا ضد السيطرة العربية » (١١٧) يكرر تسمية الانتفاضة الآذربيجانية « بانتفاضة الفرق الفارسية » (١١٨) ، وان بابك دعا نفسه بالمهدي (١١٩) ويقول عن الانتفاضة انها سعت الى مشاعية الملكية والنساء والى الاطاحة بالحكم العربي واقامة الامبراطورية الفارسية السابقة (١٢٠) ٠ هكذا وبكل بساطة وعدم تروٍ يقع العالم السوفييتي بشباك العلماء البرجوازيين بترديد معزوفتهم البالية حول مشاعية النساء واعادة المجد الساساني ٠

كان المنتظر من كتاب يؤلفه الآذربيجانيون عن تاريخ بلادهم ان يكون ينبوعا صافيا غزيرا بمعرفة احوال البلاد وتاريخها دقيقا في معلوماته ومتأكدا من صدق رواياته ، ولكننا وجدنا والالم يحز في نفوسنا ان كتاب تاريخ آذربيجان (١٢١) رغم

(١١٣) يرفان ، ١٩٤٧ ٠
(١١٤) ن٠م٠ ج ٢ ص ٤٢٧ ٠
(١١٥) ن٠م٠ ج ٢ ص ٤٣٦ ٠
(١١٦) ن٠م٠ ج ٢ ص ٤٣٧ ٠
(١١٧) يرفان ، ١٩٣٩ ـ٠
(١١٨) ن٠م٠ ص ٢١ ٠
(١١٩) ن٠م٠ ، ص ٢١ ٠
(١٢٠) ن٠م٠ ، ص ٢١ ٠
(١٢١) المجلد الاول ، باكو ، ١٩٥٨ ٠

العناية والجهود التي بذلت لاخراجه بحلة قشيبة ، جاء ثانويا مبتسرا جزر المعلومات وغير دقيق حتى في تعيين موقع البـذ ـ مركز وقلعة البابكيين ـ حيث جعلها « على منحدرات سبلان الشمالية » (١٢٢) وهذا الجبل يقع الى الشمال من اردبيل جنوب نهر كاراسو بينما تقع البـذ جنوب نهر أراكس وشرق رافده كيرخسو ، ويذكر عن وادي هشتادسر انه يقع قرب المراغة (١٢٣) بينما جبل ووادي هشتادسر يقعان الى الشرق من البـذ ، ويذكر بأن الخرميين تعاقدوا مع الجورجيين (١٢٤) وليس هناك من مصدر أو مرجع واحد ـ سوى يامبولسكي ـ أشار الى ذلك ، كما وانه يردد اتهام الخرميين بالمرحين والمبتهجين (١٢٥) ٠

من الابحاث الطريفة عن معتقدات الارمن الدينية والحركات الهرطقية التي ظهرت في ارمينيا ابحاث امين ، ن٠ أو٠ « مختصر دين ومعتقدات الارمن الهرطقية » ، ولا تقل أهمية ابحاث العالم الروسي فازيليف المختص بشؤون بيزنطية (١٢٦) وقد أمدنا بمعلومات طيبة عن الحروب البيزنطية ـ العباسية وأشار الى ايواء الامبراطور تيوفيل لفلول الخرميين الذين التجأوا اليه بعد انكسارهم في معركة همذان ٢١٨هـ ، وأشار الى رسالة بـابك الى امبراطور بيزنطية التي يناشده فيها توجيه جيوشه لمحاربة المسلمين لتخفيف الضغط عليه ، وقد اعتمد الباحث الروسي المتدين فازيليف على روايات الطبري كثيرا ٠ ومينورسكي V. Minorsky في مؤلفه القيِّم « دراسات في التاريخ القفقاسي » القفقاسي ـ Studies in Caucasian History » (١٢٧) وقد تكلم فيه عن حياة وعادات ولغات وتقاليد سكان بلاد القفقاس وقد أمدنا بمعلومات دقيقة عـن اللهجات الآذرية والتاليشية في آذربيجان وعن أحوال القاعدة التي اعتمدها بابك فـي نضاله ضـد الخلافة (١٢٨) وكذلك في تحقيقاته للمخطوطات التي نشرها (فصل من تاريخ الباب وشيروان ـ فصل بـاب الشادية مـن كتاب جامـع الـدول ، وحـدود العالم Hudud Al-Alam) (١٢٩) ٠ ترجم العالم الانكليزي سيل G. Sale القرآن الى اللغة الانكليزية (١٣٠) وكتب مقدمة حوالي ١٣٢ صفحة ختمها بملاحظاته عن التاريخ الاسلامي وقد تطرق فيها الى انتفاضات الخرمية في ايران ومـا وراء النهـر وفي آذربيجان (١٢٩ ـ ١٣٠) وهو يعتمد على المسعودي وابن العبري (١٣١) كثيرا وقـد

---

(١٢٢) ن٠م٠ ، ص ١١٨ ٠

(١٢٣) ن٠م٠ ، ص ١٢٠ ٠

(١٢٤) ن٠م٠ ، ص ١٢٠ ٠

(١٢٥) ن٠م٠ ، ص ١١٧ ٠

(١٢٧) لندن ١٩٥٣ ، وانظر مقاله الممتع عن اذربيجان في الموسوعة الاسلامية م١ ، ص ١٨٨ ٠
The Encyclopaedia of Islam, V. 1, p. 188.

(١٢٨) دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٢ ـ ١١٣ ٠

(١٢٩) حدود العالم *The Regions of the Word* لندن ، ١٩٢٧ وقد قدم له بارتولد ونشره وترجمه بالانكليزية مينورسكي ٠ وتوجد نسخة خطية لحدود العام مـع فهارس لبارتولد في مكتبة لينينغراد ٠

(١٣٠) القرآن ، لندن ، ١٨٥٧ ٠
The Koran, Commonly Called the Al-Coran of Mohammed.

(١٣١) ابن العبري ، غريغوريوس (م٠ ٦٧٤ هـ/١٢٨٦ م) ابو الفرج ابن هارون ، تاريخ مختصر الدول ، طبعة اوكسفو رد ، ١٦٦٣ وطبعة بيروت ، ١٨٩٠ م٠

علل تسمية بابك بالخرمي والخـــرم دين (اما لانه كان من المحل القريب من آذربيجان المعروف بـ خورم Khorrem أو لانه سن دين المرح) ثم يقول بانه لم يعثر على أي تعاليم بشر بها ولكن يقال بأنه لم يعلم بأي دين معروف في آسيا (١٣٢) ٠

من الابحاث الوصفية لجغرافية بلدان الخلافة الشرقية اعتمدنا على الكتاب القيّم (أرض الخلافة الشرقية The Land of the Eastern Caliphat, London, 1905. لمؤلفه ليسترانج ، كي Lestrange, Guy وقد استفدنا منه فـــي التعرف على طبيعــة أراضـــي ايــران وآذربيجــان ووصــف جبــالها وطــرقها وفيه خرائــط جيدة لتلــــك البلدان نقلنـــا بعضا منهـــا ٠ لقـــــد اعتمد ليسترانــــج علـــى المصادر العربيـــة وخاصة اليعقوبي والمسعــــودي وبدرجــــة اساسيـــة ياقوت الحموي ٠ ولا يقل اهمية كتابه « بغداد (الطبعة الانكليزية ــ لندن ١٩٠٠ ، وترجمه كوركيس عواد باسم : « بغداد في عد الخلافة العباسية » ، بغداد ، ١٩٣٦) ٠ لدراسة الاقطاع والانظمة المتبعة لجمع الضرائب المختلفة من جزية على النفـــس وخراج على الارض وعشر على التجارة وعلى الارض ولدراسة معاملة اهل البلد المفتوح الموالي ممن اسلم منهم وأهل الذمة ممن بقي على دينه من اجل ذلك راجعنا أيضا مؤلفات العلمـاء الغربيين والتي أولت المواضيع الآنفة الذكر العناية الجيدة من الدرس والتحصيل وان كانت تنطلق من وجهة نظر معينة وانها لم تعن بوقع الضرائب على السكان وتأثيرها فيهم بقدر ما اهتمت بالاسس القانونية والفقهية وجذور وتطور تلك الضرائب وتحديد مقاديرها وأهم المؤلفين الذين رجعنا اليهم فـــون كـريمر Alfred Von Kremer « الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية » (١٣٣) Cultur-geschichte De Orients Untre Denghalifen, Wien, 1975 وتـــرتـــون Tritton A. S. « أهل الذمة في الاسلام » (١٣٤) The Caliphs and Their Non-Muslim Subjects, London, 1930 ودننت (« الجزية والاسلام » ــ النسخة الانكليزية والترجمة العربية) ، ولوكيكارد « الجزية الاسلامية في العهد الماضي » ٠

ويعتبـر كـاب « ايـران في عهد الساسانيين Christensen A., Iran sous les Sassanides, Paris, 1936 (١٣٥) لمـــؤلفه كريستنسن ، آرثـــر مـــن المؤلفات النافعة والمراجع المعول عليها في تاريخ ايران لما قبل الاسلام ، فقد بــذل كريستنسن جهودا مضنية لأكثر من ثلاثين عاما في التقصي والبحث المتواصل مشذبا ومضيفا حتى أخرجه ملما بدقائق الحوادث ٠ وقد أمدتنـــا الدراسات التاريخية ــ الادبيـة والفنية بأبحاث ومعلومات مفيدة رغم تحيزها ضد الانتفاضات الشعبية مثل دراسات كل من

(١٣٢) سيل ، القرآن ، ص ١٣٠ ٠

(١٣٣) تعريب الدكتور مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٤٧ م٠ (لقد ترجم خدابخش كتاب فـون كريمر من الالمانية الى الانكليزية تحت عنوان (الحضارة الاسلامية) في الجزء الاول من كتابه المسمى Constributions to the History of Islamic Civilisation وعنه ترجم الدكتور مصطفى طه بدر الى العربية ٠

(١٣٤) ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٤٩ ٠

(١٣٥) ترجمة يحي الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ ٠

دوزي (« موجز تاريخ الاسلام » ترجمه عن الفرنسية كيمنسكي ، بطرسبرغ ١٩٠٤)
وميور Sir William Muir (« الخلافــة نهوضها ، انحطـــاطها وسقوطها »
The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall) (١٢٦) ، الذي أشار الى محاورة
الكندي لعلماء المسلمين في قصر المأمون ، وقد قام ميور بترجمة تلك المحاورة الــى
الانكليزية ونشرها باسم («محاورة الكندي» The Apology of Al-Kindy) (١٣٧)،
وموللر (« تاريخ الاسلام » ترجمته من الالمانية الـــى الروسية مدنيكوفا) (١٣٨) ،
وبالرغم من ان موللر سخر من تفسير فلوكل لكلمة خـــرّم حسب المعنى الفارسي بماجن
ومستهتر واعتبر ذلك لا يعدو كونه نكتة مدرسية (١٣٩) ، فانه (موللر) لم يتورع عن
اتهام « الشيوعيين ــ كذا حسب تعبيره ــ الذين قادهم بابـــك الفارسي » بالقســاوة
ومشاعية الزوجات (١٤٠) ، وآرنولد Arnold T. W. (« الخلافة » The Caliphate,
Oxford, 1924) ، وبـــــراون Browne Edw (« تـــاريـــخ الادب
الايـــــرانـــي » A Literary of Persia from Firdawsi to Sadi) (١٤١) تنــاول فيــه
قسطا من انتفاضات الخرمية معتمدا على الـ « سياست نامــــه » ، وتـــراث ايران
The Legacy of Persia لنخبة من المستشرقين الانكليز ، لاحظنا فيــه الديانة
الفارسية ومحاكمة الأفشين ، حيدر بـــن كاؤوس ، ونيكلسون Nicholson R.
« تاريخ الادب العربـــي A Literary History of the Arabs (١٤٣) ، وجـــب
Gibb H. A. R. الاحتلال العربي لآسيا الوسطى The Arab Conquest of Central Asia
(١٤٤) و «دراسات عن المدنية في الاسلام » Studies of the Civilisa-
tion of Islam (١٤٥) وفيه فصل عن الشعوبية والزندقة (ص ٦٢ ــ ٧٢)
ويتحدث جب عن الصراع بين الشعوبية والعرب فيقــول « كـــان الصراع في القرنين
الثاني والثالث الهجري لا صراعا بين مدرستين للادب ولا حتــــى صراع القوميات
السياسي ولكنه صراع من اجل تحقيق اهداف الحضارة الاسلامية » (١٤٦) ، والعالم
المجري كولدتسهير ، اجناس Goldziher I. في كتابه (« الدراسات المحمدية »
Mohammadanische Studien) وكتابه (« العقيدة والشريعة في الاسلام » ، ترجمة
علي حسن عبد القادر وآخرين ــ القاهرة ــ ١٩٤٦) ، والعالـــم الالمانـــي بروكلمان
Brockelmann « تاريخ الشعوب الاسلامية » (١٤٧) ، وأستـــاذ الفارسية في

(١٣٦) ــ ادنبره ، ١٩٢٤ ٠
(١٣٧) لندن ، ١٨٨١ ٠
(١٣٨) ــ (بيتبرغ) ، ١٨٩٥ ٠
(١٣٩) ص ١٦٩ ٠
(١٤٠) ص ١٩٥ ٠
(١٤١) ط ٣ لندن ، ١٩٢٠ ٠
(١٤٢) ترجمة محمد كفافي وجماعته ، القاهرة ، ١٩٥٩ ٠
(١٤٣) لندن ، ١٩٢٣ ٠
(١٤٤) لندن ، ١٩٢٣ ٠
(١٤٥) بوسطن ، ١٩٦٢ ٠
(١٤٦) ن٠م٠ ، ص ٦٢ ٠
(١٤٧) ترجمةنبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، ١٩٤٨ ٠

جامعة كامبردج ليفي Levy Reuben («تركيب الاسلام الاجتماعي» The Social Structure of Islam) (١٤٨)، والباحث الهندي امير علي Ameer Ali («مختصر تاريخ العرب» A Short History of the Saracens) (١٤٩)، وخدابخش الهندي «الحضارة الاسلامية» (١٥٠) · ان مقالة مارغليوث Margoliouth في الموسوعة الاسلامية المختصرة (١٥١) Short Encyclopaedia of Islam بعنوان «الخرمية» (١٥٢) دلت على كثرة المصادر العربية التي رجع اليها بالاضافة الى اشعار ابي تمام والبحتري، الا انه لم يناقش رواياتها كثيرا · ومن المراجع الغربية المهمة التي رجعنا اليها ابحاث المستشرق الانكليزي لويس، برنارد Bernard Lewis «الاصول الاسماعيلية» The Origins of Ismailism (ترجمه الى العربية جلو، خليل احمد والرجب، جاسم محمد) (١٥٣)، و «العرب في التاريخ» The Arabs in History, London, 1950 (١٥٤)، ولا تخلو ابحاث العالم البرجوازي لويس من بعض التحليلات الصائبة اقتبسنا منها ما يشابه الحالة في الانتفاضة الخرمية فقد نقلنا مقولته حول احترام مركز المرأة الاسماعيلية وموقف المسلمين من تلك الحرية حيث قال «اعتقد اننا يمكننا ان نرفض بدون تردد الرأي القائل بأن الاسماعيليين قد طبقوا شيوعية النساء وتعلمنا الكتابات الدرزية بأن الاسماعيليين قد منحوا المرأة مركزا ساميا وحرا لم يمنحه اياها اهل السنة المعاصرون، وربما كانت هذه الحرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لاعين أهل السنة دعارة محضة» (١٥٥) · لقد اعتمدنا هذا التحليل البارع في الرد على اتهام الخرميين والبابكيين بمشاعية الزوجات، لكن أبحاث لويس مفعمة بوجهة النظر البرجوازية · من الكتب الشيقة التي امتازت بدقة التحليل العلمي الماركسي هو كتاب: نبذة عن تاريخ المادية في القرون الوسطى، والمترجم الى اللغة الروسية لمؤلفه الباحث من المانيا الديمقراطية هيرمان لي (١٥٦) ورغم ان لي قد عني كثيرا بالفلسفة والفلاسفة، لكن تحاليله الرائعة قد ساعدتنا كثيرا في تفهم وتحليل قضايا مهمة بالنسبة للفتوحات والضرائب ومعاملة الشعوب المغلوبة وان لم نتفق معه في بعضها ·

دأب المؤلفون العرب، الا ما ندر، على تتبع خطى الباحثين البرجوازيين في كتابة ابحاثهم ونظرتهم للحركات المناهضة للسلطة نتيجة دراساتهم الغربية وكثرة انتشار مؤلفات العلماء والباحثين الغربيين بلغاتها الاصلية والتي يجيدها الكثيرون او المترجمة الى العربية، وقلما تظهر ابحاث تاريخية تتسم بالتحليل العلمي والمنزه عن

(١٤٨) ط ٢، كامبردج، ١٩٥٧ ·
(١٤٩) نيويورك، ١٩٥٥ ·
(١٥٠) ترجمة علي حسني الخربوطلي، القاهرة، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م·
(١٥١) ليدن / بريل، ١٩٥٣ ·
(١٥٢) ن·م· ص ٢٥٧ ـ ٨ ·
(١٥٣) القاهرة، ١٩٤٧ ·
(١٥٤) ترجمة نبيه امين فارس، بيروت ·
(١٥٥) اصول الاسماعيلية، ص ٢٠٣ ·
(١٥٦) ترجمة كرلوفا، ز، ف· وساتس أي · أ ·، موسكو، ١٩٦٢ ·

التحزب والروح الشوفينية والطائفية · ان انتهاج الاسلوب اللاعلمي من قبل جمهرة من الباحثين العرب يعزى الى تصديقهم روايات مؤرخي العصــور الوسطــى دون تمحيص او تدقيق او تعمق في معرفة مدى اتصال هذا المؤرخ او ذاك بالسلطة والى اي فرقة او مذهب ينتمي كما ويرجع الى ضيق الافق والانحدار الطبقي وتهيب الرجعية والرأي المتزمت ومحاباة السلطة البرجوازية الرجعية · ورغم كل ذلك يعثر الانسان احيانا على كتابات نظيفة تعالج مواضيع حساسة باسلوب منزه · ان ابحاث الاديب والمؤلف العراقي الآلوسي عن الشعوبية في أثره الادبي الرائع « بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب » (١٥٧) دلت على اصالة وتجرد ، وقد تتبع اثره المؤلف المصري احمد امين في بحثه عن الشعوبية في « ضحى الاسلام » ، ولا تخلو كتابات طه حسين ، التي تغلب عليها النزعةالادبية رغم اعدادها لمواضيع تاريخية ، من لمسات انسانية ومحاولات جريئة لمعالجة قضايا حساسة وسط مجتمع ديني متحمس كما يلاحظ ذلك في « الشيخان، ابو بكر وعمر بن الخطاب » و « مرآة الاسلام » و « الفتنة الكبرى ، ١ ــ عثمان بــن عفان ، ٢ ــ علي وبنوه » (١٥٨) · الا ان كتابات طه حسين يعوزها التحليل الدقيق وتوضيح الرأي فبين تلافيف المحسنات البيانية يطوي فكرته بحيث يتعذر علــى القارىء البسيط ادراك مرامه · ولقد كان لجرجي زيدان الفضل في توجيه الانظار نحو الآثـــار الادبية والتاريخية ويعتبر كتابه (تاريخ التمدن الاسلامي) (١٥٩) من المراجع الادبيــة والتاريخية التي يمكن رغم قدمها ان يعول عليها أحيانا ، وبجهود مضنية أخــرج رستم ، أسد كتابه (الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب) (١٦٠)، وقد اعتمدناه في مواضيع العلاقات العربية البيزنطية وانتفاضة توما الصقلي · وتمتاز كتابة حمزة عبد اللطيف (ابن المقفع) (١٦١) وعمر فروخ (ابن المقفع) (١٦٢) بأبحاث طيبة ·

ان الكتب الآنفة الذكر قد عكست لنا وجهة النظر العربية لاحداث القرون الوسطى ولا يمكن الاستغناء باي حال من الاحوال عن وجهة نظر وانطباعات العــرب المعاصرين عن احداث الماضي سواء المنصفين انصاف المتحررين مـــن قيود النظـــرة الضيقة او الرجعيين او التقدميين · يعتبر كتاب توما ، اميل (العرب والتطور التاريخـي) (١٦٣) محاولة ناجحة في تحليل الحوادث التاريخية تحليلا ماركسيا علميا ولكن توما كان يحث الخطى مسرعا من الماضي السحيق ليصل الـــى تاريخنا الحالـــي بكتاب ليس بكثيــر الصفحات مما ترك وراءه فجوات واسعة لم يتطرق اليها هذا الى اننا لم نتفق معه فـــي قوله (وخلال القرنين الاولين من قيام الامبراطورية العربية الاسلامية تحطم الاقطاع او

(١٥٧) تحقيق الاثري ، محمد بهجت ، القاهرة ، ١٩٢٣ ·
(١٥٨) القاهرة ، ١٩٥١ ، ١٩٥٣ ·
(١٥٩) ٥ اجزاء ، القاهرة ١٩٠٢ ــ ١٩٠٥ ·
(١٦٠) جزءان ، بيروت ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ ·
(١٦١) ط ٢ القاهرة ، ١٩٤ ·
(١٦٢) بيروت ·
(١٦٣) ترجمة من الانكليزية الى العربية نقولا ، جبرا ، حيفا ، ١٩٦٢ ·

على الاصح اقطاع فارس وبيزنطة) (١٦٤) فكيف تحطم الاقطاع ؟ لقد كان الاقطاع في بدء نموه الا ان الفتح الاسلامي وما تلاه ومحاولة السلطة العربية فرض الارستقراطية القبلية قد جعل الاقطاع يسير بوتائر أبطأ ٠

يعتبر الباحث اللبناني المتأمرك فيليب حتي ، من اكثر الكتاب العرب تسلكا للنهج الغربي ولا سيما في الولايات المتحدة ٠ ويعتبر كتابه (تاريخ العرب ، موجز) (١٦٥) وكتابه (تاريخ العرب ، مطول) (١٦٦) ، الذي وضعه بالاشتراك مع جرجي ، ادورد ، وجبور ، جبرائيل) من الابحاث التي تعكس وجهة النظر البرجوازية وقد اعتمد حتي على زيدان ، جرجي كثيرا ٠ اما المراجع العربية التي اتسمت بشدة كراهيتها للحركات الشعبية وبشوفنيتها وطائفيتها ، والتي رجعنا اليها في مواضيع مختلفة من التاريخ الاسلامي ، فتعود الى مؤلفين من اقطار مختلفة مثل : العدوى ، ابراهيم احمد (الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم) (١٦٧) واحمد ، محمد حلمي محمد (الخلافة والدولة في العصر العباسي)(١٦٨) وشبلي ، احمد (في قصور الخلفاء العباسيين) (١٦٩) وعبد العال ، محمد جابر (حركات الشيعة المتطرفين) (١٧٠) ، وشريف ، محمد بديع (الصراع بين الموالي والعرب)(١٧١) هؤلاء اذكروا على الشعوب قيامها بوجه السلطة ورددوا مشاعية الزوجات واعتبروا المانوية والمزدكية والخرمية أقامت الشيوعية ٠ وتعتبر كتابات الباحث المصري ، حسن ، ابراهيم حسن (تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) (١٧٢) ذات مستوى واطىء في التحليل وكذلك مؤلفات الخربوطلي ، علي حسني (تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي) (١٧٣) و (الدولة العربية الاسلامية) (١٧٤) وكذلك مؤلف زيدان ، عبد الكريم (احكام الذميين والمستأمنين) (١٧٥) وكراس الانسة رحمة الله ، مليحة (معاملة أهل الذمة في العصرين الاموي والعباسي The Treatment of the Dhimmis)(١٧٦) ، والذي حاولت فيه ان تنكر الاضطهاد والارهاق الذي كان يتلقاه اهل الذمة،رغم اعتراف الفقهاء بذلك ٠ من الابحاث الاقتصادية التي يعتمد الرجوع اليها بحث الدوري ، عبد

(١٦٤) ن٠م٠ ص٣٦ ٠
(١٦٥) ط ٢ بيروت ، ١٩٥٤ ٠
(١٦٦) ط ٢ ، بيروت ٠
(١٦٧) القاهرة ، ١٩٥٨ ٠
(١٦٨) القاهرة ، ١٩٥٩ ٠
(١٦٩) القاهرة ٠
(١٧٠) القاهرة ١٩٥٤ ٠
(١٧١) القاهرة ، ١٩٥٤ ٠
(١٧٢) القاهرة ، ١٩٥٣ ٠
(١٧٣) القاهرة ، ١٩٥٩ ٠
(١٧٤) القاهرة ١٩٦٠ ٠
(١٧٥) بغداد ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م٠
(١٧٦) بغداد ، ١٩٦٣ ٠
(١٧٧) بغداد ، ١٩٤٨ ٠

العزيز (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجـــري) (١٧٧) وبحث العلي ، صالح احمد (التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري) (١٧٨) فان ابحاثهما ذات أهمية وخاصة الفترة التي تناولها العلي ٠

اما المراجع التي كتبت عن الانتفاضة البابكية أو عـــن بابك ، سواء كانت الكتابة بصورة مستقلة أم ضمن مواضيع مؤلفاتهم لكن بصورة تفصيلية ، فمحدودة ٠

واول من تطرق للموضوع العالم الالماني فلوكل ، غوستاف Flugel, G. الذي كتب بحثـا عـن بـابك فـي مجلة جمعيـة الاستشـراق الالمـانية تحت عنوان (بابـك وأصله ومبدأ مقاومته Babek Seine Abstammung und Erstes Auftreten, ZDMG (١٧٩) تناول فيه نشأة الخرمية وأصل تكوينها وسبب تسميتها ٠ والواجب الـذي وضعه فلوكل نصب عينيه ـ كما يقول ـ ان يصف أظلم ناحية (أي نشأة الخرمية) اي بدايـة واسس اسباب هذه الظاهرة ليهتدي بها وليعطي تثمينا صحيحا لتلـك الحوادث (١٨٠) ٠ لكن الحقيقة هي ان فلوكل سعى الى التشهير بالحركة وطعنها ، فوصم انصار بابك (الفاقدين للاخلاق ؟)(١٨١) وقال عن الخرمية انها نشأت عن الكلمة الفارسية (خرم) وتعني مرح وخرمي تعني مستهتر (١٨٢) ، وقال عنهم ـ مستخدما اقوال ابن النديم (حيث قـام هو بتحقيق ونشر الفهرست ـ كما ذكرنا ـ) ـ ولهم مشاركة في الحـرم والاهـل لا يمتنع الواحد منهم مـن حرمة الاخـر ولا يمنعه ٠ (١٨٣) ٠ ولا مجـال هـنا لذكر المناقشات الدائرة حول مصطلح الخرمية (١٨٤) والتهـم التشهيرية فقد عالجـــها البحث بصورة كافية ٠ لقد استخدم كتاب كثيرون كلمات فلوكل في توجيه الطعـــن للحركة قاصدين التشهير بالشيوعية العلمية الحالية ، لان هؤلاء الكتـاب يعتبـرون محاولات المزدكية والخرمية لمعالجة مشاكـل الفلاحين وتوزيع الارض مشاعية عليهم اعتبروها شيوعية (حسب مفاهيمهم !) ٠

في عام ١٩١٣ صدرت الموسوعة الاسلامية باللغة الالمانية ـ Enzyklopaedie Des Islam (١٨٥) ـ وفيـــا مقـال عـــن بـــابك تحـت عنـــوان (بـــابك رئيس الفرقة الخرمية Babek Haupt Der Khurramiten sekte) (١٨٦) ، ولقد اعتبر المقال الاسم معربا عن بابك الايرانية ٠ والمقال قصير وقد اعتمد روايـة

....

(١٧٨) بغداد ، ١٩٥٣ ٠

(١٧٩) ص ٥٣١ ـ ٥٤٢ ٠

(١٨٠) ن٠م٠ ، ص ٥٣١ ٠

(١٨١) ن٠م٠ ، ص ٥٣١ ٠

(١٨٢) ن٠م٠ ، هامش ص ٥٣١ ٠

(١٨٣) ن٠م٠ ص ٥٣١ ٠

(١٨٤) كتب بونيياتوف ، ز٠ بحثا قيما ناقش فيه مصطلح الخرمية في مجلة اخبار الاكاديميـة الاذربيجانية السوفييتية ، العدد ٣ لسنة ١٩٥٩ ٠

(١٨٥) المجلد الاول ، ليدن ـ لايبزك ، ١٩١٣ ٠

(١٨٦) ن٠م٠ ص ٥٦٨ ـ ٩

(١٨٧) ن٠م٠ ، ص ٥٦٩ ٠

ابن النديم عن نشأة بابك ورواية الطبري عن الحوادث ويشتمل على بعض الاخطاء والتي منها اعتباره تاريخ سقوط البذ يوم ١٨ رمضان ٢٢٢ هـ يصادف ٢٦ نيسان ٨٣٧ م (١٨٧) ، بينما هو يصادف ٢٤ آب ٨٣٧ م٠ ثم يذكر المقال (وبالرغم من الامان الذي اعطى لبابك فان المعتصم امر بقتله وتعذيبه) (١٨٨) والمعروف ان بابك رفض الامان بشمم ٠ في عام ١٩٢١م ، نشر جوزي ، بندلي صليبه في باكو في مجلة اخبار جامعة باكو الحكومية ، مقالا عن بابك باسم بابك والبابكية ، وهي اول محاولة لدراسة الموضوع بأسلوب علمي فهي بادرة طيبة لكن المقال على قصره يحتوي على اخطاء تاريخية وعلمية فهو يعتبر خرمية جرجان مازياريه (١٨٩) وهو بهذا ينقل خطأ البغدادي ، ابو المنصور (الفرق بين الفرق) دونما تمحيص ، كما وانه يطلق كثيرا وبصورة خاطئة تعابير علمية حديثة على احداث قديمة فهو يصف المزدكية والخرمية بالشيوعية والحزب الشيوعي والتعاليم الشيوعية ٠ (١٩٠) الخ ٠ ولم يحاول تصحيح اخطائه عند كتابته لموضوع بابك في كتابه (من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ـ باللغة العربية) (١٩١) ٠

في عام ١٩٣٦ م صدر في موسكو كتيب صغير تحت عنوان ـ (بابك) لمؤلفه تومارا ، وهذا اول مطبوع يظهر للوجود مخصص بصورة كاملة لبابك والانتفاضة البابكية ، ويعتبر الكتيب اكثر توفيقا في تحاليله العلمية من ابحاث جوزي ٠ يقول تومارا انه لم يواجه مشاعية النساء طيلة تاريخ الحركة الخرمية بل وحتى القادة كانت لكل واحد منهم زوجة واحدة ٠ ويقول بأن النساء الخرميات حررن من عبودية المنزل ونالت الاختيار الحر لزوجها (١٩٢) ٠

لكن بحث تومارا عدا قصره قليل التحاليل ويحتوي على اخطاء تاريخية عالجنا الكثير منها في البحث ونذكر البعض على سبيل المثال لا الحصر ٠ يقول تومارا ان الخرميين الديالمة لم يعاونوا جيرانهم الاذربيجانيين (١٩٣) ، ويعلل ذلك بمقولة انكلز حول احجام الفلاحين في العصور الوسطى عن الانتفاض نتيجة تعودهم الخضوع واقلاعهم في اماكن عديدة عن استعمال السلاح ٠٠٠ الخ والواردة في بحثه عن الحرب الفلاحية في المانيا ص ٣١ ٠ ولكن مقولة انكلز كمبدأ عام صحيحة غير انها لا يمكن ان تستخدم لذكران حقيقة تاريخية حيث اشار كثير من المؤرخين الى مساهمة الديالمة ٠ ويذكر تومارا ان تيوفيل استأنف في عام ٨٣٦ م هجوما على الجيوش العباسية ويقول بان هذا الهجوم مع الهجمات السابقة لم يخفف الضغط عن

(١٨٨) ن٠م٠ ، ص ٥٦٩ ٠
(١٨٩) بابك والبابكية ، ص ٢٠٥ ٠
(١٩٠) ن٠م٠ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ٠
(١٩١) القدس ، ١٩٢٧ ٠
(١٩٢) بابك ، ص ٢١ ـ ٢٢ ٠
(١٩٣) ن٠م٠ ص ٨٨ ـ ٩ ٠

بابك (١٩٤) بينما المصادر تشير الى رسالة بابك التي وجـهها الى امبراطور بيزنطة المتردد يحثه فيها على مهاجمـة الحدود الاسلامية ويخبره بان الخليفة ارســل الى اذربيجان كل جيوشه حتى طباخه وخياطه ولكن الامبراطور الحاقد على كل انتفاضة شعبية لم يحرك ساكنا الا في عام ٨٣٧ بعد اندحار الانتفاضة وسقوط البذ · ويردد تومار معزوفة / كلمة (الخرمية) تعني بالعربية اناسا مرحين ذوي حياة ماجنـة (١٩٥) · ايام العدوان الفاشستي الهتلري الغاشم على اراضي الاتحاد السوفياتي عام ١٩٤١م صـدر في باكو كراس صغير بـ (٤٢ صفحة) باسم انتفاضة بابك (نبذة مختصرة) لمؤلفه يامبولسكي وقلة مناقشته للروايات المختلفة وعـدم تعرضه لحوادث عديدة تتطلب الشرح والتفصيل حول مناقشة اصل بابـك والحياة العامة للخرميين ، فان البحث قد عالج مواضيع عديدة بتحاليل علمية اوفر من سابقيه ولو انـه عـلى ما يظهر قد طالع نصوص المصادر العربية مترجمة الى لغـات اخرى وانه اورد آراء دون ا نيسندها الى مصدر يذكـر بان المنتفضين اتحـدوا مـع اخوانهم الارمن والجورجيين (١٩٦) · ولا نعلم من ايـن جاء بالجورجيين ؟ · ومن المؤسف ان يصور يامبولسكي بابكا بالفاتك حيث يردد تهم مؤرخي العصور الوسطى ومفتريات العلماء البرجوازيين عنه فقد كتب عنه / اول شيء عمله بابـك حينما اصبح عـلى رأس الخرمية ، نظمهم للابـادة الجماعيـة لانصار الخليفـة العائشون في ذلك الوقت في آذربيجان / (١٩٧) · ان بابك لم يأمر بالقتل الجماعي لانصار الخلافة وانما امـر بمهاجمة الحصون وتدميرها وان وجود الاف الاسرى في معسكره عند سقوط البـذ لينفي صفة الفتك الجماعي ·

وفي نفس العام كتـب ابراهيموف اطروحـة عـن نضال الشعب الاذربيجاني (باللغة الاذربيجانية) وفي عـام ١٩٤٣ م اصـدر ابراهيموف وتوكارجفسكي تحت عنوان (بسالة ورجولة الاذربيجانيين) وفي عام ١٩٤٤ م كتب ابراهيموف عن بابك وقد خصصت كتابات ابراهيموف لتمجيد خرمية آذربيجان ·

كتب الدوري ، عبد العزيز في عام ١٩٤٥ بحثا طريفا عن بابك والانتفاضـة الاذربيجانية وعن المازيار وتمرد منكجور الفرغاني في آذربيجان وقد عالج المواضيع معالجة طيبة فاستخدم مصادر عديدة ، ولم يكن البحث مستقلا وانما كان متعلقـا بالخليفة المعتصم في كتابه (العصر العباسي الاول) (١٩٨) وقد نهج الدوري نهجا جديدا في بحثه لم يؤلف لدى الباحثين العراقيين ولكن الدوري ، وهو المتتبع لخطـى اساتذته المستشرقين الغربيين وقع في اخطاء رغم تظاهره باتبـاع الاسلوب العـلمي

(١٩٤) ن·م· ص ١١٨ ·
(١٩٥) ن·م· هامش ص ٧ ·
(١٩٦) انتفاضة بابك ، ص ١١ ·
(١٩٧) ن·م· ص ١٩ ·
(١٩٨) بغداد ، ١٩٤٥ ·

فاستنتج اسباب الانتفاضة كره الشعب للحكم العربي ، واستخلص بان اهداف البابكيين كانت مجرد محو الدين الاسلامي والقضاء على السلطان العربي لاعادة الدين المجوسي والمجد الساساني · ولم يتوان عن استخدام اقوال مؤرخي العصور الوسطى المعادية لاثبات وجهة نظره ·

ان فرية اعادة المجد الساساني والدين الزرادشتي او المجوسي ، التي اطلقها مؤرخو القرون الوسطى ، اريد بها اثارة المسلمين على المعدمين المنتفضين ولتشويه حقيقة الانتفاضة القائمة لاسباب اقتصادية واجتماعية والمتعارضة اهدافها مع مصالح الارستقراطية الاقطاعية والسلطة · واليوم يحلو للكتاب البرجوازيين تكرار تلك المعزوفة لاخفاء طابع الانتفاضة الطبقي · ولكن جل الجهد المبذول يتلاشى امام الحقائق الناصعة التي تبرز بين طيات المصادر لتعلن عن التعسف والجور والاستغلال ان نكران طابع الانتفاضة الطبقي وتصوير مضمونها بالعنصرية والطائفية والقومية يتناقض واهدافها في التحرر من الجور الاقطاعي وفي تحسين احوال المساهمين فيها معاشيا وفي احترام مركز المرأة المتدني · لقد انكر الدوري العامل الاقتصادي الذي حرك الشعوب للانتفاض · لذا ظل الدوري وهو المعجب باراء المؤلف الايراني صديقي Sadighi G. H. (١٩٩) يستخدم اقوال مؤرخي القرون الوسطى في حصر الانتفاضة في اطار العنصرية والطائفية وظل يكررها في مؤلفاته مثل (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) (٢٠٠) و (مقدمة في صدر الاسلام) (٢٠١) و (الجذور التاريخية للقومية العربية) (٢٠٢) و (الجذور التاريخية للشعوبية) (٢٠٤) · ولقد اعتمد الدوري بعض اراء جوزي الخاطئة حيث وقع في نفس اخطائه حول مازيارية جرجان مثلا ·

صدر في عام ١٩٤٨ مقال في مجلة العالم الاسلامي The Muslim World للباحث الامريكي رايت Edwin Wright تضمن العددين الاول والثاني من التسلسل الدوري الثامن والثلاثين بعنوان بابك البذي والافشين خلال اعوام ٨١٦ ــ ٨٤١ Babek of Badhdh and al-Afshin during the Years 816-841 (٢٠٥) تناول البحث فيه انتفاضة بابك منذ نشأتها حتى اندحارها ــ في العدد الاول من المجلة ثم محاكمة الافشين وما تعلق بها من قضية المازيار ــ في العددين الاول والثاني ــ وينقل رايت Wrighte روايات ابن النديم والمسعودي وغيرهما نقلا

(١٩٩) *Les Mouvements Religieux Iranians, Paris, 1938.*
(٢٠٠) بغداد ، ١٩٤٥ ·
(٢٠١) بغداد ، ١٩٤٩ ·
(٢٠٢) بيروت ، ١٩٦٠ ·
(٢٠٣) بيروت ، ١٩٦٢ ، وقد كتبنا ردا عليه في مقالنا (الشعوبية) في مجلة الغد العدد الثالث ، براغ ·
(٢٠٤) مجلة الاداب اللبنانية العدد الثالث ، اذار ١٩٦٥ ·
(٢٠٥) عدد كانون الثاني ١٩٤٨ ، واشنطون ·

يكاد ان يكون تاما ، وقليل التعليق والمناقشة وهو أول من نبه الى ان ابـن النديـم ينفرد بذكر بلال آباد كموطن لوالدة بابك ، حيث تذكر المصادر الاخرى موضعا اخر (٢٠٦) · ويعتقد رايت ان بابك دعا الى المتعة والفـرح لان فلسفته (خرم) السـرور (٢٠٧) ·

كتب العالم الجيكي ايرجي تسبيك فيعام ١٩٥٢ م بحثا في مجلة الشرق الجديد

عن بابك / بابك الشخص الذي ارتعش امامه الخلفاء Irzi Ceipek, Babek, Muz Pred Kterym Se - Trasli Chalifove, Novy Orient, Praha, 1952, S. 163-4.

في عـام ١٣٣٣ شمسي المصادف ١٩٥٤ م اصدر الكاتب والباحث الايراني نفيسي ، سعيد ، كتيبا صغيرا عن بابك باسم بابك الخرمي (بابك خرم دين دولار آذربيجان ، تهران ١٣٣٣) وهو عبارة عن مقالاته السابقة ، وقد جمع نفيسي مقتبسات مـن مصادر مختلفة وهو كغالبية الايرانيين يعتبر بابك بطلا قوميا ايرانيا وقد ترجم كتابه الى الاذربيجانية باسم (اذربيجاني قهرماني بابك خرم دين ، باكو ١٩٦٠) وهـي النسخة التي اعتمدنا عليها ·

صدر في دمشق في عام ١٩٥٧ كتاب (في التاريخ العباسي ، الجزء الاول) لمؤلفه مصطفى شاكر وفيه بحث عن بابك ضمن الكلام عن الخليفة المعتصم · والمؤلف ترسم خطى الدوري في مؤلفه (العصر العباسي الاول) حتى كاد ان يكون (فـي التاريخ العباسي) صورة طبق الاصل من (العصر العباسي الاول) وان حـاول مصطفى شاكر التخلص مـ نالنظرة الشوفينية والطائفية ، فقد وقع في نفس اخـطاء الدوري ·

في عام ١٩٥٨ م صدرت اعداد مـن مجلـة بازمافيب Pazmaveb (وبازمافيب بالارمنية تعني روايات عديدة) في البندقية بايطاليا وفيـها مقالات لـ (كورديان) ، حايك Kurdian H. (باللغة الارمنية) تحت عنوان بابك وسهل بن سنباط / صفحة من تاريخنا في القرن التاسـع (٢٠٨) وقد قسمت المقالات الـى ثلاثة اقسام ، القسم الاول عن بابك ، والقسم الثاني عن علاقة بابك بسهل بن سنبـاط والقسم الثالث عن عيسى بن اصطيفانوس ، وقد جمع فيها اقـوال مؤرخي العصور الوسطى الارمن والسريان هذا بالاضافة الى استخدام نصوص من الترجمة الانكليزية لحوادث ٨٣٣ ـ ٨٤٢ م من خلافة المعتصم من كتاب الطبري وقد قامت بهذه الترجمة آلـه مـارتن في سنة ١٩٥١م ، لـم ينـاقش كورديان Kurdian H. الا في القليـل النـادر ·

كتب بونيباتوف ، ضياء الدين موسايفيح في عـام ١٩٥٩ م مقالات عـديدة نشرت تباعا في مجلة اخبار اكاديمية العلوم الاذربيجانية السوفييتية المجلد الخامس

(٢٠٦) ن·م· ص ٤٩ ·
(٢٠٧) ن·م· ص ٤٩ ·
(٢٠٨) *Kurdian H., Papeke Sahl Ibn Sunbat, Pazmaveb, Venice, 1958.*

عشر الاعداد الثاني والثالث والخامس والسابع والتاسع عن : منكجور ، مصطلح الخرمية ، محل وموقع مدينة وقلعة البذ ، بابك وبيزنطة ، ومعلومات جديدة عن موقع قلعة شاكي ، وكتب في عام ١٩٦١ مجددا في نفس المجلة ، المجلد السابع عشر في العددين الاول والرابع عن : كتاب تاريخ اغوان، وعن مدينتي وقلعتي البذ وشاكي وقد اتسمت كتاباته بالتحليل الماركسي العميق ودلت على مبلغ الجهد المبذول في التقصي والبحث بأناة وصبر وحيث مكنته معرفته للعديد من اللغات الاوروبية بالاضافة الى العربية والفارسية والتركية ولغته القومية الاذربيجانية والروسية ، مكنته من الاحاطة بالمصادر المختلفة ، فجاءت مناقشاته للاراء المختلفة دقيقة ومتزنة٠ وفي عام ١٩٦٥ صدر كتابه : آذربيجان في القرون السابع ـ التاسع (٢٠٩) وجاء حافلا بالمعلومات وقد خصص الفصل الخامس (وهو الاخير) لحركة جماهير آذربيجان ضد الخلافة ، تناول فيه بالتفصيل حياة بابك والفعاليات ومنشأ مصطلح الخرمية ، وقد تطرق الى كل صغيرة وكبيرة مسندة ومعززة بأقوال المؤرخين وقد الحق بالكتاب ملحقا لما ترجمه من نصوص مختلفة الى اللغة الروسية ٠

صدرت في عام ١٩٦٠ طبعة جديدة للموسوعة الاسلامية (النسخة الانكليزية
The Encyclopedia of Islam, New Edition, V. 1, Leiden, London, 1960, p. 844
وفيها مقال عن بابك ومن الطبيعي ان المقال لا يختلف كثيرا عما كتب في النسخة الالمانية (١٩١٣ م) سوى انهم حاولوا تصحيح تاريخ سقوط البذ فوقعوا في الخطأ مجددا حيث ذكروا ٩ رمضان ٢٢٢ هـ/ ١٤ آب ٨٣٧م والصحيح هو ١٨ رمضان ٢٢٢ هـ/ ٢٤ آب ٨٣٧م٠

(٢٠٩) باكو ، ١٩٦٥ م٠

الفصل الثاني

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلدان الشرقية الخاضعة للنفوذ العباسي (ايران - أذربيجان - أرمينيا)

البابكيـــة

انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية

٢٠١ هـ / ٨١٦ م ـ ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م (١)

قامت في بداية القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي انتفاضة واسعـــة في اذربيجان وفي القسم الشمالي الغربي من ايران وفي جزء من ارمينيا ، ضد الخلافة العباسية واستمرت حوالي (٢٠) عاما ناضلت الشعوب فيها تحت قيادة الشـــاب الباسل بابك ، نضالا مستميتا من اجـل الحرية ٠

ولم تكن الانتفاضة وليدة الصدفة وانما لها جذورها التاريخية ، فهي كسائـر انتفاضات الخرميين ، وليدة تراكمات احقاد المستغلين من فلاحين وبقية شغيلة المدن وصغار المتكسبين ، من باعـة وتجار ، الذين كانوا يعانون ايضا ، كالفلاحين مـن شدة قساوة الاستغلال الاقطاعي والتعسف والجور الحكومي ٠

ولكي ندرك الاسباب الموضوعية للانتفاضة علينا ان ندرس تاريخ الحـركـات الخرمية التي هي فرقة متطورة عن المزدكية، وندرس تاريخ واحوال الشعوب المساهمة في الانتفاضة ، ولهذا فاننا سنعود القهقرى ونتوغل في التاريخ ليتسنى لنا تتبـــع تطور كفاح هذه الشعوب ونضالاتها من اجـل رفاهها وتحررها واستقلالها والـدور التقدمي الذي لعبته في كفاحها ضد التسلط الاجنبي والاستغلال المحلي والاجنبي ٠

ويقينا اننا سنواكب ، في هذه الفترة الطويلة ، سير تطـــور وسائل واساليب الانتاج وتغيير العلاقات الانتاجية ، ومشاهدة اثر كل ذلك في بناء المجتمع وتكوينـه السياسي والاجتماعي وتشخيص الصــراع الطبقي والمفاهيم التي تستغـل في تـلك

---

(١) يذكر بلويانسكي ، خطأ ان بدء الحرب سنة ٨١٥ م ، التاريخ الاقتصادي ص ١٢٩ ٠

الميادين ، حتى اذا بلغنا عصر الانتفاضة البابكية تيسر لنا تحديد العلاقة بين الحاكمين المتمثلة بسلطة الخلافة العباسية وبين المحكومين المتمثلة بالشعوب المحتلة٠

لهذا سيتناول بحثنا في الفصل الثاني الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لبلدان ايران ، آذربيجان وارمينيا في اواخر العهد الساساني وفي عهد الفتوحات الاسلامية ، اي الراشدي ثم في العهد الاموي وبداية العهد العباسي ٠

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلدان الشرقية الخاضعة للنفوذ العباسي (ايران ، آذربيجان ، ارمينيا) :

١ ـ الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي قبل الفتح الاسلامي :

أ ـ في ايـران :

كانت ايران قبل الفتح الاسلامي امبراطورية تحكمها الارستقراطية الايرانية وعلى رأسها العائلة الساسانية ، ودينها الرسمي الزرادشتية ، وتركيبها الطبقي كان مجتمع العبيد ثم تحول الى مجتمع الاقطاع ٠ فلقد ورثت الامبراطورية الساسانية تقاليد ونظم امبراطورية العبيد السابقة حيث استمر مجتمع العبيد سائدا لفترة طويلة في العهد الساساني حيث كان التقسيم الطبقي للمجتمع الايراني هو الاتي : ـ السادة الارستقراطيون ملاك العبيد وهم الطبقة السائدة والحاكمة والمستغلة وعلى رأسهم السلالة الساسانية ٠ والعبيد وهم الطبقة المسودة المضطهدة المستغلة ومعهم الفلاحون الاحرار المنضمون في مشاعيات (مزارع مشاعية) والذين كانت حريتهم واراضيهم مهددة دوما من قبل الارستقراطية ، وهنالك الرحالة المتجولون مع ماشيتهم في ربوع البلاد وهناك ايضا كادحو المدن ، غير ان التناقض الطبقي الاساسي كان بين الارستقراطية وبين العبيد ٠ ثم بدأت تختلق في رحم ذلك المجتمع ـ مجتمع العبيد ـ نواة المجتمع الجديد (مجتمع الاقطاع) وبرزت للوجود في اواخر العهد الساساني بواكير النظام الاقطاعي بعد ان بلغت التناقضات اشدها في نهايات عهد العبيد ، يذكر الاستاذ ايفانوف ، م٠س٠ بان (من اول الساسانيين حتى القرن الخامس كانت علاقات العبودية منتشرة على نطاق واسع وبصورة رئيسية بين سكان ايران الاحرار وكذلك الارتباطات القبلية ، ولكن وسط السكان الاحرار قد نشأت عملية التمايز الطبقي ، فغالبيتهم تحولوا الى طبقة الفلاحين التي بدأت تستغلها تدريجيا الارستقراطية الاقطاعية مالكة الارض وارستقراطية مالكة العبيد وكبار رجال الدين والعسكريون (٢) ٠

....

(٢) موجز تاريخ ايـران ، ص ٢٧ ٠

هناك وثائق واثار نجد صداها في ادبيات ومصادر فارسية (٣) عن ظهور الاقطاع وفي مصادر عربية كثيرة ، كالحوار بين الملك بهرام بن بهرام بن هرمز وبين الموبذ حول الضرائب (٤) ، ومحاورة قباذ مع عجوز حول شريكها في البستان (٥) ، وتنظيمات كسرى الاول ـ انو شروان ـ المالية (٦) ٠

لقد اصبح التركيب الطبقي للمجتمع الايراني في الفترة الاخيرة من الحكم الساساني هو الآتي : ـ السادة الارستقراطيون ملاك الاراضي ومعهم صغار الملاكين ـ الدهاقين ـ وعلى رأس الجميع الاسرة الساسانية الحاكمة وكانوا جميعا الطبقة السائدة (حكام الولايات وقادة الجيش والقضاة وكبار رجال الدين من هذه الطبقة فقط) المستغلة المضطهدة لابناء الشعب ، والطبقة الثانية طبقة الفلاحين المسودة المستغلة المضطهدة ومعهم سائر الشغيلة من كادحي ابناء الشعب والعبيد ٠ وبالرغم من بقاء بعض ملاكي العبيد فان التناقض الطبقي الاساسي في العهد الاخير هو التناقض بين الملاكين وبين الفلاحين ٠

لقد دفع الهبوط الاقتصادي ارستقراطي ـ اشراف ـ ايران ، مالكي الاعداد الهائلة من العبيد ، الى تشغيل عبيدهم في الزراعة ، ومنحهم قليلا من الحرية ، فلقد اصبحت الزراعة اكثر مجالا للكسب ، وهذا مما ساعد بصورة عامة على ظهور ازمة العبيد (٧) وادى الى التحول الى الاستغلال الجديد ـ الاستغلال الاقطاعي ـ٠

غير ان النظام القديم ـ مجتمع العبودية ـ لم يختلف تماما ، بل ظل سائرا نحو نهايته والفساد ينخر في كيانه ويرافقه خلفه ـ النظام الجديد (النظام الاقطاعي) محتلا مواقعه التي انحسر عنها ، لقد كان نظام الرق يلفظ انفاسه ، لانه اصبح عائقا للتقدم الاقتصادي ومسببا الضعف للسادة ومالكي العبيد ٠ وكان النظام الاقطاعي ـ وريث مجتمعالعبيد ـ في بداية نشوئه وتطوره ٠ وبسبب تداخل نظام الرق مع نظام الاقطاع بعضهما مع بعض ، يحاذر كثير من المؤرخين تحديد صفة المجتمع الساساني (٨) لانالنظام القديم كان في نهايته والنظام الجديد في دور بدايته ولا سيما في العهود الاخيرة حيث استمرت علاقات العبودية في مناطق غير كثيرة من ايران مع نشوء ونمو العلاقات الاقطاعية٠ يعتبر لويس المجتمع السابق (للحركات الدينية الهرطقية) مجتمعا اقطاعيا وقد (تحطم ذلك البناء الاقطاعي القديم) ، ولا

(٣) يرى دياكونوف ، م٠م٠ (ان انعكاس وضعية الفلاحين جد ضعيف في المصادر الساسانية) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٢٨٠ ٠

(٤) المسعودي ، مروج ، جـ ١ ص ٢٥٣ ٠ دياكونوف م٠م٠ ، ص ٢٨٢٠

(٥) ابن حوقل ، المسالك والممالك ص ٢١٨ ٠ ياقوت الحموي م ٣ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ٠

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل م ١ جـ ٣ ص ٩٦٠ ـ ٩٦١ ٠

(٧) بيكوليفسكايا ، ن٠ا٠ ، مدن ايران ، ص ٢١٧ ٠ بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي للبلدان الاجنبية ص ١٢٣ ٠

شك ان لويس قد اخطأ في افتراضه ان المجتمع السابق لظهور الفرق الدينية المناهضة للزرادشتية مجتمع اقطاعي وقديم (٩) ٠ والخربوطلي في اعتماده على كريمر قد وقع في الخطأ نفسه (١٠) ٠

لقد عانى الشعب الايراني طيلة عهود الرق من الظلم والاستغلال الطبقي حيث مارس الارستقراطيون أبشع أنواع الاستغلال بارهاقهم جماهير الشعب بمختلف انواع الاعمال الشاقة والاذلال وساقوا الجماهير باعداد هائلة ، الى الحروب ، التي كانت تقام سواء بين العائلات الارستقراطية الايرانية المتناحرة او بين الامبراطوريتين الايرانية والرومانية ووريثتها البيزنطية وفي ختام كل حرب ، يسوق السادة المنتصرون اعدادا هائلة من اسرى الحرب ليضيفوهم الى عبيدهم ٠

ولما اصبح هؤلاء العبيد لا يدرون ربحا لاسيادهم ، بدأ الاسياد يفكرون بوسائل جديدة للربح ، بدأوا يفكرون بامتلاك الاراضي الواسعة وكثيرا ما كان الاكاسرة - الملوك الساسانيون (يهبون الاراضي ويقطعونها للامراء وخاصتهم ومن لاذ بهم) (١١) ، وتحول السادة ملاك العبيد الى طبقة ملاك الاراضي وهكذا تحول الاستغلال الطبقي من العبيد الى طبقة الفلاحين ، والذين بدأوا يفقدون حريتهم في زراعة الاراضي مشاعا ، اي تغير العلاقات الانتاجية لتغير القوى المنتجة ، ولم يسلم العبيد - طبعا - والرحالة وكادحو المدن وبقية الساكنين في المدن من حرفيين وباعة وصغار التجار - من تحمل اوزار وظلم السادة الاقطاعيين واصبح السادة اعداء لاقسام واسعة من جماهير الشعب لقد ادى سلب الاراضي من الفلاحين وتسليمها الى الاقطاعيين الى تحطيم المشاعية وتردي احوال الفلاحين ، ولا سيما وان الضريبة كانت تقع عليهم - على جماهير الشعب - وحدهم وكانوا ملزمين بدفع الضرائب

(٨) فعلى سبيل المثال يذكر دياكونوف ، م٠م٠ (السؤال عن تركيب المجتمع الايراني الساساني معقد جدا وكشيء منتهي لم يقرر في العلم بعد) ، يختصر تاريخ ايران ، ص ٢٧٨ وذكر ايضا (ان تحليل حالة الفلاحين وتركيبهم الاجتماعي من المهمات الصعبة) ن٠م٠ ص ٢٨٠٠ وتذكر بيكولفسكايا ، ن٠١٠ (ان المسألة جد معقدة ولكن الامتناع عنها ممنوع) مدن ايران ص ٢١١ ٠

(٩) لويس برنارد ، العرب في التاريخ ، ص ٦ - ٦٧ ٠

(١٠) اعتمد الخربوطلي في رأيه على (فون كريمر ، الحضارة الاسلامية ، ص ٧٨) ٠ وقد اعتبر الخربوطلي الدهاقين من الارستقراطية ، تاريخ العراق ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، لكن الدهاقين من صغار الملاكين وكانت مهمتهم جمع الضرائب ٠ يقول كريستنسن ، آرثر (فلم يكن اذن للدهقان ، قبل الفلاحين ، ما للسادة مالكي الاراضي من الارستقراطية الرفيعة) ايران ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، ويقول كريستنسن ، آرثر عن الدهاقين ايضا (٠٠٠٠ وعلى هذا الاعتبار كانت وظيفة الدهاقين الاصيلة ان يتسلموا الضرائب) ، ايران ص١٠٠

(١١) المسعودي ، مروج ج ١ ص ٢٥١ ٠ انظر بيكوليفسكايا ، مدن ايران ، ص ٢١٢ ٠ راجع معجم متن اللغة (واقطعه قطيعة اعطاه طائفة من ارض الخراج تمليكا او ارفاقا - منفعة) ص ٥٩٧ المجلد الرابع ٠ وكذلك راجع المنجد (اقطع الامير الجند البلد جعل لهم غلته رزقا) ص ٦٧٦ ٠

الى الحكومة والى السادة الاقطاعيين وكان يقوم بجبايتها الدهاقين (١٢) ٠ ونتيجة لهذه الاوضاع المزرية هاجر الفلاحون الى اقاصي البلاد تاركين الاراضي للاسياد هربا من الضرائب ٠ ومهما تكن الاسطورة التي يرويها المسعودي عن محاورة الموبذ للملك عن فحوى كلام البوم فان في هذه الاسطورة تصوير لاستياء الناس من توزيع الاراضي على المقربين من الملك (نعم ايها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها من اربابها وعمارها وهم ارباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال فاقطعتها الحاشية والخدم واهل البطالة وغيرهم (١٣) ٠

لقد كان للاستغلال الاقتصادي والارهاق الجسدي اثر في تنشيط المانوية والمزدكية ـ وهي حركات ومعارضات شعبية باطار ديني ـ بين جموع المستائين بسرعة واصبحت الاخيرة ـ المزدكية ـ وهي حركة فلاحية ضخمة ـ اول احتجاج لجماهير فلاحي ايران ضد الاستغلال فتذكر بيكوليفسكايا بان في الحركة المزدكية ساهمت مختلف جماعات الفلاحين٠ (١٤) ٠ وكانت جموع الشعب تعاني من قساوة وظلم الملوك (١٥) ، واستغلال الارستقراطيين الفظيع وكان الملوك يسندون الارستقراطيين ورجال الدين ، لينالوا تأييدهم ، فأعفوهم من الضرائب (والزموا الناس الجزية ما خلا اهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك) (١٦) ويرى زاخودير : ـ ان اصلاحات كسرى الاول الفت بصورة رئيسية لمصالح اشراف الفرس ٠٠ ولهيئة عليا من تجار ومرابي المدينة المنحدرين بدرجة كبيرة من العسكريين السريان (١٧) ويرى زاخودير ايضا : ـ ان هذه الاصلاحات عنت اقامة علاقات الانتاج الاقطاعية في ايران ، بعد سحق الحركة المزدكية ، فالفلاح المتحرر تحول الى فلاح تابع (١٨) ٠

وكانت الاراضي موزعة بين الاسر الارستقراطية وبين المعابد ورجال الدين وكان اوسعها للاسرة المالكة الساسانية ٠ فيروي ابن حوقل محاورة بين الملك قباذ وعجوز منعت طفلا من تناول فاكهة من بستانها : ـ فسألها قباذ : لماذا ؟ فقالت العجوز لنا فيها وفي جميع الباغ (البستان) شريك غائب كريم ويقبح بالشريك الحاضر خيانة الشريك الغائب ٠ قال قباذ : ـ ومن الشريك ؟ قالت : الملك قباذ له

(١٢) كريستنسن ، ايران ص ٩٣ ، ص ١٠٠ ٠
(١٣) المسعودي ، مروج ، جـ ١ ص ٢٥٣ ٠
(١٤) تاريخ ايران ص ٥٧
(١٥) ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ جـ ١ ط ٢ ص ١٩٢ ٠
(١٦) الطبري ، تاريخ الرسل م ١ جـ ٣ ص ٩٦٢ ٠ ويقول الدينوري (ووظف الجزية على اربع طبقات واسقطها عن اهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك) الاخبار الطوال ص ٧٢ ٠
(١٧) زاخودير ب٠ن٠ تاريخ الشرق ص ١١ ٠
(١٨) ن٠م٠ ص ١١ ٠ ويرى دياكونوف (التوطيد المقبل للتركيب الاقطاعي كان في تثبيت اصلاحات وريث قباذ ـ كسرى الاول ـ) نبذة تاريخ ايران ص ٣٠٩ ٠

فيها قسمة (١٩) ٠

لقد ارهقت جماهير الشعب بالضرائب الفادحة كالخراج والجزية وهدايا اعياد النوروز (٢٠) والمهرجان (٢١) وتشير المصادر الى ان ضريبة الخراج على الارض كانت حتى عهد انو شروان بطريقة المقاسمة (عينية) ولكن قباذ حاول مسح الاراضي وتحديد الضريبة بالنقود ، تحت تأثير الحركة المزدكية غير انه توفي قبل انجاز هذا العمل فتم في عهد خلفه انو شروان الذي وضعت الضريبة في زمانه مقدرة بالنقود وهي كما وردت في الطبري : ـ وكان الذي وضعوا على كل جريب ارض من مزارع الحنطة والشعير درهما وعلى كل جريب ارض كرم ثمانية دراهم وعلى كل جريب ارض رطاب (٢٢) سبعة دراهم وعلى كل اربع نخلات فارسي درهما وعلى كل ست نخلات دقل (٢٣) مثل ذلك وعلى كل ستة اصول زيتون مثل ذلك (٢٤) ٠ ويرى ابن حوقل (٢٥) والماوردي (٢٦) وياقوت الحموي (٢٧) ان المسح تم في عهد قباذ وانه هو الذي نظم الخراج وهم في ذلك مخطئون اذ ان تنظيم الخراج تم في عهد انو شروان واصبح الخراج (مساحة) مقدار بالنقود ٠ يذكر الدينوري : ـ (قالوا وكانت ملوك الاعاجم يضعون على غلات الارض شيئا معروفا من المقاسمات النصف والثلث والربع والخمس الى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والريع فهم قباذ باسقاط ذلك ووضع الخراج فمات قبل ان يستتم المساحة فأمر كسرى انو شروان باستتمامها فلما فرغ منها امر الكتاب ففصلوها ووضعوا عليها الوضائع ٠٠) (٢٨) وبالرغم من ان هذا التنظيم المالي اخذ بعين الاعتبار وضعية الارض وقربها وبعدها عن المدن عند تحديد مقدار الضريبة ، فان هذا الاسلوب في الضريبة (مساحة) انفع للدولة من اسلوب (المقاسمة) الذي يعتمد على اخذ الحصة

(١٩) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢١٨ ٠ لاحظ ياقوت الحموي معجم البلدان م٣ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ٠ لكن القلقشندي يروي الحادثة في زمن كسرى انو شروان فيقول (اول من وضع الخراج وازال المقاسمة كسرى انو شروان وذلك انه مر على زرع وامرأة تمنع ولدها منه ٠٠) صبح الاعشى جـ ١ ص ٤٢٤ ٠ ورواية ابن حوقل ادق ٠

(٢٠) البيروني ، الاثار ص ٢١٦ ٠

(٢١) ن٠م٠ ص ٢٢٢ ٠

(٢٢) الرطاب جـ٠ رطبة ، الخضراوات ٠ ويذكر كريستنسن بدلا من الرطاب (برسيم) ويقول في الهامش ـ (مهمة كعلف للخيل ، انظر نولدكة ، طبري ص ٢٤١ ملحوظة ٢) ، ايران ص ٣٥١٠

(٢٣) ن٠م٠ ص ٣٥١ ويذكر بدلا من دقل كلمة آرامية ٠

(٢٤) الطبري تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٩٦٢ ، راجع اليعقوبي التاريخ ج ١ ص ١٦٥ ، المسعودي ، مروج ، جـ١ ص ٢٦٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ١ ص ٢٦٨ ، دننت الجزية ص ١٥ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٨٤ ٠

(٢٥) المسالك والممالك ، ص ٢١٧ ٠

(٢٦) الاحكام السلطانية ، مخطوط الورقة (١٠٧) ـأـ ٠

(٢٧) معجم البلدان م٣ ص٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، وقد اخطأ زيدان ، جرجي ايضا التمدن ، جـ١ ص١٧٣

(٢٨) الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٧٢ ، الجهشياري الوزراء والكتاب ص ٣ ـ ٤

من المحصول الحقيقي ، ولهذا لا نتفق مع البروفسور سمينوف ف٠ف٠ في قوله :ـ بأن انو شروان خرج بدروس من الحركة المزدكية ولهذا وجد من الضروري اعـــادة النظر في نظام جباية الارض من اجل تلافي النواقص (٢٩) ٠ ان اهداف انو شروان كانت زيادة واردات الدولة وحصر الضرائب بالفلاحين وبقيــة الكادحين واعـــفاء الارستقراطيين منها (واسقطها عن اهل البيوتات والمرازبة ٠٠) (٣٠) ، ولا يمكــن ان تصدر عنه بوادر التساهل مع الشعب ٠ ان تنظيمه للضرائب جاء تتمة لاعـمال والده ـ الذي باشر المسح ولم يتمه كما يقول المسعودي (٣١) ٠

واما الجزية وهي على الرأس فيذكر الطبري : ـ (والزموا الناس الجزية٠٠٠ وصيروها على طبقات اثني عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم واربعة) (٣٢) وهنالك ضرائب العشور على التجارة وعلى الحرف ٠ والضرائب بصورة عـــامة كانت ثقيلة ومجحفة وكان الشعب يسام صنوف العذاب والانتهاك عنـد جبايتها (٣٣) وبالاضافة الى الضرائب المجحفة والجور الذي يرافق جبايتها فـــان على جماهيـر الشعب القيام بأعمال شاقة وبالمجان (السخــرة) وكانت توجــه اليهم الاهانـات والتحقيـــر ٠

وكان للحروب اللصوصية التي تنشب بين الايرانيين والرومان (٣٤) ومـــن ثم مع البيزنطيين ، اثارها السيئة في جماهير الفلاحين وسائر كادحي المدن ، حيث كانوا وقود تلك الحروب ، وكانوا العدة الجاهـــزة ، ومنهم كانت تجبى الضرائب الباهظة (٣٥) لسد نفقات الحروب ٠ واذا حلت الهزيمة ببلادهم سيقوا عبيدا الـــى بلاد الرومان ـ بيزنطة ، كـما كان يساق الى ايران اسرى الحرب مـن الرومـــان والبيزنطيين ، وجلهم تسلب حريتهم ويحولون الى عبيد يعملون في مزارع (الاشراف) الارستقراطيين ٠

ان المجتمع الايراني في العهد الساساني تحول من مجتمع العبيد الى مجتمــع الاقطاع وكان للحركة المزدكية اثر في ذلك ، وعنت تنظيمات انو شروان المالية نشوء العلاقات الاقطاعية وركزت نفوذ الاقطاعيين ٠ وزعزعت المزدكية الكيان الساساني ولهذا ساعدت شأنها شأن الحروب الايرانية البيزنطية (التي اوهنت الامبراطوريتين الايرانية والبيزنطية وزادت في نفور شعبيهما من تسلط الطبقة الحاكمة وجورهــا)

(٢٩) تاريخ العصور الوسطى ص ١٢٠ ٠
(٣٠) الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٧٢ ، الطبري، تاريخ الرسل م١ج٣ ص ٩٦٢ ٠
(٣١) التنبيه والاشراف ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ ٠
(٣٢) تاريخ الرسل م١ج٣ ص ٩٦١ ٠ دننت ، الجزية ص ١٥ ٠
(٣٣) كريستنسن ، ايران ، ص ١١٢ ، الدوري ، مقدمــة ، ص ٨٣ ٠
(٣٤) رستم ، اسد ، الروم ، جا١ ص ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٦ ، ٩٧ ، العدوي ابراهيم ، الدولة الاسلامية ، ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠
(٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧) حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، جا١ ط٣ ص ١٩٤ ٠

على هدم صرح الامبراطورية الايرانية المتداعي ويسرت للعرب الفتوحات) (٣٧) ٠

ب ـ في آذربيجان وارمينـيا

تعرف اذربيجان السوفييتية الحالية ، قديما باسم البانيا (٣٨) ، وأمـــا مقاطعة اذربيجان الجنوبية ، او الايرانية الحالية ، فتعرف باسم اتروباتينا (٣٩) (آدورباداكان) وأخيرا آدربايكان (٤٠) ٠

اما ارمينيا (٤١) فتعرف بهذا الاسم منذ القدم ، ولكنها كانت تشمـل عـلى اراضي اوسع مما هي عليه الان حيث كانت تمتد الى شمال نهر الفرات ٠

وكانت تسود بلاد آذربيجان وارمينيا العبودية (مجتمع العبيد) حتى القـرن الرابع الميلادي (٤٢) ٠ وقد عانت بـــلاد القفقاس مـــن الاستغلال الطبقي في عهـــد العبودية بالاضافة الى انها كانت مسرحا للحروب الرومانية ـ الايرانية وكان اهـل البلاد من جراء ذلك عرضة للقتل والسلب والنهب وكانوا تحت قبضة السادة مـلاك العبيد والمغتصبين الاجانب غير ان تطور الزراعة واستخدام المعادن بكثرة ونمـــو التجارة ـ في القفقاس ـ اوجد الامكانيات للانتقال الى العهد الجديد ـ عهـد الاقطاع ـ وذلك بخلق الازمة لمجتمع العبيد ، عندما اصبح هنالك تعارض بين القوى المنتجـة وبين العلاقات الانتاجية ٠ لقد اختلق في رحم مجتمع العبيد ـ نواة النظام الجديد ـ المجتمع الاقطاعي ، بنشوء السادة ملاك الاراضي ـ الاقطاعيين ـ وبظهور الفلاحين ـ الفاقدين لحريتهم واراضيهم وذلك لتطور الزراعة وخاصة زراعة الكـــروم فـي آذربيجان (الباني) وتطور الحـــرف وانتشار التجارة في ارمينيا (٤٣) ـ خلـق

---

(٣٧) توما ، العرب والتطور ، ص ٢٩ ، ماجد ، التاريخ السياسي ، جـ١ ص ١٩١ ٠

(٣٨) تاريخ العالم جـ٢ ص ١٣٢ ٠

(٣٩) يقول ليسترانج كي (ان الشكل القديم للاسم في الفارسية هو آذربذكان *Adharbadhazan* الاسم الذي حرفه اليونانيون الى اتروباتينه) ، اراضي الخلافة الشرقية ، ص ١٥٩ ، حول التسمية راجع مقالة مينورسكي في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الاول ص ١٨٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٥ ، احمد زكي ، قاموس الجغرافية القديمة ، ويذكر بأن اسمه القديم اثروباتان ، ص ٨ ٠

(٤٠) ليسترانج ، كي ص ١٥٩ ، دائرة المعارف الاسلامية م١ ص ١٨٨ ، تاريخ العالـــم جـ٣ ص ١٣٢ ٠

(٤١) عن ارمينيا راجع مقالة كنارد ، م٠ *M. Canard* في دائرة المعارف الاسلايمة م١ ص ٦٣٥ ـ ٦٣٨

(٤٢) تاريخ الاتحاد السوفياتي ويذكر (انه وجد في القفقاس في القرنين الثالث ـ الرابـع المجتمع الاقطاعي) م١ ص ٤١ ، تاريخ العالم ويشير الى انه (ورد في الجزء الثاني من تاريخ العالم ص٧٦١ ـ ٧٧٦ ان بعض العلماء السوفييت يرون بان القفقاس لـــم يمر بمرحلة العبودية وانما ظهر الاقطاع مبكرا في القرن الثالث) جـ٣ ص ١٣٢ ٠

(٤٣) تاريخ الاتحاد السوفياتي جـ١ ص ٤٢ ٠

الظروف لنشوء المجتمع الاقطاعي ، فالسادة ملاك العبيد بدأوا يعيدون النظر في طرق ووسائل الانتاج (كما شاهدنا في ايران) واخذوا يوجهون اهتمامهم نحو استثمار الاراضي في الزراعة فبدأوا يؤجرون اراضيهم للفلاحين وكذلك للعبيد ، وهذا مما ادى الى تحول الاستغلال الطبقي من العبيد الى الفلاحين ٠ كان الاحرار في ارمينيا والبانيا يطلق عليهم (آزاتي) وغير الاحرار يطلق عليهم انازاتي (٤٤) وقد ذكر اليعقوبي عن اشراف ارمينيا (٠٠ ثم كاتب الاشراف من اهل البلد يقال لهم الاحرار) (٤٥) وذكر ياقوت (وسئل بعض علماء فارس عن الاحرار الذين بأرمينية لم سموا بذلك ؟ فقال هم الذين كانوا نبلاء بارض ارمينية قبل ان تملكها الفرس ثم ان الفرس اعتقوهم لما ملكوا واقروهم على ولايتهم) (٤٦) ٠ ان استيلاء ملاك العبيد على الاراضي المزروعة والمراعي ومجاري المياه والقنوات وامتلاكهم لها قد خلق الظروف المناسبة لتطور المجتمع وانتقاله الى طور جديد ٠ ولكن نشوء ونمو الاقطاع في آذربيجان وارمينيا رافقه استمرار بقايا مجتمع العبيد في اماكن ليست كثيرة غير ان الطابع العام للمجتمع اصبح اقطاعيا ٠ ان حب السيطرة والانانية وحب الانفراد بالسلطة والاستقلال المحلي لدى الملاك الاقطاعيين وبتشجيع من الطامعين الروم والايرانيين ، دفعهم الى خيانة مصالح البلاد بقيامهم بالحروب اللصوصية المهلكة فيما بينهم مما ادى الى ضياع استقلال البلاد واصبح تاريخ هذه البلاد ضمن تاريخ امم كثيرة (٤٨) ٠

واصبحت البلاد لاحقاب طويلة تابعة لايران وللرومان وبيزنطة ، فالطبري يذكر عن اردشير مؤسس الدولة الساسانية : ــ ثم سار من موضعه الى همذان فافتتحها والى الجبل وآذربيجان وارمينية (٤٩) ٠ ويذكر حمزة الاصفهاني عن كسرى انو شروان : ــ واسكن في كل طرف قائدا يقطعه من الجيش واطعمهم من ما يلي ذلك الصقع ضياعا وجعلها من بعدهم وقفا على اولادهم فقد صار نسل اولئك الى هذا الوقت حفظة لارجاء الحائط (٥٠) وفي الطبري صورة رسالة موجهة من كسرى انو

(٤٤) تاريخ الاتحاد السوفياتي جـ١ ص ٤٢
(٤٥) التاريخ جـ٢ ص ١٧ ٠
(٤٦) معجم البلدان جـ ٢ ، ص ١٦١ ، ويرى مانانديان ان الاحرار هم الامراء والعسكريون المالكون في ارمينيا ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٥ ٠
(٤٧) يذكر رستم ، اسد في الروم وسياستهم : ــ وقدر لشابور الاول ٢٤١ ــ ٢٧٢ م ابن اردشير الاول ان ينتصر على رومه اكثر من مرة ٠ ففي سنة ٢٥٣ بعد الميلاد طرد تيريداتس الثاني ملك ارمينية وعميل رومة من بلاده واقام محله اميرا خاضعا لسيادة فارس ، جـ١ ص ٤٧ ٠
(٤٨) تاريخ الاتحاد السوفياتي جـ١ ص ٤١ ٠
(٤٩) تاريخ الرسل م١ جـ٣ ص ٨١٩ راجع اليعقوبي حيث يقول (ملك اردشير وهو اول ملوك الفرس المتجمسة ثم صار الى الجزيرة وارمينية واذربيجان) تاريخ م١ ص١٥٩ ، انظر كريستنسن ، ايران ، ص ٧٧ ٠
(٥٠) ويقصد حمزة ، سور دربند ، وهي باب الابواب ، كتاب تاريخ سني ملوك ، ص ٥٧ راجع ابن الاثير حيث يذكر عن انو شروان (وبنى باب اللان وفتح جميع ما كان بايدي الروم من ارمينيا وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون) ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ص ٢٥٩ ، كريستنسن ، ايران ص ٣٥٤ ٠

شروان الى فاذوسبان آذربيجان هذا نصها : ـ من الملك كسرى بن قباذ الى واري بن النخيرجان فاذوسبان آذربيجان وارمينية وحيزها ودوبناوند وطبرستان وحيزها ومن مثله سلام ٠٠ (٥١) ، وفي ذلك اشارة واضحة لتبعية آذربيجان وارمينيا لايران في عهد انو شروان ، بينما كان ما يقارب خمس ارمينيا تحت سيطرة الروم منذ عهد شابور الثالث الذي عقد اتفاقية مع الامبراطور ثيودوسيوس (٥٢) ٠

لقد ظلت بلاد القفقاس نهبا للغزاة الطامعين ومسرحا للحروب اللصوصية بينهم وكانت الحروب تلقى تشجيعا من الامراء الاقطاعيين وكبار رجال الدين من اجل تثبيت واستمرار استغلالهم لجماهير الشعب ٠ لقد جلب الاحتلال الاجنبي والحروب المستمرة البؤس والشقاء واحل الخراب والدمار بالبلاد بينما كسب السادة المحتلون وسرقوا كل خيرات البلاد ٠ ولدينا خير صورة للنهب والاستيلاء والاثراء الفاحش على حساب الشعب المحتل يرويها نظام الملك عن قائد (سباهسالار) ولاه كسرى انو شروان اقليم آذربيجان حيث يعدد ما لديه من النقود والاواني والمنقولات والحلي بما قيمته (٣،١٠٠،٠٠٠ دينار) ومن الخيل والبغال (٣٠ الف) ومن الغنم (مائتا الف) ولديه (١٧٠٠ عبد تركي ورومي وحبشي) ولديه (١٤٠٠) جارية عدا الاملاك والعقارات والخانات في العراق وخراسان وفارس واذربيجان (٥٣) فهذه الصورة وان كانت ارقامها لا قيمة لها تاريخيا كما يقول كريستنسن (٥٤) ، الا انها صورة تعبيرية عن ثراء الولاة الفاحش المتأتي من سرقة الشعوب ٠

لقد استغل الفاتحون بلاد القفقاس ابشع استغلال يعينهم في تنفيذ مآربهم الاقطاعيون والرومانيون ، ولكن عندما قلص الغزاة من سلطة الاشراف المحليين ، اوقف الاشراف (الاقطاعيون) مساندتهم للغزاة وانضموا الى حركة التحرر الشعبي ضد المحتلين محاولين استغلال ذلك التذمر لاغراضهم (٥٥) ٠

(٥١) تاريخ الرسل م١ ج٣ ص ٨٩٢ ٠

(٥٢) رستم ، اسد ، ويحدد الزمن في ٣٨٦ م ، الروم ج١ ص ٩٧ ، اما كريستنسن فيرى ان الاقتسام جرى في السنوات الاولى من حكم بهرام الرابع (٣٨٨ ـ ٣٩٩ م) الذي حكم بعد اخيه سابور الثالث فيذكر في ص ٢٤١ : (اقتسمت ايران وروما ملك ارمينية فدخل قسمها الشرقي وهو اكبرها، تحت حماية ايران ، وخضع القسم الغربي لحماية الرومان) ايران ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، ورواية اسد رستم ادق من كريستنسن ، جاء في تاريخ العالم (كانت ايران منذ سنة ٣٨٧ الى ٥٠٢ مجبرة على عقد معاهدة سلمية موقتة وحتى الى تحالف مع بيزنطة ٠٠) م٢ ص ٩٧ ، فالاتفاقية لا بد وان عقدت في عهد شابور الثالث ٣٨٣ ـ ٣٨٨ وليسفي عهد بهرام الرابع ٠

(٥٣) سياست نامة ، ص ٤٣ ـ ٤٩ والترجمة الروسية (من قبل زاخودير ب٠ ن٠) ص ٣٦ ـ ٤١ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ (وقد اعتمد على طبعة شيفر ص ٢٩ وما بعدها والترجمةالفرنسية ص ٤١ وما بعدها)٠

(٥٤) ايران ص ٣٦٠ ٠

(٥٥) تاريخ الاتحاد السوفياتي م١ ص ٤٣ ٠

وهكذا نجد ، عندما التهبت في ٤٥٠ م انتفاضة شعبية في ارمينيا ، انضم اليها الاحرار (الامراء الاقطاعيون ـ في ارمينيا) ولقد انتشرت هذه الانتفاضة في جورجيا وآذربيجان (الباني) (٥٧) • ولكن ايران جددت سيادتها على القفقاس بسبب تنافس الامراء المحليين الذين حرموا البلاد من الاستقلال ومن استغلال الفرص السانحة للاستقلال واصبحت البلاد مسرحا للحوادث الدامية وللنهب والسلب من قبل الامبراطوريتين المتخاصمتين على احتلال القفقاس، ايران وبيزنطة ، وقد التجأتا اخيرا ، في نهاية القرن السادس الى عقد اتفاقية بينهما لاقتسام القفقاس لتضعا حدا للحروب التي انهكت قواهما واصبحتا ، ايران وبيزنطة ـ كما يقول العدوي ـ تئنان من الخور والانهاك كما بقيت قصة حروبهما معلقة فصولها عند هذا الحد الى ان اتم الاسلام فصلها الاخير (٥٨) •

لقد وهنت الدولتان وضعفتا وجلبتا البؤس والشقاء لشعبيهما ولشعوب البلدان المحتلة من قبلهما ، لقد عقدتا الاتفاقية لتنعما بسلب خيرات البلدان بهدوء وسلام ، ولكن ذلك السلام كان الهدوء الذي يسبق العاصفة فقد داهمت الامبراطوريتين قوى الاسلام الزاحفة واحتلت جيوش العرب الغازية بلاد ايران وتوابعها واحتلت الجيوش العربية توابع بيزنطة ، فأزالت من الوجود الامبراطورية الايرانية وقلصت نفوذ بيزنطة في الشرق الادنى •

٢ ـ الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العهدين الراشدي والاموي :

في العهد الراشدي :

تعرضت بلاد ايران وبلدان القفقاس لفتوحات العرب المسلمين في النصف الاول من القرن السابع •

وكان للحروب الدامية اثرها في تلك الربوع التي اصبحت ميدانا للحروب المستعرة بين العرب الفاتحين وبين الامبراطوريتين المتداعيتين ، الايرانية والبيزنطية حيث كانت اولاهما تلفظ انفاسها الاخيرة ، ولهذا حشدتا كل ما تستطيعان جمعه من الجيوش ، للابقاء على النظام المتهرئ والسلطة المتداعية • ولكن الضربات المتلاحقة للجيوش الغازية الفتية شجعت العرب على مواصلة الزحف للاجهاز على الجيوش المنهارة ومن اجل الحصول على المزيد من الانتصارات والاستحواذ على خيرات البلدان الغنية •

(٥٦) تاريخ العالم ، لقد سقط ماميكونيان في المعركة ٢٦ مايس ٤٥١ م ، ج٣ ص ١٣٤ •
(٥٧) تاريخ الاتحاد السوفياتي م١ ص ٤٣ •
(٥٨)العدوي ، ابراهيم احمد ، الدولة الاسلامية ط٢ ص ٣٤ ـ ٣٥ •
(٥٩) يذكر لوبون ، غوستاف ، عن اعراب الجزيرة الذين اصبحوا محاربين ايام الخلفاء (فاصبح حبهم للنهب حبا للفتح) ص ٧٤ •

وتم القضاء على الامبراطورية الايرانية الساسانية وتقلصت ممتلكات بيزنطة ، بل تهددت اراضيها الخاصة ٠

ولقد كان من نتائج هذه الحروب الدامية في بلدان ايران وآذربيجان وارمينيا ان تحطمت السلطة الساسانية وزالت امبراطوريتها وانهارت بقايا نظام العبودية،بسبب مقتل وهروب الكثير من الاشراف مالكي العبيد ، غير ان المجتمع ظل محتفظا بالرقيق والذين ازداد عددهم من اسرى الحروب واصبح العرب السادة الجدد ، وتحولت ايران من امبراطورية حاكمة الى ممتلكات تابعة واصبح اهلها الرعية وهم مادة المسلمين(٦٠) وانتقلت تبعية اذربيجان من النفوذ الايراني الى الاستحواذ العربي ، وكذلك اصبحت ارمينيا تحت النفوذ العربي وانحسرت ظلال ايران وبيزنطة عن مواقعها السابقةواصبح أهل البلدين الرعية (٦١) ٠

لقد كانت لهذه الفتوحات بالرغم من السلب والدمار والهلاك والكوارث التي رافقتها ، فوائد في تحرر البلدان من بقايا قيود النظم والتقاليد العتيقة (٦٢) والاستغلال الفظيع ومن بقايا مجتمع العبودية وفي التحرر من تقييدات ومضايقات الديانات المتعفنة الجامدة المتحجرة كاليهودية والمسيحية والزرادشتية وغيرها،ومن تسلط الامبراطوريات الجائرة وادت هذه الفتوحات الى نمو وازدهار التجارة (٦٣) ٠ ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد ان الاسلام الذي رافق ظهوره وجود تحولات في المجتمع العربي وخاصة في الحجاز (ذكر انكلز ، فردريك : لقد روفقت الانعطافات التأريخية بتغيرات في الدين، بقدر ما يجري الحديث هنا عن الاديان العالمية الثلاثة التي وجدت حتى الآن البوذية ،

(٦٠) يروى ابو يوسف عن الخليفة عمر بن الخطاب (انه اراد ان يقسم السواد بين المسلمين فأمر بهم ان يحصوا ، فوجد الرجل يصيب الاثنين والثلاثة من الفلاحين فشاور اصحاب محمد فقال علي : ـ دعهم يكونوا مادة المسلمين) الخراج ط٣ (القاهرة ١٣٨٢ هـ) ص ٣٦ وكذلك اعتبرىقية سكان البلدان المفتوحة ، راجع يحيي بن آدم الخراج ص ٤٢ ، ابا عبيد ، القاسم بن سلام ، الاموال ص ٥٩ ، البلاذري فتوح البلدان ص ٦٦ ٠

(٦١) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ويذكر (واذا كان العرب يؤلفون طبقة المحاربين فقد كان الاعاجم من الجهة الثانية هم الرعية ـ اي القطيع ـ وجمعها رعايا) جـ١ ط٢ ص ١٢٩ ٠ ويقول ولهاوزن ، يوليوس : ـ اني استعمل لفظ الرعية في اضيق معنى لتلك الكلمة تمييزا لها عن العرب الذين اصبحوا اصحاب السلطان الحقيقي ٠ الدولة العربية هامش رقم ١٥ ص ٢٩ ٠

(٦٢) لان الاحتلال العربي قد تسبب في انهاء مراتب الفئات الايرانية الاجتماعية ولو انه لم يؤد الى زوال الفوارق الطبقية او زوال الطبقات من المجتمع ، لان العرب لم يألفوا ، لبساطة حياتهم الاجتماعية ، مثل تلك المراتب ولانهم عدوا جميع المحتلين بمرتبة واحدة فهم السادة وغيرهم الرعية ٠ ويذكر بيرن ، هنري (ان الضغط العربي غير المنتظر حطم طراز اوربا القديم المتمركز في حوض البحر المتوسط) مدن القرون الوسطى ، مترجم للروسية ، ص ٢٣ ٠

(٦٣) بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ ٠

المسيحية والاسلام) (٦٤) ، قد خلق شعورا لدى الشعوب المضطهدة ، التـــي تقاسي الظلم والاستبداد والطغيان الحكومي والجور والاستغلال الاقطاعي ، بأن العرب قـد يأتون بحلول لانقاذها من اوضاعها المزرية (٦٥) ٠ ولكن الفاتحين العرب لم يقصروا اهدافهم التي ساروا من اجلها لفتوح البلدان على نشر الدين الاسلامي وانمـــا على أهداف أخرى وهي الاستحواذ على البلدان واستغلالها ، يقول كولد تسهير : وقد هش العرب للدين الجديد ورحبوا به على اعتبار انه ذريعة لحركة الفتح هذه ، التي كانت تدعو اليها الضرورات الاقتصادية (٦٦) ٠ ولهذا فحتى تلك المكاسب ، التي سبق وأن ذكرناها كنتيجة للفتوحات ، سرعان ما فقدت رونقها واهميتها بعد ان مارس الفاتحون اساليب الاستغلال بوحشية ولا سيما في العهد الاموي ، حيث بلـــغ الانتهاك أقصاه وأصبحت حالة الفلاحين وبقية كادحي المدن لا تطاق ٠

لقد تيسر احتلال ايران بعد احتلال العراق ، أما ارمينيا فقد زحفت اليها جيوش الخلافة العربية لاول مرة في سنة ٦٤٠م (٦٧) واستولت على العاصمة دفين ، وأمـا آذربيجان الايرانية فقد غزيت سنة ٦٤٢م ٠ هذا في المراجع الاجنبية ٠ أمـــا المصادر العربية فعن اذربيجان السوفييتية وأرمينيا تذكر سنوات الغزو ١٨هـ، ٢٠هـ، ٢٢هـ وحتى ٢٥هـ٠ ويتراءى لي ان هذه حملات جيوش متعددة وامدادات كـــان الخلفاء يبعثونها لاخماد الانتفاضات ٠

(٦٤) فريدريك انكلز ، ليودفيك فيوربـاخ ونهـاية الفلسفة الالمانية الكلاسيكية ، كـارل مـاركس وفردريك انكلز المؤلفات الجزء ٢١ الطبعة الثانية ص ٢٩٤ ٠

(٦٥) لي ، هرمان ، يذكر « الدخول في الاسلام يجعل الشعوب متساوية في الحقوق ومتحررة مـن الضرائب ، لهذا جماعات كبيرة من الجماهير المستغلة من الشعوب الاخرى رأوا في المحاربين العرب محررين لهم » ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادي ، ص ٤٥ ٠ صحيح ان جماعات كبيرة من الجماهير المستغلة من الشعوب الاخرى ظنت بأن المحاربيـــن العرب سيكونـــون محررين لهم ، ولكننا لانتفق مع لي ، هرمان ، في قوله « الـدخول في الاسلام يجعل الشعوب متساوية في الحقوق ومتحررة من الضرائب » ـ لانه كلام عام مطلق ، ولان الذين دخلوا فـي الاسلام من ابناء الشعوب المغلوبة لم يتساووا تماما مع العرب في الحقوق ، كمـــا وبقيت ضرائب الخراج وضرائب النوروز والمهرجان والضرائب الاخرى ، عليهم وحتـــى الجزية ـ والتي هي جزء من مجموع الضرائب وتسقط بالاسلام ـ فان الامويين كانوا قد اعادوها على من اسلم من اهل الذمة لفترة طويلة حتى سنة ١٠٠هـ حيث امـر الخليفة عمر بن عبد العزيز باسقاطها ولم يشمل امر الاعفاء ابناء البلدان الذين لم تحدد ضريبتي الجزية والخراج عليهم كما في ايران ٠ راجع الطبري ، تأريخ الرسل ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٣٥٤ ، ولهاوزن، يوليوس، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ ٠ دننت ، دانيل ، الجزية والاسلام ، ص ٣٧ ، ص ٣٩ ٠

(٦٦) العقيدة والشريعة ، ص ١٣٧ ، وهامش رقم ٧ ، ٨ ص ٣٢٩ ، وقد اعتمد في حكمه على كتاب « حوليات الاسلام » لكايتانـــــي ، جـ ٢ ، ص ٣٩٩ ، ص ٤٠٥ ، ص ٥٤٣ ، ص ١٠٨٠ ومـا بعدهـــا ٠

(٦٧) تأريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ٠

دوافع الفتوحات :

لم يكن دافع الفوتحات فرض العقيدة او نشر الديانة الاسلامية فقط ، كما يحلـــو للبعض حصر ذلك، وانما كان غرض الفتوحات هو الاستيلاء وفرض السيطرة والحصول على المغانم بالدرجة الاولى فالبلاذري يذكر : ـ قالوا لما فرغ ابو بكر من امر اهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام فكتب الى اهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم فسارع الناس اليه من بيـــن محتسب وطامع واتوا المدينة من كل أوب فعقد ثلاثة ألوية(٦٨) ٠ ويروي ابو تمام شعرا لحكيم بن قبيصة الضبي :

فما جنة الفردوس هاجرت تبتغي ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر (٦٩)

كانت غالبية الجند ، من الجزيرة العربية القاحلة ، دفعتهم الحاجة للالتجاء الـــى الجيش بعد تعذر الغزو في الجزيرة العربية لوجـــود سلطة حاكمة لها جيش ، ـ حيث اصبح الجيش ، الوسيلة الوحيدة للاكتساب والرفاه والغنى لابناء الصحراء الجـرداء المقفرة ، وبعد ان قلت اهمية طرق القوافل التجارية المحاذية للبحر الاحمر (٧٠)٠ويشير كولد تسهير الى اهمية المركز الاقتصادي لبلاد العرب في البواعث التـي دفعت العرب بالقيام بالفتوحات(٧١) ٠ وقد اشار ايضا : ـ ولم يكن هذا الفتح موجها نحو المثـــل الاعلى وحده ، لان كنوز المدائن ودمشق والاسكندرية لم تسمـــح طبيعتها بايجاد ميول للزهد والتقشف(٧٢) ٠ وفي نفس المعنى كتب طه حسين : ـ ونحن نعلم ان العـــربي يفكر في الغنيمة كلما فكر في الحرب (٧٣) ٠ وقد لاحظ بأن الحاجة المادية هي التـــي دفعت بالعرب لفتح الامصار وليست الاثرة الدينية والتعصب (٧٤) ، ويشير الدوري الى أنه (من خطل الرأي ان نظن بأن هذه الفتوحات كانت لفرض العقيدة الدينية عـــــلى الشعوب الاخرى بل كانت سبيلا للعربليحققوا حياة افضل وليتبؤوا مكانة أسمى ولئن دخلت الشعوب الاخـــرى في الاسلام فان ذلك كـــان عملا ذاتيا تلقائيا وبصورة متدرجة

(٦٨) فتوح البلدان ، ص ١٠٧ ، انظر حتي ، تأريخ العرب (مطول) ، جـ ١، ط ٣، ص ١٩٦ ٠
(٦٩) ديوان الحماسة ، جـ ٢ ، ص ٥٣٣ ، وأول القصيدة :
لعمر ابـي بشـر لقـد خـانه بشـر على ساعة فيها الى صاحب فقـر
انظر ولهاوزن ، الدولة العربية ، هامش رقم ١٢ ، ص ٢٧ ، حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ ٠
(٧٠) انظر رسالة ماركس الى انكلز ، ٢ حزيران سنة ١٨٥٣ م ، كـارل مـاركس وفردريك انكلز ، الرسائل المتبادلة ، موسكو ، ١٩٥٣ ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ٠
(٧١) العقيدة والشريعة ، ص ١٢٧ ٠

(٧٢) ن٠ م٠ ص ١٣٥ ٠
(٧٣) الفتنة الكبرى ، علي وبنوه ، ص ١٦٩ ٠
(٧٤) تأريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ ٠

ان الفتوحات نشرت السيادة للعرب) (٧٥) ، ورأي الدوري صحيح فقد انتشر الاسلام في ايران واذربيجان ببطء وكان الدافع لاعتناق الاسلام هو امل الشعوب في التخلص من الضرائب الفادحة (وقد تحقق جزئيا (الجزية فقط) ولمدة قصيرة اعادها الامويون) وتزلف الارستقراطيين المحليين للسادة الحكام ٠

١ ـ ايران في العهد الراشدي : ـ

لقد كان العهد الراشدي بالنسبة لايران عهد حروب وغزو وفتوح ولم تهدأ الحالة الا في فترة (الفتنة) الحروب الداخلية التي شملت اواخر ايام الخليفة عثمان بن عفان وطيلة ايام الخليفة علي بن ابي طالب ٠ وتنعدم ، في المصادر العربية ، الدقة في ضبط تواريخ الفتوح فكل مؤرخ يذكر عن حادثة واحدة عدة تواريخ وقد يناقض بعضها البعض فابن الاثير يذكر عن فتح قومس وجرجان وطبرستان مثلا : ـ قيل كان فتحها سنة ثمان عشرة وقيل ثلاثين زمن عثمان (٧٦) ثم يذكر نص العهد الذي أعطي الى اهل بهرذان ـ من نفس المنطقة ـ (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطي النعمان بن مقرن اهل ماه بهرذان اعطاهم الامان على انفسهم واموالهم واراضيهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنفعة ما أدوا الجزية الى من وليهم على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته وما ارشدوا ابن السبيل واصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فآوى اليهم يوما وليلة ووفوا ونصحوا فان غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة ـ وكتب في المحرم ـ تسعة عشر) (٧٧) ٠ على ان الثابت ان نهاية يزدجرد الثالث ـ آخر ملوك الساسانيين ـ واحتلال ايران قد تمت في عهد الخليفة الثالث عثمان ٠

والسؤال الذي يتبادر الى الاذهان عن تأثير الفتح في التركيب الاجتماعي في ايران ؟ ومما لا شك فيه ان الفتح العربي لم يحدث تغييرا في التركيب الاجتماعي ، لانه لم يمس طرق ووسائل واسلوب الانتاج ولم يغيرها ولم تتغير تبعا لذلك العلاقات الانتاجية وقد اشار ياكوبفسكي الى ان (الاحتلال العربي لم يجلب معه الى ايران شكلا اجتماعيا جديدا) (٧٨) ٠ لهذا لا يمكننا ان نتفق مع بارتولد في قوله : ـ (واما في ايران وفي تركستان فقد أبطل الاسلام ، كما سنرى في الفصل الآتي نظام الطبقات القديم وامتلاك الاراضي الواسعة وحدث مثل هذا في بلاد الارمن كذلك) (٧٩) ، لان الاقطاع،

(٧٥) الدوري ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، ص ١٥ ، ص ١٦ ، وجاء في تاريخ العالم بأن الاسلام انتشر ببطء وفي اذربيجان فقط اما في ارمينيا فقد احتفظ بالمسيحية ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ٠

(٧٦) الكامل في التأريخ ، القاهرة ١٣٥٦هـ ، جـ ٣ ، ص ١٢ ٠

(٧٧) ن٠ م٠ ، جـ ٣ ، ص ١٢

(٧٨) تأريخ ايران ، ص ٩٣ ٠

(٧٩) تأريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٤٨ والترجمة العربية ، ص ٥٤ ٠

الذي بدأ ينمو ويتطور في اواخر الحكم الساساني ، قد ظل هو النظام الاجتماعي السائد في ايران في العهد الاسلامي ، ولو ان الاقطاع لم يسر بوتائر اسرع بل ابطأ في تطوره وذلك لان العرب تسلطوا على الارستقراطيين المحليين مالكي الاراضي وجعلوهم دونهم وقللوا من امكانيات توسيع نفوذهم ، ولهذا السبب ايضا ، لا يمكننا ان نتفق مع بوليانسكي الذي يرى ان الاحتلال العربي كان سببا في خلق الظروف لتطور الاقطاع ، حيث كتب (على هذا المنوال وجدت الامكانيات الاقتصادية والاجتماعية لاجل تطوير الاقطاع ٠ وبصورة اوسع اصبحت الخلافة دولة اقطاعية ومن اهم عواقب الاحتلال العربي خلق الظروف لتطوير الاقطاع) (٨٠) ، اننا لا نستطيع ان نتفق مع بوليانسكي لان الاحتلال العربي أخَّر سير نمو الاقطاع وتطوره حتى القرنين التاسع والعاشر الميلادي ، لان العرب ارادوا فرض نظام الارستقراطية القبلية (رؤساء ـ شيوخ القبائل) وهذه المحاولة وان لم تنجح ولم تقض على الاقطاع غير انها جعلت الاقطاع يسير بوتائر أبطأ ٠ ان العرب لم يقضوا على الاقطاع بل ساعدوا على استمراره بمنح الاشخاص العاملين للدولة الاسلامية ، القطائع ، من الاراضي المفتوحة ، ولو ان هذه القطائع لم تكن لتكتمل فيها شروط التملك الاقطاعي للارض فقد ذكر بارتولد : ـ الا انها لم تكن تقطع هي والذين يعيشون عليها كما كان في اوروبا في القرون الوسطى وفي روسيا في القرن التاسع عشر بل كانت تقطع وحدها (٨١) ٠ واما بقايا نظام العبودية فكانت تعاني التفسخ والانحسار قبيل الفتح لاشتداد تناقضات العبيد مع السادة عند نشوء الاقطاع ، وكان الفتح العربي عاملا في الاجهاز على السادة ملاك العبيد ـ اشراف ايران ـ من قتل منهم او هرب ـ ولكن المجتمع الايراني احتفظ بالرقيق واصبح السادة الآن العرب ٠

فالطابع العام المتميز للمجتمع الايراني ابان وبعد الفتح العربي هو الاقطاع حيث ظل المجتمع الاقطاعي الايراني هو هو في العهد الراشدي لان الفتح العربي الاسلامي لم يجر تغييرات طبقية بالاضافة الى انه لم يخفف من الضائقة الاقتصادية ولم يجر تبدلات في النظم المالية (٨٢) ٠

ولهذا فان آمال ابناء الشعوب التي وضعوها في تحسين احوالهم ، على الفاتحين قد تلاشت ، ولا سيما وقد اعاد الفاتحون للدهاقين (٨٣) ما كان لهم من سابق اعتبار

(٨٠) التأريخ الاقتصادي ، ص ١٢٩ ٠

(٨١) تأريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٤٨ والترجمة العربية ، ص ٥٤ ٠

(٨٢) أبو يوسف ، الخراج ، (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ، ص ٧٣ ، جوزي ، بندلي ، من تاريخ الحركات، ص ٥٦ ، ويعتبر اعادة الضرائب كان في اواخر حكم عمر بن الخطاب ٠

(٨٣) يذكر بارتولد ، ف٠ : ان الدهاقنة قد رضيت في العصور الاسلامية الاولى في ايران كأمراء الاقطاعيات في اوروبا فيما بعد ، بزوال خطورتهم السياسية نظير ما نالوا من الدولة من الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية ٠ الحضارة الاسلامية ص ٥٨ ـ ٩ ، والترجمة العربية ص ٦٥ ٠ بروكلمان ، كارل ، تأريخ الشعوب الاسلامية : (اما في فارس فاحتفظ الدهاقين او رؤساء الاقاليم بمكانتهم العليا، جـ ١ ، ط ٢ ، ص ١٣٠ ، الدوري ، مقدمة : وقد تحالف الدهاقين مع الفاتحين ، ص ٨٥ ٠

وواجبات ، حيث بدأوا ، كسابق عهدهم ، بجمع الضرائب من السكان · هكذا وجد ابناء الشعوب ان آمالهم قد بنيت على سراب من الوهم ·

٢ ـ ايران في العهد الاموي : ـ

عند انتقال السلطة للامويين ـ وهم ممثلو الارستقراطية القبلية العربية ـ حلت النكبة بجماهير الشعوب المحتلة ومنها الشعب الايراني · يذكر ايفانوف ، م· س· : ـ وكانت هذه الفترة من اصعب الاوقات على سكان ايران ، حيث كانت ايران واحـــدة من اعظم الولايات المظلومة (٨٤) · لقد مارس الامويون ابشع انواع الاستغلال والاضطهاد وعاملوا الناس بازدراء واحتقار وازادوا كمية الضرائب واخذوها ممن اعفوا مـــن دفعها ـ بعد اسلامهم (٨٥) ـ ووضعوا أختام الرصاص في اعناق الموالي واهل الذمة من الفلاحين مكتوبا عليها اسماء محلاتهم لكي لا يهربوا من دفع الضرائب · وأعـادوا الضرائب القديمة كضرائب اعيـــاد النوروز والمهرجان والضرائب علـــى الحرف والصناعات (٨٦) ، وبدأوا بالاستحواذ عـــلى الاراضي ، حيث انتقلت ملكية اخصب الاراضي الى الاسرة الحاكمة (٨٧) ، وبهذا خلقت الظروف لنشأة أجنة التملك الفردي المكتملة فيها شروط التملك الاقطاعي والتي ستظهر في العصر العباسي ـ القرنيـــن التاسع والعاشر ـ أما الاقطاع (٨٨) فقد ظل يسير بوتائر أبطأ · وكان من جراء الحكم التعسفي الجائر والمبني على احتقار الشعوب ونهب خيراتها والمستند على المرازبـــة والدهاقين (٨٩) ـ الذين كان عليهم جمع الضرائب من الشعب ، وطبيعي ، ما كـــانوا لينسوا انفسهم في اغتنام الفرص للاثراء على حساب الشعب ـ أن تدهورت الحـــالة وانهار اقتصاد البلاد وشلت جميع مرافق البلاد الاقتصادية ، وكان على دافع الضريبة البائس ـ كما يقول ولهاوزن ـ ولا ريب ان يدفع مبلغا لا يقـــل عن قيمتها في عهـــد الساسانيين (٩٠) · جاء في الكامل لابن الاثير : ـ وقال كعب الاشقري وقيل رجل من جعفي :

كل يـــــوم يحوي قتيبـــــه نهبا	ويزيد الامـــــوال مالا جديـــــدا
باهلي قـــــد ألبس التـــــاج حتى	شاب منه مفارق كـــــن ســـــودا
دوخ الصغـــــد بالكتائب حتـــــى	ترك الصغد بالعراء قعـــودا (٩١)

---

(٨٤) مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٧ ·

(٨٥) أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، الاموال ، ص ٤٨ ·

(٨٦) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٩ ، مقدمة ، ص ٨٤ ·

(٨٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٩ ، وراجع الصفحات ٣٤٦ ـ ٣٧٢ ، جوزي ، من تأريخ ، ص ٦٥ ·

(٨٨) انظر بوليانسكي ، التأريخ الاقتصادي ، ص ١٢٩ ، وقد اشرنا الى ذلك سابقا ·

(٨٩) ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية، ص ٣٣١، بارتولد، تأريخ الحضارة، الترجمة ص ٦٥ ·

(٩٠) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ ·

(٩١) رواه البلاذري : دوخ السغد بالقبائل حتـــى ترك السغد بالعراء قعودا
فتوح ، ص ٤٢١ ·

فوليـــــد يبـــــكي لفقـد ابيـــه   واب موجـــع يبـــكي الوليدا (٩٢)
كلما حـــــل بلدة أو اتاهـــــا   تركت خيله بهـــا أخـــدودا (٩٣)

وهذا خير وصف للمصائب التي كانت تحيق بالشعوب من جراء الحروب التـــي كانت تشنها الخلافة على البلدان ، وان كان الوصف على بلاد الصغد وليس على ايران٠ يعتبر جوزي ، بندلي ، ان لبني أمية الفضل على الامم المغلوبة وان الاجراءات التعسفية انما أضطر اليها الخلفاء المتأخرون لحاجتهم الى الاموال (٩٤) ٠ ولكن الفضل الـذي يعزوه جوزي الى بني أمية انما يجب ان يعود ـ كما شاهدنا سابقا ـ الى الفتوحـات في عهد الراشدين ٠ يقول جوزي : ـ معاذ الله ان انكر فضل بني امية علـــــى الامة العربية وبعض حسناتها على الامم المغلوبة كالفرس مثلا الذين الغوا بينهم النظام القديم المبني على تفاوت الطبقات وساووا بينهم في الحقوق والواجبات (٩٥) ٠

ان كتابات جوزي لا تخلو مع الاسف من امثال هـــــذه الاخطاء والتناقضات فالامويون أعادوا ضرائب النوروز والمهرجان منذ ايام معاوية بن ابي سفيان (٩٦) وفرضوا الجزية على من أسلم وهذه ـ كما يقول ابن سلام ـ من اعظم الامـــور (٩٧) ، وقـــد تسلطوا على الشعوب واذاقوها مر العذاب ونهبوا خيرات البلدان واغرقوا القـارات بسيول من الدماء وساقوا الاحرار أسرى وباعوهم عبيدا ، متذرعين بأن تلك الحروب لله ، ولكنها في الحقيقة وكما عرفها ابن عبد العزيز ـ الخليفة الاموي ـ كانت للغنيمة (٩٨) ٠ واذا نظرنا الى الخلفاء جميعهم وجدناهم مطبقين سياسة البطش والغدر والنهب عدا عمر بن عبد العزيز الذي اعتبر شاذا عن الخط العام ، اذ ان بعض محاولاته في التخفيف من وطأة الضرائب الثقيلة عن كاهل الامم المغلوبة ـ بالرغم من عدائه لاهـل الذمة ـ لم تنل رضا من تلاه من الخلفاء واعتبرت محاولته شـــذوذا عن الخط العـام لسياسة الامويين المالية ـ لاحظ كتب يزيد بن عبد الملك الى عمال عمر بن عبد العزيـز في العقد الفريد (٩٩) ٠

....

(٩٢) الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٢٨ ٠
(٩٣) ذكر الطبري ، تأريخ الرسل ، هذا البيت بعد تلك الابيات السابقة ، م ٢، ج ٢ ، ص ١٢٥٢ ٠
(٩٤) من تأريخ الحركات ، ص ٦٢ ٠
(٩٥) ن٠ م٠ ص ٦١، ولا شك انه تأثر بقول بارتولد من ان الاسلام ابطل نظام الطبقات القديم ٠ تأريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٤٨ ، والترجمة العربية ، ص ٥٤ ٠
(٩٦) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ ٠
(٩٧) الاموال ، ص ٤٩ ٠
(٩٨) ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٢١٨ ٠
(٩٩) ذكر ابن عبد ربه : « كتب يزيد بن عبد الملك الى عمال عمر بن عبد العزيز اما بعد فان عمـر كان مغرورا غررتموه انتم واصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه في انكســـار الخراج والضريبـة فاذا اتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده واعيدوا الناس الــى طبقاتهم الاولى اخصبوا ام اجدبوا احبوا ام كرهوا حيوا ام ماتوا والسلام » ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ط ٢، (القاهرة ، ١٣٧٢هـ) ، ص ١٧٦ ٠

وقد كان من جراء الانتهاكات الفظيعة والاستغلال المرهق والاجراءات التعسقية ان انتفضت المجاهير الايرانية وانضمت الى انتفاضات عديدة ، فانضموا الى الخوارج الذين كانوا ـ كما قال عنهم بيلاييف ، ي٠ آ٠ : ـ في طليعة الثورات الشعبية ضد الامويين ممثلي الارستقراطية العربية (١٠٠) ، ومعبرين عن اوسع الطبقات الغاضبة لسكان العراق وغرب ايران (١٠١) ، وقد علل كولد تسهير انضمام الموالي الى الخوارج (بسبب ميول الخوارج الديموقراطية وثورتهم على مظالم الامويين) (١٠٢) وبذلك فتحوا الطريق كما يشير ولهاوزن ، : ـ فقبلوا الموالي في جماعتهم وجيشهم (١٠٣) ، فانضموا الى انصار أبي مريم (١٠٤) ، وأنصار أبي عبيد الله الماحوز (١٠٥) ، ومع الخريت بن راشد الناجي (١٠٦) ، ومع قطري بن الفجاءة (١٠٧) الذي انفصلوا عنه عند جيرفت (١٠٨) ، الى عبد ربه (١٠٩) ، وقد انضمت جموع غفيرة من الايرانيين الى حركة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث (١١٠) ، قائد الجيش الاموي في سجستان، الذي استغل سخط الجيش من مواصلة الحرب في سجستان لتحقيق اغراضه الشخصية ولكن الحركة توسعت فشملت جموع الساخطين على الحكم الاموي واعلنت محاربة الوالي القاسي المتعطش للدماء ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، (والي العراق في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد) ، وخلعت الخليفة عبد الملك بن مروان ٠ « لم يعترفوا بخلافته في العراق » وأرغمت الجماهير ابن الاشعث على عدم المهادنة ومواصلة الحرب فقد ساهم الايرانيون في جيش ابن الاشعث ضد الجيش الاموي في العراق ، فالاساوره والسيابجة (١١١) « قوى ايرانية تهادنت مع العرب عند الفتوح » التحقوا بجيش الطواويس (١١٢) « جيش ابن الاشعث» ، ويذكر الطبري بأن عدد الموالي بلغ مائة الف

---

(١٠٠) رفيق الملحد ، ص ١٩٨ ٠

(١٠١) ذكر المبرد ، عن الخوارج ، وأقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فاذا حشوة من قصار وصباغ وداعر وحداد » ، الكامل ، ص ٦٢٩ ، وهذا يعني انضمام الحرفيين ـ من الموالي ـ الى الخوارج ٠ راجع ايضا العلي، التنظيمات، ويعلل انتساب الحرفيين من الموالي بسبب اضطراب التجارة وازدياد البطالة ٠ ص ٨٤ ، راجع ايضا كليموفيج ، الاسلام ، ص ١١٠ ٠

(١٠٢) العقيدة ، ص ١٩٢ ، ومن هنا يعتقد بأن تسمية الشعوبيين بأهل التسوية جاءت من تأثرهم بالخوارج ٠

(١٠٣) الدولة العربية ، ص ٦٠ ٠

(١٠٤) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ٢ ـ علي وبنوه ، ص ١٥٣ ، عمر ابو النصر ، الخوارج ، ص ٢٢ ٠

(١٠٥) عمر ابو النصر ، الخوارج ، ص ٢٢ ٠

(١٠٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩١ ، ابن الاثير ، الكامل ، (القاهرة، ١٩٣٧ م) ، ج ٤ ،ص ٦٥ ٠

(١٠٧) الطبري ، تأريخ ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٠٣ ٠

(١٠٨) جيرفت من مدن كرمان ، البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ٠

(١٠٩) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٤٥ ٠

(١١٠) الطبري ، تأريخ ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٥٢ ، حوادث سنة ٨١هـ٠

(١١١) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٧٤ ٠

(١١٢) الدينوري ، مسلم ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، (كان يسمى جيش ابن الاشعث جيش الطواويس لكثرة من كان فيه من الفتيان المنعوتين بالجمال) ، م ٤ ، ص ٢٣ ٠

في جيش عبد الرحمن عند دير الجماجم (١١٣) ويعلل فون كريمر مساندة الموالي لابن الاشعث كرد فعل لفرض الجزية على الموالي بعد اسلامهم (١١٤) ولا شك ان هذا العامل مباشر لسخط الموالي الذين تراكم لديهم السخط والغريب ان ولهاوزن لا يقر فون كريمر على رأيه هذا ، اذ يعتبر ولهاوزن مساهمة الموالي مع اسيادهم العرب كتقليد لواجبات المولى ، وبهذا ينكر ولهاوزن العامل الاقتصادي (١١٥) · كما وساهم الموالي في ثورة الحارث بن سريج · وكان الحارث من المرجئة ــ وهم الموالون للسلطة الاموية ــ ولكن برغم كونه من المرجئة ، فان الاوضاع المزرية والانتهاكات الفظيعة لابسط الحقوق ، دفعت به لقيادة ثورة تحت شعار الغاء الجزية عن المسلمين الجدد واستلام العطاء كبقية المسلمين من العرب ، ورفع راية سوداء انضمت تحتها ، لا جموع الفلاحين المعدمين من بلاد الصغد وخراسان فحسب ، بل وحتى الدهاقين (١١٦) في امل استعادة سيطرتهم السابقة (١١٧) مما اضطر السلطة الاموية لارسال خيرة جيوشها للقضاء عليها(١١٨)· لقد ساهم الموالي في العديد من الانتفاضات الشيعية وغيرها ثم انخرطوا في صفوف الدعوة العباسية ويذكر الطبري انه في سنة ١٠٠هـ كان من بين الاثني عشر نقيبا اربعة من (الفرس) والبقية عرب (١١٩) ، (ذكر الخربوطلي ان عددهم خمسة وهو ينفرد لوحده بهذا الرقم) (١٢٠) · وغالبية جيش ابي مسلم كما نعلم من الايرانيين · وكانت الجماهير المساهمة في الانتفاضات والثورات تنشد تحسين اوضاعها المزرية وظروفها الاقتصادية السيئة ورفع الحيف وانتهاك الحرمات عنها (١٢١) · قال ابو الصيداء صالح بن طريف ــ : وكان في الوفد الذي وصل الى دمشق من خراسان ــ للخليفة عمر بن عبد العزيز : ــ عشرون الفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من اهل الذمة يأخذون بالخراج ؟ (١٢٢) ·

(١١٣) تأريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٧٢ ، فون كريمر ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٢ ·
(١١٤) الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٢ ، والترجمة العربية ، ص ٨٨ ·
(١١٥) الدولة العربية ، ص ١٩٨ ــ ٢٠١ ، وفي محاولة فاشلة للدفاع عن الامويين والحجاج يذكر عبد العال : ان ولهاوزن قد أنصف الحجاج برد التهم الباطلة عنه · ويذكر عبد العال ايضا ان الدولة الاموية كانت خيرا على الناس والمسلمين والاسلام من دولة بني العباس · ويبرز عبد العال قيام الامويين بالمظالم بأنهم قاموا بواجبهم كحكام (كذا) ، حركات الشيعة ، ص ٢١٣ · ومن نافلة القول ان نذكر ان اراء عبد العال هذه لا تمت الى الواقع بصلة ولا تستند الى دليل واحد ·
(١١٦) يذكر ولهاوزن ، الدولة العربية : فاجتمع الدهاقين واهل القرى حول رايته السوداء ، ص ٣٦٩ ·
(١١٧) تأريخ ايران ، ص ١٠٧ ·
(١١٨) زاخودير ، ب· ن· ، تأريخ القرون الوسطى ، ص ٣٨ ، راجع ميور ، السير وليام ، حول ثورة الحارث ، الخلافة نهوضها ، ص ٣٩٣ ·
(١١٩) تأريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥٨ ·
(١٢٠) تأريخ العراق ، ص ١٨٧ ·
(١٢١) يذكر شاكر ، مصطفى « وقد بلغ الاستياء من الناس حدا بعيدا عبرت عنه تلك الاعداد المرعبة من الثورات والفتن في السنين الاخيرة من العهد الاموي » ، في التأريخ العباسي ، ج ١ ، ص ٣٧ ·
(١٢٢) الطبري تأريخ ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥٤ ·

وقال رجل من عبد القيس اثناء حروب الحارث بن سريج : ـ

تولت قريش لذة العيش واتقت بنا كل فج من خراسان اغبرا
فليت قريش اصبحوا ذات ليلة يعومون في لج من البحر اخضرا(١٢٣)

٣ ـ آذربيجان وارمينيا في العهد الراشدي :

ادت الفتوحات العربية في أذربيجان وارمينيا الى ازالة السلطة الايرانية والبيزنطية واحلت محلها السلطة العربية ، وقد اشرنا الى تضارب آراء المؤرخين العرب حول سني الفتح (١٢٤) ، فالبلاذري يذكر الفتوح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة حذيفة اليمان (١٢٥) ثم بقيادة عتبة بن فرقد السلمي (١٢٦) ثم يذكر غزوة للمغيرة بن شعبه سنة ٢٢هـ ويروي بعد ذلك (ان المغيرة غزا آذربيجان سنة ٢٠هـ ففتحها ثم انهم كفروا فغزاها الاشعث بن قيس (١٢٧) ، وكذلك الطبري يذكر عن حوادث سنة ٢٢هـ (ففيها فتحت آذربيجان) (١٢٨) ثم يذكر رواية اخرى (قال كان فتح آذربيجان سنة ١٨ من الهجرة بعد فتح همذان والري وجرجان) (١٢٩) وقد ورد في صيغة الامان الذي أعطي لاهل اذربيجان (٠٠٠٠ وكتب سنة ١٨) (١٣٠) واما تاريخ الامان الذي اعطي لموقان سنة ٢١هـ (١٣١) ٠ لقد بينا ان هذا التضارب بين المؤرخين العرب يعزى الى انه لم تكن هناك حملة واحدة وانما حملات عديدة نتيجة للانتفاضات العديدة التي قام بها سكان القفقاس ٠ فالبلاذري يذكر عن عتبه بن فرقد انه واجه انتفاضات (وانتفضت عليه نواح فغزاها فظفر فغنم) (١٣٢) ثم يذكر عن آذربيجان في حوادث سنة ٢٠ (ثم انهم كفروا فغزاها الاشعث بن قيس) (١٣٣) ويذكر ابن تغري بردي عن حوادث سنة ٢٨ هـ (وفيها غزا الوليد بن عقبة اذربيجان) (١٣٤) ويذكر ايضا عن حوادث سنة ٢٩هـ (وفيها نقضت آذربيجان فغزاهم سعيد بن العاص حتى افتتحها ثانية) (١٣٥) ٠ وبرغم تلك الحملات والغزوات الدموية فان الخلفاء

---

(١٢٣) ن٠ م٠ ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٥٨٠ ـ ١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢١ ، ورواه أبو تمام : فليت قريش اصبحت ذات ليلة تؤم بها بحرا من الموج اكدرا
ديوان الحماسة ، ج ٢ ، (القاهرة ، ١٣٧٤ هـ) ، ص ٣٢٦ ٠
(١٢٤) لاحظ مقالة مينورسكي في دائرة المعارف الاسلامية ، م ١ ، ص ١٩٠ ٠
(١٢٥) فتوح البلدان ، ص ٣٢٥ ٠
(١٢٦) ن٠ م٠ ، ص ٣٢٦ ٠
(١٢٧) ن٠ م٠ ، ص ٣٢٦ ، انظر ايضا اليعقوبي ، التأريخ ، م ٢ ، ص ١٥٦ ـ ٧ ، ياقوت ، معجم البلدان،ج ٢ ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٩ ٠
(١٢٨) تأريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، (ليدن ١٨٩٣م) ، ص ٢٦٤٧ ٠
(١٢٩) ن٠ م٠ ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٦٤٧ ٠
(١٣٠) ن٠ م٠ ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٦٦٢ ٠
(١٣١) ن٠ م٠ ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٦٦٦ ٠
(١٣٢) فتوح البلدان ، ص ٣٢٦ ٠
(١٣٣) ن٠ م٠ ، ص ٣٢٦ ٠
(١٣٤) النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٨٥ ٠
(١٣٥) ن٠ م٠ ، ج ١ ، ص ٨٦ ٠

العرب المواجهين مقاومة الجماهير الشعبية العنيدة لم يتيسر لهم تثبيت اقـــداهم رأسا بصورة وطيدة وقد ادت تلك الحروب الى تمزيق الامراء الاقطاعيين المحليين واحلت محل الكثيرين منهم ارستقراطيي القبائل العربية الذين ورثوا بسرعة (التبعية الاقطاعية على الفلاحين) (١٣٦) وانتقلت ملكية الاراضي الى القبائل العربية النازحة بالاكـــراه او الشراء او الالجاء ، ذكر البلاذري : ـ قال الحسين بن عمرو واخبرني واقد ان العرب لما نزلت اذربيجان نزعت اليها عشائرها من المصرين والشام وغلب كل قوم علـــى ما امكنهم وابتاع بعضهم من العجم الارضين وألجئت اليهم القرى للخفارة ، فصار اهلها مزارعين لهم (١٣٧) ، وقـد حاول البلاذري ان يلطف وقع هذا العمـــل فاستدرك بأن الاراضي التي اخـذها المحاربون العـرب من السكان الاصليين لـم تعتبـر ملكا خاصا للمحاربين ٠ وقد اعتبر لوكيكارد ، تبرير البلاذري هذا ليس اكثر من احتجاج متأخـر على سلب المحاربين العرب لاراضي السكان المحليين (★) ٠ اما امراء ارمينيا وامراء كارتلي (القسم الشرقي من جمهورية جورجيا) فقد استطاعوا الحفاظ علـى مراكزهم ونفوذهم بدفع الضرائب (١٣٨) ٠ لقد كانت فترة العهد الراشدي في القفقاس فتـــرة حـروب احتلال (١٣٩) وقمع انتفاضات جماهيرية واستحـواذ اراض مـــن الملاكين الاقطاعيين وانتقال ملكيتها الى رؤساء القبائل (الارستقراطية القبلية) وكان المجتمع يسوده نظام الاقطاع الناشىء الآخذ بالتطور (البطيء) وكان الاستغلال الاقطاعـــي لا يزال مقرونا باستغلال العبيد ٠

٤ ــ القفقاس في العهد الاموي :

ساءت احوال جماهير الشعب القفقاسي ، بعد انتقال السلطة الى الامويين ، اكثر مما كانت عليه سابقا ، وذلك لان الامويين مارسوا سياسة الشدة في تثبيت مركزهم في بلاد القفقاس فاغرقوا البلاد في بحار من الدماء واحلوا البـــؤس والشقاء في تلـــك الربوع ، كما وانهم استحوذوا على اخصب الاراضي وحولوها املاكا لهم ، يـــذكر البلاذري : ــ قال الحسين كانت ورثان قنطرة ٠٠٠٠ فبناها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم واحيا ارضها وحصنها فصارت ضيعة له ثم قبضت مع ما قبض من ضيـــاع بني امية فصارت لام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور ٠٠٠ وكانت المراغة تـــدعى

(١٣٦) تأريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ٠

(١٣٧) فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، راجع ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٤ ٠ والمقصود بالمصرين ــ البصرة والكوفة ٠

(★) الضريبة الاسلامية ، ص ٣٤ ٠

(١٣٨) ماجد ، التأريخ ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ ٠

(١٣٩) حول الحروب والانتفضات راجع فتوح البلدان من ص ٣٢٥ ــ ص ٣٢٩ ، ويذكر ابن الاثيـر عن حوادث سنة ٢٥ هـ (لما استعمل عثمان ، الوليد على الكوفة عزل عتبة بـــن فرقد عــن اذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة ٢٥ هـ ٠٠٠ ثم بث سراياه وبعث سلمان بـــن ربيعـة الباهلي الى اهل ارمينيا في اثني عشر الف فسار في ارمينيا يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى اتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم) ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٤٣ ، راجع مقالة كانارد ، م٠ في دائرة المعارف الاسلامية عن ارمينيا ، المجلد الاول ، ص ٦٣٥ ــ ٦٣٧ ٠

اقراهروز وكان اهلها الجاؤها الى مروان فابتناها وتألف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز وعمروها ثم انها قبضت مع ما قبض من ضياع بني امية وصارت لبعض بنات الرشيد) (١٤٠) ، ونتيجة للاستحواذ والالجاء ظهر بسرعة ملاكون عظام من الارستقراطية العربية ولم يستغلوا الفلاحين المحليين فقط ولكن آلافا كثيرة من الاسرى العبيد (١٤١) ٠ لكن ذلك التملك لم يكن شاملا كل بلدان القفقاس فقد احتفظ غير قليل من امراء ارمينيا بأراضيهم ، ولم تكتمل فيه شروط التملك الاقطاعي ، وكان من جراء تسلط الامويين ان ساءت الاحوال الاقتصادية لبلدان القفقاس حيث اصابها التدهور والهبوط الاقتصادي وكان لاغتصاب الاراضي وفداحة الضرائب وسوء طرق جبايتها واجبار الناس على دفع الضرائب نقودا (من الفضة) بدلا من المحاصيل كان لكل ذلك الاهمية في التدهور ولقد اصبح الفلاحون وهم غالبية السكان يواجهون منتهى الضيق والشدة (١٤٢) ، ويصور ذلك المؤرخ الارمني كيفوند بعد حرق الاحرار (الامراء) الارمن : ــ (بعد هذا عندما حرمت بلادنا من عوائل النخاراريين (الاحرار ــ الامراء الارمن) اصبح سكانها كالاغنام امام الذئاب) (١٤٣) ٠ ولقد استطاع جامعو الضرائب العرب الاستيلاء تقريبا ، بمدة قصيرة على كل ذهب وفضة القفقاس بالاضافة الى الهدايا من الخيول والبغال والملابس الفاخرة التي كان يقدمها الامراء للوالي العربي (١٤٤) ، الذي يصوره كيفوند : ــ قبل كل شيء عند وصوله الى ارمينيا عذب الكثيرين وبالاكراه قادهم الى التعاسة (١٤٥) ٠

لقد كان الطابع العام للمجتمع القفقاسي في ظل الحكم الاموي ، مجتمعا اقطاعيا اخذا بالتطور والنمو البطيء عن الاقطاع المبكر ، ولكن لم تكن كافية بعد اشكال تطورات التملك الاقطاعي ، لكن بذور (جنين) شروط التملك الاقطاعي قد ظهرت ٠ لقد طبق في القفقاس الاستغلال الطبقي الاقطاعي كما واستغل العبيد استغلالا واسعا ٠ ان الذي مكن للامويين استمرار بقائهم في القفقاس هو : ــ اولا : سياسة البطش والارهاب (كحرق الامراء في كنيسة ناخجيفان) (١٤٦) ٠ ثانيا : حرمان الجماهير الشعبية من القيادة المخلصة الوفية لمصالح الشعب ، ثالثا : تمزق البلاد وتنازع الامراء الاقطاعيين المحليين فيما بينهم ٠ غير ان حكم البلاد كان شاقا ، فقد جابه الامويون انتفاضات جماهيرية عارمة صاخبة تطلب اخمادها اراقة الغزير من الدماء وكان يصاحب اخماد الانتفاضات الجماهيرية ، عادة مجازر وحشية فظيعة ، فعندما التهبت في ٧٠٣م

(١٤٠) فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ٠
(١٤١) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، جـ ١ ، ص ٤٨ ٠
(١٤٢) كيفوند ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣ ــ ٤ ٠
(١٤٣) ن٠ م٠ ، ص ٢٣ ٠
(١٤٤) ن٠ م٠ ، ص ٢٣ ، وعنه نقل تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ، مع بعض التحريف٠
(١٤٥) تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣ ٠
(١٤٦) يذكر اليعقوبي عن محمد بن مروان (٠٠٠ ثم كاتب الاشراف من اهل البلد والذين يقال لهم الاحرار واعطاهم الامان ووعدهم ان يفرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في الكنائس في عمل خلاط ٠ وأمر بجمع الحطب حول الكنائس واغلق ابوابها عليهم ثم ضرب تلك الكنائس بالنار فحرقهم جميعا) ، التاريخ ، (النجف ١٣٤٨هـ) ، جـ ٣ ، ص ١٧ ٠

الانتفاضة الجماهيرية في ارمينيا (بنفس الوقت قامت انتفاضة جماهيرية في اذربيجان) ضد والي الخليفة وتم القضاء عليها ، خدع العرب حوالي (٨٠٠) اقطاعيا من أمراء أرمينيا (١٤٧) وآذربيجان واقتادوهم الى كنيسة في مدينة ناخجيفان واغلقوا من دونهم الابواب وأشعلوا النار بالكنيسة وأحرقوهم (١٤٨) ٠

ان اعمال القمع الوحشية وتقليص نفوذ الامراء الاقطاعيين دفع بهم الى الانضمام الى صفوف الشعب المقاوم آملين توسيع نفوذهم والتخلص من ربقة الاجنبي ٠ وهذا التحالف المؤقت لم يغير من طبيعة الصراع الطبقي في القفقاس فلقد كان الشعب القفقاسي ينتفض ضد السلطة العربية وضد الامراء الاقطاعيين وحتى ضد رجال الدين٠ لان ابناء الشعب كانوا يقاسون من هؤلاء مجتمعين ، ولكن الاحوال قد ساءت في الفترة الاخيرة من الحكم الاموي لدرجة شمل السخط مختلف الفئات وكل الطبقات ، لهذا انضم الامراء الى الثورات الشعبية ٠ وفي ختام الحكم الاموي قامت (٧٤٨م ـ ٧٥٠م) انتفاضة شعبية ضخمة يسرت ، بدورها ، للعباسيين الاجهاز على الحكم الاموي(١٤٩)٠

٣ ـ الاقطاع

نشأ في المجتمعات الايرانية القفقاسية ، كما مر بنا ، نظام جديد ، نتيجة عوامل اقتصادية ، هو نظام الاقطاع (١٥٠) ، فقد ادى تفاقم التناقضات ، في المجتمع العبودي، بين القوى المنتجة وبين علاقات الانتاج (الاجتماعية) القائمة آنئذ ، الى الانتقال الى الاسلوب الجديد (الاقطاعي) في الانتاج ، ان الذي يحدد الضرورة التاريخية لهذا الانتقال من الاسلوب العبودي الى الاسلوب الاقطاعي هو طابع ومستوى تطور قوى

....

(١٤٧) ن٠ م٠ ، ص ١٧ ، كيفوند ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢ ٠

(١٤٨) يذكر كيفوند ، مدينة نخجيفان ، تاريخ الخلفاء ص ٢٢ ، ويذكر اليعقوبي ، مدينة خلاط ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٧ ٠ولا بد ان الحادثة تكررت في خلاط ورواية كيفوند اقرب الى الاعتماد انظر البلاذري (٠٠٠ ثم وعد من بقي منهم ان يعرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في كنائس من عمل خلال فاغلقها عليهم ووكل بأبوابها ثم حرقهم) ، ٢٤٢/١ ، انظر تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ، انظر جيستياكوفا ، الخلافة العربية ، ص ٦٢ ، الخربوطلي، تاريخ العراق ،وينقل رواية اليعقوبي ، ص ٢٧١ ٠

(١٤٩) تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ ٠

(١٥٠) ذكر ابو عبيد ، القاسم بن سلام في كتاب الاموال (« قال الرسول عادي الارض لله ولرسوله ثم هي لكم » قال قلت : وما يعني ، قال : تقطعونها للناس) ص ٢٧٢ ٠ وينقل المقريزي عنه ذلك في الخطط ص ٥٥ ٠ وكتب المقريزي ايضا : يقال اقتطع طائفة من الشيء اخذه والقطيعة ما اقتطعه منه واقطعني اياها اذن لي في اقتطاعها واستقطعه اياها سأله ان يقطعه اياها واقطعه نهرا او ارضا اباح له ذلك ٠ الخطط ، ص ٤٩ ٠ راجع معجم متن اللغة ، م ٤ ،ص ٥٩٧ ، المنجد ، ص ٦٧٦ ، لاحظ لوكيكارد ، الضريبة الاسلامية ، ص ١٤ ٠ لكن كلمة الاقطاع العربية من اقطع لا تعني مدلول نظام الاقطاع المتعارف عليه الا في عهود متأخرة ٠

الانتاج في المجتمع العبودي نفسه ، كما ويحتل الشكل الاعلى للصراع الطبقي ، الثورة الاجتماعية ، دورا خاصا كبيرا في التقدم الاجتماعي ، الثورة التـــي بنتيجتها يجري تحطيم النظام الاجتماعي القديم وتتم اشادة نظام اجتماعي جـديد اكثر تقدمية ٠ وكان نشوء الاقطاع في المجتمعات الايرانية ـ القفقاسية في فترة ما قبل الفتح العربي ٠ ان نظام الاقطاع هذا لم تكن لتتوفر فيه شروط التملك الاقطاعي ، ولـم يكن مشابها تماما للاوروبي ٠

وقد أوضح انكلز ـ في رسالته الى ماركس ـ ان السبب يعود الى المناخ وطبيعة الارض : « ان انعدام الملكية الخاصة للارض يصبح مفتاحا لفهم الشرق وفي هذا يكمن اساس تاريخه السياسي والديني كله ٠ ولكن لماذا لم تصل شعوب الشرق الـى مرحلة التملك الاقطاعي ؟ يخيل الي ان ذلك يفسر بشكل اساسي بالمنـــاخ وبطبيعـــة الارض وبصورة خاصة منطقة الصحراء الكبرى التي تمتد من الصحارى عبر بـــلاد العرب ، الفرس ، الهند ، التتر حتى أعالي الجبال الآسيوية ٠ ان الشرط الاول للزراعة هنا هو طريقة الارواء الصناعية وهي اما ان تقوم به الجماعـــة او المحافظـــة او الحكومـــة المركزية » (١٥١) ٠

لقد كان الاقطاع في بداية نشوئه وآخذا بالتطور رويدا رويدا محتلا الاماكن التي ينحسر عنها مجتمع الرق ، الاخذ بالانحلال نتيجة ازمته ٠ ثم أخـــذ الاقطاع يتلكأ في نموه وتطوره نتيجة الفتوحات العربية وما تلاها من الحكم الراشدي والاموي وجزء من العهد العباسي الاول ، وذلك بسبب محاولة العرب فرض نظام الارستقراطية القبلية ، المألوف لديهم ، بنقل ملكيات واسعة من الاراضي المحتلة الـــى رئاسة القبائل ٠ وهذه المحاولة لم تقض على نظام الاقطاع ، كما خيل لتوما (١٥٢) ، ولكنها جعلتـــه يسيـر بوتائر أبطأ ، وذلك : (٢) لان السلطة العربية حاولت ـ كما قلنا ـ فرض الارستقراطية القبلية ونقل ملكية الاراضي المستحوذ عليها الى القبائل بـدلا مـن الافراد ، وقد تيسر لها ذلك في بادىء الامر لحد ما ٠ (٢) انتقلت ملكية اراضي العائلة المالـــكة والدولة والارستقراطية المقاومة الى الدولة (العربية) ـ الصوافي ـ وقد جـرى اقطاع اقسام منها بعدئذ ٠ (٣) اصبح المتعاقد مع الفلاحين في الاراضي المفتوحة (صلحا) ـ حسب شروط الصلح (الامان) ـ السلطة، وبهذا اصبحت الضرائب مع ما يتبعها من التزامات منصوص عليها ـ واجبات مفروضة من الدولة ٠ (٤) اصبح السيد المالك في الاراضي المحتلة (عنوة) الدولة وليس الملاك السابقون ، وبهذا فان الضرائب والواجبات الالزامية المتعلقة بها تقدم للسلطة ، وفي هذه الحالة تتطابق اجـــرة الارض (او الـــريع) مع

(١٥١) رسالة انكلز الى ماركس ـ حزيران ١٨٥٣ ، كارل ماركس وفردريك انكلـــز ، الرسائـل المختارة ، ص ٧٤ ـ ٧٥ ٠

(١٥٢) توما ، اميل ، العرب والتطور ، ويذكر (خلال القرنين الاولين مـــن قيـــام الامبراطورية الاسلامية تحطم الاقطاع) ، ص ٣٦ ، ولا بد وانه قد تأثر برأي بارتولد (واما فـي ايران وتركستان فقد ابطل الاسلام نظام الطبقات القديم وامتلاك الاراضي الواسعـة) ، تـــاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٤٨ ، والترجمة العربية ص ٥٤ ٠

الضريبة ـ كما يقول ماركس (★) ٠ (٥) قوة سلطة الخلافة المركزية وسكنى الملاكين في العاصمة أضعف امكانية توسع نفوذ الملاك وتطوير ملكية الارض لزمن مـــا ، ولكن لا يمكن التصور بأن الاقطاع الناشىء قد تلاشى او غير موجود او حـــرم مـــن امكانية تطوره ٠ والملاحظ ان كارل ماركس يطلق على اسلوب الانتاج في آسيـــا في القـرون الوسطى (أسلوب الانتاج الآسيوي) ، يطلق ذلك في مؤلفاته احيانا ليدل على وجود فروق بين النظام الاقطاعي في الشرق عن الغربي النموذجي ٠ وفي مناقشة ممتعة لهذه الموضوعة عـالج العـلامة فـاركه ذلـك في الفصـل الاخيـر مـن كتـــابه (★★)، مبينا بأنه بالرغم من عدم توفر الامكانيات الواسعة لدراسة تاريخ الشرق لماركس كمـا كان متيسرا له ولرفيقه انكلز عن الغرب ، فان ماركس كان مصيبا في هذه التسمية ليميز بين نظام الاقطاع الآسيوي عن الاوروبي النموذجي ٠ لقد ورث العرب الفاتحون التبعية الاقطاعية على الفلاحين مما اضطرهم الى اخذ الكثير مـن نظـم المجتمـع وشرائعه والاستعانة بموظفين اجانب (١٥٣) ، ولهذا جاءت حلول العرب وطرق معالجتهم لقضية الاراضي وللضرائب وفي معاملة الناس ، في كثير من الاحوال ، مطابقة او مشابهة لما هو متعارف عليه مع بعض التغييرات التي اقتضتها التطورات الزمنية ، فتلـك الحلول والتنظيمات ليست بساسانية او بيزنطية بحتة ولا عربية صرفة وانما هي ساسانية او بيزنطية بقالب عربي ٠

ان توزيع الاراضي ونقل ملكيتها الى القبائل (الارستقراطية القبلية) واكبه توزيع الاراضي على الافراد (١٥٤) واستحواذ افراد من الارستقراطية العربية علـــى اراض واسعة وبهذا ساهم العرب في تكوين الملكيات الخاصة (لم تكتمل فيهـا شروط التملك الاقطاعي) بالاضافة الى الملكيات العامة كاراضي الصوافي (١٥٥) والـحمى (١٥٦) (١٥٧) وباقي ممتلكات الدولة ٠ ولهذا فان الاقطاع وان تلكأ في سيره الا ان السلطـة العربية ساهمت بنفس الوقت في تكوين الاملاك الخاصة التي سيكتمل فيها شرط التملك الاقطاعي في العهد العباسي ـ القرن التاسع والعاشر الميلادي ـ حيث اصبح الاقطاع

(★) كارل ماركس ، رأس المال ، م ٣ ٠ كارل ماركس وفردريك انكلز ، المؤلفات ، م ٢٥ ، القسـم الثاني ، ص ٣٥٤ ٠

(★★) فاركه ، مختصرات حول مشاكل الاقتصاد السياسي الرأسمالي ، موسكـو ١٩٦٥ ، ص ٣٥٨ ـ ٣٨٢ ٠

(١٥٣) ترتون ، اهل الذمة ، ص ١٩ ، وقد اشار لوكيكارد الى تاثير النظام الهليني لضريبة الارض والشكل « الفارسي » لتملك الدولة للارض ـ فيما يخص الاقطاع ، الضريبـــة الاسلامية ، ص ٣٨ ٠

(١٥٤) يفصل ابو عبيد ، ابن سلام اسماء الاقطاعات والانهار التي أقطعت ، في كتاب الاموال ، ص ٢٧٢ ـ ٢٨٤ ، وكذلك البلاذري ، فتوح البلدان في الصفحات ٣٤٦ ـ ٣٧٤ ٠

(١٥٥) ابو يوسف ، الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٣٢ ، يحيى بن آدم الخـــراج ، ص ٢٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٤٦٨ ٠

(١٥٦) يقول ابو عبيد : « وتأويل الحمى المنهي عنه ـ فيما نرى ـ وان تحمى الاشياء التي جعلهـا الرسول بين الناس شركة وهي الماء والكلأ والنار » ، الاموال ، ص ٢٩٤ ٠

(١٥٧) ايقاف الاراضي والاملاك لمصالح المسلمين او للمساجد والمعاهد وغيرها ٠

(١٥٨) المقريزي ، الخطط ، ص ٥٤ ٠

فيها يعني حق التصرف بالارض ومن عليها بعد ان كان الاقطاع يعني قبل القرن التاسع حق استئجار الارض · ان الاراضي في العهدين الاموي والعباسي كانت تمنح للعاملين في الجيش والدولة وللمقربين للخلفاء كما وقد أقطعت للمقربين في عهد الفتوح (١٥٩)· وتعج المصادر بذكر القطائع التي منحت من قبل النبي محمد ، ســـواء أراضي مفتوحة كخيبر (١٦٠) والجرف والقناة (١٦١) (قرب المدينة) أو لم تفتح بعد كالتي منحت لتميم الداري (١٦٢) او من قبل الخلفاء من بعده فأبو بكر (١٦٣) وعمر بن الخطاب (١٦٤) وعثمان (١٦٥) وعلي بن ابي طالب (١٦٦) قد أقطعوا الاراضي ، ويعلل أبو يوسف ذلك بأنه « أعمر للبلاد واكثر للخراج » (١٦٧) وكانت هذه القطائع أغلبها تقتطع مــن أرض الصوافي ، والتي صادرتها السلطة العربية ، وتتكون الصوافي (من كـــل ارض كانت لكسرى أو لاهله أو لرجل قتل في الحرب او لحق بأرض الحرب أو مغيض ماء أو دير بريد) (١٦٨) (وردت دير بريد عند البلاذري محرفة (أو دير يزيد) (١٦٩) وقد نقلها دننت عن البلاذري (دير يزيد) (١٧٠) ·

ويرى ولهاوزن بأن الرسول والخلفاء من بعده (ابو بكر وعمر) كـانوا يعطون قسما من اراضي الدولة على شكل قطائع *Allod* ليست عليها واجبات ولعلهم كانوا لا يعطونها بصفة اقطاعيات (١٧١) *Fiefs* · ان مقولة ولهاوزن صحيحة ويؤيده فيهـا

(١٥٩) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٧٣ ·
(١٦٠) ابويوسف (١٣٨٣ هـ) ، ص ٦١ ، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٢٧٣ ، المقريــزي ، الخطط ، ص ٤٩ ·
(١٦١) ويروي يحيى بن آدم ان الذي اقطع الجرف والقناة ابو بكر وليس النبي، الخراج ، ص ٧٧ ·
(١٦٢) ابو عبيد ، الاموال ص ٢٧٤ ، الماوردي ، الاحكام السلطانية ، مخطوط الورقة ١٣٧ ب ·
(١٦٣) يحيى بن آدم الخراج ، ص ٧٧ ·
(١٦٤) ابو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ، ص ٣٢ ، يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ٧٨، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٢٨٣ ، ولم يشر البلاذري الى اقطاع عمر بن الخطاب ، اما الماوردي، الاحكام السلطانية ، فقد نفى اقطاع عمر (ولم يقطع شيئا منها) مخطوط الورقة ١٣٨ ، ١٣٩ ، ولا شك ان رواية ابي يوسف حول اقطاع عمر من ارض الصوافي (فكان عمر يقطع من هذه لمن اقطع ···) الخراج ص ٣٢ ، ادق من رواية الماوردي ، راجع الطبري الـــذي يؤيد رأي أبي يوسف حول اقطاع عمر ، ويؤيد دننت مقولة الماوردي ، الجزية ، ص ٢٦ ·
(١٦٥) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ ، ويعتبر البلاذري ان عثمان اول من اقطع ارض الصوافي فيالعراق ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ ، وهذا غير صحيح كما بينا ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٣٧٦ ، الماوردي ، الاحكام ، مخطوط الورقـــة ١٣٨ ، ١٣٩ ، المقريزي ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٥٦ ·
(١٦٦) المقريزي ، الخطط (القاهرة ، ١٩١٣ م) ، ص ٥٤ ·
(١٦٧) الخراج ، ط ٣ (٣٨٢ هـ) ، ص ٦١ ، انظر الاموال لابي عبيد ، ص ٢٨٣ ·
(١٦٨) ابو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٣٢ ، يحيى بن آدم ، الخراج ص ٢٢ ، ابــو عبيد ، الاموال ص ٢٨٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ ــ ٣ ، الطبري تاريخ ، م ١، جـ ٥ ، ص ٢٤٦٨ ·
(١٦٩) فتوح البلدان ص ٢٨٢ ·
(١٧٠) الجزية ص ٢٦ ·
(١٧١) الدولة العربية ص ٢٢١ ــ ٢ ، جوزي ، من تاريخ الحركات ص ٤٨ ، دننـــت ، الجزية ص ٢٦ ·

لويس الذي ذكر : وسمح للمسلمين بامتلاك الاراضي خارج بلاد العرب ومنحت الدولة الكثيرين منهم اراضي تعرف باسم القطائع (١٧٢) ٠ وكانت الصوافي تحت تصرف الدولة وقد توسع الخليفة عثمان بن عفان في تقسيمها على المقربين اليه مما أوغر صدور الناس عليه ٠ اما في العصر الاموي فقد توسع التملك الفردي على حساب املاك الدولة حتى شملت القطائع الحمى التي سلمت للقبائل العربية ٠ وبسبب التوسعات في الاملاك الفردية في العهد الاموي اختلقت (بذور) شروط التملك الفردي الاقطاعي التي ستظهر في العصر العباسي ولا تخلو المصادر من ذكر القطائع التي وزعت في العصر الاموي ٠

واما في العصر العباسي الاول فقد توسع الخلفاء في توزيع الاراضي على القواد ورجال الدولة والى المقربين اليهم ، حتى ان الطبري يعزو بناء الجانب الشرقي من بغداد ـ الرصافة ـ بسبب اقطاع القواد هناك (١٧٣) ٠

وقد تصرف العرب حيال الارض في وضع الضرائب عليها وتصنيفها حسب عائديتها وموقف اهلها عند الفتوح ، فالاراضي التي افتتحت صلحا تترك بأيدي اهلها وتكون خراجية (١٧٤) ويكون اهلها اهل ذمة (١٧٥) ان لم يسلموا ، اما اذا أسلموا عند الفتح فتكون عشرية وتبقى بأيديهم (١٧٦) ، واما الاراضي التي تفتح عنوة فاذا أبقاها الخليفة بأيدي اهلها فتكون خراجية (١٧٧) واذا وزعها على الفاتحين فتصبح عشرية (١٧٨) وكذلك اذا أوقفها لمصالح المسلمين (١٧٩) واما الاراضي التي تمتلك عفوا دون قتال ودون صلح ، لجلاء اهلها خوفا ، فتصبح وقفا وتكون خراجية وهي التي تدخل ضمن الفيء (١٨٠) ، واما الصوافي اذا قسمت بين الفاتحين فتكون عشرية (١٨١) وكذلك اذا أوقفت لمصالح المسلمين (١٨٢) اما اذا تركت بأيدي أهل البلد فتكون ارضا خراجية والفرق بينها وبين الارض الخراجية التي افتتحت صلحا هو ان اصحاب الاراضي الصلحية يستطيعون بيع وايجار اراضيهم (١٨٣) اما في الاراضي المصادرة

(١٧٢) العرب في التاريخ ، ص ٧٧ ٠

(١٧٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ، وقد نقل عنه ابن مسكويه ذلك ، تجارب الامم ، مخطوط رقم ٤١ ، ج ٣ ، الورقة ١٨٣ ب ٠

(١٧٤ ـ ١٧٥) ابو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ص ٨٢ يحيى بن آدم الخراج ص ٢١ ـ ٢، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٥ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ ٠

(١٧٦) يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ٢١ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ ٠

(١٧٧) ابو عبيد ، ص ٥٥ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٩ ٠

(١٧٨) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٨٢ ٠

(١٧٩) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٥ ٠

(١٨٠) الماوردي ،الورقة ٩٩ ب ٠

(١٨١) يحيى ، الخراج ، ص ٢١ ، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٥ ٠

(١٨٢) الماوردي ، الورقة ٩٩ أ ٠

(١٨٣) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ ، دننت ، الجزية ، ص ٣٥ ٠

ـ الصوافي ـ فالفلاحون لا يملكون ذلك الحق لان الارض اصبحت للدولة (١٨٤) ـ ملكا عاما ٠

وهناك طرق اخرى ، غير الاقطاع (المنح) ، حصل رجال الارستقراطية العربية بها على الاراضي ، وذلك عن طريق احياء أرض الموات (١٨٥) (اراضي مهملة او مغمورة بالاحراش او المياه) ، او الشراء ، او الالجاء (١٨٦) ، لكن القطائع كانت اوسع وكان اقطاع الارض على نوعين : ١ ـ اقطاع تمليك ، ٢ ـ اقطاع ايجار ٠

علاقة السلطة العربية بملاك الاراضي

اختلف موقف ملاك الاراضي في ايران وفي القفقاس من جيوش الفتح ، فبعضهم قاوم وكان مصير غالبية المقاومين الهلاك والبقية وقعوا في الاسر فاسترقوا او هربوا الى بلاد أخرى وقد صودرت املاك جميع المقاومين ٠ وقسم هادن العرب واستسلم للفاتحين وعقد صغار الملاك اتفاقيات مع المحتلين نالوا بموجبها امتيازات حافظوا بها على مراكزهم المتزعزعة ، واستطاعوا الحصول على موافقة بجمع الضرائب من السكان وتسليمها للسلطة (١٨٧) وبذلك يستطيعون تحرير انفسهم واراضيهم من الضرائب (١٨٨) ، ورفع مكانتهم الاجتماعية ٠ وقد أشار بارتولد الى ان هذه الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية التي نالها الدهاقين كانت عاملا في رضى الدهاقين بزوال خطورتهم السياسية (١٨٩) ولهذا استمر ملاك الاراضي باستغلال الفلاحين والعبيد المشتغلين في الزراعة استغلالا طبقيا كالسابق ـ الا انهم لم يجدوا الفرصة لتوسيع نفوذهم ـ وكانت السلطة لا تتدخل في شؤونهم واعمالهم الخاصة (١٩٠) ٠ لان

(١٨٤) الطبري : « ما باع اهل الصلح من ارضهم فهو جائز لهم ، واما ما افتتح عنوة فان اولئك لا يشتري منهم احد ولا يجوز لهم بيع شيء مما تحت ايديهم من الارض » ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ ٠

(١٨٥) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٢٨٦ ٠

(١٨٦) انظر فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ٠ ولم يكن الجاء الاراضي امرا مستحدثا في العهود الاسلامية ، فقد التجأت اليه جماهير فلاحي الشرق الادنى البؤساء قبل الاسلام فيشير محمد ضياء الدين الرئيس : « واضطر المزارع الذي لا حول له ان يبحث عن رجل غني او قوي يضع ارضه وحقه تحت تصرفه ليقوم بدلا منه بدفع الضرائب ويحميه من عسف الحكومة ، ومن هنا نشأ نظام الحماية *Autopragia* و *Patronage* الذي نهضت الحكومة لمحاربته مدة طويلة » ، الخراج والنظم المالية ، ص ٤٨ ٠

(١٨٧) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٢ ٠

(١٨٨) لويس ، العرب ، ص ١١٥ ، دننت ، الجزية ، ص ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ٠

(١٨٩) الحضارة الاسلامية ، ص ٥٨ ـ ٩ ، والترجمة العربية ص ٦٥ ٠

(١٩٠) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ١ ، ص ١٣٠ ٠

السلطة العربية سعت الى تثبيت سلطانها بواسطة الملاك اصحاب الاراضي واعتمدت من اجل ذلك، عليهم كثيرا ، فكان الملاك الادوات الطيعة لتثبيت التسلط الاجنبي ، وكانوا بعيدين عن التحسس بمشاكل بلادهم ومتقربين الى السادة الحكام ٠ وقد اشار ولهاوزن الى ان دهاقين خراسان كانوا على استعداد حسن نحو الوالي اسد عبد الله القسري (١٩١) ٠ ولهذا نجد عدم مساهمة الملاك في الانتفاضات التي كان ينضم اليها المستغلون من ابناء الشعوب سواء ان كانت الانتفاضات خارجية ام شيعية ام قيادتهـــا عربية ام تكون خاصة بأبناء الشعوب ٠ ولم ينضم الارستقراطيون الى الثورات والانتفاضات الا بعد ان شملتهم مساوىء الاحتلال ، ولا سيما في اواخر العهد الاموي ، حيث ازدادت مضايقة السلطة لهم بازدياد تسلطها والذي كان يعيق توســـع نفوذهم الاقطاعي عــلى المستغلين ، وامتدت اليهم يد الاستغلال بالتنظيمات المالية المستحدثة وبعـــد ان زحف اليهم الملاك العرب للاستيلاء على اراضيهم حين ذاك انضم الكثيرون منهم الى صفوف الشعب في ثوراته آملين طرد العرب واستعادة سابق نفوذهـــم الاقطاعي واستغلالهم الواسع للجماهير ٠ اما الملاك العرب (الارستقراطية القبلية) فكانوا أصحاب الحظوة والنفوذ لدى السلطة وكانوا يدفعون ضرائب بسيطة (العشر او نصف العشـــر) وقد ذكر أبو يوسف : « فاما القطائع فما كان منها سيحا فعلى العشر وما سقي منها بالدلو والقرب والساقية فعلى نصف العشر » (١٩٢) ٠ وقد علل ابو يوسف ذلك : « لما يلزم صاحب الاقطاع من المؤونة ، في حفر الانهار وبناء البيوت وعمـل الارض » (١٩٣) ٠ وكان الملاك العرب ينالون مساعدات مالية من الدولة عند استلامهم قطائع مـن الارض ولا سيما الموات منها (١٩٤) ٠ وكان الكثير من الملاك من المقربين للخلفاء ان لم يكونوا من العائلة الحاكمة ٠ وفي العصر العباسي ازداد اعتماد السلطة علـى الملاك المحليين والعرب ، فازداد جور واستغلال الملاكين للفلاحين وزادت الهـــوة بيـن الارستقراطية المحلية وبين ابناء الشعب ٠ وقد توسع العباسيون في اقطاع الاراضي للمقربين اليهم من الارستقراطية الاجنبية والعربية وبدأ الاقطاع يسير في تطوره بوتائر اسرع وبدأت تبرز شيئا فشيئا الاملاك الاقطاعية وخاصة في نهاية القرن التاسع وكـــان من نتيجـة التناقض بين الملاكين والفلاحين ان اتسمت الانتفاضات الجماهيرية بصفاتهـا الطبقية حيث ساهمت فيها جموع المستغلين وغالبيتهم مـــن الفلاحين ـ ثـــورات وانتفاضات الخـــرميين ـ اما الارستقراطية (الثرية المترفة) المالكة للاراضي فكان افرادها مع السطة الحاكمة الا قليلا ٠

وضعيــة الفــلاحين

شاهدنا كيف كانت وضعية الفلاحين سيئة فـــي العهد الساساني ، وكيف كــان للفلاحين امل في تحسين احوالهم عند تغير السلطة ، ولكن الاحتلال العربي وان قضى

(١٩١) الدولة العربية ، ص ٣٧٤ ٠
(١٩٢) الخراج ، ط ٣ (١٣٨٢ هـ) ، ص ٥١ ٠
(١٩٣) ن٠ م٠ ، ص ٥١ ٠
(١٩٤) يحيى بن آدم ، الخراج ص ٢٢ ، لويس ، العرب ، ص ٧٧ ٠

على الكثير من الاشراف الايرانيين (الارستقراطيين الايرانيين) مالكي العبيد والاراضي الواسعة ، وادى الى الغاء مراتب الناس الاجتماعية باعتبار ان الايرانيين اصبحوا هيئة اجتماعية واحدة دون العرب السادة ، غير ان التقسيم الطبقي للمجتمع بقي هو هو حيث بقي هناك مستغلون وهم الملاك (المحليون ـ الدهاقين والعرب) ومستغلون وهم الفلاحون ومعهم العبيد (وقد ازداد عددهم بسبب الحروب) وشغيلة المدن والكسبة والرحالة والصيادون ٠ ولهذا بقي المستغلون يئنون من الاستغلال الطبقي والتسلط الحكومي ،يضاف الى ذلك الازدراء والتحقير والاعمال الاجبارية واعالة المحتلين (١٩٥) ، هذا في العهد الراشدي ، اما في العهد الاموي فقد حلت بجماهير الفلاحين الواسعة مختلف صنوف العذاب والاستغلال والاهانات (كان الامويون يحتقرون المهن ـ ومنها الزراعة) من قبل السادة ملاك الاراضي والذين جلهم كانوا من الامويين (١٩٦) او من المقربين اليهم او من رؤسائهم المحليين ـ الدهاقين ، الاحرار والامراء ـ الذين تحالفوا مع السادة الجدد لاستغلال الفلاحين بأوحش الاساليب ـ ٠ لقد قاسى الفلاحون من الضرائب الفادحة (ازدادت نسبتها عما كانت عليه في العهد الساساني) حيث أعيدت الضرائب السابقة (هدايا النوروز والمهرجان) (١٩٧) التي ألغيت لفترة ما (١٩٨) ، والقساوة في تحصيلها ، وقاسوا من الاجحاف في الحقوق وعدم المساواة ومن السخرة في الاعمال الخاصة والعامة والتي منها العناية بالطرق والجسور والاسواق والارشاد والضيافة (١٩٩) ـ ضيافة أبناء السبيل ومن يمر بهم من جنود المسلمين ، وهذا ما كان مترتبا على اهل الذمة (٢٠٠) الذين كانت غالبيتهم تشتغل بالفلاحة (٢٠١) ، بل وحتى الموالي كانوا يسامون الخسف والهوان ، فقد ختمت على رقابهم بالرصاص وعلى اذرعهم أسماء قراهم ومواطن سكناهم لكي لا يتهربوا من الضرائب الفادحة ، وحتى اسلامهم لم ينجهم من جشع الولاة والحكام الامويين للمال (٢٠٢) ، ولكن دننت لا يتفق مع الرأي القائل « بأن السلطة هي التي أبقت ضريبة الرأس على من اسلم في خراسان » وانما يرى بأن الوكلاء المحليين هم الذين عمدوا الى ذلك خشية انتشار الاسلام الذي يهدد مصالحهم ، وان نصر بن سيار عمد الى ان يصحح هذا الوضع الخاطىء الذي ينطوي على الظلم (٢٠٣) ٠ ولكن المصادر تشير الى صرخات الاحتجاج التي كانت تصل الولاة عن سوء الجباية ولهذا يمكننا ان نقول ان ما قام به نصر انما هو تدارك متأخر للخطر الناجم عن الاحتجاج العام الصارخ على

---

(١٩٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ (١٨٩٣ م) ، ص ٢٤٧٠ ، ترتون ،اهل الذمة ، ص ٢٤٠ ٠

(١٩٦) الدوري ، دراسات ، ص ١٩ ٠

(١٩٧) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ ، ترتون ، ص ٢٥٢ ٠

(١٩٨) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ص ١٩٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ص ٢٩٠٣ ، الصولي، أدب الكتاب ، ص ٢٢٠ ، العلي ، التنظيمات ص ١٩٧ ٠

(١٩٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٤٧٠ ، ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٤٠ ٠

(٢٠٠) ترتون ، ص ٢٤٠ ٠

(٢٠١) الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٢٦٨ ٠

(٢٠٢) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٤٨ ، كريمر ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ـ ص ٨٨ ، لويس ، العرب ، ص ٩٨ ٠

مظالم الامويين المالية وليس كما تصور دننت ، الذي يحاول نكران العامل الاقتصادي الذي دفع الموالي للانضمام الى الدعوة العباسية حيث ختم كتابه بقوله « وفي الختام لا بد ان يكون قد اتضح ها هنا ان من الخطأ الكبير ان نفترض تفسيرا اقتصاديا للثورة العباسية ، فالفكرة التي تصورها فان فلوتن *Van Volten* بأن سكان ايران كانوا ينوؤون تحت ثقل الضرائب الفادح وانهم كانوا على استعداد للثورة عند اول بادرة ــ هذه الفكرة لا يمكن ان تصمد امام ضوء البحث الدقيق · ان الموالي الذين كانوا يُستغلون فانما كان يستغلهم أبناء جلدتهم لا العرب » (٢٠٤) · ولا شك انه بات معروفا بأن السلطة العربية قد عهدت الى الملاك المحليين بجمع الضرائب ، لذا فهذه الضرائب كانت تذهب الى السلطة لا الى الملاك وان ابناء الشعب يدركون ذلك جيدا وقد كانت مجحفة · لهذا فان نكران العامل الاقتصادي من قبل دننت وان بُرقع ببهرجة اضواء البحث الدقيق ، لا يمكن قبوله بأي حال من الاحوال · لقد كان من نتائج الضرائب الفاحشة ان تردت احوال الفلاحين المعاشية لتردي اثمان المنتجات الزراعية ، بسبب من تسرع المزارعين في بيع منتوجاتهم قبل نضوجها بأثمان بخسة لدفع الضريبة كما أوضح ذلك الخليفة عمر الثاني (٢٠٥) ، ولفداحة الضرائب التي كان يدفعها الفلاحون فقد اصبحوا المستودع الثوري لكل الحركات والانتفاضات التي قامت بوجه الامويين وكانوا التربة الحسنة التي نمت فيها وترعرعت الفرقة الخُرمية وان لم يلعب الخرميون الدور المحرك للانتفاضات في العصر الاموي ، لقد كان للاوضاع المزرية والانتهاكات الصريحة لحقوق الفلاحين الدور البارز في تحريكهم من أجل تحسين أحوالهم واسترداد حقوقهم ومن اجل ذلك ساهموا في الدعوة العباسية وكانوا عماد جيشها وخاصة الخراسانيون · غير ان العباسيين ــ وقد تطور الاقطاع نوعا ما في عهدهم ــ تنكروا لمطاليب الجماهير التي ساندتهم ــ لذلك لم يشعر فلاحو ايران بأي تبدل في وضعيتهم ، فقد عاد الاقطاعيون الى سابق نفوذهم وعاد الضيق الاقتصادي وعادت الضرائب الفادحة ترهقهم (٢٠٦) ، وكذلك كان حال فلاحي آذربيجان وأرمينيا ·

لقد اشتدت وطأة الاستغلال الاقطاعي على جماهير الفلاحين ، فأخذوا يتلمسون طريق الخلاص من الجور والظلم والاضطهاد ومن النهب والسلب الشرعي (الضرائب) فقام الفلاحون بانتفاضات عديدة (غالبيتها خرمية) شملت ايران وما وراء النهر وكانت تتجاوب أصداؤها في ربوع القفقاس · ولا غرابة ان يقوم أشد انصار العباسيين ــ فلاحو ايران ، وخاصة فلاحو خراسان ، وهم الذين كانوا القاعدة الاجتماعية (للثورة) العباسية ــ بالانتفاضات ضد السلطة العباسية ، لان العباسيين ، بطبيعة كونهم من طبقة ارستقراطية مستغِلة متنفذة ، تنكروا لمصالح الفلاحين (٢٠٧) ، فيذكر الدوري :

(٢٠٣) الجزية والاسلام (النسخة المترجمة) ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ ·
(٢٠٤) ن· م· ص ١٩٦ (النسخة المترجمة) ·
(٢٠٥) ذكر ابو يوسف ان عمر بن عبد العزيز اجاب عن سبب ارتفاع الاسعار في زمانه وهبوطها في ازمان من كان قبله « ان الذين كانوا قبلي كانوا يكلفون اهل الذمة وانا لا اكلف احدا الا طاقته فباع الرجل كيف شاء » ، الخراج (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٥٧ ، ٢٠٠ ــ ٢٠٥ ·
(٢٠٦) العزيز ، حسين قاسم ، مقالة (الشعوبية) ، مجلة الغد ، العدد ٣ ، ص ٢٨ ·
(٢٠٧) ن· م· ، ص ٢٨ ·

« ولكن المثل الاعلى للمساواة والعدل ظل وهما ، اذ لم يحقــق العباسيون وعودهم ، فاستمر العسف والجور واستمرت الثورات ٠ ففي سنة ١٣٢هـ احتج شريك بـن شيخ المهري الثائر ببخارى ضد مظالم العباسيين قائلا : « ما على هذا تبعنا آل محمد ، على ان نسفك الدماء ونعمل بغير الحق » ، وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثيــن ألفا » (٢٠٨) ، واستشهد الدوري ببيت من الشعر لابي العطار الشاعر (٢٠٩) :

يـا ليـت جـور بنـي مـروان عـاد لنـا
يـا ليـت عـدل بنـي العباس فـي النار (٢١٠)

لقد امتاز العصر العباسي الاول بشدة الحركات الفلاحية ضد الجور الحكومي والاستغلال الاقطاعي ويعزو الدوري السبب الى العباسيين الذين « لم يعملوا ما يذكر لتخفيف الضغط الاقتصادي والاجتماعي على جماهير الايرانيين فلـم يرضـخ هؤلاء لوضعهم » (٢١١) ٠ ويعتبر لويس تلك الحركات التي قامت في ايران متنفسا للشعوب المغلوبة (٢١٢) ٠ لقد كان لتطور الاقطاع وخاصة في نهاية العصـر العباسي الاول ، السبب في بلـورة الصفات الطبقية للنضال الجماهيري ضـد الاستغلال حيث ساهمت الجماهير المستغلة بمفردها ـ في كثير من الاخيان ـ في الكفاح المسلح ضد الخلافة ، وكان الارستقراطيون ـ الملاك المحليون ـ دوما مع السلطة ٠

الضـــرائب

تيسر لكسرى أنو شروان ، بعد سحق الحركة المزدكية ، وضع الضرائب الجائرة على عاتق الشعب وقد اعفى الطبقة الارستقراطية منها ، وكـانت الضرائب مـرهقة شاقة ٠ وعند مجيء العرب ـ المفتقرين للتنظيمات المالية ـ أبقوا تلـك النظم والتعاليم ولغة استعمالها وموظفيها (٢١٣) ، في باديء بدء على حالها ، ثـم أجـريت تغييرات تطلبتها مقتضيات التطور الزمني ، لكن الاسس والكميات والمسميات على الاغلب سارت على النمط القديم ، ولقد اقتضى في بعض الحالات ، ولا سيما في العهد الراشدي ، الى حذف او اهمال بعض الضرائب نتيجة الدعاية الدينية ٠ ولكـن سرعان مـا عادت ، كضرائب هدايا النوروز والمهرجان التي أبطلت ٠ فلما جاء عثمان اعادها فضج الناس

(٢٠٨) الدوري ، العصر العباسي الاول ص ٤٤ ، راجع اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٩١ ٠
(٢٠٩) ن٠ م٠ ص ٤٤ ٠
(٢١٠) الاغاني ، جـ ١٦ ، ص ٨٤ ٠
(٢١١) الدوري ، دراسات ، ص ١١ ٠
(٢١٢) ويذكر « ان معظم مناصريها كان من بين الفلاحين » ، العرب ، ص ١٤١ ٠
(٢١٣) كريمر ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ص ٦٠ ، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٢ ـ ٣ ، ترتون ، ص ١٩ ، دننت ، الجزية ، ص ١٤ ٠

فاضطر الى الغائها (٢١٤) وأعيدت في زمن معاوية ٠ ولهذا فان مجيء العرب كفاتحين لم يخفف من الضائقة الاقتصادية على الشعوب ولم ينقذها من جور الضرائب (٢١٥) حيث كانت تنظيمات العرب في جوهرها تطابق تنظيمات من سبقهم ٠

١ ـ **الخراج** (٢١٦) :

ضريبة على الارض ، وكانت لدى الساسانيين مقاسمة (عينية مقدرة بالنسبة الى كمية المحصول) ثم جعلها انو شروان مساحة (نقدية مقدرة بالنسبة الى مساحة الارض المزروعة ونوعية المحصول) ويسمي بعض الفقهاء النوع الاخير من الخراج « خراج الوظيفة » (٢١٧) ، لكن الخراج ليس بوظيفة او كراء (أجرة) للارض وانما هو ضريبة حكومية على الارض ، وقد اقتبس العرب ، بعد فتح العراق ومسحه ، النظام الساساني في تحديد الضرائب ، كما اقتبسوا النظام البيزنطي في اماكن اخرى ، الا انه بالرغم من الاحتفاظ بالاسس والكميات والمسميات والموظفين ، فان هنالك تفاوتا في النسب والاشكال والطريقة وذلك راجع الى الاختلاف في طبيعة الفتح وعائدية الارض بالاضافة الى طريقة الارواء والبعد والقرب من الانهار والاماكن المعمورة كما وان السلطة كانت تمارس مطلق الحق (٢١٨) في التغييرات نتيجة استسلام (٢١٩) اهل البلد المفتوح ، فلا يخفى ان هنالك اجراءات مختلفة قد أتخذت ولم يكن لاهل البلد حق الاعتراض عليها ، فقد ذكر الماوردي ان هنالك اختلافات في تقدير الضرائب (وضرب عمر رضي الله عنه على ناحية اخرى غيرها غير هذا القدر) (٢٢٠) ٠ ومن ملاحظة قوائم المؤرخين والفقهاء ومطابقتها مع الخراج في أيام الساسانيين نستنتج :

١ ـ ان الخراج في العهد الاسلامي اعلى من مثيله في العهد الساساني ٠

٢ ـ اختلاف المؤرخين والفقهاء (في مقدار الخراج وليس في الاسس) (★) راجع

---

(٢١٤) الصولي ، ادب الكتاب ، ص ٢٢٠ ٠

(٢١٥) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٢ ٠

(٢١٦) وردت الجزية والخراج في صيغ الامان الممنوحة للمدن والمقاطعات ، الواحدة محل الاخرى، ولكن التحديد في استعمال الجزية كضريبة الرأس والخراج كضريبة الارض قد تم في اواخر العهد الاموي ويعتبر ابو عبيد معنى الخراج الكراء او الغلة ، الاموال ، ص ٧٣ ٠ واصل كلمة الخراج ارامة، *Halak* ووردت في التلمود خاراجا ٠

(٢١٧) قال ابو يوسف (فناظرتهم ـ العلماء ـ فيما كان وظف عليهم « اهل السواد » في خلافة عمر بن الخطاب في خراج واحتمال ارضهم اذ ذاك لتلك الوظيفة) ، الخراج، ط ٣ (١٣٨٢هـ)، ص ٤٨ ٠

(٢١٨) انظر دننت ، الجزية ، ص ٢٥ ، والترجمة العربية ، ص ٥٨ ٠

(٢١٩) انظر ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٢٨ ٠

(٢٢٠) الاحكام السلطانية ، مخطوط الورقة ١٠٧ أ ٠

(★) يذكر لوكيكارد بأن الاختلاف بين قدماء الفقهاء ومحدثيهم ليس الا اختلافا بالدرجات ، الضريبة الاسلامية ، ص ٧٣ ٠

ولا بد الى ان تحديد الضريبة على الاراضي لم يكن واحدا فلما أحرق ديـوان الخراج في معركة دير الجماجم (ايام ابن الاشعث ٨٢هـ/نيسان ٧٠١م) حصل الالتباس بعدئذ لدى المؤرخين ٠

٣ ـ الارض الخراجية العامرة او الغامرة تدفع قفيزا ودرهما فـــي السنة لمـرة واحدة سواء زرعت ام لم تزرع (٢٢١) ٠

٤ ـ هنالك اراض وضعت عليها ضرائب قطعية فيذكر ابو عبيد : « وقالا لدهقان كل قرية : على قريتك كذا وكذا فاذهبوا فتوزعوها ٠ قال فكانوا يأخذون الدهقان بجميع ما على أهل قريته » (٢٢٢) ٠ وقد أشار الى هذه المقاطعات ابن حوقل واعتبرها صنفا ثالثا من اصناف الخراج وذكر بأنها لا تز يدولا تنقص زرعت ام لم تزرع تؤخذ بالعبرة (٢٢٣) ٠ وفيما يلي مقارنة الضرائب الخراجية فـــي العهدين الساساني والاسلامي حسب ما وردت لدى الفقهاء والمؤرخين :

(٢٢١) يتفق المؤرخون والفقهاء على هذه الكمية ويورد الماوردي شعرا لزهير بن ابي سلمى حولها ويستنتج الماوردي على ان هذه الضريبة كانت في العصر الجاهلي :

فتغلل لكـم مـا لا تغـل لاهلها قرى بالعراق مـن قفيـز ودرهم

الاحكام السلطانية ، ص ١٤٨ ، ومن هذا نستنتج ايضا على ان ضريبة الخراج كانت فـــي العراق في العهد الساساني ٠

(٢٢٢) الاموال ، ص ٥٢ ٠

(٢٢٣) المسالك والممالك ، ص ٢١٦ ٠

الخراج في العهد الساساني — ضريبة الخراج في العهد الاسلامي حسب المؤرخين العرب (٢٢٤)

الجريب من الاوض		(٢٢٥)	(٢٢٦)	(٢٢٧)	(٢٢٨)	(٢٢٩)	(٢٣٠)	(٢٣١)
المزرعة	درهم	ابو يوسف	يحيى	أبو عبيد	البلاذري	أبن خر داذبة	الطبري	الماوردي
عامر او غامر			قفيز ودرهم	قفيز ودرهم			قفيز ودرهم	قفيز درهم
الكروم	٨	١٠ دراهم		١٠ دراهم	١٠دراهم	٦دراهم	١٠ دراهم	١٠دراهم
الرطبة (٢٣٢)	٧			٥ ذراهم	٥ دراهم	٦ دراهم	٥ دراهم	٥ دراهم
الارز							قفيز ودرهم	
السمسم							قفيز ودرهم	
البقول							قفيز و درهم	
الرياحين							قفيز ودرهم	
النخل	٨		٥او٨	١٠		٨	١٠	٨
اربع نخلات فارسي	١							
ست نخلات دقل	١							
شجر ملتف				١٠				١٠
قصب سكر		-		٦	٦		(٢٣٣)	٦
الحنطة	١	٤		٤	٤	٤	قفيز ودرهم	٤
الشعير	١	٢	٢	٢	٣		قفيز ودرهم	٢
زيتون	١			١٢				

(٢٢٤) انظر ايضا ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، دننت ، الجزية ، ص ٢٣ ــ ٤ ، وقد خلط بين الرطبة والشجر الملتف ، انظر ايضا لوكيكارد ، الذي يرى بأنه لا يمكن الجزم بأن السياسة التطبيقية (في العهود الاسلامية) قد اتبعت جـداول الفقـــهاء بالتفصيل ، الضريبة الاسلامية ، ص ٧٢ ·

(٢٢٥) الخراج ، ويذكر ان بعض الروايات تذكر على النخل ١٠ وعلى العنب ٨ دراهم ، (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، ص ٤٣ ·

(٢٢٦) الخراج ، ص ٢٣ ·

(٢٢٧) الاموال ، ويذكر عن وكروم ١٠ دراهم وعشر أقفزة وعن الرطبة ٥ دراهم و ٥ اقفزة ، ص ٦٨ ــ ٩ ·

(٢٢٨) فتوح البلدان ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ــ ١ ، وقد أخذ بهذه الارقام كريمر ، الحضارة الاسلامية ، (مترجم) ، ص ٨٣ ·

(٢٢٩) المسالك والممالك ص ١٤ ، انظر ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، ص ١٠٥ ى حيث تجد الارقام نفسها ·

(٢٣٠) اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٣ ·

(٢٣١) الاحكام السلطانية ، ص ١٤٨ ·

(٢٣٢) الرطبة وجمعها الرطاب ، هي الخضراوات ويدخل بضمنها الخيار والبطيخ ·

(٢٣٣) القفيز ويقول عنه الطبري وهو مثل الصاع ويكال به (اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٣) · ووزن القفيز ٩٦ رطلا (كريمر ، الحضارة الاسلامية ، متـــرجم ، ص ٨٣) ويساوي (٢،٧٥٦ كيلوغرام) ، اذ ظرزيدان ، عبد الكريم ، احكام الذميين ، ص ١٦١ ·

لقد اتخذ الفقهاء ما حصل بالعراق مقياسا لاحكامهـــم واجتهاداتهم ٠ امـا في ايران ، وكذلك في القفقاس ، فلم يؤخذ الخراج لحاله ولا الجزية لحالها ، وانما فرضت عند الصلح مبالغ معينة تدفع كضريبة سنوية عامة ، وكـــان الدهاقين مسؤولين عـن جمعها ، ولهذا ترد الجزية احيانا واحيانا الخراج في صيغ الامان لتدلا على الضريبة السنوية المقررة ٠ ولم تكن كل الاراضي لتدفع ضريبة الخراج ، اذ هنالك اراضي وزعت على الفاتحين او انتقلت ملكيتها للدولة او للارستقراطيين العرب بطريق المنح (الاقطاع) او بطريق الشراء او ألجأها اليهم اصحابها ، وغالبية هذه الاراضي تخلصت من ضريبة الخراج واصبحت اراض عشرية ، اي تدفع ضريبة العشـر فقـط ، كمـا وان انتقال اصحاب الاراضي ـ في اواخر العهد الراشدي واوائل العهد الاموي ـ الى الاسلام قد ادى في بعض الاحيان الى تخلص بعض الاراضي من ضريبة الخراج والاكتفاء بـدفع العشر ، ولكن الاوامر صدرت في عهد عبد الملك بن مروان باعادة الضريبـة الخراجية على الارض والجزية على المسلمين ، ثـم اصدر عمر بن عبد العزيز أمرا أصبحت الارض بموجبه ، من تاريخ ١٠٠هـ ، تدفع ضريبة الخراج سواء كان صاحبها مسلما ام غيـر مسلم (٢٣٤) ، واما ضريبة الجزية فتسقط بالاسلام ، وبما ان الضريبة فـي ايران لا تزال واحدة ـ كما هو الحال في القفقاس ـ فان مفعول هذا الامر لم يطبق بدقة ، ولهذا ظل المسلمون الجدد يدفعون الضريبة السابقة ، وخلق ذلك تذمرا عبرت عنه صيحة أبي الصيداء صالح بن طريف للخليفة عمر بن عبد العزيز ، وفي تدبير لزيادة الضريبة عمد نصر بن سيار آخر والي أموي على خراسان ، الـى وضـع تنظيـم فصل فيه بين الضريبتين ، فحدد ضريبة الخراج على الارض وتبقى حتى ولو أسلم أصحاب الارض ، وضريبة على الرقاب (الجزية) وتسقط بالاسلام (٢٣٥) (وحتى بعـد هـذا التقسيم للضريبة يخلط بوليانسكي بين الجزية والخراج) (٢٣٦) ٠

لقد ظل الخراج في العهد الاموي مساحة على الاسس التي اقرها عمر بن الخطاب ولم يجر تغيير الخراج الا في زمن العباسيين حيث بدأه أبو جعفـر المنصـور فجعله مقاسمة بالنصف (٢٣٧) ثم أصبح ثلاثة اخماس (٥/٣) الحاصل للدولة (٢٣٨) ثم عاد للنصف في زمن الرشيد (٢٣٩) ثم اصبح (٥/٢) الحاصل في زمن المأمون (٢٤٠) ٠

لقد كانت ضريبة الخراج ثقيلة تكره الفلاحين على بيع محاصيلهم قبـل نضوجها لتسديد ما بذمتهم كما صرح بذلك عمر بن عبد العزيز (٢٤١) ، وكان الفلاحون يهربون

(٢٣٤) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ، لويس ، العرب ، ص ١٠٧ ، الدوري ، المقدمة، ص ٨٤ ٠
(٢٣٥) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ ٠
(٢٣٦) التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ ـ ٩ ٠
(٢٣٧) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٧٦ ٠
(٢٣٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ ٠
(٢٣٩) ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٣٦ ، الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ١٧٧ ٠
(٢٤٠) ابن طباطبا، تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٢١٦ ٠
(٢٤١) راجع الهامش ٢٠٥ ٠

على الاغلب من قراهم ويلتجئون الى المدن تهربا من دفع الضرائب ، وقد أجبر الامويون الهاربين من القرويين على العودة الى قراهم وسجلوا اسماء اماكنهم على اختام الرصاص وعلقوها في رقابهم (٢٤٢) ٠ ولم تكن الضرائب المترتبة على الفلاحين مكروهة لفداحتها فقط ، ولكن لما كان يرافق جمعها من صنوف الاهانة والتعذيب حيث ذكر أبو يوسف « بلغني انهم يقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة » (٢٤٣) ، وقد ذكر الجهشياري بأن اهل الخراج كانوا يعذبون بصنوف من العذاب من السباع والزنابير والسنانير (٢٤٤) ٠ وكان عمال الدولة لا يكتفون بأخذ حصة الحكومة من الخراج وانما ابتدعوا وسائل عديدة للابتزاز والنهب ترافق عملية استحصال ضريبة الخراج (٢٤٥)، هذا بالاضافة الى ان عمال بني أمية كانوا يخرصون الثمار (يقدرون ما عليها) ويقدرون الخراج حسب تخميناتهم وأكثر الاحيان تكون اكثر من الواقع ، وقد عدد الدوري مساوىء جباية الخراج في العهد العباسي بما يلي :

١ ـ حزر ما في البيادر فتقدر بأكثر من محتوياتها ٠

٢ ـ جباية الضريبة قبل نضوج الزرع ٠

٣ ـ ضمان الخراج في منطقة ما من قبل أفراد يدفعون قدرا معينا من المال وتطلق ايديهم في الجباية ، وكان أهل الخراج يعاملون معاملة قاسية (٢٤٦) ٠

لقد اضطر اصحاب الاراضي تهربا من الضرائب الفادحة ، الى الجائها الى كبار المتنفذين في العهدين الاموي والعباسي كما اشار الى ذلك الجهشياري (٢٤٧) وابن حوقل (٢٤٨) وغيرهم٠

ونورد الآن بعض مقتبسات من قوائم الخراج في عهود مختلفة :

١ ـ قائمة الجهشياري (٢٤٩) :

٠٠٠ر٠٠٠ر٢٨ درهم من خراسان

(٢٤٢) راجع الهامش ٢٠٢ ٠

(٢٤٣) الخراج (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٣١ ٠

(٢٤٤) الوزراء والكتاب ، ص ١٠٣ ٠

(٢٤٥) والتي عددها ابو يوسف في كتاب الخراج (١٣٤٦ هـ) ص ١٣٠ ٠

(٢٤٦) العصر العباسي الاول ، ٢٦٦ ـ ٢٦٩ ٠

(٢٤٧) الوزراء والكتاب ، ص ٨٣ ٠

(٢٤٨) المسالك والممالك ، ص ٢١٧ ٠

(٢٤٩) الوزراء والكتاب ، ويذكر ان ابا الوزير عمر بن مطرف الكاتب من اهل مرو ، عمل في ايام الرشيد تقديرا عرضه على يحيى بن خالد لما يحمل الى بيت المال ٠ ويقول الجهشياري انه وجد ذلك في كتاب عمله أبو الفضل محمد بن احمد بن عبد الحميد الكاتب في اخبار خلفاء بني العباس ٠ قائمة الجهشياري منشورة في كتاب الوزراء والكتاب من ص ٢٢٧ ـ ٢٣٥ ٠

٠٠٠ر٠٠٠ر١١ درهم من أصفهان
٠٠٠ر٨٠٠ر١١ درهم من همذان ودستبي
٠٠٠ر٠٠٠ر٤ درهم من آذربيجان
٠٠٠ر٠٠٠ر١٣ درهم من أرمينيا

٢ ـ قائمة ابن خرداذبه (٢٥٠) :

٠٠٠ر٨٤٦ر٤٤ درهم من خراسان
٠٠٠ر٠٠٠ر٢ درهم من آذربيجان
٠٠٠ر٠٠٠ر٤ درهم من أرمينيا

٣ ـ قائمة قدامة ابن جعفر (٢٥٢) :

٠٠٠ر٠٠٠ر٣ درهم خراج قم وقاشان
٠٠٠ر٢٠٠ر٢٠ درهم خراج الري
٠٠٠ر٥٠٠ر٤ درهم خراج آذربيجان
٠٠٠ر٠٠٠ر٤ درهم خراج أرمينيا

٤ ـ قائمة ابن خلدون (٢٥٣) :

٠٠٠ر٠٠٠ر٢٨ درهم خراج خراسان (٢٥٤)
٠٠٠ر٠٠٠ر٢٧ درهم خراج فارس
٠٠٠ر٠٠٠ر١٣ درهم خراج همذان

---

(٢٥٠) المسالك والممالك ، ص ٣٩ وص ١٢١ وص ١٢٣ ، انظر زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، جـ ٢ ، ص ٦٣ ، وحتي ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ ٠

(٢٥١) ذكر ابن خرداذبة ان ذلك كان خراج خراسان والاعمال المضمومة لابي العباس عبد الله بن طاهر لسنتي ٢١١ هـ و ٢١٢ هـ ، المسالك والممالك ، ص ٣٩ ٠

(٢٥٢) الخراج وصنعة الكتابة (من ص ٢٤٢ ـ ص ٢٥٠) وقد نقل عنه زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، مع اختلاف في بعض الارقام وعن زيدان نقل حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ ، فجاء بأرقام مغايرة ٠

(٢٥٣) ذكر في الصفحة ١٥٠ من المقدمة ٠٠٠ وكذلك وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد ايام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة ٠ ولا بد ان ابن خلدون نقل هذه القائمة عن الجهشياري لكن ابن خلدون وقع في اخطاء كثيرة ، حيث نسبها الى عهد المأمون اولا ولوجود اختلافات في كثير من المقادير ثانيا ٠ وقد نقل زيدان ، جرجي ، جـ ٢ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ وحتي ، جـ ١ ، ط ٣ ،ص ٣٩٦ عن ابن خلدون برغم اخطائها ٠

(٢٥٤) ويضيف على ذلك ومن نقر الفضة ٢،٠٠٠ نقره و ٤٠٠٠ برذون و ١٠٠٠ رأس رقيق وعشرين الف ثوب متاع و ٣٠،٠٠٠ رطل أهليلج ٠

٠٠٠ر٠٠٠ر٤ درهم خراج اذربيجان
٠٠٠ر٠٠٠ر١٣ درهم خراج أرمينيا (٢٥٥)

٥ ـ قائمة « العلي » (٢٥٦) ٠ والجديد فيها ما نقله عن اليعقوبي لمقدار الخراج في عهد معاوية :

	(٢٥٧)				عن	عن	عن
المنطقة	في عهد معاوية	الرشيد	المأمون	المتوكل	ابن خرداذبة	اليعقوبي	المقدسي
اصفهان (٢٥٨)	ـ	٠ر١١	٥ر١٠	٠ر١٦	٠ر٧	٠ر١٠	ـ
خراسان	٠ر٣٠	٠ر٢٨	٠ر٣٨	ـ	٠ر٣٧	٠ر٤٠	٠ر٤٤

(ان الارقام الصحيحة تمثل الملايين والكسور مئات الالوف من الدراهم) ٠

ومن نظرة أولية نلقيها على هذه المقتبسات نستخلص فداحة الضرائب ـ التي كان يدفعها ابناء شعوب ايران واذربيجان ـ وكان ثقلها واقع على المعدمين ـ وغالبيتهم من الفلاحين ـ من مسلمين وذميين ، فكانت من العوامل الاساسية في اثارة الخرميين٠

٢ ـ الجـزية (٢٥٩) :

وضع العرب الفاتحون ضريبة الجزية على أبناء البلدان المغلوبة كرمز للمذلة والمهانة (٢٦٠) « ٠٠٠ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ٠٠٠ » (٢٦١) ، وكمورد

(٢٥٥) المقدمة ، ص ١٥١ ٠

(٢٥٦) التنظيمات ، ص ١١٧ ـ ٨ ٠

(٢٥٧) ن٠م٠ هامش ـ ص ١١٧ ويشير الى اليعقوبي ج٢ ص ٢٧٧ ٠

(٢٥٨) التنظيمات ـ هامش ـ ص ١١٨ (يقول المافرخي ان خراجها في القديم كان يبلغ ١٢ مليون درهما ، وانه بلغ اول سنة فتحها المسلمون ٤٠ مليون درهم (محاسن اصفهان ص ١٢)٠

(٢٥٩) ذكر الماوردي ان الجزية من الجزاء وتؤخذ من مشرك صغارا له ومذلة ، الاحكام السلطانية، ـ ص ١٤٢ وينقل زيدان ، جرجي رأيا للشيخ الهندي شبل النعمان الذي يقول بأن الجزية لفظ فارسي الاصل (كزيت) تاريخ التمدن ج١ ص ١٦٩ ، ويـذكر كريستنسن ان اللفظ آرامي وأدخل في البهلوية كلفظ مستعار ، ايران ، ص ١٢٢ ، أنظر أيضا دائـرة المعـارف السوفيتية الواسعة ط٢ م١٨ لسنة ١٩٥٥م ص ٥١٧ ٠

(٢٦٠) يروي الألوسي شعرا لبديع الزمان الهمذاني في ذم العجم :

ألسنا الضاربين جزي عليكم   وان الجزي أولى بالذليل

بلوغ الأرب ـ ج١ ص ١٦١ ، وقد ذكر زيدان ، عبد الكريم قـول الفقهاء الذين يرون ان الجزية تؤخذ من أهل الذمة مع الاهانة وجوبا (ويشير الى شرح الخرشي ج٣ ص ١٤٥) وقد ذكر زيدان ، عدم اتفاقه معهم ٠ أحكام الذميين ص ١٤٦ ، ويشيـر ولهاوزن الى ان الجزية مهينة لمن يؤديها ، ص ٣٠ ، أنظر ترتون ، ص ٩ ، ويقول دننت ان الجزية كـانت رمزا للمذلة ،الجزية ـ ص ٣٣ ٠

(٢٦١) القرآن ، سورة التوبة ، ٢٦/٩ ٠

رزق ثابت وهي من أبواب الفيء (٢٦٢) ، والجزية ضريبة علـــى الــرؤوس والخراج ضريبة على الارض وقد حدد هذا المعنى الاصطلاحي في اواخر العهد الاموي (٢٦٣) ـ في البلدان الشرقية ـ اما في العراق فقد حددت الضريبتان منذ امد بعيد ٠ وقد وضعت الجزية ـ نظريا ـ على الرجال من اهل الكتاب ، ولكن عمليا طبقت على غير المسلمين كافة وأصبح كل ابناء البلد المغلوب اهل ذمة سواء كانوا يهودا او مسيحيين ام صابئة ام عبدة اصنام او اوثان او نيران ٠ قال ابو يوسف : واما العجـم فتقبل الجزية مـــن أهل الكتاب منهم وعبدةالاوثان والنيران من الرجال منهم (٢٦٤) وقد اثار قبول غير أهل الكتاب في عداد اهل الذمة مساجلات عنيفة بين الناس تعج كتب الفقهاء بذكرها(٢٦٥)٠ ويرى حتي ان النظرية المادية هي التي قامت اذ ذاك مقام النظرية القـــرآنية (٢٦٦) ، ويمكننا ان نضيف الى قول حتي بأن النظرية ذاتها هي التي عطلت مفعول التقليد الذي يمنع اخذ الجزية من المسلمين حيث فرضها الامويون على من أسلم ـ عدا عمر بن عبد العزيز ـ وان قبول استلام الجزية من غير اهل الكتاب يدل علـــى ان الضريبة غيـــر مستحدثة وهي استمرار للضريبة الساسانية وان اختلفت عنها في المقادير (٢٦٧) ٠ ومن الطبيعي ان يحدث التناقض ـ كما أشار الى ذلك بيكر ـ بيـــن النظرية والتطبيق (٢٦٨) ، والحقيقة ان الحكام وهم يمثلون الطبقة السائدة في مجتمعهم كانوا لا يتورعون عن استغلال الشعوب بمختلف الوسائل ولهذا جاءت تطبيقاتهم للامور مسايرة لاهوائهم لا كما يفسر الفقهاء بل وفي كثير من الاحيان كان الفقهاء يجتهدون في وضـــع أحكام جديدة وتفسيرات مستحدثة لازالة التناقض بين النظرية الدينية وبين تطبيق الحكام ، ولهــذا لا يمكــن اعتبار المؤلفات الفقهية ـ كمـــا نوه لوكيكارد ـ صورة حقيقية لشؤون الدولـــة (★) ٠

لقد كانت الجزية ضريبة طبقية في العهد الساساني ، حيث فرضت على جماهيـــر الشعب ، وأعفيت الارستقراطية والفئة الحاكمة ومن التحق بخدمتها ، من دفعها ٠ اما في العهد الاسلامي (فلا يمكن اعتبارها ضريبة طبقية لان العرب اعتبروا جميع ابنـــاء البلد المغلوب رعية ففرضوا الجزية على جميع المحتفظين بدينهـــــم ، ولهــــذا أنف الارستقراطيون من دفعها واحتجوا بأنهم كانوا معفين منها في السابق وناشدوا العرب

---

(٢٦٢) الماوردي ، وفصل الفيء بأنه (كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ولا بأيجـــاف خيل ولا ركاب فهو كمال الهدنة والجزية وأعشار متاجرهم أو كان واصلا بسبب من جهتهم كمال الخراج ٠٠٠) ، الاحكام السلطانية ، ص ١٢٦ ٠

(٢٦٣) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ ٠

(٢٦٤) الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، ص ٧٩ ٠

(٢٦٥) ابو يوسف ، الخراج (١٣٠٢هـ) ، ص ٧٤ ، يحيى ، الخراج ، ص ٢٧ ، ابو عبيد،الاموال، ص ٣٢ ، الطبري اختلاف الفقهاء ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ٠

(٢٦٦) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٥ ٠

(٢٦٧) راجع الهامش ١٦ والهامش ٣٢ ٠

(٢٦٨) الدراسات الاسلامية ، م ١ ، ص ٢١٩ ٠

(★) الضريبة الاسلامية ، ص ٧٣ ٠

اعفاءهم منها ، كما حصل في اصفهان ، وقد أورد الطبري (★★) قولا لشهربراز ملك الباب حينما خاطب عبد الرحمن بن ربيعة « فلا تذلونا بالجزية » ٠

وضريبة الجزية على غير المسلمين لا تشمل النساء والصبيان والمسنين والمعتوهين وتؤخذ بالسنة مرة وصنفت الى ثلاثة اصناف باختلاف موارد الدافعين واعمالهم وهي ٤٨ درهما و ٢٤ درهما و ١٢ درهما كما فصل ذلك ابو يوسف فيؤخذ منهم على الطبقات على ما وصفت : ثمانية وأربعون درهما على الموسر مثل الصيرفي والبزاز وصاحب الضيعة والتاجر والمعالج الطبيب وكل من كان منهم بيده صناعة وتجارة يحترف بها أخذ من اهل كل صناعة وتجارة على قدر صناعتهم وتجارتهم ٤٨ درهما على الموسر و ٢٤ على الوسط ٠٠٠٠ واثنا عشر درهما على العامل بيده مثل الخياط والصباغ والاسكاف والخراز ومن اشبههم) (٢٦٩) وهذا التحديد الفقهي لنسب المقادير كان عرضة للزيادة كما فعل عبد الملك بن مروان (٢٧٠) ٠

وكان يلحق بضريبة الجزية فروع ملازمة لها فقد فرض على اهل الذمة تقديم الزيت والخل واطعام من يمر بهم من المسلمين لمدة ثلاثة ايام (٢٧١) ، وتقديم الهدايا في الاعياد ٠ ولما كانت الجزية رمزا للصغار والمهانة فكان يرافق جمعها صنوف الاذلال والتعذيب والازدراء (٢٧٢) ٠ وهربا من ثقلها وسوء طرق جبايتها التجأ الذميون الى الاسلام ولكن الامويين فرضوها عليهم رغم اسلامهم (٢٧٣) ، وكان ذلك من أقوى اسباب استياء الشعوب منهم ٠

٣ ــ الضرائب الباقية :

فرض العرب على ابناء الشعوب المغلوبة ، اضافة الى ضريبتي الجزية والخراج، ضرائب اخرى هي : ضرائب النكاح (٢٧٤) وأجور الضرابين وأجور البيوت ورسوم

(★★) تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦٤ ٠

(٢٦٩) الخراج (القاهرة ١٣٤٦هـ) ، ص ١٤٨ ، انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧١ ، يحيى، الخراج ، ص ٢٣ ، أبو عبيد ، الاموال ، ص ٤٠ وص ٦٩ ٠

(٢٧٠) وزادت جزية كل شخص ثلاثة دنانير على ما كانت عليه من قبل ٠

(٢٧١) يقول ابو عبيد : ان عمر ضرب الجزية على اهل الذهب ٤ دنانير وعلى اهل الورق ٤٠ درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام ، الاموال ، ص ٣٩ ، والورق هي الدراهم ، انظر ترتون ، ص ٢٤٠ ٠

(٢٧٢) الاموال ، ص ٤٢ ٠

(٢٧٣) ن٠ م٠ ، ص ٤٨ ٠

(٢٧٤) ن٠ م٠ ، ص ٤٦ ، وذكر ان النكاح يعني به بغايا كان يؤخذ منهن الخراج (يقصد الضريبة)٠

(٢٧٥) الطبري ، تاريخ الرسل (طبع القاهرة) ، جـ ٨ ، ص ١٢٩ ، الدوري ، العصر العباسي الاول ،ص ١٢ ٠

العرائض (٢٧٥) وهدايا الاعياد ، مثل عيد النوروز وهو عيد أول أيام الربيع (٢٧٦) والمهرجان وهو عيد ابتداء ايام الشتاء (٢٧٧) ، وهذه من اعياد الايرانيين وكان الساسانيون يطالبون السكان بتقديم الهدايا فيهما وأبطلت بعد زوالهم وأعيدت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ولما ضج الناس من اعادتها توقف الخليفة عن اخذها (٢٧٨) ، وأعيدت في عهد معاوية ، والذي بلغت هدايا النوروز والمهرجان اليه (من منطقة السواد فقط) عشرة ملايين درهم (٢٧٩) ٠

ومن الضرائب الاخرى أخماس المعادن والضرائب على الصادرات وضريبة الاسواق (٢٨٠) واعشار التجارة ـ ما كان يفرض من العشور على التجارة ـ ، وهي كما يجمع الفقهاء تختلف باختلاف جنسية التجار اذ كانت ١٠٪ على تجارات اهل الحرب (الاجانب) و ٥٪ على تجارات اهل الذمة و ٢،٥٪ على تجارات المسلمين (٢٨١) ، وضرائب الاحداث ـ وهي الغرامات التي تأخذها الشرطة على الجنايات (٢٨٢) ـ وبالاضافة الى هذه الضرائب فان عمال الدولة كانوا يتفننون في نهب وابتزاز اموال الشعب ويجبون لانفسهم ما يعادل او يفوق ما يجبونه للدولة ٠ ولم يحاسبهم الخلفاء على سوء تصرفهم فقد ابتز عبد الرحمن بن زياد ابان امارته على خراسان مبلغا كان يكفي على حد ادعائه ان يعيش مائة سنة وينفق كل يوم ١٠٠٠ درهم (٢٨٣) ٠ ويذكر الاصفهاني ، ابو نعيم ، عن عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي « قدم اصفهان مطفئا للنيران من قبل معاوية وخرج منها الى سجستان فأصاب أربعين الف الف (٤٠ مليون) » (٢٨٤) ٠ وكانت هذه الاساليب الدنيئة في نهب خيرات البلاد ، تجد التشجيع من خلفاء بني امية الذين كانوا يقاسمون ولاتهم فيما ينهبون ، لذا ناء الشعب المحتل ، بجماهيره الواسعة ، من ثقل هذه الضرائب (٢٨٥) ، ولم يقل ثقل الضرائب وسوء استعمال الجباة

(٢٧٦) البيروني ، الاثار الباقية ، ص ٢١٦ ٠

(٢٧٧) ن٠ م٠ ، ص ٢٢٢ ٠

(٢٧٨) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ص ٢٩٠٣ ، الصولي ، ادب الكتاب ، ص ٢٢٠ ، العلي ، التنظيمات ، ص ١٩٧ ٠

(٢٧٩) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ ٠

(٢٨٠) يذكر اليعقوبي : وأمر المهدي بجباية أسواق بغداد وجعل عليها الاجرة وجعل سعيد الحرشي بذلك فكان اول ما جبيت اسواق بغداد ، فكان للمهدي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٢ ٠

(٢٨١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٥٨ ، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٦٨ ٠

(٢٨٢) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٢٨ ٠

(٢٨٣) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج ٤ ، قسم ٢ ، ص ٧٥ ٠

(٢٨٤) الاصفهاني ، ابو نعيم ، كتاب ذكر اخبار اصبهان ، م ٢ ، ص ٩٩ ٠

(٢٨٥) تعتبر ، رحمة الله ، مليحة ان ما يدفع من الضرائب بالبلاد الاسلامية في العهد الاموي هو اقل مما عليه في بيزنطة ، معاملة اهل الذمة ، ص ٤٧ ، ولم تحاول رحمة الله ، مليحة ان تذكر اعتراف المؤرخين والفقهاء المسلمين بفداحة الضرائب وقساوة الامويين في اخذها ٠

لطرق جبايتها في العهد العباسي عما كان عليه في العصر الاموي ، وقد اشار كردعلي: « وأصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الاموال » (٢٨٦) ٠

هنالك قول لعمر بن عبد العزيز ، رواه البلاذري (٢٨٧) وعنه يرويه أبو الفداء (٢٨٨) ، مفاده ان وارد السواد قد هبط في زمن الحجاج بن يوسف من مئة مليون الى اربعين مليون ٠ لكننا نجد مؤرخين آخرين يرون ان جباية السواد كانت بمقادير اخرى، فاليعقوبي يذكر « ولم يحمل الحجاج من جميع العراق الا خمسة وعشرين الف الف (٢٥ مليون) » (٢٨٩) ، اما ابن خرداذبة فيذكر رقم (١٨ مليون) (٢٩٠) ، وعنه نقل المقدسي (٢٩١) الرقم نفسه ، اما الماوردي فقد ذكر « وجباه الحجاج مائة الف الف وثمانية عشر الف الف (١١٨ مليون) بغشمه وخرابه » (٢٩٢) ٠ ولا شك ان هذه الارقام لمقادير الجباية في سنوات مختلفة ، ففي ايام السيطرة التامة للحجاج كانت الجباية تتجاوز الـ ١٠٠ مليون درهم ، واما في ايام الانتفاضات والحروب الداخلية ، حيث يضطرب حبل الامن وتضعف السيطرة ، فيهبط الوارد الى الحضيض ، اذ يهجر الفلاحون المستاؤون مزارعهم وقراهم لفداحة الضرائب وسوء طرق جبايتها ولكساد البضائع الزراعية وهبوط اثمانها (٢٩٣) ، ويتهرب الموالي من دفع الجزية التي ظلت رغم اسلامهم ــ كما وان حرق الديوان ايام انتفاضة ابن الاشعث ومساهمة عدد غفير من الموالي واهل الذمة في تلك الانتفاضة (٢٩٤) وفي انتفاضات غيرها ادت الى هبوط الجباية ٠ غير ان الحجاج ، بعد ان قضى على انتفاضة ابن الاشعث ، اجبر الفلاحين على العودة الى قراهم ومزارعهم وارغمهم على دفع الخراج والجزية مسلمهم وذميهم٠ اننا لا يمكننا ان نتفق مع حتي ، حين يقول : « اما العراق فقد نقص دخل الخزينة فيه من مئة مليون في خلافة عمر بن الخطاب الى اربعين مليون في عهد عبد الملك ٠ وليس من شك في ان كثرة الداخلين في الاسلام كانت من عوامل هذا النقصان » (٢٩٥) ٠ لان

(٢٨٦) كرد علي ، محمد ، الاسلام والحضارة العربية ، جـ ٢ ، ط ٢ ، ص ٢٣٨ ٠

(٢٨٧) فتوح البلدان ، ص ٢٧٠ ٠

(٢٨٨) البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ ٠

(٢٨٩) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ٣٥ ٠

(٢٩٠) المسالك والممالك ، ص ١٤ ٠

(٢٩١) المقدسي ، شمس الدين ، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٣ ، وكذلك تجد الرقم نفسه في كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ، المجلد السابع ، ص ١٠٥ ٠

(٢٩٢) الاحكام السلطانية ، ص ١٧٥ ٠

(٢٩٣) ابو يوسف ، الخراج ، (القاهرة ١٣٤٦هـ) ، ص ١٥٧ ٠

(٢٩٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٧٤ ، أنساب الاشراف ، ص ٢٨٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل، م ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٠٧٢ ، فون كريمر ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٢ ٠

(٢٩٥) تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٣٠٠ ، والملاحظ انه يشير في الهامش الى اليعقوبي مع العلم ان اليعقوبي ذكر ٢٥ مليونا وكان الاجدر ان يشير الى البلاذري ٠ لقد نقلت جيستياكوفا في كراس ، الخلافة العربية ، مقولة حتي ، غير انها جعلت ايران عوضا عن العراق ، ص ٧١ ــ ٢ ٠

النقص كان عرضيا ـ ايام الحروب ـ ولان الحجاج والامويين بصورة عـامة اخذوا الجزية ممن اسلم (٢٩٦) ٠

٤ ـ التجـارة والحـرف

أ ـ التجارة :

نمت التجارة في ايران الساسانيين واصبحت البلاد مركزا تجاريا وحلقة وصل بين آسيا واوروبا ـ طرق الحرير ـ ، ولا سيما بعد تدهور التجارة في بلاد العرب (طرق القوافل المحاذية لساحل البحر الاحمر) واضمحلال الدويلات العربية التجارية ، والتي اصبحت مراكزها التجارية خرائب تشهد على ما كان لها من ترف ونعيم ومركز ممتاز (٢٩٧) ٠ ان التدهور التجاري في بلاد العرب ووجود سلطة مركزية في ايران ساعدا على نمو وازدهار التجارة في ايران حيث اصبحت طرق التجارة تمتد عبر اراضيها الى بحر الخزر والبحر الاسود ومن الخليج العربي الى البحر المتوسط وآسيا الصغـرى ـ الى بيزنطة ٠

كما وان نمو الصناعات والحرف الاولية اليدوية في ايران وتطور البلاد اقتصاديا سببا زيادة الطلب على الحاجيات والكماليات لدى الطبقة الارستقراطية الغنية ٠ وكانت وفرة المعادن في ايران وبلاد القفقاس من العوامـل المهـدة لنشـوء تـلك الصنـاعات والحرف ٠ والمصادر الايرانية حافلة بذكر التجارة والتجار والضرائب المفروضة على التجارة والمعاهدات التجارية كالتي عقدت بين انوشروان والامبراطور جستنيان (سنة ٥٦٢م) (٢٩٨) ٠ ويعدد كريستنسن اهم البضائع التي كانت تشتريها الصين من ايران كالكحل الايراني والسجاجيد والاحجار الكريمة السورية الطبيعية والصناعية والمرجان واللؤلؤ من البحر الاحمر والاقمشة المنسوجة في الشام ومصر والمواد المخدرة من آسيا الوسطى ٠ وكان الحرير اهم اصناف تجارة الترانزيت عند الايرانيين (٢٩٩) ٠

وكانت بلاد القفقاس ممرا لطرق قوافل التجارة حيث عبرها كانت ترد الى ايران من روسية جلود الثعالب السود (٣٠٠) والسمور الاسود كما وينقل من أرمينيا البسط والتكك والانماط والمقاعد ، ومن آذربيجان المحاصيل والمعادن ٠ لهذا كانت مدن ايران

---

(٢٩٦) الاموال ، ص ٤٨ ، لويس ، العرب ، ص ٩٦ ٠

(٢٩٧) حول تأثير تغير طرق قوافل التجارة في الدويلات التجارية العربية انظر رسائل كـارل ماركس لفردريك انكلز ، المؤلفات ، ٢١ ، ص ٤٩٤ ، بليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٣ ، زاخودير ، تاريخ الشرق ، ص ١٩ ، توما ، العرب والتطور ، ص ٢٧ ـ ٨٠ ٠

(٢٩٨) كريستنسن ، ايران ، ص ١١٣ ٠

(٢٩٩) ن٠ م٠ ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ٠

(٣٠٠) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٦٢ ٠

تعج بحركة التجار وصغار الباعة والذين كـــانوا يتبادلون السلـــع ويتناقلون اخبار العالم (٣٠١) ٠

ولما احتلت الجيوش العربية ايران وآذربيجان وارمينيا وبـــلاد أواسط آسيا ، ازدهرت التجارة ونمت (٣٠٢) ، اذ ان انتقال السلطة والنفوذ الى المدينة ومنها الـــى دمشق فبغداد لم يسبب التدهور التجاري بل العكس فان الجيوش العربية كـــانت خير حارس لطرق التجارة ولو ان التجار والباعة الصغار لم يسلموا من استغلال ومضايقات الارستقراطية والسلطة العربية شأنهم شأن اسلافهم الذين شملتهـــم مظالـــم السلطة الساسانية واستغلال الارستقراطية الايرانية ٠ ولهذا نجد ان الكثرة الكاثرة من التجار الصغار وصغار الباعة والعاملين في الاسواق ينضمون ، في العهود الاسلامية ، الى كثير من الثورات ٠ ان اهم ما يصدر من آذربيجان فـــي العهـود الاسلامية ، الرقيق والاغنام والدواب والعسل واللوز والجوز والحرير والشمع (٣٠٣) ، ومـــن أرمينيا ، ثياب الماعز والصوف وبسط ووسائد ومقاعد وتكـــك والستـــور والمساور والمسانـد والديباج وثياب الكتان والرقيق والدواب والاغنام (والرقيق وجلـــود الثعالب السود «من روسية» (٣٠٤)) ، ومن ايران ، الزعفران والحرير والقطن والفضـــة والسجاد والزيوت العطرية ونسيج الكتان وطراز الوشي والثياب والكلـــل والستور والمصليات والحصر والمناديل والقصاع والامشاط والرقيق والغلمان وجلود الثعـالب (من آسيـا الوسطى وروسية) (٣٠٥) ٠

ب ـ الحـرف :

كان من تأثير تطور الزراعة وانتشارها واتساع تربية الدواجن ازديـــاد الطلب على المعادن بسبب تقدم المجتمع ، فكان من جراء ذلك ظهور صناعة التعدين وقـد مهد ظهورها وجود المعادن في ايران وآذربيجان وأرمينيا ٠ ان تطـــور الزراعة قـــد حتم الاهتمام بشؤون الري وتوزيع المياه ، التي تتطلب اعمال انشـــاء الســـدود والقنوات والقناطر « لان الظروف المناخية وطبيعة السطح الخاصة ـ كما كتب ماركس ـ قـــد جعلت نظام الارواء الاصطناعي بالقنوات ومنشآت الري اساسا للزراعة في الشرق » (٣٠٦) ، وقد اكد انجلز ، في رسالته الى ماركس بأن الشرط الاول للزراعة في الشرق

(٣٠١) بيكولفسكايا ، تاريخ ايران ، ص ٧٢ ٠

(٣٠٢) بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ ٠

(٣٠٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٣٩ ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ ٠

(٣٠٤) ابن حوقل ، ص ٢٤٢ ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ ـ ٤ ٠

(٣٠٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ ٠

(٣٠٦) كارل ماركس ، الامتلاك البريطاني للهند ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، المؤلفات ، المجلـد التاسع ، الطبعة الثانية ، ص ١٣٢ ٠

هو طريقة الارواء الصناعية (٣٠٧) ، وكان الايرانيون يستخدمون اسرى الحروب في هذه الاعمال ، فيذكر اليعقوبي عن الملك سابور بن أردشير « ٠٠٠ وأسر خلقا من الروم فبنى مدينة جنديسابور وأسكنها سبي الروم وهندس له رئيس الروم القنطرة التي على نهر تستر » (٣٠٨) ، كما واستخدم الاسرى في بناء المدن واسوارها وقصور الملوك ، وبذا تطورت الاعمال الهندسية وتفرعت اعمال البناء وصنع الطابوق ونحت الصخر ٠ ولما كان ينبت في ايران قصب السكر (٣٠٩) والقطن والكتان وتربى فيها الاغنام وكذا الحال في آذربيجان وارمينيا ، لذا نشأت صناعات النسيج الصوفي والقطني والكتاني وكذلك صناعات السجاد في ايران والبسط في ايران وأرمينيا ، وقد بين بارتولد الغاية من حمل سكان المدن السورية الى ايران كأنهم اسرى ترقية لصناعة النسيج وكذلك استفادوا من صناع روما المأسورين في انشاء الاستحكامات وتنظيم اعمال الري(٣١٠)٠ ترد في كتب التاريخ اشارات الى رئيس الصاغة وكبير الصناع ورئيس البنائين ورئيس المشتغلين بالرصاص ورئيس صاغة الفضة (٣١١) ، لكن هذه لا تدل على وجود تنظيمات تشبه النقابات وانما كان يختار كبير المهنة ليمثل جماعته وليحسم المنازعات بينهم (٣١٢) ٠

اما في العهد الاسلامي فقد نمت الصناعات وازدهرت لازدياد ترف المجتمع وتكاثر احتياجاتهم نتيجة الغنى الذي نجم عن الفتوحات ٠ ولما كانت ايران غنية بمعادنها ــ كما يقول ابن حوقل ــ : وبفارس عامة المعادن من الفضة والحديد والانك والكبريت والنفط ٠٠٠ الا ان الفضة قليلة وبها معدن ذهب ومعدن صفرها بالسردن يحمل منها الى البصرة وغيرها والحديد بجبال اصطخر وكذلك الزيبك (٣١٣) ــ وفي آذربيجان وأرمينيا المعادن (٣١٤) والمحاصيل المستخدمة في النسيج ، ولهذا نمت في هذه البلدان الحرف٠

(٣٠٧) رسالة انكلز الى ماركس (حزيران ، ١٨٥٣م) ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، الرسائل المختارة ، موسكو ، ١٩٥٣م ، ص ٧٤ ــ ٥ ٠

(٣٠٨) تاريخ اليعقوبي ، (بيروت ١٩٦٠م) ، ص ١٥٩ ٠

(٣٠٩) انظر ما ذكره البيروني عن صناعة السكر ، الاثار ، ص ٢١٦ ٠

(٣١٠) الحضارة الاسلامية ، ص ١١ ، والترجمة العربية ، ص ١٥ ٠

(٣١١) بيكولفسكايا ، مدن ايران ، ص ٢٢٢ ٠

(٣١٢) ن٠ م٠ ، ص ٢٢٢ ٠

(٣١٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢١٥ ، انظر مقالة لوكهارت *L. Lockhart* عن اقليم الجبال في دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٢ لسنة ١٩٦٣ م ، ص ٥٣٤ ٠

(٣١٤) ذكر المسعودي في كتابه ، التنبيه والاشراف ، عن بحر الخزر ٠٠٠ وعليه ايضا الموضع المعروف بباكه وهي النفاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والابواب ومن هنالك يحمل النفط الابيض وهنالك آطام وهي عيون النيران تظهر من الارض وفيه جزائر مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كبيرة ترى في الليل على مسافة نائية ٠ ، ص ٦٠ ٠ ولا شك ان المحل المقصود هو محل مدينة باكو الحالية ٠ وقد سماها الايرانيون قديما باد كوبه وتفسيرها : باد معناها ريح وكوبه من فعل كوبيدن ضربه وبهذا يكون اسمها ضرب الريح لشدة هبوب الرياح فيها ثم سميت شهر سبايل لوجود محل بقرب المدينة يسمى بايل ثم سميت باكو ٠

لقد كانت حالة الحرفيين سيئة لا تطاق حيث شملهم الاستغلال الطبقي والتعسف الحكومي كما وان الارستقراطية العربية كانت تحتقر ذوي المهن ويشار اليهم بازدراء ولهذا كانوا من اوائل الملبين لنداءات الثورات ، جاء في الكامل للمبرد عن الخوارج (واقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فاذا حشوة من قصار وصباغ وداعر وحداد »(٣١٥)٠

٥ ـ نظرة العرب الى سواهم من الامم المغلوبة

ورثت الارستقراطية العربية الحاكمة التبعية الاقطاعية في البلاد التي استولي عليها ، فتكونت لديها روح الاستغلال وحب التسلط وكراهة الشعوب واحتقار المهن واعتبرت ابناء الشعوب تابعين (ارقاء) لهم بحكم الفتح وبذا اعتبرت اهل البلد المفتوح دون العرب منزلة ، ولم يكن هذا من جراء اختلاف في العقيدة او الدين وانما يعود الى طبيعة المستغلين الذين يتعالون ويترفعون على من سواهم ، لهذا نجد ان اسلام اهل البلد المفتوح لم ينجهم من احتقار وازدراء السادة العرب لا سيما اذا كانوا من اصحاب المهن ، اما اشراف العجم (الاجانب) فكانوا يلاقون معاملة طيبة نتيجة مراكزهم وخدماتهم للعرب وقد قال احدهم لعربي : الشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم (٣١٦) ٠

١ ـ الموالي :

كثر الرقيق بسبب الاسر وكان ذلك من نتائج الفتوحات العربية ، ثم تكاثر عددهم بعدئذ بطريق الشراء ، وكان استخدام العبيد واستغلالهم شيئا مألوفا في العهود الاسلامية ٠ واذا كان الارقاء من اهل البلد المفتوح غير مسلمين فان اسلامهم لا يغير من طبيعة علاقتهم بسادتهم ملاك العبيد (٣١٧) ، اذ تبقى عبوديتهم ٠ اما اذا أعتق العبد فيعتبر مولى لسيده (٣١٨) سواء كان مسلما ام غير مسلم ٠ واستخدم هذا المصطلح ـ المولى ـ وجمعه موال ـ للدلالة على اهل البلد المفتوح الذين يدخلون الاسلام ٠ وكان على المسلمين الجدد ان يلحقوا انفسهم او يربطوا علاقتهم بقبيلة من القبائل العربية فيقال عنهم مثلا موالي بني سليم او بني سعد او موالي تميم ، غير ان هذا الولاء لم

---

(٣١٥) ـ ص ٦٢٩ ، انظر العلي ، التنظيمات ، ويعلل انضمام الحرفيين من الموالي بسبب اضطراب التجارة وازدياد البطالة ، ص ٨٤ ٠ لكننا نرى ان الظلم الشديد والاستغلال الفظيع هما اللذان دفعا بهم للمساهمة في انتفاضات عديدة ٠

(٣١٦) رسائل البلغاء ، باعتناء كرد علي ، ص ٢٧٠ ٠

(٣١٧) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٦٠ ٠

(٣١٨) احمد امين ، فجر الاسلام ، ط ٦ ، ص ٨٩ ٠

يمنحهم الاعتبار او التقدير او يرفع مكانتهم (٣١٩) الى من ينتمون اليهم بالولاء ٠ ولقد اختلف الفقهاء في اهل البلد المفتوح هل هم جميعا أرقاء ؟ ام هم أحـرار ولكن تربطهم روابط تبعية ؟ (٣٢٠) الا ان المعلومات تشير الى ان اهل البلد المفتوح قد فقد اغلبيتهم حريته الشخصية بحكم الاحتلال وكانت تسود العلاقات الاقطاعية وكـان الاستغلال الاقطاعي مقرونا باستخدام العبيد (٣٢١) واعتبر أبناء البلد موالي وليس أرقاء ٠

وبالرغم من اسلام قسم من اهل البلد المفتوح فانهم لم يتمتعوا بامتيازات (٣٢٢) العرب ، فقد حرموا من العطاء وبقيت عليهم الضرائب السابقة ، او خفضت ولكنها ظلت اعلى نسبيا مما على العرب المسلمين (٣٢٣) ثم اعيدت عليهم تلك الضرائب وبزيادة ، وكانوا محرومين من التوظف في الوظائف الرئيسية فـي الادارة والجيش (٣٢٤) ، ومنعوا من ركوب الخيل في الحروب بل كان عليهم ان يحـاربوا رجالة ، ومنعوا مـن الزواج بالعربية وعاقبوا من تجرأ على الزواج بهن ، كما حدث لاعراب بني سليم في الروحاء فانهم جاؤوا الروحاء فخطب اليهم بعض مواليها احدى بناتهـم فزوجوه ، فوشى بعضهم الى والي المدينة بذلك ففرق الوالي بين الزوجين وضرب المولـى مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه (٣٢٥) ، وكانت السلطة العربيـة والارستقراطية العربية تشجعان الادباء على النيل من كرامة ومكانة الموالي فكـان ان قذفـوا بأبشـع الشتائم والنعوت والصفات الرذيلة حتى كانوا يقولون لا يقطع الصلاة الا ثلاثة : حمار او كلب او مولى ، لذا كان الموالي يشعرون بالاحتقار والازدراء والاذلال رغم اسلامهم وكان مما يزيد في ألمهم حسن معاملة الارستقراطية العربية واحترامها لمالكـي الارض ممن بقوا على اديانهم بينما كان الموالي ــ وغالبيتهم من المعدمين ــ يقـابلون بالاحتقار والازدراء مع انهم من المسلمين ٠ لقد اشتـد كره واستعـلاء واستغـلال الارستقراطية القبلية العربية للموالي في العهد الاموي ولهذا نقم الموالي علـى السلطـة العربية ــ الامويين ــ ٠ ويشير ولهاوزن الى ان الموالي كانوا :

---

(٣١٩) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ١ ــ عثمان ــ ص ٣٧ ٠

(٣٢٠) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٥ ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٣٧٣ ، ابو عبيد، الاموال ، ص ٤٨ ٠

(٣٢١) جوزي ، بندلي ، ص ٦٥ ، وينقل الخربوطلي ، كلام جوزي دون الاشارة اليه ويتصرف بـه بحيث يفهم منه (الموالي كانوا يأتون بهم بألوف ويجبرونهم على العمل وسط المستنقعات)، تاريخ العراق ، ص ١٦٠ ٠ ان الموالي ، وبهذه الحالة ، اصبحوا عبيدا ويجلبون ! بينما نص جوزي هو : ٠٠٠ يستغلونها (الاراضي المغتصبة من قبل الامويين) بواسطة علـوج البلاد او زنوج افريقية الذين كانوا يأتون بهم بالالوف من بلادهم ويجبرونهم ٠٠٠ فكـلام جوزي (الذين كانوا يأتون بهم بالالوف) يعود على زنوج افريقية وليس على العلوج ٠ والعلوج هم اهل البلد ٠

(٣٢٢) لويس ، العرب ، ص ٧٩ ، العلي ، التنظيمات ، ص ٨١ ٠

(٣٢٣) الدوري ، مقدمة ، ص ٧٧ ، الخربوطلي ، تأريخ العراق ، ص ٢٥٥ ٠

(٣٢٤) كان ذلك في العصر الاموي اما في العصر العباسي فقد اعتمدت السلطة العباسية عـلى الارستقراطية الايرانية واسندت اليها كل الوظائف بما فيها الوزارة ٠

(٣٢٥) زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٤ ، ص ٨٨ ٠

يصرخون على الابواب طالبين حقوقا مساوية لما للعرب وكان الاسلام معهم (٣٢٦) ٠ والحقيقة ان الموالي كانوا يلقون التأييد من معدمي العرب المسلمين ، الذين كانوا يلاقون الاستغلال والبطش والتعذيب (شأنهم شأن الموالي) من الارستقراطية العربية والسلطة الاموية والعباسية ، لان الارستقراطية المستغلة كانت تستغل الجماهير عربها واجنبيها ، الا ان استغلال الاجانب كان يرافقه الازدراء والتحقير ، ولهذا كان الموالي مرتعا خصبا لكل حركة ثورية (٣٢٧) ، فساهموا في اغلب الانتفاضات والثورات ضد بني امية ومن ثم ضد بني العباس ٠

ب ـ أهل الذمة :

اعتبر العرب أبناء البلد المحتل المحتفظين بدينهم ، أهل ذمة ، اي انهم في عهد وأمان ـ حسب التفسير الفقهي ـ لقاء ما يدفعون من ضرائب فرضت عليهم ، وقد كانت الجزية وملحقاتها ـ كما شاهدنا مرهقة ورمزا للصغار ٠

كان الذميون ـ غالبيتهم من الفلاحين ـ يمتهنون حرفا مختلفة ، عدا الزراعة ، في البناء والحياكة والنسيج والحدادة والصياغة والطبابة ومهن اخرى ، ويتكسبون بأعمال البيع والشراء ويتعاطون التجارة ٠ وكان على الذميين تقديم الخل والزيت وضيافة من يمر بهم من المسلمين لمدة ثلاثة ايام (٣٢٨) ، وأهم ما يقدمون لهم من الطعام الخبز والثريد والتوابل والزيت والخضراوات المطبوخة والسمك او اللحم وما تيسر وجوده (٣٢٩) ، وتقديم العلف لحيواناتهم ، وقيامهم بأعمال السخرة كالعناية بالطرق والجسور والاسواق ، فقد كتب الطبري : فكان الفلاحون للطرق والجسور والاسواق والحرث والدلالة مع الجزاء عن ايديهم على قدر طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن ايديهم والعمارة وعلى كلهم الارشاد وضيافة ابن السبيل (٣٣٠) ٠

وبالاضافة الى الضرائب والواجبات والاعمال الاضافية كان أهل الذمة عرضة لصنوف العذاب والتحقير ، ولا سيما في فترة الحكم الاموي فيروي ابو يوسف ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عامل له : أما بعد فلا تدعن صليبا ظاهرا الا كسر ومحق ولا يركبن يهودي او نصراني على سرج وليركب على اكاف ، ولا تركبن امرأة من نسائهم على رحالة وليكن ركوبها على اكاف ٠ وتقدم في ذلك تقدما بليغا وامنع من قبلك فلا يلبس نصراني قباء ولا ثوب خز ولا عصبة (٣٣١) ٠ ولم يعارض الفقهاء أمثال هذه الاجراءات

---

(٣٢٦) الدولة العربية ، ص ٢٤٩ ٠

(٣٢٧) لويس ، اصول الاسماعيلية ، ص ٤٨ ٠

(٣٢٨) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٧ ٠

(٣٢٩) ن٠ م٠ ، ص ٢١٧ ، ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٤٠ ٠

(٣٣٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٤٧٠ ٠

(٣٣١) الخراج ، ط ٣ (١٣٨٢ هـ) ، ص ١٢٧ ، أيضا ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٣ ٠

بل أفتوا بها وبما يشابهها ، فقد قال ابو حنيفة (٣٣٢) وأصحابه « ينبغـــي ان لا يترك أحد من اهل الذمة يتشبه في لباسه ولا مركبه ولا فـــي هيئتـــه بالمسلمين ٠٠٠ وان لا يلبسوا طيالسة مثل طيالسة المسلمين ولا أردية مثل أردية المسلمين » (٣٣٣) وقد لخص الماوردي الشروط التي افترضها الفقهاء والحكام على أهل الذمة بما يلي : أحدها تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار ٠ والثاني ان لا يعلوا على المسلمين في الابنية ويكونوا ان لم ينقصوا مساوين لهم ٠ والثالث ان لا يسمعوهم اصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عزير والمسيح ٠ والرابع ان لا يجاهروهم بشرب خمور ولا باظهار صلبانهم وخنازيرهم ٠ والخامس ان يخفوا دفن موتاهم ولا يجهروا بندب عليهـــم ولا نياحة ٠ والسادس ان يمنعوا من ركوب الخيل عناقا وهجانا ولا يمنعوا مـــن ركـــوب البغال والحمير (٣٣٤) ٠ وبهذا أجبر العرب أهل الذمة على لبس ألبسة معينة وعلى السكن في دور موصوفة وعلى طريقة خاصة في ركوب بعض الحيوانات وتـــدخلوا في طقوسهم الدينية ومنعوهم من تجديد او بناء البيع الكنائس الجديدة ٠ وكان عليهم ان يدفعوا كل الضرائب (٣٣٥) ويقوموا بأعمال السخرة وكانوا ملزمين بالخضوع التـــام للقوانين التي فرضت عليهم والتي تقضي بحرمانهم من بعض الحقوق الاجتماعية والمالية(٣٣٦)٠ بل ان فون كريمر يذكر ان السكان غير المسلمين لم تكن لهم حقوق تقريبا (٣٣٧)٠ويرى ترتون ان اهل الذمة كانوا يدفعون ــ في بداية الفتح الاسلامي ــ ضرائب لا تزيد عمـا كانوا يدفعونه للحكومات السابقة ، « بيد ان هذا القدر من الضرائب أخذ يزداد شيئا فشيئا وتثقل وطأته على مر الايام » (٣٣٨) ، وهذا ما شاهدنا بالفعل حيث زاد كميتها (الضرائب) عبد الملك بن مروان (٣٣٩) ٠ ولم تتحسن احوال اهل الذمة بعـــد سقوط الدولة الاموية اذ ان العصر العباسي كان حافلا بالمضايقات والتعسفات التي حلت بأهل الذمة ولا سيما في عهدي المأمون والمتوكل ٠ وعلى نقيض ما ذهبنا يرى لوكيكارد بأن للذمي ــ مع بعض الاستثناءات ــ نفس حقوق وواجبات المواطن المسلم (★) ٠

(٣٣٢) الفقيه ، النعمان بن ثابت ٠

(٣٣٣) ابو يوسف ، الخراج ، (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٥١ ــ ٢ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢٤٠، الماوردي، الاحكام السلطانية ، مخطوط ، الورقة ١٠٤ ٠

(٣٣٤) الاحكام السلطانية ، ص ١٤٥ ٠

(٣٣٥) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٤٥ ، زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٤ ، ص ٩١ ، جوزي، بندلي ، ص ٤٣ ٠

(٣٣٦) لويس ، العرب ، ص ١٠٨ ٠

(٣٣٧) الحضارة الاسلامية ، ص ٦٩ ٠

(٣٣٨) ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٥٤ ــ ٥ ، انظر لويس ، العرب ، ويذكر : بان اهل الذمة كـانوا يدفعون قدرا من الضرائب اعلى مما يدفعه المسلم ، ص ١٣٢ ٠

(٣٣٩) انظر الهامش (٢٧٠) ٠

(★) الضريبة الاسلامية ، ص ٨٤ ٠

جـ ـ الشعوبية (٣٤٠) :

مدرك يطلق على تيار فكري يمثل الشعوب المغلوبة الفكري والاجتماعي ضد التسلط الاموي والعباسي وضد التعصب (الشوفيني) ، ضد أحتقار الشعوب غير العربية ٠ فكان هدف الصراع في العصر الاموي والجزء الاول من العصر العباسي الاول هو تحقيق المساواة بين الشعوب (٣٤١) والاعتراف بها ولتحقيق كرامتها ٠ وقد تجاوز الشعوبيون هذا المطلب النبيل بعدئذ ـ اي في العصر العباسي ـ الى احتقار شأن العرب القدامى وامتهان مكانتهم السابقة (٣٤٢) ٠

ولهذا يجب الاحتراس من تعميم مفهوم الشعوبية ، اذ ان الشعوبية ليست واحدة لدى طبقات المجتمع المختلفة (٣٤٣) (غير العربية) وليست هذه الشعوبية ذات طابع واحد في كلا العهدين الاموي والعباسي ٠

يحاول كثير من المؤرخين والباحثين اخفاء الفارق بين طبيعتي الشعوبية لطمس

(٣٤٠) انظر العزيز ، حسين قاسم ، مقالة الشعوبية ، مجلة الغد ، العدد الثالث ، براغ ، ١٩٦٤م، ص ٢٤ ـ ٣٢ ٠

(٣٤١) الجاحظ (ومن يتحلى باسم التسوية) البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ٥ ، كريمر ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ، ص ٨٦ ، الآلوسي ويذكر « قالت الشعوبية : انا ذهبنا الى العدل والتسوية وان الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد » ، بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٦٤ ، وذكر عن الشعوبية ايضا : « من سموا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل » ، بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٥٩ ، انظر احمد امين ، ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ط ٥ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، وقد كتب في ص ٥٤ « جاء في العقد الفريد : الشعوبية وهم اهل التسوية » ، وفي ص ٥٦ يذكر « وجاء في الصحاح (الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم) » ، راجع توما ، اميل ، العرب والتطور ، ص ٣٤ ٠

(٣٤٢) انظر الاغاني ، جـ ٢ ، ص ٧٨ ، جـ ٩ ، ص ١٠٤ ، جـ ١٢ ، ص ١٥٦ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ٣٨٣ ، جـ ٢ ، ص ٥ ، جـ ٣ ، ص ٥ ـ ١٢٥ ، جـ ٤ ، ص ٣٥٩ ، الآلوسي ، بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٥٩ ، كريمر ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ، ص ٨٦ ، كولدتسهير ، ويرى بان الشعوبيين قد تأثروا بمبادىء الخوارج (اهل التسوية) في مسألة المساواة بين الشعوب ، الدراسات المحمدية (بالالمانية) ، جـ ١ ، ص ١٤٧ـ١٧٤ ، كرد علي : الشعوبية قوم متعصبون على العرب مفضلون عليهم العجم، الاسلام والحضارة، جـ ١ ، ط ٢ ، ص ٣٥ ، انظر احمد امين ، ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ط ٥ ، ص ٦٥ـ٧٠ ، ويذكر شريف ، محمد بديع « فاندفعوا الى دراسة الادب واللغة والقرآن والحديث ودراسة الانساب خاصة ليضعوا على العرب من المثالب ما يريدون » ، الصراع بين الموالي والعرب ، ص ٣٣ ٠

(٣٤٣) لا يعترف الدوري باختلاف اهداف ابناء الطبقات المختلفة من حركة الشعوبية ، الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ٧٩ ٠

الجانب النضالي لدى الشعوب المغلوبة ، وابراز الجانب الكالح البغيض المغـــرق في الرجعية من الشعوبية بمظهر الاساس او الكل او الشمول · كتب الدوري فــي كراسه الذي ألفه لهذا الغرض : بدأت الحركة الشعوبية في الفترة الاموية الاخيــرة واندفعت بقوة في العصر العباسي ، وهي تمثل جانبا من محاولات شعوبية غير عـــربية لضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة · فهي في اندفاعها تتكشف عن صراع ثقافي ديني واسع (٣٤٤) · يحاول الدوري ـ هنا ـ جعل طبيعة الشعوبية واحدة في العهدين الاموي والعباسي · ويحاول طمس الفوارق الطبقية ولهذا يجعل كفاح الطبقات واحدا ويحصر اهدافها (الطبقات المختلفة) في هدم السلطان العربي واضعاف الاسلام ، اي يجعله في اطار العنصرية والطائفية ليخفي الظروف والعوامل الاقتصادية فيقول : ان الشعوبية ليست حركة فئة او طبقة اجتماعية ـ ان جاز التحديد ، بل انها تمثل اجتماع الجهد الذي بذلته فئات مختلفة من شعوب متعددة لزعـــزعة السلطان العـــربي · او الاسلام وارباكه ولصد تيار الثقافة الاسلامية ولنسف التراث كما حاولت تركيز الوعي السياسي والديني بين صفوفها واحياء تراثها الثقافي (٣٤٥) · وهنا لم يحاول الدوري ان يتطرق الى حقيقة كون واقع كل طبقة وظروفها الموضوعية ومصالحها الطبقية حتمت تباين اشكال نضالاتها كخط عام ، ولو ان تحالفا ـ مؤقتا ـ كان يحصل بينهـا لفترات من اجل تشديد النضال للحصول على نصر حاسم بأسرع وقت · ويصر الدوري عـلى ان الشعوبية (بأهدافها التي حددها هو لمختلف الطبقات) تتصـــف بالشمول ، فهــي واحدة لدى كل الطبقات فقد كتب : وكل محاولة لاكسابها صفة طبقية او لحصرها في فئة اجتماعية معينة انما يناقض طبيعتها وشمولها (٣٤٦) · ان اعتبار طبيعة الشعوبية واحدة في كل العهود ـ من قبل الدوري ـ يعود الى شكه في دعوة الشعوبية للمساواة فقد كتب : وقد ظهرت الحركة في العصر الاموي في اطار الاسلام وبدأت وكأنها تحمل روحا اسلامية حين دعت الى مساواة الشعوب الاخرى بالعرب في الادارة والمجتمع ثم انكشفت اهدافها الحقيقية في العصر العباسي (٣٤٧) · ويعلل الدوري شكه في طلب الشعوبيين للمساواة في العصر الاموي ، من استمرار كفاح الشعوبيين فــي العصــر العباسي (رغم ان العباسيين قد حققوا للشعوبيين ـ كما يزعم ـ المساواة) فنسمعــه يقول : وبعد كل هذا يجدر بنا ان نتذكر ان ثورات الموالي والأعاجم وحركاتهم كانت في العصر العباسي أكثر وأخطر منها في العصر الأموي وهي وان كــانت تحت ألوية عربية وباسم أحزاب عربية في العصر الاموي فانها كشفت عن حقيقتها في العصر العباسي·· وهذه ظاهرة يتعذر تفسيرها اذا أخذنا بالرأي القائل بأن هـــدف المــوالي كان تحقيق المساواة الاجتماعية او الاشتراك في الادارة لان العباسيين حققوا ذلك الى درجة كبيرة وواسعـــة (٣٤٨)·

....

(٣٤٤) ن· م· ، ص ٩ ·

(٣٤٥) ن· م· ، ص ١٣ ، انظر ايضا مقالة الدوري (الجذور التاريخية للاشتراكية العربية) في مجلة الاداب اللبنانية ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٥ ، ص ٢١ ·

(٣٤٦) الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ٧٩ ، مجلة الاداب ، العدد الثالث، آذار ١٩٦٥، ص ٢١ ·

(٣٤٧) الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ٩ ·

(٣٤٨) ن· م· ، ص ٢١ ·

وفي هذا مغالطة كبيرة لان العباسيين حققوا ذلك (الاشتراك في الادارة) للارستقراطية الايرانية فقط، أما جماهير ايران فلم تنل شيئا من تغيير السلطة، والدوري يعرف ذلك جيدا ولكنه تناساه متعمدا ليستغفل القارىء البسيط اذ انه هو الذي كتب سابقا : ــ ولكن المثل الأعلى للمساواة والعدل ظل وهما اذ لم يحقق العباسيون وعودهم فاستمر العسف والجور واستمرت الثورات (٣٤٩) ، وهو الذي كتب أيضا فلم يعمل العباسيون ما يذكر لتخفيف الضغط الاقتصادي والاجتماعي على جماهير الايرانيين فلم يرضخ هؤلاء لوضعهم (٣٥٠) ، وهو القائل أيضا (واعتمد العباسيون على القوة أكثر من الامويين في تنفيذ رغباتهم وسياستهم) (٣٥١)٠

اننا لنستغرب كيف نسي الدوري أقواله السابقة هذه ويحلو لنا أن نذكره بقول آخر له : وفي الشرق الادنى كان في نظام الضرائب من العسف في الجباية والزيادة في الضرائب وسوء المعاملة ما كان دافعا هاما لكثير من الثورات في العصر العباسي الاول (٣٥٢) ٠ ان شك الدوري في طلب الشعوب للمساواة في العصر الاموي جاء من نكرانه لتعصب الامويين وتشككه من ارهاق الامويين للموالي بالضرائب (اما ما يذكر عن ارهاق الموالي بضرائب جديدة فتبين ان الامويين لم يتجاوزوا الضرائب المعروفة الموروثة كهدايا النوروز والمهرجان والضرائب على الصناعات والحرف وهي ضرائب مألوفة من قبل وليس لدينا ما يشعر بأنهم زادوا في مقدار الضرائب مع ان تحديد الكمية تدبير اداري) (٣٥٣)٠

ولا حاجة بنا لان نعيد ما ذكرناه عن الضرائب غير اننا نقول بأن قوله هذا يناقض أقواله في كتابه العصر العباسي الاول الصفحات ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ ٠ وفي كتابه مقدمة في تاريخ صدر الاسلام الصفحات ٧٧، ٨٤، ٨٥ ٠ وهو نفسه سبق وان كتب : واحتقر الامويون بتأثير العصبية جميع الاقوام غير العربية وعدوهم في منزلة اجتماعية أدنى من العرب وأبعدوهم لذلك عن السياسة والقيادة وفرضوا عليهم من الضرائب أكثر مما فرضوه على العرب (٣٥٤)٠

ان محاولات الدوري الاخيرة (في آخر انتاج له ــ الجذور التأريخية للشعوبية) البائسة في تشويه نضالات الشعوب ضد التسلط الاموي بتصويره كفاحا عنصريا ضد العرب وطائفيا ضد الدين الاسلامي لتناقض جميع أقواله في مؤلفاته السابقة وتنهار أمام الحقائق الناصعة ، فان الجماهير الايرانية ساهمت ــ كما شاهدنا (٣٥٥) ــ

(٣٤٩) العصر العباسي الاول ، ص ٤٤ ، وقد سبق الدوري في هذا القول فان فلوتن ، السيادة العربية ، ص ١٣٢ ، ولم يشر الدوري الى السيادة العربية ٠

(٣٥٠) دراسات في العصور العباسية ، ص ١١ ٠

(٣٥١) العصر العباسي الاول ، ص ٤٤ ٠

(٣٥٢) دراسات في العصور العباسية ، ص ١٧ ٠

(٣٥٣) الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ١٧ ٠

(٣٥٤) مقدمة ، ص ٧٧ ٠

(٣٥٥) مع الخوارج والشيعة ومع ابن الاشعث والحارث بن سريج وغيرهم ٠

بانتفاضات قادها العرب، ناشدة اصلاح اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية السيئة، كما وساهمت هذه الجماهير في نضال فكري واجتماعي أيضا مطالبة بالمساواة بين الشعوب وهو ما يدعى بالشعوبية . وكان من جراء التعصب العنصري (الشوفيني) من قبل الأرستقراطية القبلية العربية ، الاموية المستغلة ، واحتقارها الشعوب الاخرى (٣٥٦) وخاصة الشعب الايراني ، أثر في نشوء حركة الشعوبية ، وكانت هذه الحركة النامية بين أفراد الطبقات المضطهَدة ذات طابع تقدمي ، لأنها كانت تنشد الدفاع عن كرامة الشعب واظهار مآثره ورفع الاحتقار والانتقاص من شأنه ، وكانت الغالبية العظمى من المدافعين عن حقوق وكرامة الشعب تنشد مختلف السبل لاظهار شعبها بمظهر لا يختلف عن بقية الشعوب ، وكانت هذه الغالبية من الكادحين ، يقول ابن قتيبة : ولم أر في الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد نصبا للعرب من السفلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى (٣٥٧) ، ومن هذا نرى ـ بالرغم من تحامل ابن قتيبة واحتقاره للمعدمين (٣٥٨) ـ ان ابن قتيبة يحصر المدافعين بشدة عن كرامة الشعب بين الطبقة الكادحة ولا عجب في ذلك فان الانتهاكات الفظيعة والاحتقار المزري والتعصب الشديد انما يقع بشدة وبصورة أوسع على الطبقة الكادحة المعدمة الفقيرة من فلاحين وحرفيين وبقية الكسبة من أبناء المدن من باعة وصغار التجار . هؤلاء كانوا في مقدمة من نالهم الخسف والهوان والتعسف والاستغلال . فكانوا الفصائل الاولى التي دافعت عن حقها في الحياة بعزة وكرامة وطالبت بالمساواة بين السلالات والشعوب فكانوا يقولون : انا ذهبنا الى العدل والتسوية وان الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد (٣٥٩). لهذا يمكننا ان نقول ان طابع ما يسمى بالشعوبية في العهد الاموي ـ تقدمي لأن كادحي ايران كبقية الكادحين كانوا يناضلون ضد الاستغلال الاقطاعي المتمثل بالأرستقراطية الاموية وضد الاضطهاد العنصري الذي مارسته الارستقراطية والسلطة الاموية ، ولما كانت نزعة العنصرية الايرانية غير مبنية على التعصب (البرجوازي) ـ ان صح التعبير ـ فهي تحتوي على عناصر ديمقراطية (٣٦٠) ، (في فترة الحكم الاموي)

(٣٥٦) لقد شمل الازدراء كل الامم كالنبط والقبط والزط والبربر والاسبان فظهر من بينهم مطالبون بالمساواة .

(٣٥٧) رسائل البلغاء (ابن قتيبة ، كتاب العرب) ، ص ٢٧٠ ، وقد رد ابن قتيبة على الشعوبيين في طلبهم للمساواة : لو كان الناس كلهم سواء في امور الدنيا ليس لاحد فضل الا بأمر الآخرة لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول ، بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٦٩ . هكذا كانت عقلية ابن قتيبة وردوده على الشعوبيين ، ولكنه اخيرا اعترف بحق الشعوب في المساواة حيث كتب في آخر كتابه تفضيل العرب « واعدل القول عندي ان الناس كلهم لاب وام خلقوا من تراب واعيدوا الى التراب وجروا في مجرى البول » ، العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٩٠ ، راجع الآلوسي ، بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٦٩ ـ ١٧١ ، ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ص ٦٣ ـ ٤ .

(٣٥٨) والعكس من قوله هذا كتب « فأما اشراف العجم وذوو الاخطار منهم واهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف نسبا ثابتا » ، رسائل البلغاء (كتاب العرب ، ص ٢٧٠) .

(٣٥٩) بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٦٤ .

(٣٦٠) لينين ، ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية ، المؤلفات ، جـ ٢ ، ص ٨ .

لخلوها من التعالي والتعصب الاعمى (٣٦١) ٠

أما في العصر العباسي فما أن فازت العائلة العباسية بالسلطة ومسكت بيدهـــا زمام الحكم حتى تنكرت لحقوق الشعب ومطالب الجماهير ، لهذا لم يشعر فلاحو ايران بأي تبدل في وضعيتهم ، فقد عاد الاقطاعيون الى سابق نفوذهم وعاد الضيق الاقتصادي وعادت الضرائب ترهقهم ، وكذلك سكنة المدن من حرفيين وباعة وصغار التجـار مـن الايرانيين ، فان علاقاتهم تردت بعد فترة وجيزة وعاد التذمر يسودهم واليأس يشملهم فانضمـوا الـــى صفـوف المقـاومة وكـانوا عمـاد الحـركات الخـرمية وأنصارها الأشداء بعد ان تخلوا عن العباسيين ، ولا غرابة أن يقـــوم أشد أنصـــار العباسيين بالانتفاضات ضد السلطة العباسية ، لأن العباسيين ، بطبيعة كونهم من طبقة اقطاعيـة متسلطة مستغلة متنفذة ، تنكروا لمصالح الفلاحين والطبقات الكادحة الاخرى واعتمدوا على الارستقراطية الايرانية وبذلك أهملوا القاعدة الشعبية التي استندوا عليها اثنـــاء الدعوة ٠

وكان من جراء اعتماد العباسيين على الارستقراطيـــة الايرانية فقط ، أن أصبح الكادحون وحدهم في ميادين الكفاح ضد الاستغلال الطبقي العباسي ـ المحلي ، ولهـذا ساهموا في انتفاضات الخرّمية ممتشقين السيوف من أجل المســاواة والانصاف فقل اعتمادهم علىالنضال الفكري٠وبما ان الارستقراطية الايرانية قد طمئنت عن مصالحها الشخصية وارتبطت مصالحها بالسلطـة لـــذا تنكبت طـريق الكفاح الذي سلكته أيام الأمويين وأخلدت للراحة لتجني ثمار تعاونها مع الارستقراطية العربيـة (العباسيين) واكتفت بالنضال الفكري ـ الشعوبية ـ حيث تحولتطبيعتها على أيديهم فأصبحترجعية تمثل ذهنية الارستقراطية الايرانية المتعفنة، تلك الارستقراطية الملتصقة بالبلاط العباسي والتي كَونت لها كادرا من المثقفين المتهافتين على موائدها ، ووضع هؤلاء المثقفون، من مؤرخين ونحاة وشعراء ورواة الشعر وكتّاب وعلماء حديث ونقـاد أدب ، امكانياتهـم تحت تصرف الارستقراطية الايرانية ذات النفوذ والمال والمنافسة للارستقراطية العربيـة وللسلطة العباسية غير ان لدى الارستقراطية الايرانية كانت توجد حساسية تجاه الأصل (أو العنصر) نتيجة نظرة الازدراء والتحقير التي كانت تلقيها الارستقراطية العربية على كل من هو غير عربي ٠

لهذا طلب الارستقراطيون الايرانيون أو شجعوا هؤلاء المثقفين والمتادبين الحط من كرامة العرب القدامى ومكانتهم السابقة والبحث عن المثالب لـــدى القبائل العربية في العصر الجاهلي (ما قبل الاسلام) ووضع القصص وتأليف الحكايات واختلاق الشعر للمس بكرامة الشعب العربي (٣٦٢) ٠ وكانت الارستقراطية تحمي المثقفين وتدافع عنهم

(٣٦١) م٠ ن٠ م٠ ص ٨ ، ويذكر احمد امين عن الشعوبية « وهي في الحقيقة نوع من الديمقراطية يحارب ارستقراطية العرب » ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٥٩ ٠

(٣٦٢) الدوري ، دراسات ، ص ١٢ ، شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٤٣ ٠

وتمدهم بالجاه والمال ٠ فعندما ألّف علان بن الحسن الوّراق الشعوبي كتابا في مثالب العرب أغدق عليه طاهر بن الحسين بثـــلاثين الف درهم (٣٦٣) ٠ وكنتيجـــة للحماية والاموال الغفيرة التي نالها المثقفون ، أن سعوا الى اظهار الشعب الايراني بأعلى مراتب الشرف والسمو فهم ــ أي الايرانيون ــ السباقون لكل خيـــر وفضيـلة وان مكانهم في السماك الاعزل ، يقول بشار بن برد :ــ

اصبحت مولى ذي الجـــلال وبعضهم ... مولى العريب فخـــذ بفضلك فأفخـر
مـــولاك اكـــرم من تميـــم كلهـا ... أهل الفعال ومن قريش المشعر (٣٦٤)

وقال أبو نواس :

عاج الشـقي عـــلى رسم يسـائله ... وعجت اســـأل عن خمـارة البـلد
يبكي على طلل المـــاضين من أسـد ... لا درّ درك قـــل لي مـــن بنـو أسد
ومن تميم ؟ ومـــن قيس ؟ ولفهمـــا ... ليس الأعـــاريب عنـــد الله من أحد

ويقول قائلهم :

غنينـــا بالطبـــول عن الطلـول ... وعـــن عنس عـــذافرة ذمـــول
واذهـــلني عقـــار عن عقـــار ... ففي أست أم القضـــاة مع العدول
فلست بتـــارك ايـــوان كسرى ... لتوضـــح أو لحومـــل فالدخـــول
وضب في الفــــلا ســـاع وذئب ... بها يعوي وليث وســط غيل (٣٦٥)

وكان الشاعر الخريمي يكثر في شعره من الاعتزاز بالنسب الأيراني والتحقيـر من شأن العرب ، فيقول :

اني امرؤ من سراة الصغـــد ألبسني ... عرق الأعاجم جلدا طيب الخبر (٣٦٦)

وقال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكـــل بها طنبـا ... ولا خبـــاء ولا عـــك وهمـــدان
ولا لجـــرم ولا نهـــد بهـــا وطـن ... ولكنهـــا لبني الأحـــرار أوطـــان
أرض تبني بهـــا كسرى مســـاكنه ... فما بها من بني اللخناء انسان (٣٦٧)

---

(٣٦٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٥٩ ــ ١٦٠ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ٥ ، بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٦٠ ، ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ص ٦٤ ٠
(٣٦٤) ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ص ٢٩ ٠
(٣٦٥) بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٦١ ، ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ص ٦٥ ٠
(٣٦٦) ضحى الاسلام ، ص ٦٥ ٠
(٣٦٧) الحضارة الاسلامية ، لفون كريمر ، الملحق رقم ٣ لخدابخش ، ص ١٤٠ ، بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٧٠ ٠

فترى انّ جل هؤلاء الحاقدين من المثقفين سعوا الى تحقير شأن العرب ورفع مكانة الايرانيين · ويذكر كولد تسهير (ان العالم المشهور سهل بن هارون كتب عددا كبيرا من الكتب أظهر فيها تعصبه ضد العرب وفخره بالعجم وكان من متطرفي قومه) (٣٦٨) ·

ان أشهر الشعوبيين وأبرزهم هم :

١ ــ أبو عبيدة معمر بن المثنى (٣٦٩) مولى تيم قريش أصله من يهود ايران وقد أسلم جده ، اشتهر في رواية التاريخ ووضع الاخبار والنحو وكتبه التي تعرّض بها للعرب : كتاب لصوص العرب ، أدعياء العرب ، وله كتاب فضائل الفرس ·

٢ ــ علّان بن الحسن الشعوبي (٣٧٠) ، الوّراق ، كان راوية عارفا بالأنساب والمثالب وكان ينسخ للرشيد وللبرامكة ، وللمأمون في دار الحكمة ، عمل كتاب الميدان في المثالب ·

٣ ــ ابو القاسم حماد بنسابور بنالمبارك بنعبيد، المعروف بحماد الراوية (٣٧١) كان مشهورا في رواية الشعر وانتحاله ·

٤ ــ ابو محرز ، خلف بن حيان ، المشهور بخلف الأحمر (٣٧٢) اشتهر برواية الشعر وكان يعمل الشعر على لسان العرب وينحله اياهم ·

٥ ــ ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي (٣٧٣) واشتهر بالترجمة عن الفارسية وكان شاعرا ينقل الكتب المنثورة الى الشعر المزدوج وأشهر تلك الكتب، كليلة ودمنة ، سيرة أردشير ، سيرة أنو شروان ، كتاب حلم الهند ، كتاب الزهر، السندباد، مزدك ، ··· الخ ·

٦ ــ سعيد بن حميد بن البختكان (٣٧٤) ، ويكنى أبا عثمان ، وكان شديد العصبية على العرب وأشهر كتبه كتاب انتصاف العجم من العرب وكتاب فضل العجم على العرب وافتخارها ·

(٣٦٨) الدراسات المحمدية ، ص ١٦١ ·
(٣٦٩) الفهرست ، ص ٨٥ ــ ٦ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ٥ (الهامش) ، بلوغ الارب، جـ ١، ص ١٦٠ ، شريف ، الصراع ، ص ٤١ ·
(٣٧٠) الفهرست ، ص ١٥٩ ــ ١٦٠ ، ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ص ٦٤ ·
(٣٧١) الفهرست ، ص ١٤٠ ·
(٣٧٢) ن· م· ، ص ٨٠ ·
(٣٧٣) ن· م· ، ص ١٧٨ ، ص ٢٣٨ ·
(٣٧٤) ن· م· ، ص ١٨٥ ·

٧ ـ الفضل بن عبد الصمد الرقاشي (٣٧٥) شاعر البرامكة وكان يذود عنهم ٠

٨ ـ سهل بن هارون بن رامنوي الدستميساني (٣٧٦) ، شــديد التعصب عــلى العرب وكان يعمل في دار الحكمة للمأمون وكان شاعرا وحكيما ، ورد له شعر فيضحى الاسلام (عن صاحب « زهر الآداب ») يقارن بين بيتــه في ميســان وبيت آخر عربي فيقول :

أجعــلت بيتــا فــوق رابيــة   مرع النجــوم كــأنه نجــم
كبيت شعــر وســط مجهــلة   بفناءه الجعــلان والبهــم (٣٧٧)

(هامش العقد ، جـ٢ ص ١٩٠)

٩ ـ ابو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الثعلي كاندعيا، فهتك اعراضالعرب (٣٧٨) ذكر عنه ابن النديم انه كان (عالما بالشعر والاخبار والمثالب والمناقب والمآثر والانساب وتوفي بفم الصلح (٣٧٩) عند الحسن بن سهل (٣٨٠) ، واشهر كتبه : المثالب الصغير والمثالب الكبير وكتاب مثالب ربيعة وأسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولــدن ومن تزوجن من الموالي ٠

٦ ـ مدى تطبيق العباسيين للشعارات التــي رفعوها ابان الدعوة حول اعــادة الحقوق الاجتماعية للموالي ورفع الحيف عنهم وانقــاذهم مـن الضائقــة الاقتصــادية

ناضلت الشعوب المضطهدة في العصر الاموي ـ كما لاحظنا سابقا ـ مــن اجل حريتها وتخلصها من الاستغلال ، فانضمت الى مختلف الفئــات المستاءة مـــن الحكم الاموي ، والثائرة على الخلافة الاموية ، ثم التجأت الى الدعوة العباسية لما فيها مــن وعود لتحسين احوال الشعوب المضطهدة فقد بشر العباسيون (عائلة اقطاعية موسرة)

(٣٧٥) ن٠ م٠ ، ص ٢٣٨ ، شريف ، الصراع ، ص ٤١ ٠
(٣٧٦) الفهرست ، ص ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٣٨ ٠
(٣٧٧) ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ص ٦٩ ٠
(٣٧٨) البيان والتبيين ، شرحه ، جـ ٣ ، ص ٥ ، بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١٦٠ ، ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ص ٧٠ ٠
(٣٧٩) الصلح نهر كان يتفرع من دجلة ـ جنوب مدينة الكوت الحالية في الجمهورية العراقية ـ وفم الصلح مدينة كانت على نهر الصلح قرب تفرعه من دجلة ٠
(٣٨٠) الفهرست ، ص ١٥١ ـ ٢ ٠

ـ بتخفيف الوطء عن كاهل الشعوب المغلوبة اذا نجحوا في دعوتهم ، وكان ذلك تضليلا منهم في سبيل لف أوسع الجماهير حول رايتهم ، فقد نادى دعاة العباسيين في ايران ، (كانوا ١٢ نقيبا و ٧٠ داعية) (٣٨١) بأن الدعوة هي لنصرة المظلومين وتحقيق العدالة والقضاء على الظلم الاموي . وقد نجح الدعاة في تهيئة ظرف جيد لأبي مسلم ليعمل في تثبيت الدعوة مستغلا ـ كسابقيه الدعاة ـ الاستياء العام من الاستغلال المرهق ، فكثر اتباعه وكانت غالبيتهم من الفلاحين الايرانيين (٣٨٢) وخاصة من خراسان حيث كان الاستياء على اشده ولا سيما في واحة مرو ، التي كانت نقطة الانطلاق ومنها زحفت نحو أبي مسلم جموع الفلاحين (٣٨٣) وكذلك الحرفيون والباعة والتجار وحتى الملاك المحليون ـ الدهاقين ـ والذين دخلوا الاسلام بتأثير أبي مسلم (٣٨٤) ، انضموا الى الحركة . وبهذا نجح ابو مسلم في الدعوة حيث وحد تحت راية العباسيين السوداء بين مختلف القوميات والطبقا تالاجتماعية المستاءة (٣٨٥) .

وبعد اندحار الامويين ومجيء العباسيين للسلطة تلاشت تلك الوعود والشعارات الداعية لتحسين الاوضاع لان تطبيقها يتعارض ومصالح الارستقراطية المستغلة والتي هي على رأس الحكم ، فأصيبت الجماهير بخيبة امل وانهارت آمالها التي بنتها على العباسيين عند تعاونها معهم وشعروا بالخديعة الكبرى حيث لم يجن من ذلك التعاون سوى الارستقراطيين الايرانيين (٣٨٦) الذين نالوا الحظوة لدى العباسيين وكان من جراء تقريب الارستقراطيين الايرانيين ابقاء الوضع الطبقي في ايران على ما كان عليه (٣٨٧) فلم يشعر المستغَلون بأي فرق في تبديل السلطة بل ان الاستغلال الاقطاعي ازداد نتيجة تطور الاقطاع وازدياد تعاون الارستقراطية مع السلطة ، ولهذا اصيبت الجماهير بخيبة امل لعدم تحقيق ما كانت تصبو اليه اذ انها كافحت من اجل المساواة والعدالة (٣٨٨) ، فانفرط عقد التحالف الذي انعقد في العهد الاموي بين العباسيين والموالي المستائين ، فلقد كان مكتوبا لهذا التحالف الفشل لانه تحالف بين نقيضين جمعتهم مصلحة آنية (التخلص من الحكم الاموي) اما الاهداف البعيدة للاطراف المتعاقدة فمختلفة ، فلدى الامم المغلوبة اهداف التخلص من الحكم والسيطرة والاستغلال الاقطاعي ـ لدى الطبقات المعدمة ـ اما الارستقراطية المحلية فكان هدفها التخلص من السيطرة لتنفرد في استغلال ابناء شعوبها ولهذا استمروا في تعاونهم مع العباسيين الذين فسحوا لهم مجال الاستغلال ، واما العباسيون فكان هدفهم اسقاط السلطة الاموية لتؤول اليهم مقاليد الحكم حتى يوسعوا استغلالهم الطبقي . وكان اعتماد العباسيين

---

(٣٨٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ ، الطيب النجار ، الموالي في العصر الاموي ، ص ١١٥ ،الدوري ، مقدمة لكتاب اصول الاسماعيلية للويس ، ص ٥ .

(٣٨٣) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٠٧ .

(٣٨٤) بارتولد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٥٩ ، والترجمة ، ص ٦٥ .

(٣٨٥) تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١١٤ .

(٣٨٦) مصطفى ، شاكر ، في التاريخ العباسي ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ .

(٣٨٧) الدوري ، دراسات ، ص ١١ .

(٣٨٨) طه حسين ، مرآة الاسلام ، ص ٣٩٤ .

على الارستقراطية المحلية من اجل تضليل الشعب على اساس تمثيلهم في السلطة ولكن ذلك لم يكن خافيا على ابناء الشعب لذا فان تقريب الارستقراطية المحلية لم يعد على العباسيين بالفوائد المرجوة بل ادى الى توسيع شقة الخلاف بين الجماهير والارستقراطية المحلية ٠ لقد كان اعتماد العباسيين على الارستقراطية المحلية يشوبه الحذر التام وكثيرا ما كان ينتهي بمصادرة الاموال والتنكيل الفظيع ٠ لقد توسع التعاون بين العباسيين والارستقراطية الايرانية ، بتحوط ملحوظ ، بعد الانتصار حيث استعين ببيوتات عريقة النسب (٣٨٩) وأسندت اليها مناصب هامة في الدولة وفي مقدمتها منصب الوزير (٣٩٠) ولكن سياسة البطش والاطماع الشخصية والريبة وحسد الارستقراطية العربية دفعت الخلفاء الى الفتك بأعوانهم ومصادرة أموالهم ، وحتى أبو مسلم لم يسلم من بطش الخليفة الثاني ــ المنصور ــ بالرغم من جهوده العظيمة في قيادة الثورة وتثبيت السلطة ــ عندما لاحظ الخليفة امكانية قيادة أبي مسلم لثورة جماهيرية، والتي يمكن ان تلتهب بين الناس بلحظة ، فأمر بقتله (٣٩١) ٠ ويعزو بارتولد نكبة البرامكة الى رد الفعل الديني (٣٩٢) ، ولكننا نعتقد ان خشية تعاظم نفوذ آل برمك والتنافس بين الارستقراطيتين العربية والايرانية ورغبة الرشيد في مصادرة أموال آل برمك هما الدافعان لتلك النكبة ٠ ويعلل شلبي ، سياسة البطش والفتك التي اتبعها العباسيون ، بأنهم وجدوا الدولة مهددة بالخطر ولهذا « ينبغي للمحافظة عليها ان يقتلوا (كذا !) كل من حامت حوله شبهة المروق او التمرد » (٣٩٣) ٠ ولا يحاول شلبي ان يرجع ذلك الى المطامع المادية الشخصية لدى الخلفاء في مصادرة الاملاك ومن اجل ارهاب الارستقراطية وبهذا اصبحت الخلافة (كما يقول حمزه) ملكا يستهان فيه بكل القيم (٣٩٤) ٠ ان سياسة البطش والتنكيل كانت من اجل تركيز الاستغلال الاقطاعي ، من اجل زيادة الضرائب (٣٩٥) ومن اجل مقاسمة الولاة والعمال اموالهم التي يجنونها

(٣٨٩) شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٥١ ٠

(٣٩٠) بروكلمان ، ويذكر « والواقع ان منصب الوزارة كان منذ عهد غير قصير وقفا على آل برمك المنحدرين من اسرة كهنوت متقدمة في نوبهار ، احدى الصوامع البوذية في بلخ » ، تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ، ص ١٨ ، لاحظ كريمر ، الحضارة الاسلامية (مترجم)، هامش رقم ١ ، ص ١٠٧ ٠

(٣٩١) يخطىء سمينوف حيث يقول « لقد قبض على ابي مسلم واودع السجن حيث قتل بعد عدة سنوات » ، تاريخ القرون الوسطى ، ص ١٣٠ ، فلم يذكر اي مؤرخ عن سجن ابي مسلم وانما قتل بحضرة المنصور بعد ان نزع منه سلاحه ٠

(٣٩٢) الحضارة الاسلامية ، ص ٥٩ ، والترجمة ، ص ٦٥ ــ ٦٠ ٠

(٣٩٣) شلبي ، احمد ، في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٩ ٠

(٣٩٤) حمزة ، عبد اللطيف ، ابن المقفع ، ص ٢٣٣ ٠

(٣٩٥) يذكر لي ، هرمان « كانت مبالغ الضرائب في عهد هارون الرشيد (٧٨٦ ــ ٨٠٩) في بغداد مرات اكثر من واردات الدولة البيزنطية الغنية بنفس الزمن ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادي ، ص ٤٨ ٠

من ولاياتهم ٠ والمتتبع لتاريخ الخلافة العباسية يجده مليئا بحـوادث مصادرة اموال الناس ، ولم يخجل الخلفاء أنفسهم من تلك لاعمال اللصوصية (٣٩٧) ، ولا عجب ان تجد خزائن الخلفاء مليئة بالملايين ، فان فرغت بسبب المصاريف الباهظة فسرعان ما تملأ (٣٩٨) بالنهب والسلب وفرض الضرائب الجديدة (٣٩٩) ٠ فيذكر اليعقوبي « وأخذ أبو جعفر اموال الناس حتى ما ترك عند احد فضلا وكان مبلغ ما اخذ لهم ثمانمائة الف الف درهم » (٤٠٠) (٨٠٠ مليـون درهم) ٠ لقـد عاش الخلفاء والارستقراطية عيشة بذخ وترف واستهتار بالاموال ٠ فموائد الرشيد كانت تكلف يوميا مبالغ باهظـة ، وعند زواجه من ابنة عمه زبيدة بنت جعفر صرف على الوليمة مبالغ جـد طائلة (٤٠١) ٠ وهناك صورة حية لدى الطبري عن بذخ واستهتار الخلفـاء والارستقراطية بأمـوال الشعب فقد ذكر في حوادث سنة ٢١٠هـ (وفي هذه السنة بنى المأمـون ببـوران بنت الحسن بن سهل) (٤٠٢) ثم يصف الليلة الثالثة (٠٠٠ فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب ٠ وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبـر فيها اربعون منا في تور ذهب ٠٠٠) (٤٠٣) ثم يصف البذخ (٠٠٠ وان الحسن خلع على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين الف الف درهم (٥٠ مليون درهم) ، قال وامر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه ان يدفع للحسـن عشرة آلاف الف درهم من مال فارس وأقطع الصلح (فم الصلح) ٠٠٠ فلما انصرف المأمون شيعه الحسن ثم رجع الى فم الصلح فذكر عن احمد بن الحسن بن سهل قال : كان اهلنا يتحدثون ان الحسن بن سهل كتب رقاعا فيها اسماء ضياع ونثرها على القواد

---

(٣٩٦) يقول كرد علي « واصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الاموال وهم موقنون بأن مصيرهم بما جمعوه الى المصـادرة والقتـل » ، الاسـلام والحضارة ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ ٠

(٣٩٧) الجهشياري ، ص ٧٩ ، اليعقوبي ، (النجف ١٣٥٨هـ) ، جـ ٣ ، ص ١٢١ ٠

(٣٩٨) يقول بروكلمان « ٠٠٠ كانت امثال هذه الابتزازات (يقصد مصادرة المنصور ٣ ملايين درهم من خالد البرمكي) التي خضع لويلاتها العمال والموظفون الذين اثروا من طريق الوظيفة تؤلف وسيلة مطردة لملء خزانة الدولة بعد فراغها » ، تاريخ الشعوب ، جـ ٢، ص ١٩ ٠

(٣٩٩) كضريبة الاسواق مثلا ٠

(٤٠٠) تاريخ اليعقوبي ، (النجف ١٣٥٨ هـ) ، جـ ٣ ، ص ١٢١ ٠

(٤٠١) حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٤١٠ ٠

(٤٠٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٨١ ، راجع المسعودي ، ويذكر اسمهـا خديجة ، مروج الذهب، جـ ٣ ، ص ٣٠ ، انظر ابن الاثير ، الكامـل ، جـ ٦ ، ص ٢٧٩ ، وفيات الاعيان لابن خلكان ، جـ ١ ، ص ١٦٦ ، امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٠ ، ميور ، الخلافة ، ص ٥٠٣ ـ ٤ ٠

(٤٠٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٨٢ ، ويصف هذا الترف والاسراف كي ليسترانج ، بغداد ، ص ٢١٠ ، وقد نقل ميور ما وصفه المؤرخون العرب ، ص ٥٠٣ ـ ٤ ٠

وعلى بني هاشم فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها (٤٠٤) ·
فكان لا بد لمثل هذه المصاريف الباهظة من موارد عظيمة ، لذا كـــان الشعـــب مرهقا بالضرائب وكان عمال الخليفة يمتازون بالقساوة والغلظة والنهب وكانوا ينالون رضى الخلفاء ما داموا يجبون لهم وفوق ذلك يهدونهم فيذكر الجهشياري عن والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان (جمع أموالا جليلة فحمل الى الرشيد الف بدرة معمولة مـــن الوان الحرير وفيها عشرة آلاف الف درهم (عشرة ملايين درهم) ولما وصلت اليه سر بها) (٤٠٥) · وهذه الرشوة جعلت الخليفة يغض الطرف عن قساوة ونهب الوالي فلم يصغ لشكاوى السكان فما كان من الجماهير الساخطة الا ان تلقن الخليفة درسا جيدا اذ هجمت على قصر الوالي علي بخراسان ونهبت امواله · ولم تكن هذه الا واحدة من انتفاضات عبرت جماهير الشعوب فيها عن سخطها واستيائها مـــن الظلم والارهاق وتنكر العباسيين لشعاراتهم التي رفعوها اثناء الدعوة ، وعلى سبيل المثال نشير الـــى ما ذكره اليعقوبي عن ارمينيا (وكانت ارمينيا قد انتفضت بعد وفاة المهدي فلم تـــزل منتفضة ايام موسى (الهادي) فلما ولى الرشيد خزيمة بن خازم التميمي ارمينيا قام بها سنة وشهرين وضبطها وصلحت البلاد) (٤٠٦) ويشير تاريخ العالـــــم الى هذه الحوادث (ففي ارمينيا التهبت انتفاضة قوية في ٧٧٤ ـ ٧٧٥م وقد اقسم ـ كما يقـــول مؤرخ ـ عدة آلاف من بسطاء الشعب المساهمين فيها « اقسم بعضهم لبعض بوعد مهيب ـ العيش والموت سوية ») (٤٠٧) ، ولاخماد امثال هذه الانتفاضات تطلـــب استخدام قوى عسكرية معتبرة (٤٠٨) ، وفي نيسان ٧٧٥ تيسر لجيش الخليفة ان يجلب الهزيمة للثوار في اعالي الفرات ·

لقد ارغمت هذه الحركة العظيمة مع ثورة الفلاحين الخرمية من جماعة المقنع في اواسط آسيا ، الخليفة المهدي ان يقلص ـ لمدة من الزمن ـ مقادير الخـــراج وان يلغي الرسوم الداخلية · وذكر اليعقوبي (فلما صار الفضل « بن يحيى بن خالد البرمكي » الى العراق وجه أبا الصباح على خراج ارمينيا وسعيد بن محمد الحراني اللهبي عـــلى

---

(٤٠٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٨٣ ، انظر مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠ ، ويذكر « فأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الاهواز اليه سنة » ، راجع دائـــرة المعارف الاسلامية (باللغة الانكليزية) حيث يذكر الدوري : وهب الحسن بـــن سهـل القصر الجعفري الى ابنته بوران وكان المأمون قد اهداه اليه ، م ١ ، ص ٨٩٧ ، انظـر حتـي حيث يناقض جميع المصادر التي نقل عنها فهو يذكر بأن الذي نشـــر الرقاع الخليفة المأمون بينما العكس قد ذكرت المصادر ، اذ تذكر ان الذي وزع الرقاع هـــو الوزير الحسن بن سهل ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٧٥ ·

(٤٠٥) كتاب الوزراء والكتاب ، ص ١٨٠ ـ ١ ·

(٤٠٦) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٥٦ ·

(٤٠٧) ج ٣ ، ص ١٣٨ ، انظر تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ج ١ ، ص ٤٨ ·

(٤٠٨) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ج ١ ، ص ٤٨ ·

حربها فوثب أهل برذعة على أبي الصباح فقتلوه وانتفضت أرمينيا) (٤٠٩)٠ لقد توالت الانتفاضات الواحدة تلو الاخرى نتيجة الارهاق وتعاظم استغلال الولاة والعمال ، ففي سنة ٧٩٥م مثلا ، حصلت هناك حركة شعبية جديدة أحبطت بمنتهى القساوة (٤١٠) ٠ ولقد ساهم ارستقراطيو ارمينيا وآران بقسط في حركات تحرر الشعوب ليس فقط من اجل التحرر من سيطرة الخلافة ولكن ايضا لاجل اهدافهم الطبقية في سبيل توسيع مناطق نفوذهم واراضيها (٤١١) ٠

واما في ايران فقد شملها الاستياء وعمها الجزع من تخلف العباسيين عن تحقيق وعودهم ولهذا فقد التهبت فيها انتفاضات واسعة (انتفاضات الخرمية وغيرها) ضد السلطة العباسية ـ سنتناولها بالتفصيل في الفصل التالي ـ وقد توضحت صفاتها الطبقية عند كفاحها ضد الاستغلال الاقطاعي لان جمهور المساهمين في تلك الانتفاضات كان جلهم من الفلاحين ٠

(٤٠٩) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٥٧ ، ويشير تاريخ العالم الى الحادثة نفسها « وفي آران خاصة كانت انتفاضة سكان المدينة الكبيرة بردعة (بارتوف) حيث قتلوا جامع الضرائب المحلي سنة ٧٨١ » ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ٠

(٤١٠) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ٠

(٤١١) ن٠ م٠ ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ، تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ج ١ ، ص ٤٨ ٠

الفصل الثالث

المبادئ الأيديولوجية والحركة البابكية

١ ـ المبادىء الايديولوجية للبابكية

أ ـ الآراء والمفاهيم السائدة قبل الانتفاضة حول المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية :

لم تستطع الانتفاضة البابكية التي عمت آذربيجان والجزء الشمالي الغربي من ايران والجزء الشرقي من ارمينيا ، والتي قامت بها شعوب هذه البلدان ضد الخلافة العباسية طيلة عشرين عاما ، لم تستطع ، شأنها شأن باقي انتفاضات الخرمية وكل انتفاضات مجتمع الرق والاقطاع ، ان تضع حدا للاستغلال وذلك لعدم نضوج الشروط الضرورية لمثل هذا الامر ، فمستوى الانتاج لم يكن يسمح بعد بالانتقال الى نظام خال من الاستغلال والاضطهاد ، ومع ذلك لم تكن هذه الانتفاضة حادثا فجائيا ـ كما أشرنا الى ذلك سابقا ـ أو تمردا مسلحا وليد الصدفة وانما كان لهذه الانتفاضة الطويلة العميقة الانتشار ، اسبابها البعيدة وظروفها الموضوعية التي حتمت قيامها وسهلت انتشارها بين اوسع جماهير تلك البلدان ٠

وما كان للانتفاضة ان تنهض ما لم يتيسر وجود تربة صالحة مهيئة حيث لا يمكن ان تخلق الانتفاضات بمشيئة هذا او رغبة ذاك ، وانما تندلع عندما تكون الظروف قد تهيأت لقيامها وتكون الاسباب المحتمة لوجودها قد برزت حسب القوانين الموضوعية للحركات الاجتماعية ٠ ولا شك ان قادة الانتفاضات الجماهيرية ، المنبثقين من بين صفوف الجماهير الثائرة ، والذين يتحتم وجودهم بناء على احتياج الحركة الى من يسير دفتها ويقود زمامها ، تتوفر لهم امكانية اوسع للنجاح في فهم حاجات وظروف مجتمعهم عندما يحاولون الاستفادة من الآراء والمفاهيم السائدة في محيطهم او السابقة

ـ ان وجدت ـ حول مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ليسترشدوا بها في توجيه النضال الجماهيري ومن اجل تحقيق ما تصبو اليـــه تلـــك الجماهير الساخطة ، وذلك على قدر استطاعتهم في تفهم المشاكل المطروحـــة ومعرفـــة الحلول المناسبة مستنيرين بارشادات تلك المفاهيم والآراء ٠ وغير خاف ان الحركات الاجتماعية التي تسعى لتحقيق مطاليب اجتماعية بحاجة الى آراء وحلول مناسبة لمشاكل المساهمين في تلك الحركات والقائد البارع هو الذي يستطيع ان يطور الآراء والمفاهيم حسب ظروف وحاجات جماهير الشعب الثائر ٠ وهكذا الحال كان بالنسبة للانتفاضة البابكية ـ وهي حركة اجتماعية ـ حيث كانت بأمس الحاجة للحلول الآنية لمشاكـل منتسبيها ، وكانت تسود تلك الاصقاع ، التي التهبت فيها الانتفاضة البابكية ، آراء ومفاهيم حول مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولكنها بسيطة حسب مدارك اهـــل تلك العهـــود ٠

لقد توارثت الاجيال ـ جيلا عن جيل ، في مختلف المناطق ، المفاهيـــم المناهضة للتسلط الغاشم وللجور الاقطاعي البغيض وتناقلت اخبار وصـــور البطولات الرائعة للجماهير الثائرة وللقادة الشعبيين الذين قاوموا الاستغلال الوحشي في مختلف العهود وقد تكدست ـ نتيجة ثورات الاجيال ـ الاراء العديدة حول المشـــاكل الآنية ـ وأهمهـــا بطبيعة الحال مشكلة الاراضي ٠

كانت الجماهير المضطهدة بقساوة ووحشية تشعر بوزر وفداحة الجور الاقطاعي وما يسببه من عوز وحرمان ، وكان الحل الوحيد ـ حسب رأي الخرميين ـ هو توزيع الاراضي على الفلاحين واحلال الزراعة المشاعية والغاء التملـــك الفـــردي الواسع الاقطاعي ، وكان العامل المساعد على اشعار الجماهير المستغلة بالظلم هـــو انتشار الحلول والآراء والعقائد المناهضة للجور الاقطاعي والتعسف الحكومي ـ وقد توارثوها عن أسلافهم ولم تكن جديدة عليهم ٠

ولكي تقاوم السلطة ـ وهي وسيلة القمع بيد السادة الاقطاعيين والحارس الامين على مصالحهم والممثلة الحقيقية للطبقة السائدة في المجتمع ـ انتشـــار تلـــك الآراء والمفاهيم المناهضة للاستغلال الفظيع وللحكم الجائر ، اعتبرت كل تلك الآراء والمفاهيم مناهضة للدين الاسلامي ووصمتها بالهرطقة والالحـــاد والزندقة (١) ، ودعت الـــى

---

(١) الزندقة حركة ذوي الآراء الحرة من الملحدين لمناهضة الاديان والسلطـــة بصورة سلبية فردية ٠ ويعرف الاشخاص بالزنادقة (جمع زنديق ـ نسبة الى كتاب الزند ، وهـــو تفسير كتاب الافستا المجوسي) ٠ ولا يخـــفى ان الكثيريـــن مـــن ذوي الآراء الحرة والافكار الجريئة اتهموا جزافا بالزندقة ، راجع الملحق رقم ٢ ٠

محاربتها والقضاء عليها وعلى معتنقيها ونصبت السلطة (الخلافة العباسية) من نفسها حكومة مباحث (تحقيق) كما يقول لي ، هرمان (وكانت موجهة قبل كل شيء ضد (الهراطقة) والمفكرين الاحرار الذين منهم في البدء تألفت جماهير انصارهم) (٢)٠ ولا شك ان هذه الاراء والمفاهيم حول المشاكل العامة التي كانت موجودة في العصر الاموي كانت تلاقي التشجيع والتأييد من العباسيين ودعاتهم كما اشار الى ذلك « ولهاوزن » : « فقد حاولوا ان يحولوا تيارات المقاومة الشعبية جميعها الى رحاهم ولتكن صبغتها ما شاءت » (٣) ، ولكن بعد وصول العباسيين للحكم تنكروا لمطاليب الجماهير لان تحقيقها يتعارض ومصالح العباسيين الطبقية ، فاستنكروا الاراء والمفاهيم السائدة لدى الجماهير وكافحوها ولم يكن ذلك دفاعا عن الدين وانما كان دفاعا عن المصالح الذاتية للسادة الاقطاعيين ، ولاضفاء صفة الشرعية على اعمال القمع الوحشية ضد الاراء المناهضة للاقطاع (٤) وللسلطة الممثلة له ، اما اذا وجدت آراء الحادية لا يشم منها رائحة الخطر على المصالح الذاتية فلا مانع من وجودها (٥) ٠

لقد ناضلت الجماهير الشعبية المستغلة ضد مختلف اشكال القيود الاقطاعية ــ ضد التبعية ، ضد الضرائب والتعسف في جبايتها وضد الاكراه على العمل وضد التعصب « العنصري » والتحقير والازدراء ٠

وكانت الزندقة المعارضة السلبية الفردية ، اما الخرمية ، وليدة المزدكية ، فكانت

(٢) لي ، هيرمان ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادية ، ص ٥٢ ، انظر الطبري عن حوادث سنة ١٦٧ هـ « وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولى امرهم عمر الكلواذي فأخذ يزيد بن الغيظي كاتب المنصور فأقر فيما ذكر » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٥١٩ ــ ٢٠ ، وفي الجهشياري عمر الكلواذاني ، ص ١١٥ ــ ٦ ، انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٣٣ ، وابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، عن حوادثسنة١٦٧ هـ ٠

(٣) الدولة العربية وسقوطها ، ص ٤٠٨ ٠

(٤) يذكر أنكلز ، فردريك في كتابه الحرب الفلاحية في المانية : لقد استمرت المعارضة الثورية للاقطاع طيلة القرون الوسطى ، فقد اتخذت تبعا للظروف الزمنية ، اشكالا مختلفة فمرة كانت تتخذ مظهرا دينيا وأخرى شكل هرطقة مكشوفة وتارة تقوم بشكل انتفاضة مسلحة ، ص ٣٤ ٠

(٥) ذكر الطبري : قال علي عن أبي بكر الهذلي قال اني لواقف بباب امير المؤمنين اذ طلع فقال رجل الى جانبي هذا رب العزة هذا الذي يطعمنا ويسقينا فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلت وخلا وجهه فقلت له سمعت اليوم عجبا وحدثته فنكث في الارض وقال يا هذلي يدخلهم الله النار في طاعتنا ويعتلهم أحب الي من ان يدخلهم الجنة بمعصيتنا) ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ١ ص ١٣٢ ٠

منهاجا تتوضح فيه شعارات الجماهير الغاضبة الحاقدة على الجور الاقطاعي والتسلط الحكومي ، فكان اتباعها ـ الخرمية ـ هم المطالبون بالعدالة والمساواة في الحقوق العامة وبتوزيع المقتنيات العامة بالتساوي وتعميم الفائدة المشتركة في المجال الزراعي وفسح المجال للمرأة ان تنال مركزها ٠

واننا لكي ندرك بعمق تلك الآراء والمفاهيم السائدة في المجتمع الايراني والآذربيجاني والأرمني (قسما منه) علينا ان نعود القهقرى للاطلاع على الديانة الايرانية وعلى الفرق المناهضة لها والحركات الشعبية التي ظهرت في اطار ديني فان الافكار والمفاهيم السائدة قبيل الانتفاضة البابكية هي تركة تلك العهود حيث حافظت عليها وعلى التقاليد الثورية جماهير الشعب المضطهَدة ٠

ب ـ الديانة الايرانية والفرق المناهضة لها وما نشأ عنهما من آراء في المشاكل والقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ٠

١ ـ الديانة الايرانية :

لعبت الديانة الايرانية دورها الواضح في تاريخ ايران منذ الازمنة القديمة حتى الفتح العربي ٠ وقد جرت على الديانة الايرانية تغييرات وطرأت عليها تبديلات ، في ظروفها الزمنية ، ولتخدم مصالح الطبقة السائدة عند ظهور الطبقات في المجتمع الايراني ، كما وقد ناهضتها فرق وحركات شعبية كان اطارها دينيا ومحتواها اجتماعيا ٠

الديانة القديمة : ـ ففي العصور الاولى ، حيث لم تعهد البلاد حالة الاستقرار بعد ، وكانت غالبية السكان رحالة ، نشأت الديانة المعتمدة على عبادة القوى الطبيعية والعناصر والأجرام السماوية (٦) فكانت هنالك آلهة كثيرة (أهورات عديدة ـ أهور يعني اله) ولم يكن للدين صفة طبقية (لم يخدم طبقة معينة) لانعدام الطبقات في فترة المشاعية (الشيوعية البدائية) ٠ ولم يكن لأهور أمزدا (اله الخير ، اله النور) ولا لأهور أمن (اله الشر ، اله الظلمة) من أهمية تذكر بين العديد من الآلهة التي عبدها الأيرانيون ٠

ولكن بانتقال المجتمع من حالة التنقل والترحل الى الاستقرار ومزاولة بعض المهن

---

(٦) كريستنسن ـ ايران ـ ص ١٩ ، تراث فارس ، ص ٣٦ ٠

البسيطة برزت مكانة الآله أمزدا (٧) ، وقد أطــلق على الديـــانة القديمة المـزدية أو المجوسية (٨) ٠

وكنتيجة لتطور وسائل الانتاج (البسيطة) واستخدام جماهير بشرية واسعة في اعمال الزراعة والري ـ الاسرى والعبيد ـ تطلّب احكام قيود التبعية ، فكان اناستخدم الدين الايراني كوسيلة لتضليل الجماهير المستغَلة ولدفعها للعمـــل بأقصى الجهود في ظل عبودية مستديمة من أجل السادة الملاك بعد تبدّل أسلوب الانتاج وظهور عـــلاقات انتاج جديدة (من المشاعية الى العبودية) ٠

الزرادشتيـــة : ـ وهكذا جاء زرادشت ليطور الديانة المزدية (٩) ، التي أصبحت ذات نفــع للسادة المستغِلين ، فجاء بتعاليمه التي أصبحت تدعو الى حب العملوالتفاني والاخلاص والجد في الاعمال ، وتحبب الاعمال الزراعية وتضفي القدسية عليها ، وكل ذلك ، لم يكن طبعا لخدمة الجماهير المستغَلة ، وانما لخدمة الطبقة السائدة المستغِلة ٠ فعلى أبناء الشعب المساكين ، وحسب تعاليم زرادشت ، ان يتفــانوا في خدمة الســادة المالكين ويرضوا بهذا الاذلال الابدي خدمة للدين والاخلاق ولكسب رضا ـ أهورامزدا ـ والوقوف بصفه ٠

فلا عجب أن نرى بأن الديانة الزرادشتيـــة تصبح (فيما بعـــد) دين الدولـــة

(٧) كريستنسن ، ايران ، ص ١٩ ٠

(٨) ن٠م٠ ص ١٩ ويقول بأن المزدية أقدم من الزرادشتية ، أنظر ماجد ، عبد المنعم ، ويقول عــن المجوسية (هي كلمة فارسية انتقلت الى العربية لتدل على دين الفرس والمؤمن بهــذه الديانة يسمى (مجوسي) مثل يهودي والجمع مجوس ، وهي بحسب روايــة العرب ـ ديانة تنسب الى شخص معين اسمه منج كوش ظهـــر قبـــل زرادشت) ـ التاريــخ السياسي ـ جـ١ ص ١٩٢ ، هامش رقم ـ١ـ ٠

(٩) كتب الدينوري (وكان زرادشت صاحب المجوس) ، الأخبـــار الطوال ، ص ٢٨ ، ويعتبــر الشهرستاني ان (للمجوس ثلاث فرق هي : ١ ـ الكيومرثية ، ـ ٢ ـ الزروانية ـ ٣ ـ الزرادشتية) ـ الملل والنحل ـ جـ١ ص ٢٣٣ ـ ٧ ، أنظر كريستنسن حيث كتب والظاهر ان زرادشت أدعى النبوة نبيا لمذهب مزدي معدل في الشرق ربما كان في الاقليم الذي به أفغانستان الحديثة وذلك في القرن السابع ق٠م٠ وفي هذا الاقليم الذي سكنته قبائل زراعية مستقرة) ـ ايران ـ ص ١٩ ، ويشير تراث فارس (بالرغم من ان وجود النبي زرادشت موضع جدل ، الا ان هنالك راي بوجوده في القرن السابع ق٠م٠)، ص ٣٦، ويخطيء زيدان عبد الكريم عندما يعد المزدكية والخرمية من فـرق المجوس ـ أحكــام الذميين والمستأمنين ، ص ١٥ ٠

الساسانية (١٠) الرسمي وتنال عطف وتأييد الملوك الساســانيين ، لأن الدين والملـك توأمان ـ كما قال تنسر (★) ، والارستقراطية الايرانيـة ، وتصبــح للرئيس الـديني الاعلى، موبذان موبذ ـ وهو قاضي القضاة بالوقت نفسه ـ المكانة السامية في الدولة (١١)، والمستشار الأقدم لملوك بني ساسان ٠ وتصبح الأفستا ـ الكتــاب الـديني المقدس في ايران (بعد ان جمعه تنسر ، الهربذان هربذ بأمـر المـلك أردشير الاول مؤسس الدولة الساسانية) ـ المنار الذي يهتدي الناس به لخدمة السادة ـ وهكذا أصبح كل شيء في الديانة الزرادشتية في خدمة العائلة المالكة والطبقة الارستقراطية (مالكة العبيد)، أما أبناء الشعب فعليهم العمل والطاعة والشكر وطلب الرحمة من اله الخير ، هكذا أصبحت الديانة الزرادشتية قبل ظهور ماني ، أداة طيعة للطبقــة الســائدة والمعبــر لآرائها ومفاهيمها وبذلك حصل حلف مقدس بين رجال الدين والطبقــة المستغِلة (١٢) ضـد الشعب من أجل استغلاله وجره الى الاذلال الابدي ٠

٢ ـ الفرق المناهضة للديانة الأيرانية :

تكئونت لدى الشعب ، الذي أخذ يقاسي تزايد الجور والظلم المسند من المؤسسات الدينية ، بذور الاحتجاج ضد أعمال رجال الدين وضد تضليلاتهم التي ينشرونها ، وبهذا كانت مساندة الجماهير الشعبية للهرطقة الدينية ، المناهضة للمعابد الرسمية تعبيرا عن احتجاجها (١٣) ٠

المـانوية (١٤) : اتخـذت المانوية الاحتجـاج السلبي (كالأهمســا ـ اللاعنف ـ

---

(١) يذكر ماجد ، عبد المنعم ، عن الملوك الساسانيين (عملوا على تقوية نفوذ رجال الدين بقصد الابقاء على طغيانهم) ، التاريخ السياسي ، جـ١ ص ١٩٢ ٠

(★) كتاب تنسر ، نقله الى العربية يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧ ٠

(١١) كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ٠

(١٢) كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٣ ، وقد كتب : (وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانيـة مع نبلاء الاقطاع جنبا الى جنب)٠

(١٣) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية في القرون الوسطى : (الجمـاهير الشعبيـة ، بمساندتهـا الهرطقة الدينية المعارضة للمعابد الرسمية ، عبرت عن احتجاجهـا على الظلم الذي تكاثر مع تفسخ المجتمع واسترقاق الاحرار) ، ص ٧٩ ٠

(١٤) نسبة الى ماني المعلم الروحي لفرقة المانوية الثنوية : حول المانوية من المفيد الرجوع الى المصادر والمراجع التالية : الدينوري ، الاخبار الطـوال ـ ص ٤٩ ـ ٥٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م١ جـ٣ ص ٨٣٠ ـ ٤ ، المسعودي التنبيه والاشراف ، ومروج الذهب جـ١ ط٣ ص٢٤٩ ـ ٥٠ ، والملطي ، التنبيه والرد ، ص ٧٣ ، والفهرست لابن النديم وقد اعتمد عليه الكثير من المؤرخين ، ص ٤٧٠ ـ ٨٦ ، البيــروني ، الآثــار ، ص ٢٠٧ ،

الهندية ، التي بشَّر بها غاندي) سبيلا لمعارضة التسلط الحكـــومي والتضليل الديني والاثراء الفاحش ، ولما لم يكن لدى جماهير الشعب ، الساخطة على الجور والظلم وعلى تعاون رجال الدين مع الطبقة المستغِلة ، منهاجـــا واضحـــا للنضال ، تلقفت تعاليم ماني (١٥) الحكيم بشغف وبسرعة، وكانت تعاليم ماني ، والذي زار الهند(١٦) وتجول في أواسط آسيا وفي الصين ، متأثرة بالبوذية والمسيحية والغنوصية (١٧) ، بالاضافـة

المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ٣ ص ١٥٧ ، الشهرستاني الملل والنحل وقد عمل جـدولا يقارن فيه التشابه والتضاد بين الخير والشر ، جـ١ ص ٢٤٤ ـ ٩ ، ابن الأثير، الكامل، جـ١ ص ٢٢٦ ، كريستنسن ـ ايران (ويذكر أهم المصادر والمـــراجع الأجنبية القديمـة والحديثة والنصوص المانوية المكتشفة في أماكن مختلفـــة من العــالم) ، ايران ، ص ١٦٩ ـ ١٩٥ ، كريمر ـ الحضارة الاسلامية ، (مترجم) ، ص ٧٣ ، زيدان ، جرجي ـ تاريخ التمدن ، جـ١ ص ٣٥ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ١ ط٢ ص ١٠٨ ، لويس، العرب ، ص ٦٧ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، جـ١ ص ١٩٤ ـ ٦ ، حتي ، فيليب ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ٢ ط٣ ص ٤٩٣ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٠ ـ ٤ ، بارتولد ، تاريخ الحياة الحضـــارية لتركستـــــان ، ص ٤٤ والحضارة الاسلامية ، ص ١٠ والترجمة ، ص ١١ ـ ١٢ وسمينوف ـ مقالة المزدكيـة في مسائل التاريخ الدين والالحاد العدد ـ٥ـ لسنة ١٩٥٨ ، ص ٣١٥ ـ ٢٠ ، الدوري مقدمة ، ص ٨٠ ، الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٢٦ وما بعدها ، شريف ، محمـد بديع ، الصراع ، ص ٥٤ ، محفوظ ، حسين علي ، رســالة في تحقيـق لفظ زنديق ، الخربوطلي تاريخ العراق ، ص ٢٦٣ .

(١٥) يسميه اليعقوبي (ماني بن حماد الزنديق) ، التاريخ ، م ١ ص ١٥٩ ، المسعودي (ماني بن يزيد تلميذ قارون) ، مروج ، جـ١ ص ٢٥٠ ، ابن النديم (ماني بن فتق بابك بن أبي برزام)، الفهرست ، ص ٤٧٠ ، البيروني ، (ماني تلميذ فادرون) ، الآثار ، ص٢٠٧، والصحيح ما أورده الشهرستاني (ماني بن فاتك الحكيم) ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٤ ، أما ولادته ففي سنة ٢١٥ م على ما ترجحه الروايات وهناك من يذكر ٢١٦م أو ٢١٧م في سيسان (ناحية في لواء العمارة ـ الجمهورية العراقية) ولقد ذكر ابن النديم في ديستيميسان (في ناحية من نواحي ديستيميسان ، الفهرست ، ص ٤٧١) التي هي من نواحي ميسان ويسميها كريستنسن ميسين ، ايران ، ص ١٧١ وهي تحريف لميسان ولا شك .

(١٦) ذكر ابن النديم (وجوّل ماني البلاد قبل أن يلقى سابور نحو أربعين سنة ٠٠٠ وكان ماني دعا الهند والصين وأهل خراسان وخلف في كل ناحية صاحبا له) ، الفهرست ، ص ٤٧٢ ، كريستنسن ، ايران ، ص ١٧١ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠١ .

(١٧) يقول ابن النديم (واستخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية) ، الفهرست ص٤٧٢

الى الزرادشتية ، ولهذا اعتبرت العالم مسرحا لنضال قوى الخير وقـــوى الشر منذ الأزل (١٨) ٠

وشابهت المانوية الزرادشتية ، غير ان الزرادشتيـــة ــ وقد أصبحت المعبّرة عن ذهنية الطبقة المستغلة ــ اعتبرت اله الخير قديم واله الشر محدث ، وان ما هو ســـائد فيالمجتمع من أنظمة وسلطات وحقوق انما هي من ميزات النور ــ اضفاء الحق الشرعي الالهي على أعمال التعسف والنخاسة والاستغلال الفظيع واعتبارها جميعا من الاعمال التي فرضها الاله ــ (اذ يجد الانسان رسالة عليه أداؤها فانه بالايمان الخالصوبالجهاد في سبيل الحقيقة الدينية والاخلاق وأخيرا بالجد في الاعمال التي تؤدي الى غلبة قوى الحياة على قوى الموت وبالمساعي المودية الى الحضارة وخاصة زرع الارض ، يقف في صف روح الخير) (١٩) ــ ، لكن المانوية على العكس من الزرادشتية تعتبر ان اله الشر هو الذي سيطر في البدء وظل اله الخير يكافح ويكافح ــ وهذا تعبيـــر عن قدم سيطـرة الطبقة المستغِلة وعن ضرورة كفاح الجماهير الخيّرة ضد قوى العدوان والشر ــ حتى انتصر ، الا ان المانوية ، وقد تأثرت بالفلسفة الهيلينية وما أدخل على المسيحية من آراء فلسفية (الغنوص) ، وبالبوذية ، لم ترسم مناهج ثورية للكفاح ، وانما اعتبرت الـزهد والتقشف والعفة وما فرضته من مناسك دينية (لتطهيـر جسيمـــات « ذرات » الأبدان النورية من شرور العتمة التي لحقتها في فترة امتـــزاج العتمـــة بالنـــور في العالم

....

ويضيف على ذلك البيروني مذهب الثنوية ويقصد الغنوصيـــة ولا شك فقد كتب أبـو الريحان (وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثنوية) ، الاثار ، ص ٢٠٧ ، ومن كل ذلك يستخلص الشهرستاني بأن ماني (أحدث دينـــا بين المجوسية والنصرانية)، الملل والنحل ، جـ١ ص ٢٤٤ ، ولا ريب ان بارتولد قد استنار برأي الشهرستاني حينما توصل الى أن (آراء بردسان الكاتب السرياني الذي حاول التأليف بين الفلسفةالوثنية المسماة الغنوستية (الغنوصية) *Gnosticisme* وبين بعض آراء النصرانية ، ولا ريب قد أثرت في المانوية التي ظهرت في القرن الثالث) ، الحضـــارة الاسلامية ، ص ١٠ ، والترجمة العربية ، ص ١١ ــ ٢ ، ويشابه كريستنسن في آرائه ما توصلاليه بارتولد فقد كتب كريستنسن (وقد نشأ الطفل ــ يقصد ماني ــ على مذهب المغتســـلة ــ الصابئة ــ ٠ ولكنه تعمق بعد ذلك في درس أديان زمـــانه الزرادشتية والمسيحيـة والمذاهب الجينيستكية (الغنوصية) وخاصة مذهبي أبن ديصان ومرقيون فترك مذهب المغتسلة) ، ايران ص ١٧١ ــ ٢ ٠ حول علاقة الغنوصية بالمانوية راجع الملحق ــب ــ ٢ ــ ٠

(١٨) كتب البيروني عن ماني (ودعا الى ملك عوالم النور والانسان القديم وروح الحياة وقال بقدم النور والظلمة وأزليتهما) ، الآثار ، ص ٢٠٧ ٠

(١٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٢٠ ٠

الأرضي (٢٠) ـ وفي رأي المانوية ان هذه المناسك خير معونـــة يقدمهـا الانسان لآله الخير ـ) ، ووسائل أساسية للتعبير عن سخطها وغضبها على الاثراء والتسلط الطبقي٠ ولقد حاول ماني أن يأخذ كل ما هو خير وحسن من الاديان الموجودة (٢١) ـ وقد أطلّع على دقائق الكثير منها ـ ولهذا جاءت تعاليمه مزيجـــا من الآراء والمفاهيم والشرائع العديدة ، ففيها المثل الاخلاقية الهيلينية وتناسخ الارواح البـوذية (٢٢) وثنـائية الكون المجوسية والغنوصية والتثليث المسيحي (٢٣) ٠

وكان ماني يريد لتعاليمه ان تصبح الدين العالمي الموحد والنهائي (★) وأن يحل هذا الدين محل الأديان القديمة ، التي أصبحت آلة بيد الطبقــة السائـدة ٠ وقد اعتبر ماني جميع الأنبياء شياطين أو آلات مسخرة بيد الشياطين (الطبقة السائدة) يقول ابن النـــديم :

وماني ينتقص سائـر الانبياء في كتبه ويـزري عليهم ويرميهم بالكذب ويـزعم ان الشياطين استحوذت عليهم وتكلمت على ألسنتهم بـل يقول في مواضيع مـــن كتبه انهم شياطين ، فأما عيسى المشهـور عنـــدنا وعنـد النصارى فيـزعم انه شيطان (٢٤) ٠

والملاحظ ان كريستنسن ، كمسيحي ، تعمّد اغفال كلام ابن النديم هذا ، وقد اغفله بعض المستشرقين بما فيهم السوفييت ، الذين تيسرت لنا قراءة كتبهم ، والسبب كما يلوح لنا هو انهم اعتمدوا في كتاباتهم عن ماني عــلى كريستنسن دون ان يكلفوا أنفسهم الرجوع الى المصادر القديمة ومنها العربية ، ولربما كان لجهل البعض منهم اللغة العربية منأثر في اتكالهم على كريستنسن وغيره ٠

ولمـا لم تكن لتعاليم ماني ، في البدء مـن خطـر يهدد مصالح الدولة الساسانية

(٢٠) رستم ، أسد ، الروم ، جـ١ ص ٤٨ ، دياكانوف ، مختصر تـاريخ ايـران ، ص ٣٠١ ، سيمنوف مقاله عن المزدكية ، مسائل التاريخ الدين والالحاد ، العدد ٥ ص ٣١٨ـ٩ ٠

(٢١) ابن الأثير ، الكامل ، هامش ص ٢٢٦ ـ الجزء الاول ، بروكلمان ، تـاريخ الشعوب، جـ١ ط٢ ص ١٠٨ ٠

(٢٢) ذكر البغدادي (وقد ذهبت المانوية أيضا الى التناسخ) ، الفرق بين الفِرق ، ص ٢٧١ ، كريستنسن (والظاهر ان ماني قد أخذ نظريته في التناسخ عن المذاهب الهندية ومـن المحتمل ان يكون عن البوذية) ، ايران ، ص ١٨١ ، كريمــر ، الحضـارة الاسلامية (مترجم) ، ص ٧٣ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠١ ٠

(٢٣) كريمر ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ، ص ٧٣ ، كريستنســـن ، ايـران ، ص ١٨١ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠١ ٠

(★) انظر غرشمان ، ايران ، ٢٩٤ ٠

(٢٤) الفهرست ـ ص ٤٨٢ ٠

ومصالح الطبقة السائدة فقد سُمح بانتشارها (٢٥) ، فبعد عــودة ماني من الهند في عهد سابور الأول (الذي توّج في سنة ٢٤٢ م) (٢٦) باشر مـــاني بالقـــاء مواعظه وتعاليمه والتي ما كانت ، في ذلك الحين لتلاقي صعوبة أو معارضة ، بل كانت تـــلاقي التسهيلات حتى ان ماني أهدى كتابه (شابورغان) للملك سابور (٢٧) وقد ذكر مـاني نفسه (وقد مثلت في حضرة الملك سابور فأحاطني برعـــايته ثم أتـــاح لي ان اجوب « مملكته ؟ ») (٢٨) ٠ من المحتمل ان احتضان سابور لماني كان ــ كما يرى غرشمان ــ لدوافع سياسية (★) ٠

ولكن بعد ان تخطت مواعظ ماني من التعرض البسيط لأشكال الديانات الى الطعن بصراحة ومباشرة بمصالح السلطة والطبقة المستغِلة ، بكشف جورها وظلمها وتصوير التعاسة التي تجلبها للناس ، بدأت السلطة ومعها رجـــال الــدين الزرادشتي والطبقة المستغِلة بالتضييق على ماني واتباعه ومحاربته (٢٩) ومن ثم سجنه وصلبه ومطـاردة أنصاره ٠ وملخص نشاط ماني (٣٠) انه هاجر الى الهند أيام مؤسس الدولة الساسانية أردشير الاول (٢٤٢ ــ ٢٧٢ م) وأول خطبة له كانت عند تتويــج سابور (٢٤٢ م) ٠ واستمر في القاء تعاليمه ومواعظه قرابة عشرة أعوام (٣١) ، ثم نفي خارج ايران وعاد بعد وفاة سابور عام ٢٧٢ م في عهد هـــرمز الاول (٢٧٢ م ــ ٢٧٣) وقد لوحق ماني وأدخل السجن ثم صلب عام ٢٧٦ م في عهد بهرام الاول (٢٧٣ ــ ٢٧٦ م) ٠

---

(٢٥) كريستنسن ، ايران ، ص ١٨٤ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبيـــة (أوائل الساسانيين لـم يقاوموا انتشار المانوية) ، ص ٧٩ ، تاريخ ايران ، ص ٥٠ ٠

(٢٦) كريستنسن ، ايران ، ص ١٦٩ ، تاريخ ايران ، ص ٥٠ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبيـة، ص ٧٩ ٠

(٢٧) كريستنسن ، ايران ، ص ١٨٥ ٠

(★) ايران ، ص ٢٩٤ ٠

(٢٨) كريستنسن ، ايران ، ص ١٨٥ ٠

(٢٩) تاريخ ايران ، ص ٥٠ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية (ولكـــن عندمـــا توضحت صفات المعارضة للحكومة والمعابد في الموعظة المانوية بدأت الحكـــومة بالظلم القاسي ضــد انصار ماني) ــ ص ٧٩ ، كريستنسن (وقد حكم على ماني بالكفر فأدخل السجن حيث عذب عذابا مبينا مات على أثره وكان ذلك عام ٢٧٦ م ٠٠٠ وفي رواية شرقيـة صـلب ماني وسلخ حيا) ، ايران ، ص ١٨٧ ، أنظر ايفانوف م٠س٠ مختصر تاريخ ايــران ، ص ٢٨ ــ ٢٩ ومقالة سمينوف (المزدكية) العدد ٥ مسائل التاريخ الدين والالحـاد ، ص ٣٢٠ ، أنظر تراث فارس حيث يعزو اضطهاد المانوية الى دوافع سياسية (فالمجوس كانوا يحسدونهم) ، ص ٥٥ ٠

(٣٠) هنالك اختلافات بين القدماء والمحدثين من المؤلفين حول الفترة التي انتهى فيها ماني وقد آثرنا الاعتماد على أكثر الروايات تكرارا ٠

(٣١) تاريخ اليعقوبي ، م١ ص ١٥٩ ٠

النهاية المفجعة التي لحقت بالحكيم ماني والمطـــاردة العنيفـــة القاسية لمواليه وأنصاره (٣٢) ولضعف الروح الثـورية في التعـــاليم المانوية التي أتخذت السلبيـــة أسلوبا للكفاح ـ كل ذلك جلب اليأس والتشاؤم للأنصار ، الذين أضطروا على التخفي والهرب (٣٣) ، وللأتباع الذين حفظوا سرا تلك التعاليم ، ولما لم يحاول تلامذة مـاني وأتباعه تطوير تلك التعاليم بطرح الجوانب السلبية منها وقلبها الى أساليب ايجابية في الكفاح ـ أصبحت تلك التعاليم غير ذي نفع بعد التطورات التي حدثت في المجتمع (٣٤) ولا سيما عند اشتداد أزمة العبيد وظهور بداية الاقطاع، فقد عجزت التعاليم المانوية عن تفهم وادراك حاجات الجماهير الواسعة من أبناء الشعب المضطهدة ، ولهذا تخلفت تلك التعاليم عـن أن تكون المبادىء التي تقتدي بهـا الحركة الجماهيرية ، والتي عمت ايران في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميـــلادي (٣٥) ، والتـــي كان عمادها المزارعون والعبيد المشتغلون بالزراعة ، لذلك ظهرت تعاليم أكثر تفهما لحاجة الجماهير فأنارت السبيل لجموع الحاقدين وانتشرت بسرعة بينهم ـ الا وهي التعاليم المـــزدكية ـ ٠

اما المبادىء المانوية ، في ايران ، فقد انتشرت في المدن وســـط التجار ورؤساء الحرف ، واما في الريف فقد كان انتشارها ضئيلا لعجزها عن تبني مطاليب الفلاحين والعبيد والحرفيين ٠

المـــزدكية (٣٦) :

نشأت المزدكية ، كتعاليم دينية ، متطورة عن الزرادشتية والمانوية (٣٧) ٠ وكانت

---

(٣٢) الدينوري (وتتبع أصحابه ومن استجاب له فقتلهم جميعا) ، الاخبار الطوال ، ص ٥٠ ، الطبري (٠٠٠ وقتل أصحابه ومن دخـل في ملته) ، م١ ج٣ ص ٨٣٤ ، المسعـــودي (فقتله وقتل الرؤساء من أصحابه) ، المـروج ، جـ١ ص ٢٥٠، كريستنسن ، ايران ، ص ١٩٠ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣١٦، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية، ص ٧٩، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، جـ١ ص ١٩٦ ، الدوري ـ الجذور التاريخيـة للشعوبية ، ص ٢٤ ٠

(٣٣) بارتولد ، تاريخ الحياة الحضارية لتركستان ، ص ٤٤ ، سمينوف ، مقالة المزدكيـة، ص ٣١٦ ٠

(٣٤) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٠ ٠

(٣٥) ن٠م٠ ص ٨٠ ٠

(٣٦) نسبة الى قائد الحركة الجماهيرية والمنظم الروحي للتعـــاليم الفلسفية الدينية المقرونـة باسمه ـ مزدك بن بامداد ـ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م١ ج٢ ص ٨٩٤ ، اليعقوبي ، التاريخ ، جـ١ص ١٨٦ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ١٠١ ، ابن النديم ، الفهرست، ص ٤٩٣ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، جـ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ١ ص٢٤١، راجع حول مناقشة الاسم لدى كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٦ ، يذكر أمير علي ان مزدك عاش في أيام انو شروان ـ مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣٢ ، وهذا خطأ حيث قتـل سنة ٥٢٩ م زمن الملك قباذ ، ويذكر سمينوف ان مزدك يلفظ بالفارسية الحديثة مجـدك *Movcgek* وبالطاجيكية موزدك *Myzgak* ، مقالة المزدكية، ص ٣٢٣٠

(٣٧) حول ارتباط المزدكية بالمانوية والزرادشتية وحول دور بندس (زرادشت) يمكن مـراجعة المصادر المذكورة في الهامش السابق ، أنظر كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٧ ، ويذكر يامبولسكي : ان مزدك كان تحت تأثير المانوية ، انتفاضة بابك ، ص ١١، أنظر تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، وتاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٢ ، وغرشمان، ايران ، ص ٣٠٢ ٠

المانوية ـ كما اسلفنا ـ قد انصهرت فيها ديانات مختلفة · وقد اختلفت المزدكية عن المانوية بأنها (اي المزدكية) اعتبرت (النور يعمل بالقصد والاختيار وان الظلمة تفعل على الخبط والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى ، وان المزج « بين النور والظلمة » كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار) (٣٨) ، فالمزدكية وان شابهت المانوية بالثنوية ، الا اننا يمكننا ان نلاحظ ـ فيما ذكره الشهرستاني ـ ان لاله النور من الاهمية البارزة عند المزدكية وانه يعمل بالقصد والاختيار ، واما اله الشر (الظلمة) فيعمل على الخبط والاتفاق (بعكس ما ذهب اليه ماني) · كما ويظهر من تعاليم المزدكية ان اله الخير (النور) انتصر على اله الشر (الظلمة) (٣٩) ، في عالمنا الارضي (٤٠)، ولكن النصر لم يكن حاسما ، وهذا يعني مواصلة كفاح القوى الخيرة (القوى الشعبية المعدمة المستغلة) ضد القوى الشريرة (الارستقراطية الغنية المستغلة) وحتمية انتصارها (٤١) ، كما ويجب تطهير الانفس من النزوات والشهوات (٤٢) ومن حب السيطرة وحب التملك (٤٣) · والمزدكية وان شابهت المانوية في ضرورة تطهير (ذرات الاجسام النورية) من الشرور والآثام التي لحقتها أثناء المزج ، الا ان المزدكية لم تسلك السلبية نهجا كالمانوية ، وانما اختطت لنفسها الاسلوب الايجابي ، ولذلك اصبح محتوى التعاليم المزدكية الدينية الفلسفية ، اجتماعيا حيث عنت تلك التعاليم ، اضافة الى الامور الفلسفية الدينية ، النظر في القضايا الاجتماعية حيث قصدت اعادة النظر في توزيع الاملاك والمقتنيات ، التي بسبب عدم العدالة في توزيعها بين الناس ، تسبب الانتهاكات والاعتداءات والظلم والحروب · لقد وردت نصوص كثيرة لدى المؤرخين العرب وفي المصادر التي كتبت باللغة العربية تشير الى ذلك وتفصح عن المحتوى الاجتماعي للبرنامج المزدكي ، فالطبري كتب عن المزدكيين : قالوا ان الله انما جعل

---

(٣٨) الملل والنحل ، جـ١ ص ٢٤٩ ، ويحكي ذلك عن الورّاق ، محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق وكان في الاصل مجوسيا ·

(٣٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٧ ، تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٢ ·

(٤٠) (هذا النصر يجب أن يتقرر ليس في العالم الاخر وانما في الحياة الواقعية الارضية) ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٢ تاريخ ايران ، ص ٥٦ ·

(٤١) تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٢ ·

(٤٢) (وحكي عنه انه أمر بقتل النفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة) ، الشهرستاني، الملل والنحل ، جـ١ ص ٢٤٩ ·

(٤٣) الطبري ، تاريخ ، م١ جـ٣ ص ٨٨٥ـ٦ ، الملطي ، ص ٧٢ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢٠٩، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ٣ ص ١٦٧ ـ ٨ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ١ ص ٢٤١ ، أبو الفداء ، كتاب المختصر ، جـ١ ص ٦٦، ابن خلدون، كتاب العبر ، جـ٢ ص ١٧٦ ·

الارزاق في الارض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي ولكن الناس تظالموا فيها وزعموا انهم يأخذون للفقراء من الاغنياء ويردون من المكثرين على المقلين وانه من كان عنده فضل من الاموال والنساء والامتعة فليس هو بأولى به من غيره (٤٤) • وبلهجة عدائية كتب الملطي : وفضول ما في ايدي ذوي الفضل محرم عليهم حتى يصير بالسوية بين العباد سواء (٤٥) • وكذلك كتب البيروني عن مزدك : وقال باشتراك الناس في الاموال والحرم (٤٦) ، ويعزو الشهرستاني محاولة مزدك في اعادة النظر في التوزيع الى ان مزدك وجد ان سبب تقاتل الناس هو من جراء عدم العدالة في المقتنيات ، فقد كتب « وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال • ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال ، احل النساء واباح الاموال • وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ » (٤٧) •

ونجد ابن خلدون يعتبر محاولة توزيع الاملاك بالتساوي ، استباحة ، فقد كتب « وكان يقول ـ الكلام عن مزدك ـ باستباحة اموال الناس وانها فيء وانه ليس لاحد ملك شيء ولا حجره والاشياء كلها ملك الله مشاع بين الناس لا يختص به احد دون احد وهو لمن اختاره » (٤٨) • وبالرغم من معاداة المؤرخين السابقين لمزدك وللحركة المزدكية فان اشاراتهم واضحة الى ما كانت تسعى اليه المزدكية وقد اوضحوا الاسباب المختلفة التي دعت المزدكيين للقيام بتلك المساعي الاجتماعية ، وكلها طبعا من اجل انقاذ جمهور المعدمين من الاستغلال والفقر والاملاق •

تعاظم استغلال الارستقراطية ، مالكة العبيد ، وبدأت تستحوذ على اراضي الفلاحين الاحرار ، الذين كانوا يعملون في أراض مشاعية ، مما ادى الى استياء الفلاحين من تسلط الارستقراطية • ولم يقتصر الاستياء على الفلاحين بل شمل العبيد والحرفيين ، فكانوا جميعا مستائين من وضعيتهم المزرية ، من فداحة جور الارستقراطية ذات النفوذ القوي ، من تعسف الحكومة ومتذمرين من الاملاق المتلاحق والمجاعات المهلكة (٤٩) ، التي كانت تكتسح البلاد بين آونة واخرى بسبب تضافر قساوة الطبيعة ، في ظروف شبه صحراوية ، وهجوم الآفات الزراعية كالجراد (٥٠) • وكانت هذه المحن

---

(٤٤) تاريخ الرسل ، م١ ج٣ ص ٨٨٦ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ •
(٤٥) التنبيه والرد ، ص ٧٢ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ •
(٤٦) الآثار الباقية ، ص ٢٠٩ •
(٤٧) الملل والنحل ، ج١ ص ٢٤٩ •
(٤٨) كتاب العبر ، ج٢ ص ١٧٦ •
(٤٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٠ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، ج١ ص ١٩٧ ، انظر أيضاتاريخ‌ايران ، ص ٥٦ •
(٥٠) تاريخ ايران ، ص ٥٦ •

خير محفز للمفكرين على العمل من اجل انقاذ الجماهير من تلك البلايا ٠ ولما كانت المانوية ، بسلبيتها ، عاجزة عن استيعاب حاجات الجماهير ، اختلقت الضرورة لاعادة النظر في تلك التعاليم لارسائها على اسس سليمة ٠ فكانت محاولات بندس (زرادشت) المانوي اولى التعديلات (٥١) الفلسفية الروحية عليها ودعي هذا المذهب درست دين (٥٢) ، ثم تناولتها تعديلات مزدك الفلسفية ـ الاجتماعية البارعة ، وغلب اسم المزدكية على مذهب درست دين (٥٣) ٠ لقد دعت التعاليم الجديدة الى عدم انفراد اشخاص قلائل بالملكيات والمقتنيات الفردية الواسعة (اراض ، عبيد ، جواري ، نساء ومقتنيات اخرى) فالمالك لا يملك حق الانفراد بما يقتني او كما يخبرنا الطبري : « فليس هو بأولى به من غيره » (٥٤) ، وانما يجب ان توزع هذه المقتنيات والاملاك على الناس بالتساوي ، وهذا ما اشار اليه الملطي (حتى يصير بالسوية بين العباد سواء) (٥٥) ويرى الشهرستاني ان المزدكية جعلت الاموال شركة بين الناس (٥٦) ـ أي كما كانت ايام المشاعية الاولى ـ ولما كانت التعاليم المزدكية كالمانوية تحرم القتل والذبح وسفك الدماء ، ولما كان النزاع والقتال يحصلان بسبب الاختلاف في المقتنيات دعت المزدكية الى اعادة النظر في توزيع المقتنيات حسما للنزاع ٠ وهذه الفكرة وان لم تكن واضحة تماما لدى الطبري حيث يشير اليها متشككا (وزعموا انهم يأخذون للفقراء من الاغنياء ويردون من المكثرين على المقلين) (٥٧) ، الا ان الشهرستاني ـ كما ذكرنا آنفا ـ قد أوضح السبب الذي حمل المزدكيين على توزيع المقتنيات على المعدمين ، غير انه اعتبر ذلك التوزيع (اباحة) « احل النساء واباح الاموال » (٥٨) ٠ ولا شك ان الشهرستاني متحامل على المزدكية ولهذا صور اعادة التوزيع اباحة (وهنا تعني التفسخ والانحلال) اذ لو لم يكن متحاملا لاخذ برأي الطبري الذي نفى ذلك عن مزدك وعزا الى السفلة والانتهازيين جميع الاعمال المزرية التي ألصقت بالمزدكية ، حيث كتب : « فافترص السفلة ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم » (٥٩) ٠

ان عدم تمكن التعاليم المزدكية من ادراك الاسباب الموضوعية التي أدت الى تراكم الغنى والاثراء والقوة بيد الارستقراطية ـ وذلك منتظر من أفكار ذلك العصر ـ ادى

(٥١) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٣ ـ ٦ ، تاريخ ايران ، ص ٥٦ ٠

(٥٢) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٦ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣٢٢ ٠

(٥٣) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٦ ٠

(٥٤) تاريخ الرسل ، م١ ج٣ ص ٨٨٦ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ ٠

(٥٥) كتاب التنبيه والرد ، ص ٧٢ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ ٠

(٥٦) الملل والنحل ، ج١ ص ٢٤٩ ٠

(٥٧) تاريخ الرسل ، م١ ج٣ ص ٨٨٥ـ٦ ٠

(٥٨) الملل والنحل ، ج١ ص ٢٤٩ ٠

(٥٩) تاريخ الرسل ، م١ ج٣ ص ٨٨٥ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ ٠

الى عجز التعاليم في معارضة النظام الذي قاومته، بنظام جديد · وهذا قـــد أضعف الحركة ـ كما أشار الى ذلك ايفانوف (٦٠) ـ ويعتبر دياكانوف ان المزدكية ضعفت لانها لم تقاوم النظام الاقطاعي (٦١) « حيث لـم يمـح التملك الفـردي ، اساس الاستغلال الفردي للشخص » (٦٢) ، وغرشمان في معرض ملاحظته على الذيـــن يصفون منهاج مزدك الثوري (بالشيوعية الايرانية) يقول : غير ان علماء معروفين فسروه (منهاج مزدك) على انه مقاومة العبيد ، الفلاحين الذين اصبحوا شبه عبيد والاحرار السابقين من سكان المدن والارياف ضد الاقطاع ونظامه (الداعي للعبوديـة) (★) · ولكننا لا يمكننا انتفق مع دياكانوف وغرشمان لان المزدكيين لم يقاوموا النظـــام الاقطاعي ، والذي كان في بدء نشوئه ، وانما قاوموا نظام العبودية المتفســـخ فاستحوذوا عـلى اراضي الارستقراطية (مالكة العبيد) واستغلوها مشاعـــا (العودة الـــى المشاعية القديمة) · وطبيعي ان هذه العودة كانت خلافا لسنة التطور حيث بدأ المجتمع يتطور نحو النظام الاقطاعي الناشىء · والسبب الذي دعاهم الى العود الخاطىء (٦٣) الى المرحلة القديمة ـ المشاعية ـ هو عدم ادراكهم لاسباب التكوين الطبقي ـ وهـذا شيء طبيعي لمدارك ذلك العصر ـ ولهذا لم يستطيعوا وضع برنامج جذري لمعالجـــة مشاكل المجتمع والانتقال به الى مرحلة اخرى · لقد تمكنت التعاليم المزدكية ان تدرك بأن تراكم الغنى في جهة وانعدامها لدى الكثرة الكاثرة من النـــاس فحسب ، هـــو السبب في التخاصم والنزاع وان الضرورة تقتضي اعادة التوزيع بالتساوي · هذه الآراء التي نادت بها وحققتها في اجزاء واسعة من ايران ، لمدة من الزمن ، الفرقة المزدكية ، أطلق عليها المؤرخون ـ الاباحة ـ ويطلق عليها كثير من المؤلفين المعاصرين ، الشيوعية(٦٤)

---

(٦٠) مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠ ·

(٦١) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٩ ·

(٦٢) ن·م· ، ص ٣٠٩ ·

(★) ايران ، ٣٠٢ ·

(٦٣) تقول بيكولفيسكايا (ان الفلاحين المشاعيين قصدوا العود الخاطيء الى نظام المشاعية)، تاريخ ايران ، ص ٥٨ ·

(٦٤) سيمنوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣٢٦ ـ ٧ ، ٣٤٣ ، عمر فروخ ، العرب والاسلام فيالحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨، ص٢٣·

وفي ايام قباذ نبغ مذهب مزدك ، او المزدكية · والمزدكية حركة اجتماعية شعبيـة وجدت لتقاوم المانوية (مذهب ماني) · كانت المانوية دين الدولة الحاكمة ودين النبلاء الذين كانوا يستغلون سواد الشعب ويضطهدونه ، فجـــاءت المـــزدكية ومنها عنصر شيوعي يقول بأن تقسم اموال الاغنياء بين الفقراء ، ثم تطـــرق فقـــال ايضا بشيوع النساء · واعتنق قباذ الاول هذا المذهب في السنة الاولى لحكمه (عام ٤٨٨ م)·

عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، بيروت ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤ ، ص ٦٧ · المزدكية في

والبرنامج الشيوعي(٦٥) لمزدك ، وشيوعية الاموال والنساء عند المزدكيين (٦٦) ، ولا شك ان تسمية التعاليم المزدكية بالشيوعية لا يجمعها جامع مع الدقة العلمية ٠ ويقصد من هذه التسمية ايضا وصم الحركة بالدعر والفسق والاباحة لتشويه جوهر طابعها الاجتماعي بترديد اقوال مؤرخي القرون الوسطى ، بشيوع النساء واختلال النسل(٦٧) وفقدان الاخلاق وتحطم العائلة (٦٨) ٠ لقد حقد المؤرخون القدامى على المساهمين في الثورات الجماهيرية ضد الطغاة وسبب حقدهم يرجع اما لخوفهم من السلطات الاقطاعية او لانحدارهم الطبقي او لانخداعهم بأباطيل وتضليلات الطبقة السائدة ٠ لقد سددت الحركة المزدكية ضربة شديدة الى الارستقراطية الايرانية الكبيرة ـ مالكة العبيد ـ فلا غرو ان توجه الارستقراطية الايرانية الناشئة ، ملاك الاراضي ، ورجال الدين والسلطة الحاكمة سخطها وحقدها على التعاليم المزدكية ووصمها بنعوت وصفات قبيحة

ايام قباذ الاول (٤٨٨ ـ ٥٣١ م) نبغ مذهب مزدك أو المزدكية ٠ المزدكية حركة اجتماعية شعبية وجدت لتقاوم المانوية (مذهب ماني) ، دين الدولة الحاكمة ودين النبلاء ، فجاءت المزدكية وفيها عنصر شيوعي يقول بأن تقسم اموال الاغنياء بين الفقراء ٠ ثم تطرف مزدك فقال بشيوع النساء ٠ وقد اعتنق قباذ هذا المذهب وحمل الفرس عليه ودعا العرب في الحيرة ونجد اليه أيضا ٠ تراث فارس (لوكهارت، فارس في نظر الغرب) ، ص ٤٣٠ ٠

(٦٥) أمير علي ، مختصر تاريخ العرب، ص ٢٣٢ ، موللر، تاريخ الاسلام، ص ١٨٣، بارتولد، الحضارة الاسلامية ، ص ١٦، ٦٧، كريستنسن ، ايران ، ص ٥٦، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٤٣ـ٤، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٤٠٨ ، لويس ، اصول الاسماعيلية ص ١٩٩ـ٢٠٠، جوزي، بندلي، بابك والبابكية، ص ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، من تاريخ الحركات، ص ٨٤، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠٣، بروكلمان، تاريخ الشعوب، جـ٢ ص١٤، سمينوف ، المزدكية، ص ٣٢٦ـ٧، ٣٤٣، ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي، جـ١ ص ١٩٧، الدوري، الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ٤١، العصر العباسي الاول ، ص ٣٦ ، حتي، تاريخ العرب (مطول)، جـ٢ ط٣ ص ٤٤٠ ٠

(٦٦) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٤٠٨، بروكلمان ، تاريخ الشعوب، جـ١ ص ١٠٩، الدوري، العصر العباسي الاول، ص ٨٨، شريف، محمد بديع، الصراع ، ص ٥٤، ماجد ، عبد المنعم، التاريخ السياسي، جـ١ ص ١٩٨، الخربوطلي، تاريخ العراق، ص ٢٦٣، زيدان، عبد الكريم، أحكام الذميين، ص ١٥، يحيى الخشاب، مقدمة تراث فارس، ص ٠٦٤

(٦٧) شريف، الصراع، ص ٥٤، شلبي، أحمد، في قصور الخلفاء، ص ٣٤، عمر فروخ ، العرب والاسلام ، ص ٢٣، تاريخ الجاهلية، ص ٦٧ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق، ص ٢٦٣، زيدان، عبد الكريم، أحكام الذميين، ص ١٥ ٠

(٦٨) نفس المصادر السابقة ٠

وقد تعاونت الكنيستان اليهودية (٦٩) والمسيحية (٧٠) على توجيه الاتهامات والاكاذيب، وظلت تلك النعوت والصفات الرذيلة لاصقة بالحركة حيث رددتهـــا مـــؤلفات مؤرخي القرون الوسطى ٠ اما المؤلفون البرجوازيون ، الحاقدون على كـل حركة اجتماعية ، فانهم استخدموا اقوال مؤرخي القرون الوسطى الاقطاعية كســـلاح مـــاض للتشهير بالحركات الاجتماعية ولتوجيه الطعن للشيوعية العلمية (٧١) ٠ فقـــول ابـن النديم « وصاحبهم مزدك القديم امرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والاكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والاهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه » (٧٢) قد استخدم لدى غالبية هؤلاء المؤلفين ، وكان للالماني فلوكل (٧٣) قصب السبق في ذلك فهو الاول مـــن بين المستشرقين الذي استخدم قول ابن النديم وغيره للطعن في (البابكية والخرمية) (٧٤) وعن طريقه تسربت بيسر الى كتابات الاخرين (٧٥) ٠ انهم يرددون أيضا قول البغدادي « المزدكية الذين استباحوا المحرمات وزعموا ان الناس شركاء في الاموال والنساء » (٧٦) ، وقول ابن الجوزي « واباح النساء لكـــل مـــن شـاء » (٧٧) ٠ لقـــد كانت الارستقراطية ـ مالكة العبيد ـ مركزة نفوذها في ايران ، قبيل الحركة ، وكانت تسيء الى مستخدميها اساءة بالغة وتقسو عليها قساوة ضارية وتسعى بـكل الوسائل لنهب

(٦٩) دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠٠

(٧٠) كريستنسن ، ويذكر : ان أسقف النصارى كان حاضرا المناظرة ويساعد الزرادشتيين على المزدكيين ، ايران ، ص ٣٤٥ ، غرشمان ، ايران ، ص ٣٠٣ ٠

(٧١) يذكر بونيياتوف : المؤرخون البرجوازيون في ترديدهم لروايـــات المـؤرخين الاقطاعيين المتحيزة ، رأوا الشيوعية في شعارات حركات المزدكيين والخرميين البدائية الـداعية للمساواة (مشاعية الملكية) ، ولكي يشهروا بالشيوعية الواقعية (العلمية) نسبـوا لها حتى (مشاعية الزوجات) أيضا ، مجـــلة أخبـــار أكـــاديمية علوم الجمهورية الاذربيجانية السوفيتية ١٩٥٩ م العدد ٢ ص ٤٩٠

(٧٢) الفهرست ، ص ٤٩٣ ٠

(٧٣) ك٠ فلوكل ، بابك ، مجلة جمعية الاستشراق الالمانية ، ليبزغ ، ١٨٦٩ ص ٥٣١٠

(٧٤) راجع رد موللر عليه في : تاريخ الاسلام (الترجمة الروسية) ، بطرسبورغ ، ١٨٩٥ ـ ٦ ص ١٩٥ ٠

(٧٥) بونيياتوف ـ حول مصطلح الخـــرمية ـ مجـــلة أ٠ع٠ج٠أ٠س ـ ١٩٥٩ عدد ٢ ص ، آذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٢٣٢ ٠

(٧٦) الفرق بين الفِرق ، ص ٢٦٦ ، من المؤسف ان تجد تأثير هذا القول لدى كتاب سوفيتيين مثل : ماناندیان ، الذي يقر بمشاعية النساء ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٤ ٠

(٧٧) نقد العلم والعلماء أو تلبيس أبليس ، ص ٧٤ وذكـر في صفحـة ١٠٣ (وأباحوا النساء وأحلوا كل محظور ٠ ويردد عبد العال بدون تردد كل ما قيل عن (اباحية مزدك) في كتابه ـ حركات الشيعة المتطرفين ، ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٤٩ ٠

وسلب الاراضي المشاعة من الفلاحين الاحرار ، وقد تمكنت من ذلك وعلى نطاق واسع مؤخرا ، لهذا وضعت الحركة المزدكية نصب عينيها اعادة حقوق الفلاحين الذين بدأوا يفقدون حريتهم ومقتنياتهم واراضيهم ٠ فحاربت المزدكية الارستقراطية حربا شعواء وكان من جراء مقاومة الارستقراطيين ان لاقى الكثير منهم حتفه وفقدوا املاكهم واراضيهم ومقتنياتهممن عبيد واماء ونساء ، والتي وزعت على المحتاجين ، وغالبيتهم من الفلاحين والعبيد ، غير ان المزدكيين وجدوا ان خير وسيلة واحسن اسلوب لتوزيع الاراضي المستحوذ عليها وتحديد الملكية عليها هي (المشاعية) ، ولكن المشاعية خلقت مشاكل ومتاعب جديدة للحركة لانصراف الملاكين الصغار ـ الدهاقين ـ من صفوفها لانهم ـ الدهاقين ـ ساهموا في الحركة خوفا من تيارها وطمعا في الحصول على اراضي الملاكين الكبار غير ان تقسيم الاراضي الى مشاعيات وبرودة موقف قباذ من الحركة بعد عودته الى العرش ثانية شجع الدهاقين على الابتعاد عن الحركة مما اضعفها ٠ ان مشكلة الاراضي ومعالجتها كانت احدى المسائل الاساسية التي عالجتها المزدكية ، والمشكلة الاخرى التي اعارتها اهتمامها كانت مشكلة المرأة الايرانية ٠ لقد تدانى وضع المرأة في المجتمع وبلغ الحضيض في عهد العبودية بحيث اصبحت امة تباع وتشترى في سوق النخاسة كأي سلعة وكانت حالة الرجل المالية تعين مقدار امكانيته لاقتناء اي عدد من النساء بالاضافة الى زوجاته ، وكان النظام يبيح تعدد الزوجات ، وقد اباح الارستقراطيون ـ حرصا منهم على حفظ املاكهم وعدم تجزئتها بالوراثة ـ لانفسهم زواج الامهات والاخوات والبنات ، ونتيجة رضى الارستقراطيين والدين الزرادشتي على هذا التهتك ، فان المؤرخين لم تأخذهم الحمية على الاخلاق والحرص على الشرف من هذا العمل الشنيع ، ولكنهم وجهوا سهام نقدهم الى محاولة المزدكيين اعادة الكرامة والحقوق للمرأة الايرانية ، ان المزدكيين وجدوا غالبية الارستقراطيين والحكام والاثرياء يمتلكون العدد الغفير من النساء في حين يفتقر الكثير من ابناء الشعب لزوجة واحدة لانهم لا يملكون ثمن صداقها وامكانية الصرف عليها ، لهذا عمد المزدكيون الى اخذ النساء من بيوت الارستقراطيين وتزويجهن من الرجال العزاب ٠ ان اخذ الزيادة من المكثرين ، سواء أكانت الزيادة أراض ام مقتنيات ، عبيد ، اماء ، ام نساء ، وتسليمها للفقراء المحتاجين اليها ، سعرت حقد الارستقراطيين ونقمتهم على الحركة لانها موجهة ضد حق انفرادهم بالتملك الواسع ٠ لقد كانت الفكرة الاساسية في معالجة مشكلة المرأة ، هي تحطيم ملكية الارستقراطيين للنساء واعادة الحقوق والكرامة للمرأة الايرانية ، ومن هنا كانت محاربة الارستقراطيين الايرانيين للحركة وكانت تلاقي معونة رجال الدين الزرادشتيين والمسيحيين واليهود على السواء ، لقد كانوا مع الارستقراطيين جنبا الى جنب ضد الحركة ، وقد نعتوها بأشنع النعوت والصفات ٠ ونورد على سبيل المثال ما ينقله دياكانوف عن مؤرخ الديانة اليهودية

ك٠ كريتس (٧٨) (هم ــ اي اليهود ــ لا يستطيعون السماح بأن تتعرض نساؤهم وبناتهم كل لحظة لخطر الاعمال المخجلة ، ومدافعين عن طهارة حياة عائلاتهم وكانها حدقة عين) (٧٩) ، ان اتهام المزدكيين بالشهوة والاباحة من قبل الارستقراطيين الايرانيين والديانة الزرادشتية والمسيحية واليهودية قد استمر في كتابات مؤرخي القرون الوسطى المتحيزين للسلطة والارستقراطية الاقطاعية ٠

بينما يرى كريستنسن ان صفتي الشهوة والاباحة متناقضتان مع الزهد الذي كان اساسا للمذهب (٨٠) ، وقد شك لويس بمشاعية الزوجات (٨١) ، وقد استل دياكانوف (٨٢) تعبيرا جيدا لسولودوخو (٨٣) ينفي فيه تهمة مشاعية الزوجات جاء فيه « هذا الادعاء ، يعترف الان بأنه مجرد اختلاق المؤرخين الناظرين بعداء للحركة المزدكية الثورية ، لانه لا توجد اية معلومات تؤكد بأية حالة ظهور مثل هذه التهمة التي لا تتغير ضد الذين هاجموا نظام التملك الشخصي » (٨٤) ٠

ولقد شك كريستنسن في صدور قوانين تلغي الزواج او تبيح النساء وحتى لو صدرت فانها حسب رأيه مستحيلة التنفيذ (٨٥) ٠ وعليه يمكننا ان نتوصل الى ان الحركة سعت الى عدم السماح للرجال باقتناء اكثر من الحاجة من النساء وان يسمح للنساء بأن يعشن مع من يرغبن في العيش معه بلا اكراه ولا اجبار ٠ وطبيعي ان يتعارض هذا مع ما الفه الارستقراطيون الايرانيون وما سنوه من شرائع تحمي مقتنياتهم واملاكهم ٠ هنالك رأي اوردته بيكولفسكايا « ولدى المزدكيين ، مشاعية النساء كانت نداء للشكل القديم في العلاقات العائلية واحتجاجا ضد حريم الارستقراطية » (٨٦) ، اننا لا يمكننا ان نتفق مع بيكولفسكايا في تسمية الدعوة لاصلاح

---

(٧٨) وكتابه تاريخ اليهود (الترجمة الروسية كاركافي) ونقل دياكانوف عن الجزء الخامس، بطرسبورغ ، ١٩٠٢ ص ١٠ فيما كتبه عن انتفاضة يهود بابل تحت قيادة مار ــ زوتري، وقد اعتبرها ضد المزدكية ٠

(٧٩) دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ ٠

(٨٠) ايران ، ص ٣٢٩ ٠

(٨١) أصول الاسماعيلية ، ص ١٩٩ ٠

(٨٢) مختصر تاريخ ايران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ ٠

(٨٣) سولودوخو ، يو٠ أ٠ في مقاله الممتع (الحركة المزدكية وانتفاضة يهود العراق في النصف الاول للقرن السادس بعد الميلاد رقم ٣ ــ ٤ ص ١٣٦ ٠

(٨٤) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٤١٠ ٠

(٨٥) ايران ، ص ٣٣٠ ٠

(٨٦) تاريخ ايران ، ص ٥٨ ، انظر غرشمان الذي اعتبر منهاج مزدك ضد حريم النبلاء ايضا، حيث فيه (الحريم) عدد غفير من النسوة اللواتي اغلق من دونهن الباب ، ايران ، ص ٣٠٢ ٠

وضع المرأة في المجتمع الايراني الساساني من قبل المزدكيين مشاعية النساء وانه عودة الى الشكل القديم في العلاقات ، اي العودة الى المشاعية ٠ فالمزدكيون لم يقصدوا ابدا في اصلاحهم لشأن المرأة العودة الى ما كانت عليه العائلة ايـام « الشيوعية البدائية » المشاعية الاولى ، ولو ان لدى مجتمعات ذلك العصر كانت باقية بعض بقايـا الزواج الجماعي الديني لايام البدائية الاولى ، والتي قد تستر عليها العرف والتقاليد والدين والمجتمع او انها تظهر وخاصة لدى الجماعات المناهضة للديـن وللسلطـة وللطبقة السائدة ، عارية من تلك الاستار (٨٧) ٠ ان هذه البقايا (الترسبات) ، وهي قليلة ، وان كانت موجودة لدى الشعوب لا يمكن ان تسمح ، حتى في الخيال ، بتصوير محاولة المزدكيين في انتشال المرأة الايرانية من مركزها المتدني ، بأنها عودة الـى « مشاعية الزوجات » في المجتمع القديم ، المجتمع البدائي او المشاعية الاولى ٠ كما وان مناهضة المزدكية (والخرمية فيما بعد) للدين الرسمي دفع المؤرخين والمدافعين عـن مصالح الطبقة السائدة لاختلاق كل ما هو شائن ووضع المثالب ، ولهذا اتهموا المزدكية بالاباحة، لهـذا فان استعمال بيكولفسكايا لكلمة مشاعية غير مناسب لانه يدل على تأييدها لاقوال معادي الحركة الذين يصمونها بالاباحة ٠ ويرى سمينوف بأن مشاعية النساء لـدى مزدك لا تعتبر مكروهة جدا بالقياس الى ما تبيحه الزرادشتية من زواج الابن لامه والاب لابنته والاخ لاخته (٨٨) ٠ وهذا الرد الضعيف قد جعل سمينوف يعترف بوجود المشاعية الزوجية او مشاعية النساء ، ولا يمكننا طبعا ان نقر سمينوف على رأيه هذا (٨٩) ٠ ومن الطريف ان ننقل قول المؤرخ الايراني بلعامي (٩٠) ، الذي نقله جوزي (٩١) ، عن

(٨٧) يرى بونيياتوف : « البحث العلمي لهذه المسألة (مشاعية الزوجات) في الواقع يحتـم ملاحظة ان الرواسب الدينية للزواج الجماعي البدائي كـانت معروفة لشعوب كـل البلدان تقريبا احيانا تحت ستار الاعراف الدينية الرسمية والاخلاقية والقانونية وعلى الرغم من هذه الاعراف احيانا » ، ويضيف بونيياتوف الى ذلك : « هـذا ما لا يقبل الجدل وليس هناك فسق ما » ، وقد توصل الى ذلك مستخدما آراء فردريك انكلز فـي اصل العائلة ، ص ٢٦ ـ ٨٥ « لا يمكن تفهم ظروف المجتمع البدائي طالما كنا ننظر اليه نظرتنا الى دور البغاء » ، مجلة اخبار، ٠أ ع٠ ج٠أ٠ س٠ ، ١٩٥٩م العدد ٢ ، ص٤٨، آذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٢٣٣ ـ ٤ ٠

(٨٨) مقالة المزدكية ، ص ٣٣٢ ٠

(٨٩) راجع كريستنسن ، ايران من ص ٣٠٨ الى ص ٣١٩ حول العلاقات بين افـراد الاسرة الايرانية في العهد الساساني والقوانين العامة التي تحدد مسؤوليات وواجبات كل فرد وعن الوراثة والوصاية والتبني ، ومراجعة دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، الحاشية رقم ١٥٣ في الصفحات ٤١٠ ـ ٤١١ حيث فيه بحث طريـف عن معالجـة المزدكيين لقضية المرأة الايرانية ٠

(٩٠) الذي اختصر تاريخ الطبري ٠

كريستنسن (٩٢) ، يقول بلعامي « ان مزدك فسخ الزواج (الشرعي) وملكية الاراضي وكان يقول « ان خالق المسكونة قسم الاشياء بين الناس بالقسط فلم يعط احدا اكثر من غيره ولهذا لا بد من نظام يتساوى فيه عدد النساء ومقدار الاراضي التي يملكها كل شخص ويكون من مقتضاه ان من يملك اراضي واسعة لا يستطيع ان يقول اني لا اعطي منها شيئا لغيري ومثله من يملك عدة نساء لان النساء مشاعة بين الناس » اي ان امرأة الواحد تخص الآخر وامرأة هذا الاخر تخص من يحب ان يأخذها » (٩٣) ٠ ولقد اعتبر بونيياتوف ما نسبه المؤرخون القدامى والمؤلفون البرجوازيون الى المزدكية وخلفائهم الخرمية من شيوع الزوجات ، بأنه التعبير المتطرف للنموذج الماجن للحياة الذي نسب الى المزدكيين ومن بعدهم الخرميين خلفائهم الفكريين (٩٤) ٠

والنقطة الجديرة بالاهتمام بالحركة المزدكية هي علاقتها بالملك قباذ ٠ المصادر القديمة تشير الى انه حكم في الفترة الاولى عشر سنوات (٤٨٨-٤٩٨م) (٩٥) ثم عزل ونصب اخوه جاماسب ملكا ٠ اما قباذ فقد أودع السجن حيث هرب منه والتجأ الى الهياطلة وبقي هناك عامان ونصف وعاد ، ويعتبر كريستنسن الفترة الاولى من حكم قباذ ثمان سنوات وليست عشر سنوات (٩٦) ، وترى بيكولفسكايا ان تنصيب جاماسب كان في عام ٤٩٦م (٩٧) ، اما عودة قباذ فان كريستنسن يعتبرها بين ٤٩٨م و ٤٩٩م (٩٨) ٠ وظل قباذ ملكا في الفترة الثانية حتى وفاته سنة ٥٣١م (٩٩) وليس صحيحا ما يعتقده سمينوف بأن الفترة الثانية من حكم قباذ كانت ٣٥ عاما (١٠٠) ٠

ان التعاليم المزدكية سابقة ولا شك ليوم تتويج قباذ ، غير ان هذه التعاليم اصبح

---

(٩١) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ص ٩٨ - ٩٩ ٠

(٩٢) في الحقيقة ان كريستنسن ينقل في (ايران ، ص ٣٢٩) اقوال الطبري وابن البطريق والثعالبي والشهرستاني وغيرهم ممن اوردنا نصوصا لهم حول الموضوع ، غير ان جوزي نسبها للبلعامي ٠

(٩٣) من تاريخ الحركات ، ص ٩٨ - ٩ ٠

(٩٤) مجلة اخبار اكاديمية علوم ١٩٥٩م ، العدد ٢ ، ص ٤٦ ، آذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٣١ ٠

(٩٥) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٨٨٥، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ٠

(٩٦) ايران ، ص ٣٣٠ ، حاشية رقم ٣ ، وكذلك اعتبرت بيكولفسكايا الفترة الاولى ٨ سنوات ، تاريخ ايران ،ص ٥٨ ٠

(٩٧) تاريخ ايران ، ص ٥٨ ٠

(٩٨) ايران ، ص ٣٣٦ ٠

(٩٩) تتفق غالبية المصادر على هذا التاريخ ٠

(١٠٠) مقالة المزدكية ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٤٢ ٠

لها من النفوذ لسرعة انتشارها بين اوسع جماهير الشعب ، وقـــد اهتبـل الملك قباذ الفرصة لكسر شوكة الارستقراطية (مالكة العبيد) والقضاء عليها فقـــرب المزدكيين وقرب مزدك نفسه (١٠١) واخذ يعتمد عليه كثيرا ، وهذا ما جلب حقد الارستقراطيين وتخوفهم من تعاظم نفوذ المزدكيين ، لهذا قرروا الاسراع بتسديد الضربة الـــى الملك حامي الفرقة المزدكية فعزلوه ونصبوا جاماسب ملكا محله ٠ ولقد توهم كل من الطبري والمقدسي وابن الاثير (١٠٢) ، بأن المزدكيين خلعوا قباذا وملكوا أخاه جاماسب ٠

وعند هربه الى الهياطلة (١٠٣) ـ الاتـــراك (١٠٤) « الهون » (١٠٥) المحتلين للاجزاء الشمالية الشرقية من ايران ـ فكر في العودة الى عرشـــه بمساعـدة جيش الهياطلة لانه اراد ان يكسب النصـــر دون ان يكون مدينا لاي من القوتين المتخاصمتين في الداخل ـ ايران ـ ، الارستقراطيين وحلفائهم الروحانيين مـــن جهـــة ، وجماهير الشعب ، المنظمة تحت لواء المزدكية ، من جهة ثانية ٠ هذا مع علـــمه (قباذ) بـأن للارستقراطيين والروحانيين خلعه ، وقـد خلق هذا شعورا لدى قباذ بأن المزدكيين لا عرشه بعد عدة سنوات من حكمه (١٠٦) ، وان جماهير الشعب لم تلمس منـه التأييد المطلق لحركتها ، فهو قد سار معها لتحقيق اغراضه السياسية في ضرب الارستقراطية ورجال الدين (١٠٧) ، لهذا قل حماس الجماهير في تأييـــد قبـــاذ وهـــذا ما يسـر للارستقراطيين والروحانيين خلعه ، وقـد خلق هذا شعورا لدى قباذ بأن المزدكيين لا يستطيعون ان يحققوا له الظفر بالعرش ٠

كل هذه الامور ـ كما يخيل لنا ـ لا بد وان قباذ قد فكر بها طويلا قبـل ان يقدم على استخدام جيش الهياطلة فقط في استرجاع عرشه (١٠٨) ٠

(١٠١) البيروني ، الاثار ، ص ٢٠٩ ، تومارا ، بابك ، ص ٩ ٠
(١٠٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ٠
(١٠٣) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص٨٨٢، ص ٨٨٧ ، ويسميهم ابن خلدون بالصغد ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ٠
(١٠٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٢ ٠
(١٠٥) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٤ ، رستم ، اسد ، ويطلق عليهم الهون البيض ، الروم ، ج ١ ، ص ١٣٦ ٠
(١٠٦) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٧ ، اليعقوبي ، التاريخ ، م ١ ، ص ١٦٤ ، الطبري، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٥ ـ ٦ ٠
(١٠٧) دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٧ ، رستم ، أسـد ، الـــروم ، ج ١ ، ص ١٣٦ ٠ تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٣ ٠
(١٠٨) يضيف تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٣ ، الجيش الايراني الى جيش الهياطلة ٠ ولم يرد ذكر الجيش الايراني في غالبية المصادر ٠

ويتوضح ، بعد عودته (٤٩٨م او ٤٩٩م) للعرش بفضل الجيش الهيطلي (١٠٩)، بأنه قرر السير ــ لفترة من الزمن ــ على سياسة توازن القوى ، فهو من الناحية الاولى وان كان قد عفا عن الارستقراطيين (١١٠) ، الذين ناصبوه العـــداء ، وعـــن أخيه جاماسب (١١١) ، الذي توج ملكا في فترة عزله ، فانه ظل يتخوف منهم ، ومن الناحية الثانية ، وبالرغم من شعوره بأن سبب عزله هو مسايرته للمزدكيين في السابق ، فانه لم يشأ المباشرة بالتنكر للقوى الشعبية فجأة (١١٢) ٠ والظاهر انه اتخذ هذا الموقف بدهاء لانه كان في مركز حرج لا سيما وانه كان مرغما على اعادة جيش الهياطلة الذي ساعده حيث كان هذا الجيش يستنزف مصاريف باهظة ، ولم يكن الملك قباذ ليرغب في توسيع جبهة المعارضة له ، فالارستقراطية ، الساكتة على مضض ، والتـــي كانت قد أرغمت بحراب الاعداء على قبول عودته للعرش ، ستتقوى وينعزل الشاه فيما لو ضرب المزدكيين فورا ــ وهم القوى الاحتياطية التي يمكن ان يركن اليها ــ وهذا لم يكن ، في ذلك الوقت والظرف ، في صالح الملك قباذ (١١٣) ٠

لذا قرر التخلي ، تدريجيا ، عن المزدكيين ، وقرر تقريب قسم من الارستقراطيين، الذين لم يعادوه ، والاعتماد على هذا القسم ، آخذا بعين الاعتبار توسيع هذا الاعتماد في المستقبل ، على الارستقراطيين ، الذين عفا عنهم يـــوم استسلامهم (وقـــد اهلك الخطرين المناوئين له) وبعد ان يزيل مخاوفهم بتقليص تقريبه للمزدكيين (١١٤) ٠ هذه السياسة التي لعبها قباذ ونجح في تطبيقها ترينا ان تأييد قباذ للحركة المزدكية كـان بدافع اغراضه السياسية فقط كما لاحظ ذلك البيروني (١١٥) ، وامـا مناهج الحركة الاجتماعية فقد كانت غريبة عنه تماما ٠ ومثله في ذلك مثل بعض الارستقراطيين الذين انضموا تخوفا للحركة ــ مثل سيواش ــ ومثل الملاكين الصغار ــ الدهاقين ــ ٠ وكان قباذ في استجابته لبعض مطاليب المزدكيين (١١٦) ــ في الفترة السابقة لعزله ــ كان

(١٠٩) يقدره سمينوف بـ ٣٠ الفا ، مقالة المزدكيين ، ص ٣٣٤ ٠
(١١٠) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ ــ ٧ ٠
(١١١) الدينوري ،الاخبار الطوال ، ص ٦٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ ٠
(١١٢) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ ٠
(١١٣) تذكر بيكولفسكايا « في المرحلة الجديدة سياسة الشاه كانت متجهـــة نحـــو اضعاف المزدكيين » ، تاريخ ايران ، ص ٥٩ ٠
(١١٤) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٣ ٠
(١١٥) يذكر البيروني « وآمن قباذ به فزعم بعض الفرس انه لم يتبعه الا اضطرارا حين لم يأمن متبعيه على ملكه » ، الاثار ، ص ٢٠٩ ٠ ويشير فرشمان الى ان قباذ وجد من الشجاعة ليقف مع الناس لاجل ان يضعف سلطان الارستقراطية ، ايران ، ص ٣٠٢ ٠
(١١٦) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣١ ــ ٢ ٠

يرمي الى كسب ودهم حينما كانوا قوة يحسب لها حسابها ، ولكنه لم ينطلق في تأييده للحركة لانه ظل خائفا من توسع مطاليبها ــ الاجتماعية ــ (١١٧) وكـــان تخوفه هذا سببا في عزلته عن الجماهير ومما ادى الى نجاح الارستقراطيين في خلعه عــن العرش وسجنه ٠ وقد حاول كريستنسن ، آرثـــر ــ مستشهدا بالمؤرخين القـــدامى بروكوب وآجاثياس ويوشع ستيليت والمحدثين مثل نولدكه ــ ان يعرض الوقائع كما لو ان قباذا كان مخلصا للحركة وليس مكيافيلي المبادىء (١١٨) ٠

لقد عاد قباذ الى العرش في ٤٩٨م او ٤٩٩م (١١٩) وهو يتذكر ايـــام السجن والتشرد والغربة ، ولهذا خشي من تكرارها فقلل من عطفه على الحركة واخذ يبتعد عنها رويدا رويدا ثم اخذ يتحين الفرص للايقاع بها ٠ وكان المنفذ لمؤامرته ولي عهده الحاقد على المزدكية السيىء الظن ، كسرى (الذي اصبح شاها باسم انوشروان) وسبب حقده ان المزدكيين كانوا يفضلون كاؤوس أمير (بذ شخواركر ــ طبرستان) (١٢٠) ــ الابن الاكبر لقباذ ــ وريثا للعرش بدلا من كسرى الابن الاصغر ، اما الابن الاوســط لقبــاذ ــ زام ــ فكان ذا عيب (أعور) يمنعه الدستور من جراء ذلك من تولي العرش ٠

لم يكن حقد كسرى المنصب على المزدكيين لوقوفهم ضد الارستقراطيين فحسب ، وانما لترجيحهم أخاه عليه ايضا ، لهذا هيأ المؤامرة لضرب المزدكيين ولا سيما قادتهم، وكان والده على علم بالمؤامرة ولاقت استحسانه وتشجيعه ودبرت المذبحة بخديعة دنيئة حيث دعي المزدكيون الى مناظرة عام ٥٢٩م (١٢١) مع رجال الدين الزرادشت واعلن قباذ بدوره طرح مسألة وراثة العرش ، وجرت المناقشـــة الدينية٠ وقـــد ســـاهم فيها الروحانيون الزرادشتيون وأعانهم الاساقفة المسيحيون (١٢٢) ٠ وتقول الروايات بأن المزدكيين دحروا في المناظرة وحين ذاك انقض الجند بعد اطلاق الاشارة مـــن كسرى

(١١٧) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣١ ، ص ٣٣٣ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٧ ،سمينوف ويتفق مع كريستنسن في رأيه ، مقالة المزدكيين ، ص ٣٣١ ٠

(١١٨) ايران ، ص ٣٣١ ، راجع مناقشة دياكانوف لآراء كريستنسن هذه في مختصـــر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٤ ــ ٥ ٠

(١١٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ ٠

(١٢٠) كان كاؤوس أميرا على طبرستان (بذا شخوار ــ شـــاه) ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٩ ، ويسميه سمينوف ، باتشغوار ــ شاه ، مقالة المزدكية ، ص ٣٣٥ ٠

(١٢١) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٤٤ ، ويعتقد انها في نهاية ٥٢٨ وبدايـــة ٥٢٩ ، ويعتقد ياكوبفسكي انها في عام ٥٢٨ ، مجلة الاستشراق السوفييتية ، المجلد ٥ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٠ ، راجع تاريخ بلدان الشرق الاجنبية الذي يعتبرها في ٥٢٩م ، ص ٨٤ ٠

(١٢٢) كان أسقف المسيحية بازان حاضرا ، كريستنسن ، ايـران ، ص ٣٤٥ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣٣٦ ٠

وجرت المذبحة الدموية وذهب ضحيتها آلاف المـــزدكيين « ٨٠ الفا » (١٢٣) العزل ، بضمنهم مزدك نفسه ٠ ثم تلت تلك المذبحة الرهيبة تعقيبات مريعة استمرت حتى بعد وفاة الملك قباذ (٥٣١م) وكانت اشدها عندما تسلم كسرى انو شروان ، الملك الحاقد ، العرش حيث دشن حكمه بمذابح هائلة بين الخازر والنهروان والمدائن (١٢٤) ، ذهب ضحيتها عشرات بل مئات الالوف من الانصار المخلصين ٠ ولئن تيســـر للسلطــة الساسانية الاجهاز على القسم الكبير من المزدكيين فان تعاليمهم الاجتماعية الثورية ظلت تتوهج في قلوب رواد الحرية وكانت الشعارات النيرة لثورات الفلاحين والسبيل القويم الذي سلكته الخرمية في نضالاتها وانتفاضاتها الفلاحية ٠

واما تاثير الحركة في ايران نفسها فانها اجهزت على العديد من الارستقراطيين ـ مالكي العبيد ـ ولهذا فان كسرى انوشروان حينما اراد ، بعد توليه العرش ، مساندة الارستقراطيين لعرشه ، وجدهم مبعثرين منهوكين ضعيفين ٠ حيـن ذاك وزع اراضي الفلاحين المشاعية على ملاكين جدد وقدم لهم الاموال واعفاهم مـــن الضرائب وبهذا ساعد على خلق وتقوية الارستقراطية الجديدة ، الا وهي الارستقراطية المالكة للاراضي فجاءت تنظيماته المالية لفائدة الارستقراطيين ، وبهذا ابـرزت تلــك التنظيمات تطور علاقات الانتاج ووطدت العلاقات الاقطاعية والنظام الاقطاعي ـ الذي كـــان فـــي بدء تكوينه ـ ، ولما كانت المزدكية نتيجة لأزمة عهد العبيد فقد لعبت دورها في عملية نشوء ونمو الطبقة الاقطاعية بقضائها على عدد كبير من ارستقراطيي العبيد ٠ اننا اعتمدنا في تحليلنا المتقدم ، حول مساعدة انو شروان في نمو ونشوء الطبقة الاقطاعية ، على مـا اورده الطبري (وامره بعيال ذوي الاحساب الذين مات قيمهم فكتبوا له فأنكح بناتهـم الاكفاء وجعل جهازهم من بيت المال وأنكح شبانهم من بيوتات الاشراف وساق عنهـم وأغناهم وأمرهم بملازمة بابه ليستعان بهم في اعماله ٠٠٠ وأمر بكري الانهار وحفـر القنى واسلاف اصحاب العمارات وتقويتهم) (١٢٥) ٠ ففي هذا نرى كيف ان انوشروان ساعد على تمركز الارستقراطية المالكة للاراضي ، والنامية حـــديثا ، من اجـــل ان يستعين بها او كما يقول ـ كريستنسن ـ « وعلى هذا النحو ظفر كســـرى الاول بطبقة

(١٢٣) ايفانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠ ، ولا شك ان هذا الرقم لا يقتصر على المشاركين في المناظرة ٠

(١٢٤) اليعقوبي ، ج ١ ، ص ١٨٦ ، ويعتبر مقتل مزدك ايام حكم انو شروان وهذا غير صحيح، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٩٧ ، المسعودي ، مروج ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، الاصفهاني ، ابو الفرج ، الاغاني ، ج ٨ (طبعة ١٩٠٤) ص ٦١ ، المقدسي ، المطهر بن طاهر (اعتبر عدد القتلى ٨٠ الفا ، بينما عدهم الاصفهاني وابن الاثير ١٠٠ الف) ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل، ج ١، ص ٢٥٥

(١٢٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٩٧ ٠

جديدة من النبلاء خاضعة له » (١٢٦) · ولكي يقربهم اليه اكثر ومن اجل تقويتهم اعفاهم من الضرائب ، فقد ذكر الطبري ـ كما اشرنا الى ذلك قبلا ـ « وألزموا الناس الجزية ما خلا اهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك » (١٢٧) ·

جـ ـ الخـــرّمية

الخرمية :

الخرمية فرقة دينية متطورة عن المزدكية ، تؤمن بصراع الخير (اله النور) مع الشر (اله الظلمة) (١٢٨) ، ذات برامج اجتماعية ثورية محدودة تدعـــو الى توزيع الاراضي على الفلاحين وتعميم الاستفادة من المنافع العامة على الجميع وتحرير مركز المرأة من المكانة المتدنية التي وصلت اليها ، وتدعو الـــى مقاومة الظلـــم والاستغلال بالامتناع عن اطاعة الاقطاعيين والسلطة ورفض الضرائب · كـــان الفلاحون يشكلون الغالبية العظمى من منتسبيها · وقد عبّرت الخرمية عن سخطها واحتجاجها على الظلم الصارخ بسلسلة من الانتفاضات العارمة امتد لهيبها من اذربيجان وارمينيا وعبر ايران الى ما وراء النهر حيث رددت اصداءها هضاب البامير · ولما كان منتسبوها من بلدان مختلفة ، ولاستمرار فعاليتها سنين طويلة ، عـــدّها المؤرخون والباحثون فرقا عديدة، ولكنني ارى بأن الخرمية فرقة دينية واحدة احتوت على جماعات مختلفة بأسماء مختلفة (مبيّضة ، محمّرة ، بابكية ·· ·الخ) في بلدان متعددة لسنين طويلة ، لهـذا التبس على المؤرخين والباحثين امرها كما واختلفوا في اصل تسميتها (١٢٩) كمـــا اختلف المؤرخون في تسمية الجماعات المنظمة لفرقة الخرمية ·

ولقد برزت فصائل الخرمية بنشاط محدود في اواخر العهد الامـــوي (١١٨هـ / ٧٣٧م ـ ايام الدعوة العباسية ـ في عهد المسؤول عن الدعوة في خراسان ، عمار بـــن

....

(١٢٦) ايران ، ص ٣٥٠ ·

(١٢٧) تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٩٦٢ ·

(١٢٨) تشير غالبية المصادر الى ان الخرمية من الثنوية ·

(١٢٩)أنظر مقالة بونيياتوف حول مصطلح الخرمية ، مجلة اخبار ·١ ع· ج· ·١ س· عام١٩٥٩م العدد ٢ ص ٤٥ ـ ٥٠ ، واذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٦٣٠ ـ ٦

يزيد الذي سمى نفسه خداش) (١٣٠) ، وازداد نشاط الخـــرمية وتوسعت فعاليتها في العصر العباسي الاول بسبب تخلي العباسيين عن وعودهم فـــي تحسين احوال البلاد الاقتصادية ، ولتطبيقهم اساليب جائرة قاسية في الاستغلال والتسلط ٠ فأصبحت تعاليم الخرمية الغطاء الايديولوجي للثورات الشعبية ٠ لقد اختلط الامـــر علـــى المؤرخين والباحثين في اصل تسمية الخرمية وفي الجماعات المنضمة اليها ، فالمسعودي لا يضبط اسمـــاء الجماعات الخرمية حتى في مؤلفاته المختلفة ، ففي التنبيـــه والاشراف يسميهم (الكوذكية منهم والكوذشاهية) (١٣١) وفي المروج كتب (واكثر الخرمية في هذا الوقت ـ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ـ الكردكية واللودشاهية) (١٣٢) ، اما ابن النديم فيخلط بين المزدكية والخرمية اذ اعتبرهما جميعا خرمية معتبرا المزدكية الخرمية الاولى والبابكية الخرمية الثانية (١٣٣) ، وقد شابه البغدادي في تعـــريفه للخرمية رأي ابن النديم حيث اعتبر المزدكية خرمية سابقة للاسلام والبابكية والمازيارية خـــرمية العهد الاسلامي (١٣٤) ، وكذلك شابه الاسفرائيني في تعريفه للمزدكية والخرمية(١٣٥) اقوال البغدادي ٠ هذا الخلط اوهم البقية واوقعهم في ارتباك لا يميزون فيـه بيـــن المزدكية والخرمية ٠ وقـد اعتبر المقدسي الخرمية فرقا واصنافا (١٣٦) ٠ هنالك رأي حول اسم خرم يرجع التسمية الى زوجة مزدك خورامه ابنة فاده ، فلقد ورد لـــدى الوزير نظام الملك (١٠٩٢م) في كتابه (سياست نامه) « ان زوجة مزدك خورامه ابنة فاده هربت مع اثنين من المدائن وظهرت في منطقة الري ودعت الناس الى تعاليم زوجهـــا وانتمى مختلف الناس الى هذه العقيدة وسماهم الناس (الخرم دينين) » (١٣٧) ، وقـــد ردد

---

(١٣٠) يقول الطبري عن خداش « ثم غير ما دعاهم اليه وتكذب واظهر دين الخرمية ودعا اليـه ورخص لبعضهم في نساء البعض » ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٥٨٨ وتجـــد ترديد هذا القول لدى ابن الاثير في الكامل والمقدسي في البدء والتأريخ (ويقول عنه ، وهو أول من بدأ مذهب الباطنية) ، ج ٦ ، ص ٦٠ ـ ١ ٠

(١٣١) ص ٣٥٣ ٠

(١٣٢) الطبعة الثانية ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ ٠

(١٣٣) الفهرست ، ص ٤٩٣ ـ ٤ ٠

(١٣٤) الفرق بين الفرَق ، ص ٢٦٦ ، الا انه ذكر عن الخرمية في مجال آخر بأنهم على طريقة المزدكية (وكان اهل جبله « يقصد بابك » خرمية على طريقة المزدكية) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ ٠

(١٣٥) التبصير ، ص ٦٢ ٠

(١٣٦) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ٠

(١٣٧) وجنان بودكه زن مزدك خرمه بنت فاده بكر يخته بوداز مداين بادوكي وبرستـــاق ري افتاده ومردم رابمذهب شوهرمي خواند تاباز خلقي در مذهب او آمـــدند ازكبران ٠ ومردمان ايشان راخرم دينان لقب نهاوند ٠٠٠ ، سياست نامه ، باهتمام هيوبرت دارك، طهران ، ١٩٦٢ ، ص ٢٦١ ، انظر الترجمة الروسية للسياست نامـــه ، زاخودير ، موسكو ١٩٤٩ ، ص ٢٠٥ ٠

هذه المقولة غير قليل من الكتاب والمحدثين (١٣٨) ، ان انفراد نظام الملك بهذه الرواية يدعو الى الشك بها والى صعوبة الاعتماد عليها ، ولهذا فلا يمكن التصديق بأن الخرمية جاءت من خورامه وان المزدكية تسمى خرمية تبعا لخورامه ، ولا شك ان هذا الخلط جاء بتأثير تسمية ابن النديم والبغدادي والاسفرائيني للمـــزدكية بالخرمية الاولى ٠ واما الشهرستاني فانه حينما يتكلم عن المزدكية يذكر الجماعات الخرمية الموجودة في العصر العباسي كفرق لها مع العلم بأن المزدكية كانت موجودة في العصر الساساني فقط ، فقد كتب عن المزدكية « وهم فرق : الكوذية وابـــو مسلميـــة والماهـانية والاسبيدجامكية (المبيضة) والكوذية بنواحي الاهواز وفارس وشهورزور والآخر بنواحي سغد سمرقند والشاش وايلاق » (١٣٩) ، ولا ندري لماذا اعتبر ياكوبفسكي ان الشهرستاني عنى بقوله هذا انقسام الخرمية الى هذه الفرق (١٤٠) ، ان الشهرستاني لم يتطرق هنا الى الخرمية وانما هو يخلط بين المزدكية والخرمية اذ انه لم يذكر الخرمية هنا اطلاقا ، لقد ورد ذكر الخرمية لدى الشهرستاني عند كلامه عن فـــرقة الهاشمية والتي هـــي احـــدى فرق الكيسانية ٠ لقد ذكر الشهرستاني عن الهاشمية « وعنه نشأت الخـــرمية والمزدكية في العراق » (١٤١) ونلاحظ هنا عدم تمييز الشهرستاني للفرق بين المزدكية والخرمية فقد اعتبرهما خطأ قد نشأتا عن الهاشمية ٠ ويرى السمعاني ان الخـــرمية يحللون الخمرة والنساء (١٤٢) ويعتبر ابن الجوزي كلمة خرم لفظ اعجمي ينبي عـــن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الانسان له ، وان الخرمية لقب للمزدكية (١٤٣)، وينفرد ابن الاثير ــ في الكامل ــ فيذكر ان : « معنى خرم فرج وهي مقالات المجوس والرجل منهـم ينكح

....

(١٣٨) ياكوبفسكي في مقاله عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفييتية م ٥ لسنة ١٩٤٨ ص ٤٠ ، لويس ، اصول الاسماعيلية ، ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ ، الدوري ، فـــي اعتماده على براون ، تاريخ الادب الفارسي ، المجلد الاول ، جاء بنص عن نظام الملك فيه قليل من التحريف ، العصر العباسي الاول ، ص ٨٤ ، العدوي ، الدولة الاسلامية ، الحاشية رقم ٢ ، ص ١٠٠ ، ايرجي تسيبك ، بابك ، براغ ، ١٩٥٢ ، ص ١٦٣ ــ ٤ ، والملاحظ ان كريستنسن لم يشر الى خورامه مطلقا ٠

(١٣٩) الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ ٠

(١٤٠) كتب ياكوبفسكي « قال الشهرستاني ان الخرمية انقسمت الى عدة فرق في القرنين الثامن والتاسع ، ابو مسلمية ماهانية كودكية اسبيد جاماكية وغيرها » ، تاريخ ايران ، ص ١٠٧ ، راجع ايضا مقالته عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفييتية المجلد الخامس لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٠ ٠

(١٤١) الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٥٢ ٠

(١٤٢) كتاب الانساب ، لندن ١٩١٢ ، ص ٧٢ ، ويرى البغدادي ان المقنعية « يستحلون الميتـــة والخنزير وكل واحد منهم يستمتع بامرأة غيره » ، الفرق بين الفرَق ، ص ٢٥٩ ٠

(١٤٣) تلبيس ابليس ، ص ١٠٢ ــ ٣ ٠

امه واخته وابنته ولهذا يسمونه دين الفرج) (★) ، ولا شك ان كلمة فرح وصلت الى ابن الاثير محرفة الى فرج مما اضطره الى ان يخلط بين الخرمية والزرادشتية الذين كانوا يبيحون زواج المحارم ويعتقد ابن خلدون ان خرم معناه فــرح ، وانهــم كانوا يعتقدون مذاهب المجوس (١٤٤) · نجد ترديد هذه الاقوال لدى الكثيرين من المتأخرين ، والتي هي محاولة لوصم الفرقة بالاباحة والاستهتار · لقد كان العالم الالماني فلوكل اول مستشرق استخدم اقوال ابن النديم والاقوال السابقة لتفسير كلمة خـــرم بمعنى (ماجن ، مرح ، بدون حياء ، مستهتر) (١٤٥) ويرى ولهاوزن ان الخرمية ليست فرقة وانما ميلا اباحيا عاما(١٤٦) ، بينما يرى فان فلوتن ان ترجمة مصطلح خرم كـ (ملتذ) اعطى مبررا للكلام عن الخرمية كحملة دين ما جديد واظهارهم على انهـــم لا يعرفون (كذا) اي دين آخر غير دين اللذة (١٤٧) · لقد رد موللر على تفسير فلـــوكل لكلمة (خرم)المنقولةعن الفارسية (فرح) بأنه لا يعدو نكتة مدرسية (١٤٨) · ويرد الدوري ـ معتمدا على آراء صديغي ـ على اقوال ولهاوزن التي تنكر وجود فرقة خرمية ، فيذكر الدوري ان آراء صديغي اظهرت ان الخرمية فرقة دينية ترجع مبادئها الـى (مزدك) الاباحي (كذا) ثم حصل فيها تطور بمرور الزمن وانهم اتخذوا لانفسهم لقب (خرم دينان) او اهل الدين الفرح (١٤٩) (كذا) · ان آراء صديغي التي يتفق معها الدوري هي ترديد لاقوال ابن خلدون وغيره اما كون الخرمية فرقة دينية فقد ذكر الطبري عـن خداش انه اظهر دين الخرمية ·

لقد اوضح مارغليوث انه لا يرجح تفسير السمعاني لكلمة خـــرم بمعنى الرضا (١٥٠) كما وان جوزي يردد اقوال موللر ومارغليوث في الرد علـــى الـذين يعتبرون (خرم) تعني الفرح واللذة (١٥١) ويرى بونيياتوف ان في الرواية التي تربط اسم خرم

(★) جـ ٥ ، ص ١٨٤ ·

(١٤٤) كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ ، وتحت تأثير ابن خلدون وقع زيدان ، عبد الكريم في الخطأ حينما يعد الخرمية من فرق المجوس ، احكام الذميين ، ص ١٥ ·

(١٤٥) مجلة جمعية الاستشراق الالمانية *ZDMG* ليبزغ ١٨٦٩ ، ص ٥٣١ ·

(١٤٦) الدولة العربية ، ص ٤٠٧ ــ ٨ ·

(١٤٧) فان فلوتن ، السيادة العربية ، امستردام ، ١٨٩٤م ، ص ٤٩ ، وقد سبق وان قال شبيه هذا القول العالم الانكليزي ج· سيل *G. Sale* ، القرآن *The Koran* ، لندن ، ١٨٥٧ م ، ص ١٣٠ ·

(١٤٨) تاريخ الاسلام ، هامش ص ١٩٦ ·

(١٤٩) العصر العباسي الاول ، ص ٣٧ ·

(١٥٠) دائرة المعارف الاسلامية المختصرة (النسخة الانكليزية) ، ليدن ، ١٩٥٣ ، ص ٢٥٧ ·

(١٥١) من تاريخ الحركات ، ص ١٠٠ ·

بالاباحة يسترعي النظر ضيق الافق العلمي والسياسي والتحيــز الطبقــي للمؤلفين الاقطاعيين والبرجوازيين (١٥٢) ٠ وقد اوضح بونيياتوف ـ مستخدما اقوال تومارا ـ (١٥٣) صعوبة اعتبار الخرميين المكافحين كفاحا بطوليا لمدة عشرين عاما جمهورا من المرحين جدا ٠٠٠ لان اية حركة تحررية ترافق بالسكر والمجون يكتب لها الفشل مسبقا (١٥٤) ٠ ولا شك ان محاولة وصم الخرمية بالاباحة والاستهتار هــي بدافــع تشويه جوهرها الكفاحي البطولي ٠

هنالك رواية ثالثة حول اصل تسمية الخرمية ترجع ذلك الــى اســم منطقة في اذربيجان غير بعيدة عن اردبيل وقد وردت اقوال المسعودي (١٥٥) وياقوت الحموي (١٥٦) وصادق الاصفهاني (١٥٧) في ذلك وموللر في معرض رده علــى فلوكل يرجح هذه الرواية (١٥٨) كما وان مارغليوث يرجح هذه الرواية على تفسير السمعاني(١٥٩)، وتجد ترديدها لدى فان فلوتن (١٦٠) ، وحتي (١٦١) ، وجوزي (١٦٢) ، وقد اخذ بها ايضا سيل (١٦٣) وشريف (١٦٤) ، ومصطفى شاكر (١٦٥) ، ويرى بونيياتوف انه لا يستبعد قبول مثل هذا التفسير لمنشأ اسم خرم لــو لم تعترضه روايات وآراء مؤرخين اخرى (١٦٦) ٠ ولا شك ان هذه الرواية هي اقربها جميعا للقبول٠ ولبونيياتوف اقتراح، بعد رفضه لآراء الفئات الثلاث ، فانه يعتبر اصل منشأ كلمة خرم من النار فهو يقول : « من غير ان نمس هنا المشكلة المستقلة والمعقدة عــن عــلاقات ايديولوجية المزدكيين والخرميين بعبادة النار (الزرادشتية ، المزدية) ، نقترح تحليلا لمصطلح خــرم على

---

(١٥٢) مجلة اخبار أ٠ ع٠ ج٠ أ٠ س٠ ، العدد ٢ ، ص ٤٨ ، اذربيجان ، ص ٢٢٣ ٠
(١٥٣) م٠ تومارا ، بابك ، ص ٧ ٠
(١٥٤) بونيياتوف ، حول مصطلح الخرمية ، ص ٤٨ ، اذربيجان ، ص ٢٢٣ ٠
(١٥٥) مروج الذهب ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ ٠
(١٥٦) معجم البلدان ، بيروت ، ج ٧ ، ص ٣٦٢ ٠
(١٥٧) اعمال صادق الاصفهاني الجغرافية ترجمت من قبل جي٠ سي٠ ، لندن ١٨٣٢، ص ٢٣ ٠
(١٥٨) تاريخ الاسلام ، هامش ص ١٩٦ ٠
(١٥٩) دائرة المعارف الاسلامية المختصرة (النسخة الانكليزية) ، ط ١٩٥٣ ، ص ٢٥٧ ٠
(١٦٠) السيادة العربية ، ص ٤٩ ٠
(١٦١) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٤٠٠ ٠
(١٦٢) من تاريخ الحركات ، ص ١٠٠ ٠
(١٦٣) القرآن ، ص ١٣٠ ٠
(١٦٤) الصراع ، ص ٥٦ ٠
(١٦٥) في التاريخ العباسي ، ج ١ ، ص ١٢٢ ٠
(١٦٦) حــول مصطلح الخرمية ، مجلة اخبار أ٠ ع٠ أ٠ ج٠ أ٠ س٠ ، العــدد ٢ ، ص ٤٥ ، اذربيجان ، ص ٢٣٦ ٠

اساس مفهوم (النار) · في اللغتين الفارسية والارمنية خور تعني شمسا في الاولى ونارا في الثانية (النار التي لا ترى ولا تمس) » (١٦٧) · لكـــن هذا التحليل الممتع الجديد لانحدار كلمة خـُـــرَم من النار وربط العلاقة بين التسمية وعبادة النار وان كان لا يحتمل الشك الا انه ليس من الميسور الاخذ به ، لانه قد يجرنا لان ندعو كثيرا من عبدة النار خرمية بدلا من مزدية وزرادشتية وبارسية وغيرها ·

بالرغم من اطلاق اسم الخرمية على منتسبي الفرقة من قبل المؤرخين فان هنالك من لا يزال يسميهم بغير هذه التسمية ، فكريستنسن حينما يتكلم عن المزدكية يذكر بأنها عاشت سرية في العهد الساساني ثم عادت للظهور من جديد في العصـــــور الاسلامية (١٦٨) ، ويطلق كريمسكي عليهم اسم المزدكية (١٦٩) وعلى هذا المنوال يسمي سمينوف الخرمية باسم المزدكية الجديدة (١٧٠) وكذلك يسميهم نفيسي بالمزدكية الجديدة (١٧١) بالاضافة الى تسميتهم بالخرمية · ان هذه التسمية لا يمكـــن اعتبارها مضبوطة لان الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية متأثرة بالوضع الجديد (المحيط الاسلامي) ·

ويرى شريف ان الخرمية نشأت بعد مقتل ابي مسلم وتسمى ايضـــا بالمسلمية ، ويمكن ارجاع تسميتها الى قرية قرب اردبيل (١٧٢) ، وكذلك اعتبر حتي ظهور الخرمية بعد مقتل ابي مسلم ، وهي طائفة منسوبة الى بقعة في فارس (١٧٣) · ولا بد ان شريف وحتي قد تأثرابقول براون « ان الثورات التي قامت في ايران والتي قادها مدعو النبوة من سنباذ المجوسي (٧٥٤ ــ ٥م) واستاذسيز (٧٦٦ ــ ٨م) ويوسف البـــرم والمقنع (٧٧٧ ــ ٨٠ م) وعلي مزدك (٨٣٣ م) وبابك الخرمي (٨١٦ ــ ٩٣٨ م) كانت عـــلى (الاغلب) مرتبطة بذكرى ابي مسلم » (١٧٤) ، ومن المحتمل ايضا انهما تأثرا بـــرأي صديغي « لا شك ان الخرمية جميعا اعتبروه (ابي مسلم) كرئيس ديني » (١٧٥) ، لكن الخرمية كما شاهدنا من اقوال الطبري (عن خداش) وغيره موجودة في العصر الاموي

---

(١٦٧) مقالة الخرمية ، مجلة ، ص ٥٠ ، اذربيجان ، ص ٢٣٦ ·

(١٦٨) ايران ، ص ٣٤٧ ·

(١٦٩) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٩٦ · وكذلك يسميهم احيانا ياكوبفسكي « بالمزدكية » في مقالته عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفييتية ، المجلد ٥ لسنة ٤٨، ص ٤٠ــ١ ·

(١٧٠) تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٣٣ ·

(١٧١) اذربيجان قهرماني بابك خرم دين ، باكو ١٩٦٠ ص ٢٠ ·

(١٧٢) الصراع ، ص ٥٦ ·

(١٧٣) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٤٠٠ ·

(١٧٤) براون *Broune, E. G.* ، تاريخ الادب الفارسي ، م ١ ، ص ٢٤٧ ·

(١٧٥) صديقي *Sadighi, G. H.* الحركات الدينية الايرانية ، باريس ، ١٩٣٨ ·

ونشطت خلال العصر العباسي ، وقد اشار الى ذلك لويس (١٧٦) والدوري (١٧٧) ، فالخرمية سابقة لفترة رئاسة ابي مسلم للدعوة العباسية في ايران ، اما ان الحركات الخرمية في العصر العباسي الاول قد تأثرت لحد مـــا بدعايته (١٧٨) ، وترك مقتلــه انطباعا سيئا وخيبة امل لدى الجماهير الناشدة تحسين اوضاعها الاقتصادية من قبل العباسيين فهذا امر لا يحتمل الشك ، ولكن لا يمكن بأي حال من الاحوال اعتبار مقتل ابي مسلم سببا لظهور الخرمية اذ ان لهذه الفرقة برامج اجتماعية كانت تنشد تحقيقها ولما ظهر زيف ادعاءات الخلفاء العباسيين وتنكرهم لمطاليب الجماهير التي ساعدتهم في القيام بالدعوة ، وتحقق ذلك بمقتل ابي مسلم ، نشطــت الانتفاضات الجماهيرية التي لعب الخرميون الدور البارز في تحريكها وقيادتها والمساهمة فيها ولا يستبعد استخدامهم لاسم ابي مسلم ٠

وجهت للخرمية تهمة الاباحة والمجون ولا شك ان تدقيق اقوال المؤرخين يوصلنا الى انه في اطلاقهم هذه التهمة لم يكونوا متأكدين تمام التأكد ٠ فالمقدسي ، وقــد زار مناطق الخرمية وناقشهم في مختلف القضايا ، يقول : ومن شاهدنا منهــم في ديارهم ماسبذان ومهرجان قذق فانا وجدناهم في غاية التحري للنظافة والطهارة والتقرب الى الناس بالملاطفة بتقديم الصنيعة **ووجدنا منهم من يقول باباحة النساء على الرضا منهن** واباحة كل ما يستلذ النفس وينزع اليه الطبع ما لم يعد على احــــد بضرر (١٧٩) ٠ فالمقدسي ذكر « ووجدنا منهم من يقول » ولم يذكر المقدسي بأنــــه وجــــدهم يستبيحون النساء وانما وجد منهم (ومنهم تدل على قسم منهم) وهذا القسم يقول باباحة النساء وعلى الرضا منهن ٠ ويخيل لي ان المقدسي لم يلمس او يتأكد من التهمة التــي اطلقها ويطلقها المؤرخون السابقون والمعاصرون له ، ولهذا لم يستطع نفيها في وسط ذلك الجو المحموم بالحقد والكراهية للخرمية والا عد مدافعا عنهم ، ولهــذا جعــــل كلامه مبهما ويحتمل الشك بقوله (ووجدنا منهم من يقول) ، ان هذه المحنة التي وقع فيها المقدسي، المطهر بن طاهر ، من جراء ترديده لاقوال ابي المنصور البغدادي ولاقوال ابــي المظفر الاسفرائيني وغيرهما ، وقع فيها ــ المحنة ــ ابن الجوزي ، ابو الفرج ، ففــي محاولة منه لطعن البابكية في سلوكهم واخلاقهم ، ومرددا لافتراءات ابن النديـــم والبغدادي والاسفرائيني ، لم يستطع « ابن الجوزي » تأكيد قوله ، ولهذا جــاءت مقولته تحتمــل الشك ومن ثم تكشف عن مقدار الجهد المبذول لاختلاق الماثلب ، لقد كتب ابو الفرج عن

....

(١٧٦) العرب في التاريخ ، ص ١٤٢ ٠

(١٧٧) العصر العباسي الاول ، ص ٣٦ ٠

(١٧٨) ن٠ م٠ ، ص ٨٥ ٠

(١٧٩) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ٠

البابكيين (فقد بقي من البابكية جماعة **يقال ان لهم ليلة في السنة** ، تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج يتناهضون للنساء فيثب كل رجل منهم الى امرأة » (١٨٠) ان ابن الجوزي في ترديده لاقوال من سبقه في هذه الفرية لم يجد دليلا واحدا على حدوث الاباحة حتى ولو لمرة واحدة في السنة ، فلو كان قد عثر على دليل واحد لاطلق التهمة صراحة دون لبس او ابهام ـ ان جملة ، **يقال ان لهم ليلة في السنة** ، لدليل على بطلان هذه التهمة لان ابن الجوزي ، وهو من اشد المؤرخين عداء وبغضا لهم ، لم يستطع الجزم بهذا المنكر ، ان كلمة **يقال** تدل على احتمال وقوع الشيء او عدم حدوثه، اي تدل على عدم التأكد ·

لقد كان الخرميون يحترمون حرية الاعتقاد ويكرهون سفك الدماء الا اذا اجبروا على القتال ، كما وانهم كانوا ميالين لجعل المنافع العامة مشتركة ما لم تسبب ضررا على الآخرين وهذا ما يشهد به زائر مناطقهم ، المقدسي ، المطهر (وكل ذي دين مصيب عندهم اذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب ولا يرون تهجينه والتخطي اليه بالمكروه ما لم يرد كيد ملتهم وخسف مذهبهم ويتجنبون الدماء جدا الا عند عقد راية الخلاف) (١٨١) ·

لقد سعت الخرمية الى تحقيق المساواة وتعميم الاستفادة من المنافع العامة وتحرير مركز المرأة ، لذا واجهت قوى عديدة وقفت ضد تحقيق برامجها ، فالسلطة العربية (في العصر الاموي) والارستقراطية القبلية العربية (باستثناء العائلة العباسية) وقفت ضدهم والسلطة العربية والارستقراطية العربية والمحلية (في العصر العباسي) والفقهاء المسلمون ورجال الدين الزرادشتيون وقفوا ضد الخرمية لبرامجها الاجتماعية· ولما كانت غالبية الخرمية من الفلاحين ـ ذكر المسعودي عنهم : واكثر هؤلاء في القرى والضياع (١٨٢) ، لهذا شغلت قضية الارض المركز الاول في اهتمام الخرميين فكانوا يحررون الارض من الاقطاعيين ليزرعها الفلاحون مشاعا وكثيرا ما كانوا يؤلبون الفلاحين على سادتهم كما اخبرنا الطبري عن المازيار : وامر أكرة الضياع بالوثوب

....

(١٨٠) نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس ، ص ١٠١ ·

(١٨١) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مرغليوت ، دائرة المعارف الاسلامية (النسخة الانكليزية) ، ١٩٥٣ م ، ص ٢٥٨ ·

(١٨٢) مروج الذهب ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ ، ويذكر البغدادي عن اتباع المازيار (واتباع مازيار اليوم في جبلهم أكرة من يليهم من سواد جرجان) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ·

بارباب الضياع وانتهاب اموالهم (١٨٣) • ويحرضون جماعاتهم علـى عدم الخضوع لسلطة الخلافة والامتناع عن دفع الضرائب •

لقد ناصبت الزرادشتية ـ كما شاهدنا ـ المزدكية العداء السافر وفـي العهود الاسلامية وجهت الزرادشتية عداءها ضد الخرمية وريثة المزدكية • ومـع انه لم يبق للزرادشتية من شأن يذكر في الحياة السياسية الا انه بقي لها النفوذ العقائدي وسـط الذميين الايرانيين ، اما الاسلام ـ وكان يمثله (بالنسبة للخرميين) رجال السلطة ومن التف حولهم من الملاكين المحليين الذين انتقلوا من الزرادشتية الى الاسلام واعتنقوا مذهب الدولة السني (١٨٤) ، لان الخوارج والشيعة مذاهب اسلامية مناهضة لسلطـة الخلافة ، وكان الخرميون بدورهم ضد الزرادشتيين وضد المسلمين ، وكـان الاسلام بالنسبة للثائرين دين الطبقة السائدة ، فكان اعتناق الثائرين للخرمية من سبيل المعارضة الثورية • لقد بين انكلز في تحليله الرائع لنضال الطبقات في القـرون الوسطى عند دراسته لحرب الفلاحين في المانية بأن المعارضة الثورية كانت تتخذ اشكالا مختلفة ، حيث كتب : « لقد استمرت المعارضة الثورية للاقطاع طيلة القرون الوسطى فقد اتخذت تبعا للظروف الزمنية ، اشكالا مختلفة فمرة كانت تتخذ مظهرا دينيا واخرى شكل هرطقة مكشوفة وتارة تقوم بشكل انتفاضـة مسلحة » (١٨٥) • فكـانت الخـرمية الاطار الايديولوجي للمناهضة الثورية ضد الطبقة السائدة وضد السلطة لان النـزاع بين الخرمية وسلطة الخلافة كان بسبب تفاقم الجور والظلم والاستغلال الطبقي والحكومي وقد اشار الى ذلك بارتولد حيث ذكر بأن النزاع يخفي تحته مسألـة الارض (١٨٦)، ونعتقد بأن الخرمية كانت مناهضة للسلطة الاسلامية وليست ضد الدين الاسلامي كدين لان الخرميين كانوا يعتقدون بحرية الاديان « وقد بنوا في جبلهـم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون اولادهم القرآن » (١٨٧) ، واعترف المقدسي ، المطهر

---

(١٨٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ ، ويقول بارتولد « فيثيرون المزارعين المحرومين من الارض ضد اصحاب الضياع الواسعة الذين هم (حلفاء العرب) » ، الحضـارة الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة ص ٦٦ •

(١٨٤) ينقل لويس عن (صديغي ، الحركات الدينية ، ص ٦١) : فصـار زرادشتيو الطبقات الراقية من الفرس سنة وبقوا على امتيازاتهم ، اصول الاسماعيلية ، ص ٨٥ • بينمـا الزرادشتيون البسطاء انتقلوا الى الشيعة ـ كما يشير الى ذلك بارتولد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة الترجمة العربية ص ٦٦ •

(١٨٥) الحرب الفلاحية في المانية ، ص ٣٤ •

(١٨٦) الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ والترجمة ، ص ٦٦ •

(١٨٧) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، راجع مرغليوث ، دائـرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ص ٢٥٨ •

بن طاهر ، باحترام الخرميين لاصحاب الاديان (١٨٨) ٠ لكن غالبية المؤرخين والفقهاء المسلمين اعتبروا الخرمية تريد الكيد للدين الاسلامي وتسعى الى تحطيمه ، فالبيروني يقول عن المقنع انه شـــرع لاتباعه (جميع ما اتى به مزدك) ، ويقول ابو الفرج ابن الجوزي (ان الثنوية والمجوس ارادوا ارجاع ممالكهم وابطال الاسلام) (١٨٩) ، ويقول المقريزي عن الايرانيين : انهم راموا كيد الاسلام بالمحاربة فــي اوقات شتى (١٩٠) ٠ ولا شك ان انعدام امكانية معرفة الاسباب الاجتماعية والاقتصادية للحركات الثورية في ذلك العصر ـ وهذا طبيعي لمفكري ومؤرخي تلك الحقبة ـ بالاضافة الى خوف المؤرخين من بطش الحكام والتفاف قسم من المؤرخين حول السلطة ولسيادة الافكـــار الرجعية ولانحدار بعض المؤرخين والفقهاء الطبقي ، كل ذلك جعلهم يقفون ضد الحركة الخرمية٠ لقد سلكت جماهير الشعب المستغلة دروبا عديدة في سبيـــل تخلصها مـــن الجور والاستغلال والاستبداد ، فالموالي لجأوا الى الاحـــزاب والمذاهب الاسلامية الثائرة كالخوارج والشيعة (١٩١) ، والى بقية الجماعات المنتفضة ، راجية تخفيـــف الظلم والاضطهاد عنها ، ولما كانت مناهج تلك الاحزاب ـ حتى العصر العباسي الاول ـ خالية من معالجة القضايا الاقتصادية ، نفضت الجماهير الشعبية ايديها مـن تلك الاحزاب وانسحبت منها لتنضم الى الدعوة العباسية المحتوية على وعود لحل المشاكل الاجتماعية وتخفيف الضائقة الاقتصادية ٠ لكن تنكر العباسيين لمطالب القاعدة الاجتماعية التي اعتمدوا عليها ، بعد بلوغهم السلطة دفع تلك الجماهير لان تقف ضد السلطة العباسية فالتجأت غالبيتها الى الخرمية لتلتمس لديها السلاح الفكري (١٩٢) لنضالها ، ولما كانت غالبية المنتمين للخرمية من الفلاحين والعبيد وشغيلة المدن والرعاة فقد اثار هذا مخاوف الفقهاء ورجال الدين لانها اخذت تجذب اليها الطبقات المستغلة وهـــم غـــالبية ابناء الشعب ، لهذا صبوا جام غضبهم على هذه الفرقة ونعتوها بالاباحة والفســق وتبادل الزوجات واحلال المحرمات ٠ ان تهمة الاباحة ، التي ألصقت من قبل بالمزدكية ، باطلة ومحاولة لتشويه احترام الخرميين لمركز المرأة المتدني ومنحها بعضا من الحرية ٠ ان

---

(١٨٨) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مقالة مرغليوث عن الخرمية في دائرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ١٩٥٣ م ، ص ٢٥٨ ٠

(١٨٩) المنتظم ، ج ٥ ، ص ١١٠ ٠

(١٩٠) المواعظ والاعتبار ، ج ٤ ، ص ١٩٠ ٠

(١٩١) دخلت البرامج الاجتماعية والاقتصادية في تعاليم بعض الفـــرق الشيعية (قرامطة ـ اسماعيلية) في القرنين التاسع والعاشر وحينئذ انتمت اليها بكثـــرة ، الجماهير المستغلة من مختلف الاجناس والبلدان ٠

(١٩٢) يذكر لويس ، واستقى هؤلاء الثوار اكثر الهامهم الديني من الهرطقات الايرانية القديمة، العرب ، ص ١٤٢ ٠

احدا منهم لم يتطرق الى النخاسة التي كانت تهيىء الفسق والفجـــور والدعارة حيث كانت تمد الاغنياء المترفين بعشرات بل مئات واحيانا الوف الجواري اللواتي اوقعهن سوء طالعهن بأيدي النخاسين ، وكان للمالك حق التمتع بجواريه اضافة الى نسائه ٠ اننا نجد حتى اليوم من يمتدح الرق في ذلك العصر (١٩٣) ٠ وامـا مطالبة الخرميين بالعدالة في توزيع النساء ومنح المرأة الحرية في اختيار الزوج فقد اعتبرت مـن قبل خصوم الخرمية دعارة واباحة ، وشبيه بهذا ما لاحظه لويس بالنسبة للحـــرية التي منحت للنساء الاسماعيليات حيث قال : وربما كانت هـــذه الحـــرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لاعين اهل السنة المتعصبين دعارة محضة (١٩٤) ٠ لقد بنى العلماء والفقهاء والمؤرخون اقوالهم على ما سمعـوه مـــن ان لـــدى الخرميين (البابكيين) ليلة في السنة يجتمعون فيها على الخمر والزمر ثم يطفئون الضوء ويذهب كل الى امرأة ، هذا القول المروي دون جزم حتى لو فرض حدوثه لمرة واحدة في السنة فان ذلك ينفي صفة الاباحة والدعر ، اما الفسق بالجواري المتكرر يوميـــا فذلك شأن آخر !! لقد كان هؤلاء المؤرخون (وعاظ السلاطين) (١٩٥) يجـارون السلطة الحاقدة على كل حرية ، يلصقون التهم جزافا ، ويعيد الباحثون (البرجوازيون) التهم نفسها على كل حركة اجتماعية (شيوعية حسب مفاهيمهم) لغرض الطعن بالشيوعية العلمية (الواقعية) (١٩٦) ٠ فموللر يعتبر مشاعية الخرمية للـــزوجات النظـــرية الاساسية للشيوعية (١٩٧) ويتصور ولهاوزن ان شيوعية الزوجات التي كان دعا اليهـــا مزدك (كذا !) قد احيتها الخرمية والراوندية (١٩٨) ، واما بروكلمان فيكتب بصورة المتأكد من ان خرمية جرجان احيت العقائد الشيوعية المزدكية (١٩٩) ٠ وصديغي بعد ان يرجع الخرمية الى مزدك الاباحي يذكر عنهم انهم بقوا يقولون باشتراكية النســـاء برضاهن (٢٠٠) وتجد ترديد قول صديغي لدى الدوري كثيرا (٢٠١) ٠ وتجد لدى شريف (٢٠٢)،

---

(١٩٣) مثلا حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ ٠

(١٩٤) اصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٣ ٠

(١٩٥) كما يسميهم الوردي ، علي جليل في كتابه وعاظ السلاطين ٠

(١٩٦) بونيياتوف ، مقاله حول مصطلح الخرمية ، ص ٤٩ ٠

(١٩٧) تاريخ الاسلام ، ١٩٦ ٠

(١٩٨) الدولة العربية ، ص ٤٠٧ ـ ٨ ٠

(١٩٩) تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ، ص ١٤ ٠

(٢٠٠) الحركات الدينية في ايران ، ٠

(٢٠١) العصر العباسي الاول ، ص ١٦ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، دراسات ، ص ١٠ ، مقدمة ، ص ٨٩ ـ ٩٠ ، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٢٤ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٢ ويغلب التناقض على اقواله في كتبه المختلفة ٠

(٢٠٢) الصراع ، ص ٥٥ ٠

ومصطفى ، شاكر (٢٠٣)، وحسن ، حسن ابراهيم (٢٠٤) والشلبي (٢٠٥) ، والمؤرخين الارمنيين ليو (٢٠٦) ومانانديان (٢٠٧) ترديد اقوال المشاعية في الزوجات والشيوعية القديمة ٠ ويشير بارتولد الى ان الطبقات المعدمة القاطنة في جهات من منطقة اصفهان ظهر فيها حتى في العهد الاسلامي ـ ولكن باسم آخر ـ مذهب الشيوعية الذي كان في عصر الساسانيين (٢٠٨) ٠

الفعاليات والانتفاضات الخرمية :

قامت الشعوب المضطهدة ، في العصر الاموي بفعاليات وانتفاضات مختلفة ضد السلطة ٠ لقد قامت بانتفاضاتها المحلية كما في ارمينيا واذربيجان والتي ساهم فيها الارستقراطيون المحليون ، كما وساهمت الشعوب في انتفاضات وثورات قامت بها احزاب وجماعات عربية ، مع الخوارج والشيعة وفي الدعوة العباسية ومع المختار وابن الاشعث والحارث ابن سريج وغيرهم ٠ لقد ساهم الخرميون كافراد ولم يكن لهم الدور القيادي لان الاستياء كان شاملا غالبية سكان البلدان المحتلة ، فالارستقراطية المحلية وان تحالفت (٢٠٩) ـ مؤقتا ـ مع السادة العرب ، الا انها كانت تتضايق من سيطرة السلطة العربية وتتحين الفرص للانتفاض على الخلافة في امل استعادة كامل نفوذها السابق (٢١٠) وتوسيع استغلالها للطبقات المستغلة (٢١١) التي دونها ، ولهذا فان النضال في العهد الاموي لم تبرز او تتميز فيه الصفات الطبقية ـ كما سنشاهد في العصر العباسي ـ لان الارستقراطيين المحليين ساهموا في انتفاضات الفلاحين والطبقات المستغلة الاخرى (٢١٢) ، لهذا كان دور الخرمية في القيادة والتوجيه ضعيف ان لم نقل معدوم لان التناقض البارز كان بين الشعب المحتل كمجموع وبين السلطة العربية والارستقراطية القبلية العربية ٠

---

(٢٠٣) في التاريخ العباسي ، جـ ١ ، ص ١٢٢ ـ ٣ ٠
(٢٠٤) تاريخ الاسلام السياسي ، جـ ٢ ، ص ٤٣ ٠
(٢٠٥) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ ٠
(٢٠٦) ليو ، تاريخ ارمينيا ، جـ ٢ ، ص ٣٤٧ ٠
(٢٠٧) مانانديان ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٢١ ٠
(٢٠٨) الحضارة الاسلامية ، ص ٦١ ، والترجمة العربية ، ص ٦٧ ٠
(٢٠٩) ن٠ م٠ ص ٦٠ والترجمة ص ٦٥ ٠ ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ ٠ بروكلمان تاريخ الشعوب ، جـ ١ ، ط ٢ ، ص ١٣٠
(٢١٠) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، القسم الاول ، ص ٤٨ ٠
(٢١١) تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ ٠
(٢١٢) كما في الدعوة العباسية انظر بارتولد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة ٦٥ . لويس ، العرب ، ص ١١١ ٠

لقد نشأت بين الارستقراطية القبلية العربية اختلافات ومنازعات حول السلطة ، وكانت هنالك احزاب ومذاهب وجماعات (٢١٣) رفعت الوية الكفاح بوجه السلطة فكانت هذه ملاذا للمضطهدين الذين كافحوا تحتها ، وطبيعي ان تأثير الخرمية كان ضعيفا في تلك القيادات ٠ لقد كان الخرميون يعملون سرا لتهيئة الظرف المناسب فكانوا ينشرون مبادئهم العامة ، ولما نالت تلك التعاليم الانتشار استغلت من قبل دعاة الدعوة العباسية (عمار بن يزيد ــ خداش مثلا) (٢١٤) ، وقد لاحظ ولهاوزن ان خداش اراد الاستفادة من تغلغل دعاية الخرميين وسط الجماهير (٢١٥) ، والدوري في اعتماده على نظام الملك وبراون وولهاوزن وصديغي (٢١٦) ، يلاحظ بأن الدعوة العباسية التي استغلت الخرمية وادخلتها في صفوفها هي التي فسحت لها المجال في الظهور (٢١٧) ٠

ولما تنكر العباسيون لمطاليب الشعب واهملوا الوعود ، التي نادوا بها ابان دعوتهم ، لمست الجماهير مبلغ الاساءة الموجهة اليها بازدرائها وخداعها ، كما وازداد الجور على المعدمين بتقريب الارستقراطيين الايرانيين ، الذين ذهبوا بعيدا في التعاون مع السادة الجدد ، وهذا مما وسع هوة الخلاف بين الارستقراطيين المحليين والجماهير الشعبية ، لهذا حصل استقطاب من السلطة العباسية والارستقراطيين العرب والمحليين من جهة (٢١٨) والجماهير المستغلة من فلاحين وعبيد وحرفيين وكسبة ورحالة من جهة ثانية ، وفي هذا الوسط برز الخرميون كقادة موجهين للانتفاضات ، واصبحت تعاليمهم ومعتقداتهم الاطار الايديولوجي للانتفاضات التي سادت العصر العباسي الاول ٠

....

(٢١٣) كالخوارج والشيعة والمختار وابن الاشعث والحارث ابن سريج وغيرهم ، ويعتبر عبد العال ، اضطهاد الامويين للموالي الذين انضموا الى هذه الفرق والانتفضات ، واجبا مارسوه كحكام ويستغرب اعتباره اضطهادا ، حركات الشيعة المتطرفين ، ص ٢١٣ ٠

(٢١٤) الطبري ، تاريخ ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٥٨٨ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٦٠ ــ ١ ، المقريزي ، الخطط ، ج ٤ ، ص ١٩٠ ، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٧٨ ٠

(٢١٥) الدولة العربية ، ص ٤٠٨ ٠

(٢١٦) العصر العباسي الاول ، ص ٨٤ ــ ٥ ٠

(٢١٧) الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٢٦ ، دراسات ، ص ١٠ ، العصر العباسي الاول ، ص ٣٦ ، ص ٨٤ ــ ٥ ٠

(٢١٨) ذكر ابن قتيبة « فأما اشراف العجم وذو الاخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف نسبا ثابتا » ، رسائل البلغاء ، ص ٢٧٠ وكما قال احد الايرانيين : الشريف من كل قوم نسيب الشريف من القوم الآخر ٠

١ ـ حركة سنباذ (٢١٩) :

قامت هذه الحركة الشعبية تحت قيادة سنباذ في خراسان وشمال ايران وغربه في ١٣٧هـ / ٧٥٤م (٢٢٠) ، وهي حركة جماهيرية فلاحية ساخطة على الجور والظلم ، وكانت الغالبية العظمى من اتباعه ، كما يخبرنا الطبري (٢٢٦) وابن طباطبا (٢٢٢) ، من اهل الجبال ، وهي المناطق التي يقطنها الخرميون ، وقد اشار المسعودي الى ذلك (فاجتمعت الخرمية ـ حين علمت بقتل ابي مسلم ـ بخراسان فخرج فيهم رجل يقال له سنفاذ من نيسابور يطلب بدم ابي مسلم ٠٠٠) (٢٢٣) ، والمسعودي هنا يتصور بأن السبب الرئيسي لقيام الخرميين هو مقتل ابي مسلم ، ولكن مصرع ابي مسلم كان احد الادلة على تنكر العباسيين لمطاليب الشعب ٠ وقد استطاعت الانتفاضة ان تستحوذ على منطقة واسعة من خراسان وامتدت الى منطقة الجبال في غربي ايران (٢٢٤)

....

(٢١٩) يسميه سنباذ ، كل من : اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ص ١٠٤ ، والطبري ، تاريخ ، م ٣، جـ ١ ، ص ١١٩ ، نظام الملك ، سياسة نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٦١ ، وابن الاثير، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣٥٧ وابن طباطبا ، تاريخ الدول الاسلامية ، ص ١٧١ ، وابي الفداء ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٣٣ ، وابن خلدون ، العبر ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ ، وهناك تسميات اخرى ، فقد ذكره البلاذري ، سنفاذ ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٩ ، ويسميه اليعقوبي ايضا ، سنفاذ ، كتاب البلدان ، ص ٣٠٣ ، وذكره المسعودي ، بسنفاذ ، المروج ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ ، ويسميه المقدسي ، سنفاد ، البدء والتاريخ ، جـ ٦، ص ٨٢ ، وذكره المقريزي ، شنفاد ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ ، وفي المراجع الحديثة يسميه سنباذ كل من : نكلسن ، تاريخ الادب العربي ، ط ٣ ، ص ٢٥٨ ، ومارغليوث ، دائرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ص ٢٥٧ وبروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ، ص ٦ ، ولويس ، العرب ، ص ١٤٣ ، والدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٨٦ ، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٤٢ ، ويسميه ياكوبفسكي سنباذ وسينباد (وحتى سنباد) في مقاله عن المقنع ـ مجلة الاستشراق السوفييتية ، م ٥ ، ص ٤٠ ، ويذكر الدوري ان صديغي يسميه سنباذ (العصر العباسي الاول ، ٨٦) ، ويسميه لويس سندباد ، اصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٠ ، ويسميه موللر ، سمباز ، تاريخ الاسلام ، ص ١٨٣ ، ويسميه سمينوف ، سمبات ، في مقاله عن المزدكية ، ص ٣٤٣ ٠

(٢٢٠) يعتبر موللر ونيكلسن وياكوبفسكي (مقاله عن المقنع) والدوري (العصر العباسي الاول) وتاريخ العالم ، جـ ٣ ، وتاريخ ايران ان سنة الانتفاضة هي ٧٥٥ م ٠

(٢٢١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ١١٩ ٠

(٢٢٢) تاريخ الدول الاسلامية ، الفخري ، ص ١٧١ ٠

(٢٢٣) مروج ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ ، ويأخذ بهذا الرأي مارغليوث ، دائرة المعارف الاسلامية المختصرة (١٩٥٣ م) ، ص ٢٥٧ ٠

(٢٢٤) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ، ص ٦ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٣ ٠

واستولت على مدن رئيسية مهمة كنيسابور وقومس والري ، ولكن الخليفة ابو جعفر المنصور ـ ثاني خلفاء بني العباس ـ وقد شعر بجسامة خطر هذه الانتفاضة ارسل جيشا لجبا بقيادة جهور بن مرار العجلي والتقى الجيشان على طرف المفازة (٢٢٥) بين همذان والري حيث قتل ٦٠ الفا من المنتفضين وفر سنباذ مع البقية ، ولكنه قتل بين همذان والري ٠ ويرى ابن خلدون ان بعض عمال صاحب طبرستان قتل سنباذا حينما لحق بطبرستان (٢٢٦) ، وهذا يدل ـ ان صح قول ابن خلدون ـ على تعاون الارستقراطيين المحليين مع السلطة ضد المنتفضين ٠ وقد دامت الانتفاضة ٧٠ يوما (٢٢٧) ٠

٢ ـ حركة استاذسيس :

قامت في (١٤٩هـ / ٧٦٦م) شرق الخلافة (خراسان) حركة جماهيرية واسعة (عدادها ٣٠٠ الف مقاتل) (٢٢٨) بقيادة استاذسيس (٢٢٩) ، معلنة سخطها واستياءها من جور السلطة واستبدادها ، وقد جردت الخلافة عليها حملة ـ بقيادة عسكري ماهر هو خازم بن خزيمة (يذكر ابن خلدون انه كان مع خزيمة ٢٠ الفا) (٢٣٠) ـ لم تستطع كسب النصر الا بعد جهد ، بعد ان قتل من جماعة استاذسيس ٧٠ الفا (٢٣١) (يعدهم المقدسي ٩٠ الفا) (٢٣٢) واسر منهم ١٤ الفا (٢٣٣) (قتلوا جميعا بعد الاسر) ثم استسلمت بقايا جيش الانتفاضة ، الملتجئة الى الجبل ، مع قائدها واخذوا اسرى وكانوا ٣٠ الفا (٢٣٤) ثم اطلق سراحهم بعد اعدام قائدهم استاذسيس٠

٣ ـ حركة يوسف بن ابراهيم البرم (٢٣٥) :

التهبت في خراسان انتفاضة جديدة بعد مضي ١٠ سنوات من اخماد انتفاضة

(٢٢٥) وردت في كتاب العبر ، لابن خلدون ، محرفة (طرق المغازة) ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ٠
(٢٢٦) ن٠ م٠ ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ٠
(٢٢٧) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ١١٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ ، أبوالفداء ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٣١ ٠
(٢٢٨) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص٨٦ ٠
(٢٢٩) ورد لدى الطبري والمقدسي وابن الاثير وابن خلدون (أستاذسيس) ويسميه مسكويه (استادسيس) ، تجارب الامم ، مخطوط ، الورقة ١٨٠ ٠
(٢٣٠) كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ١٩٨ ٠
(٢٣١)الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥، ص ٢٨ ٠
(٢٣٢) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٨٧ ٠
(٢٣٣) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ ٠
(٢٣٤) ن٠ م٠ ، ص ٣٥٤ ٠
(٢٣٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٧٠ ، ويسميه اليعقوبي ، يوسف البرم

استاذسيس ، ففي عام ١٦٠هـ / ٧٧٦م (٢٣٦) في خلافة المهدي بن المنصور ، قاد يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم انتفاضة عارمة تطالب بالمساواة والعدل (٢٣٧) ، ولجسامة خطر الانتفاضة طلب الخليفة من قائده يزيد بن مزيد الشيباني ـ والذي كان في حرب مع يحيى الشاري ، ان ينعطف (٢٣٨) على حرب يوسف البرم ٠ وقد تيسر ليزيد التغلب على يوسف وجماعته فأسر يوسفا وارسله الى الخليفة الذي اعدمه مع جماعته ٠

٤ ـ انتفاضة المقنع (٢٣٩) :

التهبت في خراسان (١٦٠هـ / ٧٧٦م) (٢٤٠) انتفاضة فلاحية شعبية امتد لهيبها

الحروري ، البلدان ٣٠٣ ، ويعتبره من موالي ثقيف ببخارى ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، انظر ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢١٧ ٠

(٢٣٦) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٧٠ ، وقد ذكر ابو الفداء عام ١٦٢ هـ ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٣١ ٠

(٢٣٧) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ٠

(٢٣٨) ن٠ م٠ ، ص ١٣٠ ٠

(٢٣٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٠٤ ، الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٨٤ ، ص ٤٩٤ ، المقدسي ، المطهر ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٩٧ ، وقد اعتبره الشهرستاني في اول امره من الرزامية ، والرزامية فرقة من الكيسانية ، الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، ص ٥٨ ، والمنسوب لابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ٢٣ ، ابو الفداء ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٤٥ ، وابن خلدون ، العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ ـ ٧ ٠

(٢٤٠) يعتبر الطبري قيام الحركة سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٨٤ ، بينما يعتبر مسكويه خروج المقنع في سنة ١٦١ هـ ، تجارب الامم ، مخطوط ، الورقة ١٩١ ، ويرى ابن الاثير قيام الحركة في سنة ١٥٩ هـ ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، والصحيح ما أورده الطبري ، ويعتبر موللر قيام الحركة ١٦١ هـ (٧٧٨ م) (يؤيد رواية مسكويه) ، تاريخ الاسلام ، ص ١٨٤ ، بينما يؤيد ميور رواية ابن الاثير (١٥٩ هـ) ، الخلافة ، ص ٤٧٠ ، ويعتبر نيكلسن قيام الحركة ٧٨٠ ـ ٧٨٦ م ، تاريخ الادب العربي ، ص ٢٥٨ ، ويعتبر امير علي قيام حركة المقنع ١٥٨ هـ ـ ١٦١ هـ ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣١ ، كما وان كريمسكي يعتبر قيام الحركة ٧٧٩ م ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ويعتبر بروكلمان تاريخ بدء الحركة عام ٧٧٨ م ، تاريخ الشعوب، جـ ٢ ، ص ١٣ ، ويعتبر ياكوبفسكي قيام الحركة في ثمانينات القرن الثامن ، ولا شك ان نيكلسن وامير علي وكريمسكي وبروكلمان وياكوبفسكي لم يحددوا التاريخ المضبوط لبدء الحركة ٠

الى ما وراء النهر حيث أخمدت هناك (عام ١٦٣هـ / ٧٧٩م) (٢٤١) وتعــــرف باسم قائدها هاشم بن حكيم المقنع (٢٤٢) (كان يضع قناعا على وجهه ، ويـــرى لويس بأن اعداءه يقولون ليستر قبحه وجماعته يقولون ليحجب النور الذي يشع منه) (٢٤٣) ، وقد انحدر هذا القائد من الحرفيين حيث كان قصّارا للثياب (٢٤٤) ، وقد قاد انتفاضة شعبية بدأت في خراسان ثم انتقلت الى ما وراء النهر حيث تمركزت بمدينة كش (٢٤٥)، وكان لشمول برامج الانتفاضة على حلول اوسع من سابقتها لمشاكل الجماهير المستغلة

(٢٤١) ذكر الطبري نهاية الحركة في عام ١٦٣ هـ (٧٧٩ م) ـ م ، ، ج ١ ،ص ٤٩٤ ٠ ولا بد انالتحريف قد اصاب العام الذي ذكره ابن خلدون (٩٣ هـ) ، العبر ، ج ٣ ص٢٠٧، ولقد أخذ برواية الطبري كل من موللر (تاريخ الاسلام ، ص ١٨٥) وبروكلمان (تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٤) ٠ وليس صحيحا التاريخ الذي اورده تاريخ ايران (ص ١٠٧) وتاريخ العالم (ج ٣ ، ص ١١٥) ، وتاريخ الاتحاد السوفييتي (القسم الاول ص ٤٩) وتاريخ بلدان الشرق الاجنبيـة (ص ٢١٦) وسمينوف ، تاريـــخ العصور الوسطى (ص ١٣٣) حيث ذكروا (عـام ٧٨٣م) وقـد ذكر كل من ميور (الخلافة ـ ص ٤٧٠) وأمير علي (مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣١) انتهاء الحركة سنة ١٦١ هـ وهذا غير صحيح وكذلك ورد لدى لويس (العرب ، ص ١٤٤) تاريخ انتهـاء الحركة ٧٨٩ م ٠

(٢٤٢) ذكر الجاحظ (وكان اسمه عطاء) ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ١٠٣ وذكر عنـه ابن الاثير (وسمي حكيما ثم تحول الى هاشم وهاشم في دعواه هو المقنع) ، الكامل، ج ٥، ص ٥٢ ، وبقوله هذا جلب الغموض والتبس الامر على من جاء بعده ، فقد ذكره ابن الساعي البغدادي (واسمه عطاء) ، مختصر اخبار الخلفاء (منسوب اليه) ، ص ٢٣ ، وأورده ابو الفداء « قال ابن خلكان كان اسم المقنع عطاء وقيل حكيــم والاول اشهر » ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ ، وبهذا تحير ابن خلكان وابو الفداء ، أما ابن خلدون فقد التبس عليه الامر تماما (كان هذا المقنع من اهل مرو ويسمى حكيمـــا وهاشميا) ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ ٠ ويـرجح مـوللر تسمية الجاحظ لـــه بـ « عطاء » ، تـاريخ الاسلام ، ص ١٨٤ ، ويطلـق عليـه سيـل ، ج٠ ، اسم حكيـم ابن هاشم ، ثم يشير في الهامش (او ابن عطاء) ، القرآن ، ص ١٢٩ وهو مخطىء ولا شك ٠

(٢٤٣) العرب في التاريخ ، ص ١٤٣ ٠

(٢٤٤) كان يعمل كقصار للثياب في مدينة مرو في خراسان ـ وهو بالاصل مـــن قـرية كاوه كيمردان ـ مهنته غسـل الملابس وقصـر الوانها وليس صحيحا ما كتبه المقدسي وابن الاثير وابن العبري وابن طباطبا من انه كان قصيرا ، وانما قصّــارا كما ورد لدى الجاحظ (البيان والتبيين ـ ج ٣ ، ص١٠٣) والبغدادي (الفرق بيــن الفرق ـ ص ٢٥٧) وابن الساعي البغدادي (مختصر اخبار الخلفاء ـ ص ٢٣) وابـــي الفداء (البداية والنهاية ـ ج ١٠ ، ص ١٤٥) ٠

(٢٤٥) في ما وراء النهر ، ويقول لويس عن الانتفاضة « اتخذت من بخارى معقلا لها » ، العرب ص ١٤٤ ٠

اثر في خطورتها وسعتها وطول مقاومتها (٢٤٦) ٠ ويمكننا تقدير شدة خطورتها من الحملة القوية الموجهة ضدها ومن الاتهامات الخطيرة التي اتهمت بها والتي ذكرنا سابقا طرفا منها ، واقلها الاباحة المزدكية (٢٤٧) ٠

ولم تضم الانتفاضة خرمية ايران وما وراء النهر (تعرف خرمية ما وراء النهر بالمبيضة (٢٤٨) ذوي الاردية والاعلام البيض) فحسب ، ولكن ضمت رحالة الاتراك ايضا (٢٤٩) ٠ وكانت تسعى للتحرر ونزع الارض من الاقطاعيين الموسرين وتسليمها للمشاعية الزراعية داعية للعدالة وتعميم الاستفادة من الممتلكات والمنافع العامة ، لذا كانت اهدافها تشكل خطرا جسيما على الاقطاعيين وعلى سلطة الخلافة ، فما كان من الخلافة ـ وقد لمست حقيقة الاخطار من هذه الانتفاضة ـ الا ان تجرد عليها حملة واسعة بقيادة سعيد الحرشي (٢٥٠) ، بعد فشل قادة سابقين ، وتيسر لسعيد محاصرة المقنع في قلعته قرب كش ٠ وقد انتهت حياة القائد وعائلته وبعض رجاله المخلصين بالانتحار (٢٥١) ، وقد ظلت صورة الدفاع البطولي خالدة في اذهان جماهير ما وراء النهر لعدة قرون (٢٥٢) ٠

---

(٢٤٦) لقد توهم البغدادي بأن مدة الانتفاضة ١٤ سنة ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٨ ، كما وتوهم لويس بأن مدة الانتفاضة ١٣ سنة (العرب ـ ص ١٤٤) ، ويعتبر تاريخ الاتحاد السوفييتي ، المدة التي استغرقتها الانتفاضة ٧اعوام (القسم الاول ، ص ٤٩) ، اما شريف فيعتبر المدة ١٤ عاما (الصراع ، ص ٥٧) ٠ ان الانتفاضة لم تستمر اكثر من ثلاث سنوات ٠

(٢٤٧) لا يخلو مصدر او مرجع عربي وغربي من هذه التهم ٠

(٢٤٨) ذكر البغدادي « واما المقنعية فهم المبيضة بما وراء نهر جيحون » (ص ٢٥٧) ٠٠٠ «واغتر به اهل ابلاق وقوم من الصغد» ص ٢٥٨ ، الفرق بين الفرق ، ويذكر الشهرستاني «وتابعه مبيضة ما وراء النهر ٠ وهؤلاء صنف من الخرمية دانوا بترك الفرائض ٠٠٠ »، الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٥٤ ، ولكن سبق وان لاحظنا ان الشهرستاني اعتبر المبيضة من فرق المزدكية وهذا راجع الى خلطه بين المزدكية والخرمية ٠ عن المبيضة راجع ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، وكتاب ، لابن خلدون ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ، ومختصر تاريخ الدول ، لابن العبري ، ص ٢١٧ ٠

(٢٤٩) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، ابن خلدون ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ، ميور ، الخلافة ، ص ٤٧٠ ٠

(٢٥٠) الطبري ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ ٠

(٢٥١) تختلف الروايات بين السم والحرق ، والمرجح انه السم لانه عثر على جثته واحتز رأسه ، لاحظ سيل ، ج٠ ، القرآن ، ص ١٢٩ ٠

(٢٥٢) المقدسي ، شمس الدين ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ ، البغدادي ويذكر « واتباعه اليوم في جبال ابلاق اكرة اهلها ، الفرق ، ص ٢٥٩ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢١١ ، ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢١٨ ، ويشير سيل ، ج٠ ، الى رواية ابن العبري، القرآن ، ص ١٢٩ ٠

انتفاضة جرجان (٢٥٣) ٠

قامت جماهيـر جرجان المجاورين لمـا وراء النهر وخراسان ، بانتفاضة عارمة (١٦٢هـ / ٧٧٨م) ايام كانت الانتفاضة المقنعية مستعرة في ما وراء النهر ، وغالبية المساهمين في انتفاضة جرجان من الفلاحين ، من الخرمية المعروفين بالمحمرة لارتدائهم الاردية الحمر واتخاذهم اللون الاحمر شعارا لهم ، وهذه هي المرة الاولى التي تستخدم فيها جماهير الشعب الفلاحية اللون الاحمر في انتفاضها ضد الاقطاع (٢٥٤) ٠ قـاد هذه الانتفاضة شخص يدعى عبد القهار الذي استطاع ان يحرر جرجان (٢٥٥) ، فما كان من الخليفة الا ان يطلب (٢٥٦) من قائده عمرو بن العلاء ، الذي كان في طبرستان، ان يغزو جرجان ويقضي على تلك الانتفاضة التي شملت تلك البلاد ٠ فغـــزا عمرو بن العلاء جرجان من طبرستان وقضى على الانتفاضة وقتل عبد القهار وجماعته ٠ يتفق الدينوري واليعقوبي والطبري وابن الاثير وابو الفداء على ان خروج المحمرة كان في (عام ١٦٢هـ (٧٧٨م)) جرجان ، ويخالفهم المقدسي اذ يعتبر الحوادث فــي خراسان ويسمي قائدهم باسم عبد الوهاب (٢٥٧) ٠ ويخطىء بروكلمان حينما يعتبر قيام المحمرة في عهد الرشيد (٢٥٩) ٠

٦ ـ انتفاضة خرمية اذربيجان :

وفي ايام الرشيد (عام ١٩٢هـ / ٨٠٧م) (٢٥٩) انتفض خرميو اذربيجان بوجه السلطة فارسل الخليفة هارون الرشيد جيشا تعداده ١٠ آلاف فارس (٢٦٠) بقيادة عبد

....

(٢٥٣) ورد اسم جورجان في السياست نامه (النسخة الفارسية) باسم كركـــان ، ص ٢٩٠ ، ولهذا ورد الاسم في الادبيات السوفييتية باسم كوركان ، تاريخ ايــران ، ص ١٠٧ ، تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١١٥ ، تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ص ٤٩ ٠

(٢٥٤) اشار نظام الملك الى ان خرمية جورجان المحمرة كانوا يرفعون الاعلام الحمر ، سياست نامه ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ ، لاحظ ايفانو ف، موجز تاريخ ايران، ص ٣٧ ، تاريخ ايران ، ص ١٠٨ ٠

(٢٥٥) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٢٦ ، الطبري ، تاريــخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٩٣ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٩٨ ٠

(٢٥٦) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، سعيد نفيسي ، بابك ، ص ١٦ ٠

(٢٥٧) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٩٨ ٠

(٢٥٨) تاريخ الشعوب الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ١٤ ٠

(٢٥٩) الطبري ، التاريخ ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ٧٣٢ ٠

(٢٦٠) ن٠ م٠ ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ٧٣٢ ، سياست نامه ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ ، تاريخ اذربيجان ، القســـم الاول ، ص ١١٨ ، نفيسي ، بابـــك ، ص ١٦ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ١٢ ٠

الله بن مالك وقد استطاع عبد الله ان يدحر الخرميين ويسوق الاسرى الى قرميسين (٢٦١) (كرمنشاه) حيث كان الخليفة يستجم هناك ، فأمر الخليفة بقتل الاسرى وبيع السبي ، ويقدر المقدسي عدد الذين قتلوا في المعركة بحوالي ٣٠ الفا (٢٦٢) ٠

هذه هي اهم الانتفاضات السابقة لانتفاضة البابكية ، وهناك رواية ينفرد بها ابن النديم عن رجل اسمه اسحاق الترك ذكر عنه انه كان من اهل ما وراء النهر وظهر في خرمية ما وراء النهر ، كما ويذكر عنه انه ربما كان داعية لابي مسلم دخل بلاد ما وراء النهر فسمي بالترك (٢٦٣) ٠ ولقد اعتمد على هذه الرواية كل من براون ، وبارتولد ولويس والدوري (٢٦٤) ٠ ولا شك ان انفراد ابن النديم وتضارب آرائه يدعوان الى التردد في الاخذ بها ٠

قامت انتفاضات الخرمية في ازمان مختلفة واماكن متعددة ضد الخلافة وضد الارستقراطيين المحليين وقد تيسر للسلطة بمعاونة الارستقراطيين القضاء على تلك الانتفاضات المنفردة ، ولو توحدت جهود الخرميين وتهادنوا مع الارستقراطيين المحليين لربما استعصى على الخلافة اخماد انتفاضاتهم ٠

د ـ اهم التهم التي الصقت بالمبادىء والحركة البابكية

وجهت نحو البابكية ـ نتيجة نضالها المرير وكفاحها الطويل وخطرها الجسيم ـ اقبح النعوت والصفات ، وكل ما قيل في ماني ومزدك وما قيل في خداش وسنباذ والمقنع أطلق على بابك وجماعته الخرمية (المحمرة) مع اضافة تهم واباطيل جديدة ٠ فاتهم البابكيون بالاباحة والدعارة والفسق ـ حيث لهم ليلة حمراء ـ (٢٦٥) وانهم دعوا الى مشاعية النساء ونهب الاموال ، وانهم قتلة سفاكون ومجرمون قطاع طرق حيث ينهبون

---

(٢٦١) ذكرها ابن فضلان ، قرميسين ، رسالة ابن فضلان ، ص ٧٣ ، وجاء شرحها في الهامش قرميسين (بالفتح ثم السكون) تعريب كرمان شاه ، بين همذان وحلوان وقريبة من الدينور ٠

(٢٦٢) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١٠٣ ٠

(٢٦٣) الفهرست ، ص ٤٩٧ ٠

(٢٦٤) براون ، جـ ١ ، ص ٣١٤ ـ ٥ ، بارتولد ، تركستان ، ص ١٩٨ ـ ٩ ،لويس ، العرب ، ص ١٤٣ ، الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٨٨ ، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٤٢ ، ومصطفى ، في التاريخ العباسي ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ٠

(٢٦٥) البغدادي ، الفرق ، ٢٦٩ ، الاسفرائيني ، التبصير ، ص ٦٢ ، ابن الجوزي ، نقد العلم، ص ١٠١ ٠

ويحرقون البيوت (٢٦٦) في القرى والمدن ويسلبون المارة والمسافرين والحجاج (٢٦٧)، ويقولون بتناسخ الارواح وبالحلول (حلول جزء من الآلهة في شخص ما) وبالرجعة وهم ملاحدة زنادقة ثنوية كفرة ٠ ورغم ان قسما من المؤرخين قد زار مناطق الخرمية واحتك وناقش الموجودين منهم (كالمسعودي والبغدادي والمقدسي (المطهر بن طاهر) وياقوت الحموي) فان كتاباتهم تحتوي على تهم واباطيل الآخرين ، فالمسعودي يشير الى انهم ينتظرون عودة الملك فيهم وخلع الاسلام (٢٦٨) ، والمقدسي يقول عن بابك « واخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والانهماك بالفساد وقلة الرحمة والمبالاة » ، وبالرغم من ان المقدسي ذكر عن الخرمية انهم قوم مسالمون يتحرون النظافة والطهر (٢٦٩) فهو لا يتورع من اتهام بابك بسفك الدماء حتى اوصل عدد ضحاياه الى مليون ثم تراجع قليلا وجعلهم اكثر من ربع مليون (٢٧٠) ، ولا يكتفي بهذه التهمة فيوجه اليه تهمة الفسق والفجور والاعتداء على اعراض اسراه « وكذا كان الملعون يفعل بالناس اذا اسرهم مع حرمهم » (٢٧١) ، اما البغدادي فيرى بأن دعوة بابك كانت تدعو الى استباحة المحرمات ، ومن ثم يشير الى انه كانت « للبابكية في جبلهم ليلة عيد يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم ، فاذا أطفئت سرجهم ونيرانهم افتض فيها الرجال والنساء على تقدير من عز بز » (٢٧٢) ، وتجد تكرار هذه الفرية لدى الاسفرائيني (٢٧٣) وابن الجوزي (٢٧٤) ، واما المقدسي فيقول انه وجد بين الخرمية من يقول باباحة النساء برضائهن (٢٧٥) ٠

هذه التهم قد اخذ بها مؤرخون متأخرون ومؤلفون معاصرون ونفى قسم من المؤلفين هذه الاباطيل ٠ فجوزي وان رجح وجود ليلة مرح يجتمعون فيها للهو الا انه نفى افتضاض الرجال للنساء في تلك الليلة (٢٧٦) ، وبونيياتوف في معرض رده على

---

(٢٦٦) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ ٠

(٢٦٧) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٩٧ ٠

(٢٦٨) التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٣ ـ ٤ ٠

(٢٦٩) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ٠

(٢٧٠) ن٠ م٠ ، ج ٦ ، ص ١١٦ ٠

(٢٧١) ن٠ م٠ ، ج ٦ ، ص ١١٦ ٠ مع العلم بأن عائلته لم تكن معه في الاسر مما يدل على ضعف هذه الرواية ، وقد اخذ بهذه الرواية ابن العبري ايضا في مختصر تاريخ الدول، ص ٢٤٢ وقد رددها سيل ، ج٠ ، القرآن ، ص ١٣٠ ٠

(٢٧٢) الفرق ، ص ٢٦٩ ٠

(٢٧٣) التبصير في الدين ، ص ٦٢ ٠

(٢٧٤) نقد العلم او تلبيس ابليس ، ص ١٠١ ٠

(٢٧٥) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ٠

(٢٧٦) من تاريخ الحركات ، ص ٩٩ ٠

اولئك الذين يفترضون وجود مشاعية الزوجات لدى الخرمية باستنادهم علـــى رواية الاسفرائيني ، قد بين : ان مشاعية الزوجات حسب ما جاءت في روايـــة الاسفرائيني (لوحظت عند الخرميين فقط) في ليلة واحدة من ليالي السنة ، وهذا الامر وحده ينفي نفيا باتا اي نوعمنانواع الفسق واي نوع من انواع مشاعية الزوجات (٢٧٧) ٠ ولقد بينا في ردنا على اقوال المقدسي (٢٧٨) وابن الجوزي (٢٧٩) بأن هذه التهم مطعونة لانها موضوعة من قبل المؤرخين المعادين للحركة فلم تكن اقوالهم دامغة الحجـة قوية الاسناد وانما مبنية على (قول جماعة منهم ، ويقال ان لهم) ٠ ان احترام مركز المرأة ومنحها بعض الحقوق البسيطة قد جلبا سخط الطبقة الحاكمة والمؤرخين المتزلفين لها بالاضافة الى مقتهم للمنتفضين وهكذا لفقوا ذلك الاجتماع الماجن الداعـــر ونشروا الاكذوبة على الملأ لتشويه نضالات الشعب الثائر ، اذ لا يعقل ان يقوم الناس بذلك المنكر، على فرض اجتماعهم في ليلة العيد تلك ، حتى في ادنـى المجتمعات المتأخرة ٠ ان تهمة الاباحة قد رددها المؤرخون دون روية وتفكير وبدافع الحقد والكراهية وبسبـب الخوف من السلطة والتزلف لها ٠

اما التهم الاخرى فتجدها موزعة بين مختلف المصادر ، فالطبري كتب عن بابك : وادعى ان روح جاويدان دخلت فيه (اي التناسخ) واخذ في العبث والفساد (٢٨٠) ٠ وقد اتهم الدينوري بابك بقتل من حواليه (٢٨١) بالبذ ، ومن اجل ذلك اعتبر ابن النديم ان بابك احدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة (٢٨٢) ، وقد قال ابن النديم عن بابك انه كان يقول لمن استهواه انه اله (٢٨٣) ، ويتصـــور المقريزي ان بابك مع بقية الثائرين كان مدفوعا بالحقد على الاسلام ويرمي كيد الاسلام بالمحاربة (٢٨٤) ، وقد اشار الذهبي الى ان بابك اراد ان يقيم ملـــة المجوس (٢٨٥) ٠ وهـــذه

(٢٧٧) حول مصطلح خرم ، مجلة اخبار ، ص ٤٨ ، اذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٢٣٤ ٠
(٢٧٨) ص ١٢٤ ٠
(٢٧٩) ص ١٢٤ ٠
(٢٨٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٥ ، لاحظ مقالة سورديل ، د٠ بعنوان : بابك ، في دائرة المعارف الاسلامية ، (طبعة جديدة ١٩٦٠) ، م ١ ، ص ٨٤٤ ٠
(٢٨١) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ ٠
(٢٨٢) الفهرست ، ص ٤٩٤ ٠
(٢٨٣) ن٠ م٠ ، ص ٤٩٤ ٠
(٢٨٤) الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩٠ ــ ١ ٠
(٢٨٥) مختصر دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ٠

الاقوال تستند الى رسالة مشكوكة مرسلة من اخي الافشين الى اخي المازيار ـ يرويها الطبري ـ جاء فيها « يعود الدين الى ما لم يزل عليه ايام العجم » (٢٨٦) ولا شك انها موضوعة من اجل التنكيل والقضاء على الخصوم بحجة محاربتهم الدين الاسلامي ٠ ومثل هذه الرسالة القول المدسوس على لسان زوجة جاويدان فـي مخاطبتها الخرمية عشية المناداة ببابك قائدا عليهم خلفا لزوجها القائد المتوفي : بأن بابـــك سوف يــرد المزدكية (٢٨٧) ، فالوضع في هذا القول واضح والا ماذا تعني بقولهـــا سوف يــرد المزدكية ؟ والخرمية فرقة متطورة من المزدكية ٠ لقد اجهد مؤرخو القـــرون الوسطى انفسهم في كيل التهم للمنتفضين البابكيين ولم يتورع مدعو تطبيـــق البحـث العلمي للحوادث التاريخية من مؤلفي العصر الحديث من اجترار التهم السابقة رغم تأكدهم من انها عارية عن الصحة وملفقة ، فيقول العالم الانكليزي سيل عن بابك انه ادعى النبوة واسس دين الفرح الذي يعني كلمة خرم (٢٨٨) ، ويرى ميور ان بـابك بشَّر بدين غريب الذي كان يدعو الى زواج المحرّمات وتنـــاسخ الارواح والى مبادىء أخرى للصوفيــة الشرقية (٢٨٩) ، أما رايت فيعتقد ان الخرميين متساهلون في حيـاتهم الجنسية ولكن برضى النساء (٢٩٠) ، وبعد أن يكرر الدوري كل ما كتبه المؤرخون وما جادت به قرائح المؤلفين المعاصرين يتوصل الى ان غاية البـــابكية هي ضرب السلطـان العربي والدين الاسلامي (٢٩١) (أسباب عنصرية وطائفية ؟) ، ويضيف اليهـــا (نادت بالانفصـال الصريح ودعت لأمجاد ايران الساسانية) (٢٩٢) ، وهو يعلم جيدا ان بابك اذربيجاني وان الخرمية وغالبيتهم من الفلاحين يمقتون العائلة الساسانية لاضطهادها أســـلافهم الاذربيجانيين ولتنكيلهم بالمزدكيين ٠ ولا بد ان الدوري اعتمد في تصويره لغاية البابكية بضرب السلطان العربي والدين الاسلامي (كذا !) ، على قول جوزي عن الحركة (ان الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد والقضاء عـلى الاسلام وأهله) (٢٩٣) وبالرغم من ان جوزي أنكر أن يكـون غير الهدف الاجتمـــاعي

(٢٨٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ ٠

(٢٨٧) الفهرست ، ص ٤٩٤ ٠

(٢٨٨) سيل ، ج٠ ، القرآن ، ص ١٣٠ ٠

(٢٨٩) ميور ، و٠ ، الخلافة ، ص ٥٠٤ ٠

(٢٩٠) رايت ، اي٠ ، ايم٠ ، بابك البذي والافشين ، مجلة العالم الاسلامي ، كانون الثاني سنة ١٩٤٨ م ، ص ٤٩ ٠

(٢٩١) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٢ ٠

(٢٩٢) الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ١٢ ، الجذور التاريخية للاشتراكية العربية ، مقـالة في مجلة الآداب ، العدد الثالث (آذار ١٩٦٥) ، ص ٢١ ٠

(٢٩٣) من تاريخ الحركات ، ص ٨٥ ٠

والاقتصادي من أهداف أخرى في برامج البـــابكيين (٢٩٤) ، الا أن قوله السابق قـد استغل من قبل الدوري كثيرا ٠ ويرى شلبي ان بابك رئيس للخـرمية التـي هـي احدى طوائف الفرس التي تعبث في الارض فسادا وتخيف السبيل وتبيح الحـرمات (٢٩٥) ٠ وبالرغم من الاخطاء الواردة في قول شلبي (كقوله احدى طوائف الفرس) فليس فيهـا من جديد على تهم الطبري والدينوري ، ويرى رستم بأن الخرميّة عاثت في البلاد فسادا بقيادة بابك في عهد المأمون (٢٩٦) ، وقد لخص أحمد ، محمد حلمي محمد ، أقوال جميع المؤرخين في اتهامهم للبابكية (٢٩٧) ، وبكل هوس يـرى شـــريف (بأن آراء مزدك في شيوعية الاموال واباحة النساء) (٢٩٨) قد وجدها (شائعة قوية الشيوع بين الزنادقة والشعراء والادباء وبين جماعة الحركة أتباع أبي مسلم الخراساني وابنته فاطمة وبابك الخرمي) (٢٩٩) ، ويرى العدوي ان حركة بابك اتجهت الى تحـويل السلطة من العرب الى الفرس (٣٠٠) ، ويحسب زيدان ، عبد الكريم ، خطأ ، البابكيـة من فرق المجـوس ويتهمهم (وهم « البابكية » شر طوائفهم « يقصد المجوس » لا يقرون بخالق ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام) (٣٠١) ٠ وجل الجهد المبـــذول من المؤلفين المحدثين هـو توجيه أنظار القراء الى ان طبيعة الحركة عنصرية طائفية ترمي الى تحويل السلطة من العرب الى القائمين بها وتحطيم الاسلام ، ولتشويه النضال الجماهيري بتهمة الابـاحة والفسق واعتبـار ذلـك سبة للشيوعية العلمية لاعتبارهم تلـك الانتفاضة (شيوعية) ويحاولون اخفاء الصراع الطبقي الذي خاضه المنتفضون ، انهم يحاولون صرف الانظار عن مشكلة الاراضي ومعالجة الخرميين لها ٠

٢ ـ التنظيمـات البابكيـة

أ ـ المشكلة الفلاحية ومعالجة قضية الأراضي

بدأ الاقطاع يسير بوتائر أسرع ، قبيل انتهاء الفترة الاولى من الحكم العبـاسي، بعد التلكؤ الذي أصاب سيره فأخذت تتوضح اكثر شـــروط التملك الاقطـاعي للارض وذلك نتيجة ضعف السلطة المركزية ونشوء الامارات شبه المستقـــلة ، وكنتيجـة لـذلك

(٢٩٤) ن٠ م٠ ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ٠
(٢٩٥) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ ٠
(٢٩٦) الروم ، جـ ١ ، ص ٣٢٥ ٠
(٢٩٧) الخلافة والدولة ، ص ٧٤ ٠
(٢٩٨) الصراع ، ص ٦٢ ٠
(٢٩٩) ن٠ م٠ ، ص ٦٢ ٠
(٣٠٠) الدولة الاسلامية ، ص ١٠٠ ٠
(٣٠١) احكام الذميين ، ص ١٥ ٠

ازدادت القيود الاقطاعية فازدادت حالة الفلاحين سوءا مما حدا بهم للمساهمة الفعلية في انتفاضات الخرمية تحت أهداف تنحصر في أخذ الاراضي الواسعة من الاقطاعيين وتوزيعها على مجموعات فلاحية تزرعها مشاعا ، وفي التحرر من دفع الضرائب (وكان عمال الخليفة في الامصار ـ كما شاهدنا ـ يتفننون في التعسف عند أخذها) ، وفي المساواة العامة، أي انهم كانوا يسعون للتخلص من التبعية الاقطاعية والتسلط الحكومي وقد أصبحا (الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي) من الثقل الى درجة يتعذر السكوت معهما ، ولا سيما اذا كانت هنالك افكار تناهض الجور والظلم والاستغلال ، وهنالك أناس يسعون الى تحرير أبناء طبقتهم منها ، قالت زوجة جاويدان ـ حسب رواية الفهرست ـ عشية المناداة ببابك قائدا للخرمية خلفا لزوجها القائد المتوفي : ـ ان بابك (سيبلغ بنفسه وبكم أمرا لم يبلغه أحد ولا يبلغه بعده أحد ، وانه يملك الارض ويقتل الجبابرة ويرد المزدكية ويعز به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم) (٣٠٢) ، فهي كانت تتوسم في الشاب الجريء القيادة الحكيمة والامكانية الجيدة التي تؤدي الى (تملك الارض) أي أخذ الاراضي من الملاكين الاقطاعيين بعد القضاء عليهم (ويقتل الجبابرة) وذلك بفضل التعاليم الخرمية حيث يصبح الضعفاء (الفلاحون العبيد الحرفيون) أعزاء أقوياء (ويعز به ذليلكم) كما وتؤدي التعاليم التي يطبقها بابك الى رفع مكانة ابناء الشعب المحتقرين المهانين (ويرتفع به وضيعكم) ، لهذا فان مساهمة الفلاحين في انتفاضات الخرمية ومنها البابكية قررتها مصالحهم الطبقية ، فكانوا المعين الذي لا ينضب بالنسبة للانتفاضات ٠ ولما كان قادة الانتفاضات الخرمية شاعرين بالجور والاستغلال الاقطاعي لكونهم منحدرين من وسط الشغيلة ، لهذا أولوا المسألة الزراعية ومشكلة الاراضي الاهمية الاساسية في برامجهم ـ ويؤسفنا اننا لم نعثر على برامجهم، اذ ان ما كتب عن الخرمية وما حفظ من حوادثهم انما يقتصر على ما ورد في المصادر المعادية لهم (٣٠٣) ـ فهناك اشارات عديدة في مصادر مختلفة تظهر ما ذهبنا اليه، فالطبري اشار الى ان المازيار أصبهبذ طبرستان (٣٠٤) ، وقد أخذ بتعاليم الخرمية

---

(٣٠٢) الفهرست ، ص ٤٩٦ ، وقد صور كثير من المؤلفين قولها ـ يرد المزدكية ـ والذي هو موضوع ولا شك ـ الى ان البابكية تسعى الى تحطيم الاسلام واعادة المزدكية وعلى سبيل المثال راجع الدوري ، العصر العابسي الاول ، ص ٢٣١ ، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٩ ، ومقالة (الجذور التاريخية للاشتراكية العربية) في العدد الثالث من مجلة الآداب اللبنانية (آذار ١٩٦٥) ، ص ٢١ ٠

(٣٠٣) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ٩١ ، تاريخ ايران ، ص ١٠٩ ، تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ، وكراسة الخلافة العربية لجيستياكوفا ، ص ١١٨ ـ ٩ ٠

(٣٠٤) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ ، وقد خلط الدوري بين طبرستان وجرجان ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٢ ٠

وبشّر بها في منطقته وكاتب بابك ، (أمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم) (٣٠٥) ، وأكرة الضياع ــ هم الفلاحون ٠

وان القول المنسوب الى زوجة جاويدان ــ ان صحّ ــ فهو يعني بصراحة رفع مكانة الشغيلة وفي مقدمتهم الفلاحين (يعزّ به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم) وكيف يعز الذليل ويرتفع الوضيع ؟ طبعا بالقضاء على الارستقراطيين (يقتل الجبابرة) والاستيلاء على أراضيهم (يملّك الارض) ، وقد أشار جوزي (٣٠٦) ، وتاريخ ايران (٣٠٧)، الى انتقال الاراضي الى ملكية المشاعية الزراعية ويرى لويس ان ذلك أدى الى تشجيع الفلاحين على الانضمام الى الحركة ، ويرى لويس أيضا ان بابك (كسب أيضا مناصرة بعض الدهاقين وهم الطبقة الفارسية الحاكمة « لا معنى لكلمة ــ الحاكمة ــ هنا مطلقا » وكان هؤلاء قد انحطت منزلتهم عندئذ وأصبحت لا تفوق منزلة الفلاحين العاديين الا قليلا) (٣٠٨) ٠ ان انتماء هؤلاء الملاكين ليس بسبب انحطاط منزلتهم كما يتصور لويس وانما بسبب تخوفهم من غضبة الفلاحين ولعدم تمكنهم من الوقوف بوجه التيار العارم، ولهذا نجدهم ينقلبون الى الجانب الآخر في أول انتكاسة تصيب الانتفاضة ، حيث شكلوا الخطر الجسيم على الحركة بأجمعها ، وقد اشار الى ذلك بيلاييف واعتبر ارتدادهم خيانة للثائرين (٣٠٩) ٠ والدوري في اعتماده على نصوص من الطبري والبغدادي وجوزي أيّد توزيع أراضي الملاكين الكبار على الفلاحين ولكنه يعلل أخذ الاراضي من الملاكين الكبار لانهم حلفاء العباسيين (وهواهم مع المسودة) (٣١٠) فهو يرى بان العامل السياسي كالعامل الاقتصادي له أثره في ذلك الاستيلاء ٠

ان الدوري وان اعتمد ولا شك على قول بارتولد بأن أصحاب الاراضي هم (حلفاء العرب) (٣١١) ، لكن الدوري يعلل الاستيلاء عنصريا وهو كره الخرميين للعباسيين ٠ ولكن اذا لم يكن هوى المالكين مع العباسيين ألا توزع اراضيهم ؟ لقد لاحظ جوزي ــ الذي يضفي ، خطأ ، على حركة البابكيين الفلاحية مسميات حديثة كالحزب الشيوعي (٣١٢) والحركة الشيوعية (٣١٣) والحركة الاشتراكية (٣١٤) ــ ان سوء الاوضاع

(٣٠٦) تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٩٨ ٠
(٣٠٧) ص ١٠٩ ، انظر تاريخ العالم ايضا ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ ٠
(٣٠٨) العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ ٠
(٣٠٩) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٢١٦ ٠
(٣١٠) الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٤٤ ــ ٥ ٠
(٣١١) الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة العربية ، ص ٦٦ ٠
(٣١٢) من تاريخ الحركات ، ص ٩٤ ، ومقالة بابك والبابكية ، مجلة اخبار جامعة باكو ، العدد ١ ، ص ٢٠٩ ٠
(٣١٣) مقالة بابك والبابكية ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ٠ وتاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ولا بد انه قد تأثر من وصف كريمسكي لبابك « بالشيوعي الجسور » ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٩٦ ٠
(٣١٤) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ٠

الاقتصادية وتردي حالة الفلاحين قد دعت المصلحين (من مزدك الى بابك) (٤١٥) الى التفكير في نزع الاراضي من الملاكين وتوزيعها (على الفلاحين بالتقسيط) (٣١٦) ٠

ولست أرى سببا لحشر اسم مزدك فيما يخص اراضي اذربيجان كما وان توزيع الارض كان يتم على مجموعات يزرعونها مشاعا وليس بالتقسيط ٠ لقد كانت معالجة قضية الارض من اهم القضايا التي عالجتها الحركة البابكية وقد اقتضتها مصلحة الشعب المنستاء المرهق المستغل ، لذا لعبت الحركة الخرمية دورا تقدميا ٠

ب ـ وضع المرأة في المجتمع وتحريرها

لقد اعار البابكيون قضية المرأة أهمية تستحق الذكر والتقدير فلقد وجدوا ان المرأة قد تدنى وضعها ولحقها الازدراء والاحتقار واستصغار الشأن واستغلت ابشع استغلال حيث اصبحت بعداد السلع تباع وتشترى ويرميها الشاري في ركن من اركان بيته لا يعير شعورها واحساسها أدنى اهتمام ٠ ولهذا انحطت المرأة وتأخرت واصابها الجهل فاصبحت فاقدة لكرامتها واحساسها ولا تفهم مركزها ولا تفكر بتحقيق رغباتها ٠ فكر الخرميون ـ ولا شك ـ بكل هذا الذي أصاب المرأة الشرقية وكذلك فكر بابك كما فكر به من قبل المزدكيون ومزدك ، فحاولوا تحسين وضع المرأة ورفع مكانتها المتدنية ومنحها قليلا من الحرية التي فقدتها منذ زمن طويل ٠ وقد أثارت محاولتهم تلك حفيظة المؤرخين والفقهاء ، وقد أشرنا الى ذلك سابقا ، ولكن الحقائق لا يمكن سترها بغربال ولا بد وان تظهر ، وحتى بين طيات المصادر ، لتشهد على مبلغ احترام البابكيين للمرأة واهتمامهم بمركزها والعناية بها ، ذكر الطبري عن الأسرى الذين حرروا يوم الانتصار على بابك (واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات واولادهم سبعة آلاف وستمائة انسان) (٣١٨)، ان هذا العدد الغفير من النساء وأولادهن قدم شهادة طيبة بحق بابك والبابكيين حيث ذكروا بأنه أحسن اليهم ايما احسان فقد ذكر الطبري ـ بعد أن يصف أسر بابك ويذكر بأنه جيء به الى الافشين ، قائد جيش الخلافة حيدر بن كاؤوس الأشروسني ـ فأمر القائد (ثم قال انزلوا به الى العسكر فنزلوا به راكبا ، فلما نظر النساء والصبيان (المحررين) الذين في الحظيرة اليه لطموا على وجوههم وصاحوا وبكوا حتى ارتفعت اصواتهم ، فقال لهم الأفشين : انتم بالامس تقولون أسرنا وأنتم اليوم تبكون عليه عليكم

(٣١٥ ن٠ م٠ ، ص ٩٨ ٠

(٣١٧) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٣ ٠

لعنة الله ، **قالوا كان يحسن الينا**) (٣١٨) ، من هذه الحقيقة التي أوردها الطبري يمكننا معرفة مدى اهتمام بابك والبابكيين بالنساء حتى ولو كن أسيرات ، وهذا يناقض جميع اقوال المؤرخين الذين قالوا باباحة النساء فلو كان ذلك صحيحا فمن المنتظر ان يطبقوها بالاسيرات قبل نسائهم وذلك ميسور لهم وتبيحه شرائع ذلك العصر ، ولما لم تطبق الاباحة بالاسيرات الفاقدات للحرية ، بل بالعكس أحسن اليهن بشهادتهن أمام الأفشين (وهذه برأيي خير تزكية يقدمها الطبري رغما عنه) ، لذلك تنهار فرية الاباحة بنسائهم٠

ويعطينا ابن النديم صورة جيدة عن مكانة المرأة لدى البابكيين ومدى احترام رأيها وتقديرها ، حينما يصف حفلة المناداة ببابك قائدا للخرمية بعد وفاة سلفه القائد جاويدان حيث جلست زوجة القائد المتوفي الشابة بمجلس عام وبجانبها جلس بابك، وأعلنت لهم رغبة زوجها في اختيارهم بابك قائدا عليهم ليكون خلفا له ، ثم تناولوا الطعام والشراب حسب المراسيم الاحتفالية الخاصة بهم ، (٠٠٠ ثم احضرتهم الطعام والشراب ، واقعدته على فراشها وقعدت معه ظاهرة لهم فلما شربوا ثلاثا ثلاثا أخذت طاقة ريحان فدفعتها الى بابك فتناولها من يدها وذلك تزويجهم) (٣١٩) نلاحظ بأن المرأة تقدم لمن ترغب الزواج به غصنا من الريحان ، وهذا دليل على مدى احترام البابكيين لرأي المرأة وتقدير رغبتها ومنحها الحرية في اختيار شريك حياتها ، هذه الحرية كانت فوق مدارك علماء وفقهاء ومؤرخي ذلك العصر حيث اعتبروها دعارة وفسقا واباحة ٠

ونرانا مضطرين للعودة الى قول المقدسي (ووجدنا منهم من يقول باباحة النساء على الرضا منهن) (٣٢٠) لمناقشته حيث نجد المقدسي لم يستطع اثبات هذه التهمة اذ لو كانت الاباحة حقيقة واقعة لقال : ـ وجدنا الاباحة ، أو وجدنا منهم من يقوم أو يفعل الاباحة ٠ ولكن المقدسي ذكر **ووجدنا منهم من يقول باباحة النساء** ، فهو يذكر بأنه وجد من الناس من يقول باباحة النساء ، وهؤلاء أولا قلة لانه قال عنهم (وجدنا منهم) وكلمة منهم تعني بعضا منهم وليس كل الناس ، فلو كان الشيء عاما أو تمارسه الاغلبية لقال: (وجدناهم) ، وثانيا لا يستبعد ان يكون هؤلاء الـ (منهم) من السفلة والمنحطين والمستهترين ، وهؤلاء لا يخلو منهم أي مجتمع وهم لا يعكسون بكل الاحوال أخلاق المجتمع الذي يعيشون فيه ولا يمكن ان تضفي طرز حياتهم على الحركات الثورية ، وقد لاحظ ذلك الطبري بالنسبة للحركة المزدكية (فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك واصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم) (٣٢١) ، وثالثا قال المقدسي (من يقول ٠٠٠)

---

(٣١٨) ن٠ م٠ ، ص ١٢٢٧ ٠

(٣١٩) الفهرست ، ص ٤٩٦ ، لاحظ تومارا ، بابك ، ص ٣٢ ، ومقالة (بابك) في دائرة المعارف الاسلامية(النسخة الالمانية) ، ص ٥٦٩ ٠

(٣٢٠) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مقالة مارغليوث عن الخرمية ، دائرة المعارف الاسلامية (١٩٥٣) ، ص ٢٥٨ ٠

(٣٢١) تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٥ ٠

وهذا القول يدل على رغبة القائلين (وهم قلة) ولا يمكن اعتباره دليلا على حدوث الشيء أو تعميمه على المجتمع لانه مجرد رغبة من يقول من القلة ۰ لقد تكلم المقدسي عن المتأخرين من الخرمية ولكن كلامه كثيرا ما استخدم ضد البابكيين من قبل مؤرخين متأخرين ۰ وللمقدسي رواية أخرى يطعن بها بابك صراحة ، وهي رواية ضعيفة موضوعة ومرتبكة ، ومفادها ان بابك طلب من سهل بن سنباط ان يطلق سراحه فرفض سهل وعمل الفاحشة مع أم وزوجة وأخت بابك بين يديه ، ويعلل المقدسي هذا العمل الشنيع لان بابك ـ حسب رأيه ـ كان يفعل ذلك بأسراه (وكذا كان الملعون يفعل اذا أسرهم مع حرمهم) (٣٢٢) ، وقد نقل ابن العبري عنه هذا القول وأشار بأن الارمن فعلوا بعائلة بابك بين يديه (٣٢٣) ، وقد أشرنا سابقا الى ضعف هذه الرواية لان أم بابك وزوجته وأخاه معاوية قد وقعوا أسرى بعد هروبهم بقليل ونجا بابك وأخوه عبد الله وغلام لهم ودخلوا ارمينيا منفردين دون نساء(٣٢٤) ولأن فرية الاعتداء على الاسيرات قد فندناها اعتمادا على رواية الطبري في حسن معاملة الاسيرات ۰

ج ـ امور عامة

١ ـ الحريات العامة :

كانت للبابكيين نظرة خاصة نحو الحرية ، فهم كانوا يحترمون الحرية الشخصية التي لا تسبب الضرر للآخرين ، ولهذا فان الحرية المطلقة في التملك الشخصي لم تكن مباحة لان هذا الحق في التمتع بالحرية الواسعة ، دون قيد ودون تحديد ، يجلب الضرر للآخرين ، اذ يغدو صاحب الملك الواسع مستغلا للآخرين ويلحق بهم الضرر الفادح وعلى هذا الاساس عمد البابكيون ، كسوية الخرميين ، الى تعميم الاستفادة من المقتنيات العامة ۰ ولقد عبّر المقدسي عن مفهوم الحرية العامة التي منحت للخرميين خير تعبير (رغم انه شوهها بكلمة اباحة) حينما ذكر بأنها مشروطة بعدم الضرر بالآخرين حيث ذكر : ـ واباحة كل ما يستلذ النفس وينزع اليه الطبع ما لم يعد على أحد

---

(٣٢٢) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ ۰

(٣٢٣) مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٤٢ ، وعنه نقل سيل ، ج۰ ، القرآن ، ص ١٣٠ ۰

(٣٢٤) انظر الطبري حيث يذكر عن اسر معاوية وام بابك (فافلت « يقصد بابك » واخذ معاوية وام بابك والمرأة التي كانت معه ومع بابك غلام له فوجه ابو الساج بمعاوية والمرأتين الى العسكر) ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٢٢ ، ورغم رواية الطبري هذه فان جوزي يردد رواية المقدسي الضعيفة ، من تاريخ الحركات ، ص ١١٣ ۰

بالضرر (٣٢٥) ٠ فاذن لم تطلق الحرية للتملك الفـــردي سواء للمقتنيـات العينية أو للنساء وانما حددت هذه الحرية بما يعود بالخير على المجموع ٠

هذه الحرية المقيدة أو تقييد حرية التملك لم تكن ملائمة مرحليا وغير مألوفة لذلك العصر وسابقة لأوانها حيث ان العصور الوسطى طغت فيها الحرية الواسعة للاستغلال الكبير ، حرية أفراد قلائل في استغلال شامل لجماهير الشعب المعدمة المسلوبةالحرية٠ ولقد كانت مساعي الخرميين ، ومنهم البابكيين ، محاولات في قــلب تلك الاوضاع التي كانت سائدة ، أي اعطاء الحرية الواسعة للجماهير الغفيرة في التملك العام وحرمـان أفراد قلائل من حرية التسلط والاستغلال ٠ ان هذه المحاولات وتطبيقها كانت غـريبة ومناقضة لمقتضيات التطور التاريخي والظرف الزمني ولما ألفه الناس ولهذا لم يستسغها الاعداء الطبقيون ومفكرو العصور الوسطى ولم يتورعوا باتهامهم بشتى التهم ، ومـع ذلك فقد وردت بين طيات مؤلفاتهم أخبار تشير الى الحريات التي منحوها للأفراد والى احترامهم لحرية المعتقد ، فأصحاب الاديان المختلفة أحـــرار في ممـــارسة طقوسهـم وشعائرهم وقد شهد بذلك البغدادي حول بناء المساجد في ديارهم يؤذن فيها المسلمـون ويعلمون أولادهم القرآن (٣٢٦) ، وقد أشار المقدسي (٣٢٧) الى موقـف الخرميين من أصحاب الاديان بأن الخرميين (لا يرون تهجينه « كل ذي دين » والتخطي اليه بالمكروه ما لم يرُم كيد ملتهم وخسف مذهبهم) (٣٢٨) ٠ لقد منحت البابكية الناس البسطاء ، في المناطق التي حررتها ، حرية العمل في المزارع المشاعة وحرية الاستفادة من المرافق والثروات العامة وحرية الزواج بمن يشاؤون وحرية العبـــادة (وكل ذي دين مصيب عندهم) (٣٢٩) ، وكان للمرأة حرية العيش بهناء وسعادة دون تحكم السادة الرجال ٠ لقد كانت للخرميين ومن ثم للبابكيين مُثل سعوا الى تحقيقها بقدر ما تيسّر لهم ، وقـد دفعتهم تلك المُثل الى ان يوسعوا نظرتهم للناس فيحسنوا المعـــاملة مع المسالمين غيـر المستغِلين منهم ، وبهذا منحوا حرية المعتقد لمن شاركهم السكن وشملت معاملتهم الطيبة الأسرى من أعدائهم كما شهد بذلك الطبري عن حسن معاملة بابك لأسيراته من النســاء المسلمات والصبيان الذين معهم ، وكان في امكان بابك اذاقتهم مرّ العذاب ولكنه لميفعل لا خوفا ولا مصانعة ، ولكن بدافع من شعوره الانساني الذي كــان يدفعه لجلب الخير

....

(٣٢٥) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ٠

(٣٢٦) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، انظر مقالة مارغليوث عن الخرمية في دائـــرة المعارف الاسلامية (١٩٥٣ م) ، ص ٢٥٨ ، وينقل رواية الاصطخري ، انظر ايضا مقالة جوزي عن بابك والبابكية ، مجلة اخبار جامعة باكو ، ص ٢٠٦ ٠

(٣٢٧) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ٠

(٣٢٩) ن٠ م٠ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ٠

(٣٢٩) ن٠ م٠ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ٠

للناس الضعفاء المغلوبين سواء كانوا ايرانيين أم عربا ، آذربيجانيين أم أرمن وسواء كانوا مسلمين أم خرميين أم مسيحيين ، لقد تحلى هو وغالبية اتباعه بمبادىء الخرمية الداعية لسيادة الخير على الشر وطرد المستغلين الجالبين الشقاء والتعاسة لبني البشر ٠

٢ ـ العبادة :

ما هي العبادة والتعاليم الدينية التي كان يمارسها الخرميون ومنهم البابكيون ؟ هذه القضية كسابقاتها ـ قضية البرامج ـ من أعقد المشاكل التي تواجه الباحثين لانعدام المصادر الخرمية والمحايدة من جهة ولأن غالبية الذين كتبوا عن الخرمية ألصقوا بهم ، التهم التي تكرههم بأعين معاصريهم فوصفوهم بالالحاد والزندقة واعتقادهم بالحلول والتناسخ واعتبار رؤسائهم انبياء ونعتوهم بالمروق والكفر ونكران الله وبالثنوية وخلاف ذلك وصفوهم ايضا بالنسك والطهارة والتقشف والزهد والامتناع عن زهق الارواح ، لهذا يتعذر تحديد ديانة ومعتقد الخرميين من هذه الصفات المتناقضة ٠ فالبلاذري ينعت بابك بالكافر الخرمي (٣٣٠) ، بينما يقول الطبري عن لسان بابك : ـ وادعى ان روح جاويدان دخلت فيه (٣٣١) ، وكتب الاشعري عن الخرميين (وقد أفرط قوم من جنس هؤلاء من الخرمدينية حتى زعموا ان الرسل يأتون تترى بعد رسول الله (ص) وانهم لا ينقطعون) (٣٣٢) ٠ وينقل ابن النديم رواية الطبري حول حلول روح جاويدان في جسد بابك وينسب القول الى زوجة جاويدان (٣٣٣) ٠ وقال ابن النديم عن بابك انه كان يقول لمن استغواه انه اله (٣٣٤) ، وتجد ترديد روايات ابن النديم لدى المقدسي (٣٣٥) وابن الاثير (٣٣٦)، ويعتبر ابن الاثير ان الخرمية تعتقد بحلول الله في آدم ونوح وهلم جرا الى أبي مسلم ثم الى المقنع (٣٣٧) وذكر أبو الفداء عن بابك (وكان يقول بالتناسخ) (٣٣٨) ، وقال عنه ايضا (وكان زنديقا كبيرا وشيطانا رجيما) (٣٣٩)

(٣٣٠) فتوح البلدان ، ص ٣٢٠ ٠

(٣٣١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠١٥ ٠

(٣٣٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، ص ٤٣٨ ٠

(٣٣٣) الفهرست ، ص ٤٩٦ ٠

(٣٣٤) ن٠ م٠ ، ص ٤٩٥ ٠

(٣٣٥) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٥ ٠

(٣٣٦) الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ٠

(٣٣٧) ن٠ م٠ ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، انظر سيل ، ج٠ ، القرآن ، ص ١٢٩ ٠

(٣٣٨) المختصر في اخبار البشر ، جـ ١٠ ، ص ٢٤٨ ٠

(٣٣٩) ن٠ م٠ ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٢ ٠

ويرى الذهبي وابن خلدون : (ان الخرمية كانوا يعتقدون مذاهب المجوس) (٣٤٠) ٠
من الصعوبة اذن الوقوف بدقة على تعاليم الخرمية من المصـــادر العربية ، غير اننـا نستطيع ان نخــرج بنتيجة وهي ان الخرميين كانوا يعتقدون بمعتقدات المزدكيين الدينية وان هذه المعتقدات الدينية المزدكية التي وصلت الى الخرميين لم تبق على حالها الاول، بل قد أصابها التطوير والتحوير بعامل الزمن ولاحتكـــاكهم بالمســـلمين ٠ وقد أشار البغدادي الىان البابكيين يعلّمون أولادهمالقرآن لكنهم لا يصلون فيالسر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة ويظهرون الاسلام ويضمرون خلافه (٣٤١) ٠
لقد ذكرنا في مقدمة بحثنا عن الخرمية بأنها فرقة دينية متطورة عن المزدكية (٣٤٢) ، لهذا فان ديانة البابكيين الخرميين لا بد وانها تجمع بين المجوسية المتطـورة (المزدكية) والمسيحية والاسلام ، مع الاعتقاد الراسخ بنضال اله الخير مع اله الشر على مســرح الحياة الارضية وحتمية انتصار اله الخير ، وضرورة تعاون كل قوى الخير المحبةللنور لطرد الشرور والآثام التي هي من مخلفات الظلام ، والقضاء على العوامل التي تساعد على بقائها ، كعدم التساهل في التملك ، ولذا وحسب شريعة الخرميين ـ البابكيين ـ وجدت الضرورة للقضاء على عدم التساوي في التملك لازالة الظلم والظلام وآثارهما، لأن النظام الاجتماعي تأسس على عدم المســـاواة وعلى القســـر والاكـــراه والظلم والاضطهاد (٣٤٣) ، وهكذا كان الارتبـــاط المتين بين المعتقـــدات البـابكية والحلول الاجتماعية الآنية ، ولهذا اتخذت معتقداتهم شكل المناهضة الثورية للاقطاع ، فكـانت الانتفاضة البابكية مناهضة ثورية بوجه الخلافة العباسية وضد الملاكين المحليين مقترنة بالانتفاضة المسلحة ٠

٣ ـ القاعدة الاجتماعية والسيـاسية للحركة البابكية

شملت الانتفاضة الآذربيجانية البابكية مناطق مختلفة ، حيث قامت ، كما نعـلم، في آذربيجان ـ بقسميها البانيه وأتروباتينا ـ وفي الجـــزء الشرقي من أرمينيا ، وفي

(٣٤٠) مختصر دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبـر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ وهما بهذا يرددان مقولة ابن الاثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٨٤ ٠

(٣٤١) الفرق بين الفرق وينقل رواية اسطورية عن (اصل الديانة البابكية) فيقول : « البابكية ينسبون اصل دينهم الى امير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ويزعمون ان اباه كان من الزنج وامه بعض بنات ملوك الفرس) ، ص ٢٦٩ ٠

(٣٤٢) راجع مناقشتنا لآراء المؤرخين حول علاقة الخرميين بالمزدكية في بداية بحث الخرمية ٠

(٣٤٣) تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١١٦ ٠

الشمال الغربي من ايران (٣٤٤) ، فضمت أجناسا مختلفة وأقواما متعددة من ايرانيين وعـرب واكـراد وارمن واذربيجانيين ، قاموا كلهم بانتفاضة مسلحـة بوجـه الخلافة العباسية ، من أجل التخلص من النير الاقطاعي والتسلط الحكومي الجائر ٠

لقد تحالفت جماهير الشعوب المستغَلة لمقاومة الطغيان الاقطاعي والسلطة الحامية للمصالح الاقطاعية ، لهذا فان طبيعة الحركة الاجتماعية الناشئة عن عوامل اقتصادية دعت الى تحالف أقوام مختلفة ضد تسلط طبقي استغلالي ، أي ان الحركة البابكية قامت كنتيجة لتناقض طبقي وليس لخلاف عنصري أو ديني (٣٤٥) كما يحلو للكثيرين تعليل ذلك أو كما حاولت الخلافة العباسية تضليل جماهير المسلمين لاثارتهم ضد الانتفـاضة وتصوير الحـروب التي تشنها (الخلافة) ضد الفلاحين ومن اتحد معهم حربا مقدسة (جهادا في سبيل الله) ٠ ومن المؤسف أن تظهر تعليلات خـــاطئة لأسباب الحركة في كتابة جوزي حيث كتب (انه كان بين المتآمرين بعض زعماء العرب ممن أعمت المصالح الشخصية ا والعائلية قلوبهم وأنستهم أو جعلتهم يتناسون ان الغاية الكبرى من هــذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد والقضاء على الاسلام وأهله) (٣٤٦)، وجوزي يعلم جيدا ان غاية البابكيين غاية اجتماعية وهو نفسه أخبرنا بأنه ليس للبابكية من غرض سوى الهدف الاجتماعي (٣٤٧) ، اذن ما كانت الانتفاضة ضد العرب وانمـا كانت ضد السلطة العباسية والاقطاعيين المحليين ، وليست الانتفـــاضة ضـــد الدين الاسلامي لذاته كشعائر وطقوس دينية ، اي لمجرد كونه دين وانمــــا هي ضد مناصرة وتأييد رجال الدين للسلطة في العدوان والقمع والتسلط ، اي ضد اضفــــاء الصفات الدينية على أعمال السلطة المدنية ، تلك السلطة التي لم يتورع العباسيون في استخدام كل شيء من اجل الحصول عليها وتثبيتها ، فالخليفة العباسي وموظفوه هم رجال سلطة مدنية ولكن بسبب اعتبار الخليفة أميرا للمؤمنين وخليفة للمسلمين وممثلا للاسلام مـن قبل المؤرخين والباحثين يصور أي خلاف قائم ضد السلطة وضد الاستغـــلال والجور خلافا ضد الدين الاسلامي وهو ما لم يكن كذلك ٠ لقد كانت الانتفـاضة ضد الدين بقدر

(٣٤٤) يقول لويس انها تسربت الى جنوب غربي فارس ، العرب ، ص ١٤٤ ، وهذا غير صحيح، وذكر في دائرة المعارف السوفييتية الواسعة اسم (خراسان) ، ط ٢ ، م ٤ ، ص ٤ ، وهذا ليس بصحيح ، راجع مقالة سورديل عن بابك في دائرة المعـــارف الاسلامية ، (١٩٦٠ م) المجلد الاول ، ص ٨٤٤ ٠

(٣٤٥) كما يتصور الدوري بأن غاية البابكية ضرب السلطان العربي والدين الاسلامي ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٢ ٠

(٣٤٦) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٥ ٠

(٣٤٧) ن٠ م٠ ، ص ٩٠ ــ ١ ٠

ما هو متمثل في أعمال السلطة والاقطاعيين ، فهي ضد استخدام الدين من قبل الطبقة السائدة لانها كانت نضالا اجتماعيا اقتصاديا وسياسيا ضد الخلافة الاسلامية ، ولم يكن رجال السلطة الا ممثلين للطبقة الارستقراطية السائدة ، وما كان الاسلام في أدواره الاولى ـ كما يتفق لويس مع فان فلوتن وبيكر ـ الا علامة امتياز للارستقراطية المنتصرة والمذهب الرسمي للدولة التي تمثله (٣٤٨) ٠ وقد لاحظ الخرميون ان السلطة الاسلامية متساهلة ومتعاونة مع الاقطاعيين الزرادشتيين والمسيحيين وغيرهم ومتشددة وجائرة على المعدمين من المسلمين والذميين وهذا ما لم يدركوا كنهه وأولد الضغينة لديهم على السلطة الاسلامية ٠ أما المسلمون المعدمون الساكنون في المناطق المنتفضة وفي مناطق الخرميين كلها فقد كانوا يتمتعون بحرية دينية واحترام لمشاعرهم وطقوسهم الدينية ولم نعثر على نص يشير الى ان الخرميين كانوا يجبرون الناس على اعتناق مذهبهم او يغتالونهم لاختلافهم معهم في العقيدة ، لكنهم كانوا يحاربون اعداءهم الطبقيين ٠ لقد كان النضال ضد السلطة الاقطاعية (الاسلامية المظهر ، العربية الشكل ـ دين الدولة الاسلام ورئيسها الخليفة امير المؤمنين ، ولغتها الرسمية العربية) ، وضد الاقطاع ، ولم يكن نضالا ضد الاسلام وضد العرب البتة ، بالرغم من ان المتنفذين في السلطة مسلمون اقطاعيون وما كانوا كلهم عربا وانما كانوا من العرب وغيرهم ، فالوزراء وقادة الجيوش والولاة كان اغلبهم من غير العرب ٠ ان معارضة الاقطاع والسلطة الاقطاعية بالافكار الخرمية صوره المؤرخون والباحثون نزاعا ضد العروبة والاسلام ، والحقيقة هي ان الافكار الخرمية كانت الغطاء الايديولوجي لمعارضة الفلاحين وحلفائهم الثورية للاقطاع والسلطة الاقطاعية (٣٤٩) ، ولهذا كانت القاعدة الاجتماعية للحركة في غالبيتها متكونة من فلاحي اهل المناطق التي عمتها الانتفاضة ومعهم معدمو تلك المناطق واشباه الفقراء والعبيد (من مسلمين وذميين من عرب وايرانيين وارمن واذربيجان واكراد وديالمة وغيرهم (لان التناقض الاساسي في المجتمع الاقطاعي يكون بين الارستقراطية المالكة للاراضي وبين الفلاحين ٠ ولكن يجب ان لا يغرب عن البال بأن ليس كل فلاحي مناطق الانتفاضة ينضمون بكاملهم للانتفاضة ، ففي تحليل رائع لحروب الفلاحين في عهد الاقطاع اوضح انكلز ، ف٠ السبب الذي يدعو الفلاحين للاحجام عن المساهمة في الانتفاضة الفلاحية المحلية ، (كيفما يكون الاضطهاد الذي يعاني منه الفلاحون فظيعا ولكن دفعهم للانتفاضة على كل حال صعب جدا ٠ كانت

(٣٤٨) اصول الاسماعيلية ، لويس ، ص ١٩٠ ٠

(٣٤٩) انظر مقولة انكلز ، ف٠ حول الاشكال التي اتخذتها المعارضة الثورية للاقطاع طيلة العصور الوسطى ـ الحرب الفلاحية في المانيا ـ ص ٣٤ ، لاحظ هامشنا المرقم (٤) ، الفصل الثالث ٠

تسحقهم الظروف الخارقة التي كانت تمنعهم من الاتفاق ، عادات الخضوع المتوارثة جيلا عن جيل ، اقلاعهم في اماكن كثيرة عن استخدام السلاح ، مرة كان يشتد ومرة كان يضعف بالنسبة الى سلوك السيد نفسه وشدة الاستغلال ، كل هـــذه اثرت بحيث جعلت الفلاحين بحالة من الهدوء ٠ لذلك ففي القرون الوسطى لم نشاهد حتى الهياج الفلاحي ولا انتفاضة فلاحية في المانيا) (٣٥٠) ٠

١ ـ التركيب الطبقي للمنتفضين :

كانت الغالبية العظمى من المساهمين في الانتفاضة البابكية من الفلاحين والعبيد المستخدمين في الزراعة حيث تطور الاقطاع اكثر مما عليه في السابق (٣٥١) ٠ ومع ان اعظم الاستغلال يقع على الفلاحين الا ان قسما من الملاكين الصغار قد انضم للحركة، ويعلل لويس انضمام الدهاقين بسبب انحطاط منزلتهم)٣٥٢) ، ويـــرى الـدوري ان اشتراكهم في الانتفاضة خطوة هامة في تطور الوعي الايراني (٣٥٣) ٠ ولم يكن لويس والدوري مصيبان في قولهما فان مشاركة الملاكين الصغار (الفئات القلقة) هو بسبب خوفهم وعدم تمكنهم من مقاومة تيار الانتفاضة العارم وبسبب من اطماعهم في الحصول على اراض اكثر وتوسيع نفوذهم بعد تقلص السلطة العباسية ٠ اما تطـــور الوعي الايراني فانه سابق لاوانه ولان الحركة كانت تضم الاذربيجانيين والارمن وغيرهم ٠ ان انضمام هذه الفئات القلقة من صغار الملاكين سيسبب الضعف للحركة بعـد مضي وقت ، وذلـك عندما تظهر الاخطار المحدقة بالثائرين ، فمع هذه الفئات الانتهازية تجيء الاخطار لانهم في اول انتكاسة يهربون الى الجانب الآخر ، وقد اشار بيلايف الى ذلك بقوله : غالبا ما انضم الى الحركات الشعبية من هم بالاصل من الطبقات السائدة ، والذين بعد ذلك خانوا المنتفضين ولم يكن ذلك نادرا (٣٥٤) ٠ قلنا ان الغالبية العظمى

(٣٥٠) انكلز ، ف٠ ، الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣١ ٠

(٣٥١) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، وتاريخ الاتحاد السوفييتي ، القسم الاول ، ص ٤٨ ٠ كان غياب الملاكين عن اراضيهم سببا آخر في عدم تطور الاقطاع السريع ، اذ كانوا يفضلون السكنى في العاصمة ، أما الآن فأخذوا يعودون الى املاكهم كآل طاهر مثلا ، انظر لوكيكارد ، الضريبة الاسلامية ، ص ٦٦ ، حول اثر غياب الملاك في تطور الاقطاع ٠

(٣٥٢) العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ ٠

(٣٥٣) العصر العباسي الاول ص ٢٣٤ ٠

(٣٥٤) بيلايف ، يه٠ ٠١ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٢١٦ ، انظر الموسوعة التاريخية ، م ٢ ، ص ١٤ ، وورد في تاريخ اذربيجان القسم الاول ص ١٢١ ما يشبه هذا القول ٠

من المساهمين كانت من الفلاحين والعبيد وذلك بسبب الحالة السيئة التي كانوا يعيشونها ، فقد مضى وقت طويل على سلب الاراضي من الفلاحين الذين اصبحوا في حالة عوز وحرمان واشبه بأقنان يشتغلون لدى المالك الذي كان يستخدم عبيده في الزراعة ايضا وكان العبيد من الصقالبة (٣٥٥) ومن افريقيا ، وبالرغم من ان اذربيجان كانت غنية الخيرات وافرة المياه ، كما شاهد بنفسه ياقوت الحموي وكتب « خيرات كثيرة وفواكه جمة ما رأيت ناحية اكثر بساتين منها ولا اغزر مياها وعيونا » (٣٥٦) ، فقد كانت ظروف الفلاحين المعاشية سيئة اذ كان البؤس يغمرهم والامراض تفتك بهم والمجاعات تهلك العديد منهم (٣٥٧) ، ومما ضاعف متاعب الفلاحين هو الحاق الاراضي الواسعة الخصيبة بأملاك الخلفاء وذويهم ، وقد جرى ذلك في عهد الامويين ، ثم توارثها العباسيون وذووهم (٣٥٨) ، وبهذا يصبح الولاة الحكام على المقاطعات وكلاء على الاملاك ايضا مما يتعذر على الفلاحين الشكوى ٠ لقد اشارت غالبية المصادر الى مساهمة الفلاحين في الانتفاضة البابكية وانتفاضات الخرميين ، فاليعقوبي اشار الى ان المحمرة خرجت بالجبل (٣٥٩) وقد حددها الطبري في حوادث سنة ٢١٨هـ(٣٦٠) واشار الطبري الى ان المازيار لما عزم على الخلاف ٠٠٠ امر اكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب اموالهم ، وكان المازيار يكاتب بابك ويعرض عليه النصرة (٣٦١) ٠ وحينما يعدد المسعودي مناطق الخرمية يؤكد على ان اكثر هؤلاء في القرى والضياع (٣٦٢) ، ويبين البغدادي ان اتباع المازيار اليوم في جبلهم اكرة من يليهم (٣٦٣) ٠ فغالبية سكان اذربيجان وارمينيا واقليم الجبال في ايران التي عمتها

---

(٣٥٥) عن الصقالبة انظر تاريخ التمدن الاسلامي ، جـ ٥ ، ص ٢٧ ، لجرجي زيدان ٠

(٣٥٦) معجم البلدان ، جـ ١ ، ص١٢٨ ٠

(٣٥٧) كتلك التي حلت بخراسان والري واصبهان (الاخيرتان من مناطق الانتفاضة) كما ذكر الطبري عن حوادث سنة ٢٠١ هـ ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ص ١٠١٥ ويرى المسعودي ان المجاعة وقعت في سنة ٢١٤ هـ ، المروج ، جـ ٤ ، ص ٢٩ ، ورواية الطبري ادق ٠

(٣٥٨) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ٠

(٣٥٩) تاريخ اليعقوبي (طبع النجف) ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ ٠

(٣٦٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٦٥ ٠ انظر الكامل لابن الاثير ، جـ ٥ ، ص ٢٢١ ٠ وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (اوكسونيا ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ ٠

(٣٦١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٦٩ ، والمازيار هو اصبهبذ طبرستان وليس جرجان كما توهم البغدادي في « الفرق بين بين الفرق » ص ٢٦٩ ٠

(٣٦٢) مروج الذهب ، وقد ذكر عنهم « واكثر الخرمية ببلاد خراسان والري واصبهان واذربيجان وكرج ابي دلف والبرج الموضع المعروف بالرذ والورسنجان ثم ببلاد الصيروان ←

الانتفاضة هم من الفلاحين الذين كانت تنتشر بينهم آراء الخرمية ٠ فكـــان الفلاحون المستودع الذي مد الانتفاضة عاما بعد آخر ـ طيلة عشرين عاما ـ بمعين لا ينضب من القوى الثائرة ٠

لكن الانتفاضة لم تقتصر على طبقة الفلاحين ـ ولو انهم كانوا عمادها الرئيسي ـ انما انضمت اليهم جموع اخرى من سكنة المدن ، ممن كانت تعاني الفقر والحرمان ويلحقها العذاب والجور من التسلط الاقطاعي الشامل ٠

لقد ذكرنا في الفصل الثاني اهم الصناعات « اليدوية » والحرف في مدن ايران واذربيجان وارمينيا وان حالة جماهير المدن كانت سيئة ، وظل الحال كما هو عليه اثناء الانتفاضات الخرمية وفي عهد الانتفاضة البابكية ، فلا غرابة اذن ، ان تنضـم جموع ابناء المدن ، المستاءة من اوضاعها السيئة ، الى الانتفاضة الجماهيرية من اجل تحسين اوضاعها وترفيه حالها ٠ ولا شك ان ظروف حياتها القاسية من شظف العيش وفداحة الاستغلال وارهاق الضرائب هي التي حـدت بهـؤلاء المعدمين للمساهمة فـي هذه الانتفـاضة ٠

ان الحرفيين والكسبة وبقية معدمي المدن لم يكونوا بمنجى من الجور الاقطاعي والتسلط الحكومي ، ولهذا كانوا من المسارعين لتلبية نداء الانتفاضة ، فما ان تلتهب انتفاضة في بقعة ما من البلدان المحتلة حتى تجد الحرفيين منضمين اليها شأنهم شأن الفلاحين ، وذلك من اجل الخلاص من الجور والظلم والاستبداد الحكومي والارهاق والتعسف الاقطاعي ٠

ب ـ مساهمة شعوب مختلفة (العرب ، الاكراد ، الايرانيون ، الديالمة والارمن) في الانتفاضة الاذربيجانية :

ساهمت جموع الشعب من ابناء المناطق التـي عمتهـا الانتفاضة ، ولمـا كان المساهمون من طبقات وفئات مختلفة ، لهذا فان الغايات لم تكن موحدة ، فالمنحدرون من

→

والصيمرة واربوجان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الامصار واكثر هؤلاء في القرى والضياع » ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ ٠ وعنه نقل مارغليوث في دائرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ص ٢٥٢ ، ونفيسي ، بابك ، ص ٣١ ـ ٣٢ ، الا ان المسعودي يضيف الى هذه الاماكن اماكن اخرى ذكرها في كتابه التنبيه والاشراف وهي : مهرجان قذق وهمذان وماه الكوفة وماه البصرة وارمينية وقم وقاشان ، ص ٣٥٣ ، وقد بين المسعودي انـه ذكر ذلك في كتبه « المقالات في اصول الديانات وسر الحياة ٠

اصل ارستقراطي او من الاغنياء او من الملاكين الصغار او من موظفي الدولة من ولاة وقادة عسكريين ، كل هؤلاء لم يكن حب الثورة او المنهاج الثوري هو الذي حدا بهم للانضمام للحركة ، ولكن اغلبيتهم انضمت بسبب حقدها وكراهيتها للنظام القائم وبدافع من مطامعها الشخصية او بحكم وجودها في المناطق المنتفضة ، والاهم من ذلك بسبب خوفها من الانتفاضة وعدم استطاعتها الوقوف بوجه تيارها العارم ٠ اما المعدمون فقد انضموا للحركة ، شأنهم شأن معدمي اذربيجان ، بسبب من الضائقة الاقتصادية والجور الاقطاعي والاستبداد الحكومي آملين بلوغ اوضاع جيدة تتحسن فيها امور معيشتهم ويتخلصون من الاستعباد ، وكانت مساهمتهم تعبيرا عن استيائهم ٠

مساهمة العـرب :

كانت تقطن المناطق الشرقية من الخلافة قبائل عربية جاءت اليها مع الفتح وبعده واستوطنت هناك وقد زاولت مهنا مختلفة اهمها الزراعة حيث استولت عـلى اطيب الاراضي (٣٦٤) ، وقد ساهمت هذه القبائل في فعاليات مختلفة ضد الخلافة معبرة عن سخطها وكراهيتها للتعسف الحكومي ، كما وان العداء الشخصي بين الارسقراطيين القبليين العرب (شيوخ القبائل) وبين الولاة ، ولمطامح الارستقراطيين (٣٦٥) دوره في ذلك ٠ وقد ساهمت هذه القبائل في انتفاضات الخوارج ، كما وانها كانت تنتفض ضد السلطة بين حين وآخر ٠

فقدت هذه القبائل بمرور الزمان كثيرا من المحفزات القبلية في تصرفاتها وبدأت تتأثر بمؤثرات موضوعية محلية ، فكانت جماهير العـرب المعدمة تسـاهم بالثورات والانتفاضات المحلية ضد السلطة وضد الملاك المحليين ٠ وتجد الاشارات كثيرة الى ذلك، ولو ان المؤرخين ينسبون هذه التمردات والانتفاضات الى الاشخاص القائمين بها ، فاليعقوبي يذكر ثورة الصفارية بوجه خالد بن يزيد بن مزيد والي المأمون على ارمينيا في عهد الانتفاضة البابكية (٣٦٦) ، ثم يذكر انهم نقضوا الصلح الذي عقدوه مع خالد « ووثب معهم القيسية وشغبوا على خالد » (٣٦٧) ، ولما لم يكن في استطاعة اليعقوبي وغيره التعمق في معرفة اسباب التمردات والانتفاضات اكتفـوا بتعدادها على انها مخالفات وعصيانات بوجه السلطة الشرعية ٠

....

(٣٦٣) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ٠

(٣٦٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، ابن الفقيه مختصر كتاب البلـدان ، ص ٢٨٤ ، تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ٠

(٣٦٥) انظر جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٦ ٠

(٣٦٦) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٩١ ٠

(٣٦٧) ن٠ م٠ ، جـ ٣ ، ص ١٩١ ٠

واما عن الامراء والرؤساء العرب الذين ايدوا او انحازوا الى الانتفاضة ، فقد وردت عنهم نصوص كثيرة في مختلف المصادر العربية ٠ فاليعقوبي ذكر عن حاتم بن هرثمة بن اعين الذي ولاه المأمون ارمينيا ٠٠٠ وعمل على ان يخلع وكاتب البطارقة ووجوه اهل ارمينيا وكاتب بابك والخرمية وهـــوّن امر المسلمين عندهم (٣٦٨) ٠ وذكر ايضا عصيان سوادة بن عبد الحميد الجحافي بوجه القائد عيسى بن محمد والي ارمينيا الذي اسند المأمون اليه محاربة بابك ٠ واشار اليعقوبي الى ان محمد بن البعيث قد شايع بابك (٣٧٠) ، وقد ذكر الطبري ان لمحمد بن البعيث قلاع في اذربيجان وكان يستقبل سرايا بابك ، ويستضيفهم (٣٧١) ، ويرى رايت ان انضمام ابـن البعيث الى بابك قد وسع نفوذ بابك الى الجنوب من المراغة وزنجان (٣٧٢) ، لكن ابن البعيث نكث اخيرا العهد مع بابك ـ كما سنرى في الفصل الرابع ٠ ويشير الطبري في حوادث سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) الى ان محمد بن حميد الطوسي الذي وجهه المأمون لمحاربة بابك وسار على طريق الموصل واخذ « بعلي بن مرة ونظرائه من المتغلبة باذربيجان فبعث بهما الى المأمون » (٣٧٣) ، وذكر ايضا في حوادث سنة ٢١٧هـ (٨٣٢م) عن علي بـن هشام ، والي الجبل وقم واصبهان ، من قبل المأمون ، ان المأمون وجه اليه عجيفا فأراد ان يفتك به ويلحق ببابك ، فظفر به عجيف فقدم به على المأمون فأمر بضرب عنقه (٣٧٤) ٠ ولا شك ان رغبة علي بن هشام في الانضمام للانتفاضة كانت لمجرد مناهضة الخليفة الذي حاسبه على تصرفاته السيئة ٠ ويردد ابن خلدون رواية الطبري عن حوادث سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) حول محاربة محمد بن حميد الطوسي لعلي بن صدقة المعروف بزريق (عينه المأمون واليا على ارمينيا واذربيجان سنـــة ٢٠٩هـ (٨٢٤م) ، ولكنـــه عصي) وبـــابك الخرمي (٣٧٥) ٠ ان المؤرخين وان لم يشيروا الى انضمام هؤلاء للحركة ، فانهم (اي الامراء) حسب رأينا لم يكن امامهم ، وقد انتفضوا على السلطة ، الا الانضمام لجيش الانتفاضة ، اذ لا مفر لهم من ذلك لكونهم في مناطق الانتفاضة ، غيـــر ان المؤرخين يذكرون اسماء هؤلاء مع اسم بابك عند ذكر تعيين الخليفة لقائد لمحاربة الثائرين ٠

---

(٣٦٨) ن٠ م٠ ، جـ ٣ ص ١٨٩ ، انظر مقالة د٠ سوريل بعنوان بابك ، دائرة المعارف الاسلامية (طبعةجديدة ١٩٦٠) ، ص ٨٤٤ ٠

(٣٦٩) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ، اذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٢٥٠ ٠

(٣٧٠)تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ ٠

(٣٧١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧٢ ٠

(٣٧٢) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٨ ٠

(٣٧٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٩ ، ابو الفداء ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٢٢٦ ٠

(٣٧٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٠٨ ، انظر أيضا اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ص١٩٣ ، ابن طيفور ، كتاب بغداد ، ص ١٤٥ ٠

(٣٧٥) كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ ٠

مساهمة الاكراد :

ضمت الانتفاضة مناطق واسعة من الاراضي التي يسكنها الاكراد ، فاقليم الجبال (او بلاد ميديا) يقطنه الاكراد بالاضافة الى ان الاكراد يقطنون في اذربيجان الايرانية وارمينيا (٣٧٦) وغرب اذربيجان الشمالية ٠ لهذا فان الشعب الكـــردي الذي كان يقاسي شظف العيش بسبب من تضافر قساوة الطبيعة واستغلال الارستقراطيين ، لا بد وانه قد ساهم في الانتفاضة البابكية ولا يستبعد ذلك والشعب الكردي البائس قد ساهم سابقا في كثير من الثورات والانتفاضات فأبناؤه يحفظون اسطورة الحداد الكردي كاوه (٣٧٧) ، الذي اهوى بمطرقته على رأس الطاغية الضحاك ، واصبح كـــاوه البطل الاسطوري للشعب الكردي المحب للحرية ٠ لهذا من المحتمل ان هـــذا الشعب المحب للحرية كان يقلق بال الذين يحلمون بالسيطرة على الجبال بسلام فتتعالى عــلى ذرى جبال الاكراد وفي اوديتها نيران الحقد والكراهية ينفثها عن صدره هذا الشعب المكتوي دائما بالسيطرة الاجنبية والاستغلال المحلي (٣٧٨) ، لقد ساهم معدمـــو الاكراد من فلاحين ورعاة وحرفيين في مختلـــف الثورات وفـــي الانتفاضات الخـــرمية (٣٧٩) والانتفاضة البابكية ، واما الارستقراطية الكردية فكانت تميل الى جانب القوي ، ولهذا وبسبب قيام الانتفاضة في الاراضي الكردية اضطر الامراء الاكراد الى المساهمة في الانتفاضة ٠ وتشير غالبية المصادر الى مساهمة الاكراد في الانتفاضة بصراحة ، او تشير الى ذكر مناطقهم ، فاليعقوبي يذكر عن بابك (٠٠ وعصمة الكردي صاحب مرند في طاعته) (٣٨٠) ، ويشير الطبري الى انه في سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) دخل جماعة كثيرة من اهل الجبال من همذان واصبهان وماسبذان ومهرجانقذق في دين الخرمية وتجمعوا

(٣٧٦) يشير الدينوري الى وجود الاكراد في ارمينيا ، الاخبار الطـــوال ، ص ٣٤٠ ، لاحـظ مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسـي، ص ١١٣ ، حول اقليم الجبـال والمناطق التي كان يسكنها الاكراد انظر ليسترانج ، أراضي الخلافة الشرقية ، ص ١٨٥ ، ومقالة لوكهارت *L. Lockhart* في دائرة المعارف الاسلامية (١٩٦٣ م) المجلد ٢ ، ص ٥٣٤ ٠

(٣٧٧) كاوك او كما يسميه الفرس كاوه ، فتحتفل قرى ومدن جبال كردستان باشعال النيران في يوم النوروز ٢١ آذار ـ العيد الشعبي ـ تمجيدا لنار الحداد كاوه ٠

(٣٧٨) ولكن نظرا لضعف درجة التطور الاقتصادي لدى الشعـــب الكـــردي فانهم ساهموا بانتفاضات شعوب اخرى اقتصادها اكثر تطورا ودرجة وعيها تبعا لذلك اعلى ٠

(٣٧٩) ذكر ابن طباطبا عن سنباذ « وكثر اشياعه واطاعه اكثر اهل الجبال » ، تاريـــخ الدول الاسلامية ، ص ١٧١ ٠

(٣٨٠) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ ٠

في همذان ٠٠) (٣٨١) ٠ وهذه المناطق التي ذكرها الطبري يسكن غالبيتها الاكراد ، وقد اشار المسعودي في المروج (٣٨٢) وفي التنبيه والاشراف (٣٨٣) ، وابن النديم (٣٨٤) وابن الاثير (٣٨٥) وابن العبري (٣٨٦) الى مساهمة ابناء هذه المناطق في الانتفاضة ، كما ويشير جوزي ولويس والدوري (٣٨٧) الى انضمام الاكراد للانتفاضة، غير ان جوزي يرى ان بين الذين التفوا حول راية بابك من كان قد لبى الدعوة « طمعا بالحصول على منافعماديةلم يكونوا لينالونها الا من الثورات والحروب الاهلية واكثر هذا الفريق كان من الاكراد) (٣٨٨) ٠ ولكن لا يمكن الاتفاق مع جوزي في اطلاق التهمة على الاكراد اذ قد يجوز وجود قسم من الاكراد يركض وراء المطامع المادية ولكن حتما ليس كل الاكراد ٠ ومن المهم ان نشير الى ان المؤلف الارمني ليو يذكر بأن سكان منطقة البذ الجبلية كانوا يسمون بالكوردوك Kurduk ويقول ليو : وترتبط هذه التسمية ولا شك بكلمة كرد (٣٨٩) ٠ والظاهر ان الرابطة قوية بين التسميتين مما يرجح وجهة نظر ليو ٠ ويعتقد بونيياتوف بأنه لاعتبارات سياسية انضم مالك مرند عصمة الكردي ومعه بعض الامراء الاكراد ٣٩٠) ، ورأي بونيياتوف صحيح لان الارستقراطية الكردية ، كسوية الارستقراطيين الآخرين ، كما قلنا كانت تميل للجانب القوي ٠

مساهمة الايرانيين :

ساهمت جموع الشعب الايراني في ثورات عديدة نتيجة سوء الاوضاع الاقتصادية ، حيث كان ابناء الشعب وغالبيتهم من الفلاحين ، يقاسون من ثقل الضرائب

(٣٨١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٦٥ ٠ انظر ايضا اليعقوبي ، تاريخ ج ٣ ، ص ١٩٧،المسعودي : المروج ج ٣ ، ص ٣٠٥ ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٣ ، ابن النديم الفهرست ، ص ٤٩٣ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣١ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول (اوكسونيا سنة ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ ، فاسيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٤ ، نفيسي ، بابك ، ص ٦٣ ــ ٤ ٠

(٣٨٢) (طبعة مصر ١٩٤٨ م) ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ ٠

(٣٨٣) طبعة ليدن ، ص ٣٥٣ ٠

(٣٨٤) الفهرست ، ص ٤٩٣ ٠

(٣٨٥) الكامل (طبعة ١٣٥٧ هـ) ، ج ٥ ، ص ٢٣١ ٠

(٣٨٦) تاريخ مختصر الدول (اوكسونيا ، ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ ٠

(٣٨٧) من تاريخ الحركات ، ص ٨٣ ، العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٣ ٠

(٣٨٨) من تاريخ الحركات ، ص ١١٦ ٠

(٣٨٩) تاريخ ارمينيا (باللغة الارمنية) ، م ٢ ، ص ٤٢٦ ٠

(٣٩٠) اذربيجان : ص ٢٤٧ ٠

والجور الاقطاعي والتعسف الحكومي ، ولما لم يف العباسيون بوعودهم التي اطلقوها ابان دعوتهم في تخفيف الضائقة الاقتصادية عن ابناء الشعب ، لجأ هؤلاء الى الثورة، فكانوا عماد انتفاضات الخرمية حيث اشارت غالبية المصادر الى انضمام اهالي قم وهمدان ونهاوند واقليم الجبال ومنطقة بحر الخزر واصفهان الى الخرمية (٣٩١) ٠

ان نظرة نلقيها على مواقع الانتفاضة ترينا ان قسما كبيرا من الجزء الشمالي الغربي من ايران كان ضمن حدود الانتفاضة البابكية (٣٩٢) ، وقد دخل فلاحو تلك المناطق في الحركة بمحض ارادتهم (٣٩٣) يحدوهم امل التخلص من النير والاذلال الطبقي والتسلط الحكومي الجائر ، حيث كانت الحلول التي دعت البابكية (٣٩٤) الى تطبيقها عناصر جذب لجماهير الفلاحين ٠ اما صغار الملاكين وقسم من الارستقراطية ، فلم يدر بخلدهم مشاركة الثورة من اجل تحسين الاوضاع الاقتصادية للفلاحين ولبقية المعدمين ، وانما دفعتهم الرغبة في التخلص من الحكم الاجنبي ، الذي حدد نفوذهم ، الى المساهمة في الانتفاضة ، بالاضافة الى تخوفهم من تنكب سير الانتفاضة وهي قائمة في مناطقهم ٠

غالبية المصادر القديمة والمراجع الحديثة طافحة بأخبار امراء جرجان وطبرستان واخبار الايرانيين الخرميين الذين ثاروا في مناطق متعددة مؤيدين ومناصرين بابك في انتفاضته، وسنشير الى بعض الحوادث المهمة ٠ فمدينة قم التي هي من مناطق الخرمية كما تشير غالبية المصادر ، كانت تتظلم من فداحة الضرائب ـ مليونين درهم ـ وطالبوا بتخفيض ما عليهم من خراج فلم تصغ الحكومة لمطالبهم فثاروا في سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) كما يشير الطبري (وخلع اهل قم السلطان ومنعوا الخراج) (٣٩٦) فأمر المأمون واليه عليا بن هشام ان يحاربهم فقضى على الحركة وقتل رئيسهم يحيى بن عمران وهدم سور قم وجباها سبعة ملايين درهم (٣٩٧) ٠ لقد كان جواب الحكومة قاسيا حيث اعملت

....

(٣٩١) راجع الهوامش ٣٨١ ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٥ و ٣٨٦ ٠

(٣٩٢) لويس ، العرب ، ص ١٤٤ ، تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ ٠

(٣٩٣) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ٨٩ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٤ ٠

(٣٩٤) انظر مقولة لويس ، العرب ، ص ١٤٤ ٠

(٣٩٥) لان ذلك يتعارض ومصالحهم بالذات ٠

(٣٩٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٢ ، راجع البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١٤ ، وابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ ، ويعتبر ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ ، الحادثة في سنة ٢١٤ هـ بعد تعيين علي بن هشام واليا٠ ورواية الطبري ادق٠

(٣٩٧) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ص ٢٥٥ ٠

فيهم السيف وضاعفت الضريبة الى ثلاثة امثالها ولهذا عاد اهل قم بعد ست سنوات للانتفاض ثانية ،فقد ذكر ابن الاثير عن حوادث سنة ٢١٦هـ (٨٣١م) « وفيها هرب جعفر بن داود القمي الى قم وخلع الطاعة بها » (٣٩٨) ٠ ولم تكن استجابة اهل قم للانتفاضة التي دعا اليها جعفر الا تعبيرا عن سخطهم على الاجراءات التعسفية التي اتخذتها السلطة بحقهم بعد سحق انتفاضتهم السابقة ٠ ويشير نظام الملك الى انتفاضة اخرى قامت حوالي مدينة اصفهان وقد انضمت اليها الباطنية ويحدد نظام الملك تاريخ الانتفاضة بسنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م في ايام المأمون (٣٩٩) ٠

مساهمة الديالمة :

كانت ظروف الديالمة القاطنين السواحل الجنوبية الغربية لبحر الخزر مشابهة لحد ما ظروف مجاوريهم من الايرانيين والاذربيجانيين ، وكانوا يقاسون من شظف العيش نتيجة الارهاق الاقطاعي واستغلاله ومن جور السلطة ، لهذا كان طبيعيا ان تنضم جماهير الديلم المعدمة الى الانتفاضة الاذربيجانية من اجل حل قضيتها وكانت مساهمة الديالمة جسيمة لدرجة اعتبر البغدادي ان جيش بابك المؤلف « من اهل البدين (البذ) وممن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلاثمائة الف رجل » (٤٠١) ٠ والبغدادي اعتبر جيش بابك متألفا بصورة رئيسية من الاذربيجانيين والديالمة ٠ ورواية البغدادي وان كانت غير دقيقة في تحديد العدد وحصرها لجيش بابك بالبذيين والديالمة الا انها تدل على جسامة عدد الديالمة في الانتفاضة البابكية ، ومع ذلك فان تومارا يعتقد بأن الخرميين الديالمة لم ينضموا الى جيرانهم المنتفضين الاذربيجانيين ولم يبدوا لهم مساندتهم ويعزو السبب الى ان الفلاحين في القرون الوسطى كثيرا ما لا يحركون ساكنا نتيجة تعودهم للخضوع (٤٠٢) ٠ وقد اعتمد في رأيه على تحليل انكلز لنضال الفلاحين في القرون الوسطى وذلك في بحثه عن الحروب الفلاحية في المانيا (٤٠٣) ٠ لكن مقولة انكلز وان كانت صحيحة كمبدأ عام لا يمكن استخدامها لنقض حقيقة واقعة، اذ ان الحقيقة الواقعة تشير الى ان الديالمة ساهموا بقسط في الانتفاضة البابكية(٤٠٤)٠

....

(٣٩٨) الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ ٠

(٣٩٩)سياست نامه ، ص ٢٩٠ والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ ٠

(٤٠٠) يشير ابن النديم الى ان الخرمية منتشرون في بلاد الديلم ايضا ، الفهرست ، ص ٤٩٣ ، عن الديالمة انظر مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٣ ٠

(٤٠١) الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ ٠

(٤٠٢) تومارا ، بابك ، ص ٨٨ ٠

(٤٠٣) انكلز ، ف٠ ، الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣١ ٠

(٤٠٤) كما يشير ابن النديم والبغدادي وغيرهم ٠

مساهمة الارمن :

ضمت الانتفاضة البابكية الجزء الشرقي والجنوبي الشرقي من ارمينيا ، ولما كانت احوال جماهير الشعب الارمني الاقتصادية وظروفها المعاشية وحياتها لا تختلف بكثير عن احوال وظروف مجاوريهم حيث كان الشعب الارمني يئن من ارهاق وتعسف الاقطاعية والسلطة لذا قام ـ في العصرين الامـوي والعباسي ـ بانتفاضاته ، كما وساهم في الانتفاضة البابكية ، ولا سيما الارمن المتاخمين لميـادين الانتفاضة حيث اشتركوا فعليا في فعالياتها ، اما امراء ارمينيا فلم يساهم منهم الا الذين كانوا مجاورين حيث كانوا يخشون الوقوف بوجه الانتفاضة العارمة ، ولضعف سيطرة الخلافة في تلك المناطق حيث عزلتهم الانتفاضة عـن مركز الخلافة ٠ وقد عادى قسم من امراء ارمينيا الانتفاضة مما دفع الخرميين لمحاربتهم (٤٠٥) ٠ اما الذين ايدوا الانتفاضة فقد توطدت علاقاتهم مع المنتفضين وخاصة امراء سونيك (٤٠٦) حيث تزوج بابك من ابنـة اميرهم فاساك (٤٠٧) ٠ يذكر ليو ان لبابك في سونيك وارتساخ اقارب واصدقاء وحتى انصار عقائديين (٤٠٨) ٠ ومن الناحية الاخرى نرى ان الامـراء الآخـرين الحائزين على امتيازات من الخلافة نتيجة تعاقدهم معها على دفع ضرائب محددة يصبحون بموجبها شبه مستقلين في ادارة املاكهم ، فانهم لم يساهموا في الانتفاضة التي كانت برامجها الاجتماعية ـ الاقتصادية تهدد مصالحهم بالذات فلم تكن لهم فائدة في نجاحها ٠

والملاحظ ان المصادر العربية لا تشير صراحة الى مساهمة الشعب الارمني في

---

(٤٠٥) ذكر ليو بأن بابك هجم في ٨٢٩ م على المقاطعات الارمنية التي رفض امراؤها الانضمام اليه وضرب الحصن المقدوني الشهير في «كيكديك» حيث لم يبق منه سوى طاحونة مائية واحدة وبلغ عدد المقتولين ١٥ الفا ، تاريخ ارمينيا (بالارمنية) ، م ٢ ، ص ٤٣١ ٠

(٤٠٦) ذكرمينورسكي بأن « الاراضي الجبلية العالية التي تمتد تقريبا بين سيوان *Sevan* واراكس تحمل في ارمينيا اسم سونيك » ، دراسات في التاريخ القفقاسي، ص ٦٨ـ٩ ٠

(٤٠٧) يرى مينورسكي بأن فاساك اعطى ابنته لبابك « وكان فاساك اول امير ظهر كمساعد للثائر المشهور والهرطقي بابك (في الارمنية بابان) واعطاه ابنته » ، دراسات فـي التاريخ القفقاسي ، ص ٦٩ ، بينما يشير المؤرخ السرياني موساس كاكانكاتفاسي « في تلـك السنة توفي رئيس السنوكيين وفي نفس الوقت تزوج بابك من ابنة فاساك » ، بازمافيب، بابك وسهل بن سنباط ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، بالارمنية ، ص ١٥ ، فهو يشير الى ان الزواج تم بعد وفاة فاساك ويرى ليو ، تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣١ ، وبونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٠ ، ان الزواج تم بعد وفاة فاسـاك ، راجع ايضا تاريخ اذربيجان ، القسم الاول ، ص ١١٨ ، ١٢٠ ، حول اتفاق اهل سونيك مـع بابك ٠

(٤٠٨) تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣٦ ٠

الانتفاضة وانما كانت تشير الى قيامه بالاضطرابات والحركات ايام قيـــام الانتفاضة البابكية في سبيل تحرره من السلطة التي فرضت عليـــه ضـــرائب باهظـــة قدرها الجهشياري بـ ١٣ مليون درهم بالسنة ٤٠٩) ، فالمصادر اذن تشير الى ارمينيا عند ذكرها للفعاليات الحربية والمناطق المنتفضة في عهدي المأمون والمعتصم ايام الانتفاضة البابكية وقد اشار بذلك اليعقوبي الى ان ارمينيا كانت مضطربة حينما ولى المأمون (في زمن الانتفاضة) الحسن بن علي الباذغيسي واليا على ارمينيا (٤١٠) ٠ وتشير المراجع الحديثة الى مساهمة الشعب الارمني في الانتفاضة ، غير ان جوزي يسمـــي مقاطعة سونيك باسم سونيا (صهيون ؟) (٤١١) وهو غير موفق في هذه التسمية كمـــا وان يامبولسكي (٤١٢) ، وتاريخ اذربيجان (٤١٣) يشيران الى وجود عقـــد ، او ارتبط الخرميون بعقد مع الجورجيين وهذا غير صحيح ٠

(٤٠٩) الوزراء والكتاب ، ص ٢٢٣ ، انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ١٥١ ، حيث يذكـــر نفس المقدار ٠

(٤١٠) اشار اليعقوبي الى ان المأمون ولى (الحسن بن علي الباذغيسي المعروف « بالمأموني » فقدم والبلد مضطرب فقاتل اهل قلعة « لبابعين » ـ الكلمة غير واضحـــة بالاصل ـ ففتحها وانصرف الى « دبيل » جنوب بحيرة سيوان فاقام بها وكتب الى اسحق بـــن اسماعيل التفليسي ٠٠٠) ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩١ ٠

(٤١١) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٢ ـ ٣ ٠

(٤١٢) يذكر يامبولسكي « واتحدوا مع اخوتهم من شعوب ارمينيا وجورجيـــا » ، انتفاضة بابك ، ص ١١ ٠

(٤١٣) جاء في تاريخ اذربيجان « الخرميون عقدوا ارتباطا مع ثائري ارمينيـــا وجورجيا » ، القسم الاول ، ص ١١٨ ، ويكرر ذلك في ص ١٢٠ ٠

الفصل السابع

الانتفاضة البابكية المسلحة
ضد الخلافة العباسية

العوامل التي ساعدت على قيام ونجاح الانتفاضة المسلحة

بالرغم من ان الانتفاضات في مجتمع الرق والاقطاعية ـ كما لاحظنا ـ لم تستطع ان تضع حدا للاستغلال ، غير انها في كثير من الاحيان لم تخل من خطورة وجسامة ، فقد تمكنت الانتفاضة البابكية المسلحة ان تقف بوجه الخلافة العباسية لمدة عشرين عاما (١) ، كان النجاح حليفها في عملياتها العسكرية في الفترة الاولى الطويلة ، وقد كان لضعف جيش الخلافة وانشغاله بفتن وحروب اخرى ولموقع مواطن الانتفاضة الجغرافي وطبيعة بلادها وحسن الاستفادة من ذلك ولبراعة الخرميين في اساليب القتال وللحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة ، من اثر في نجاحها واستمرارها الطويل ، هذا بالاضافة الى استماتة الخرميين وتفانيهم في الدفاع عن حقوقهم وعقائدهم ٠

وما كان مقدرا لهذه الانتفاضة ذلك النجاح ، من حيث سعة الرقعة التي شغلتها وجسامة الاضرار التي كانت تلحقها بالخلافة (٢) وطول المدة التي دامتها ، لو لم تتظافر تلك العوامل جميعا ٠

١ ـ ضعف جيش الخلافة : ـ بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد ـ (١٩٣ هـ/٨٠٩ م)

(١) يعتبر المسعودي المدة ٢٢ عاما اذ يقول : « فكان من ادركه ممن قتله بابك في اثنتين وعشرين سنة من جيوش المأمون والمعتصم ٠٠ » ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٣ ، وهو مخطىء ولا شك ٠

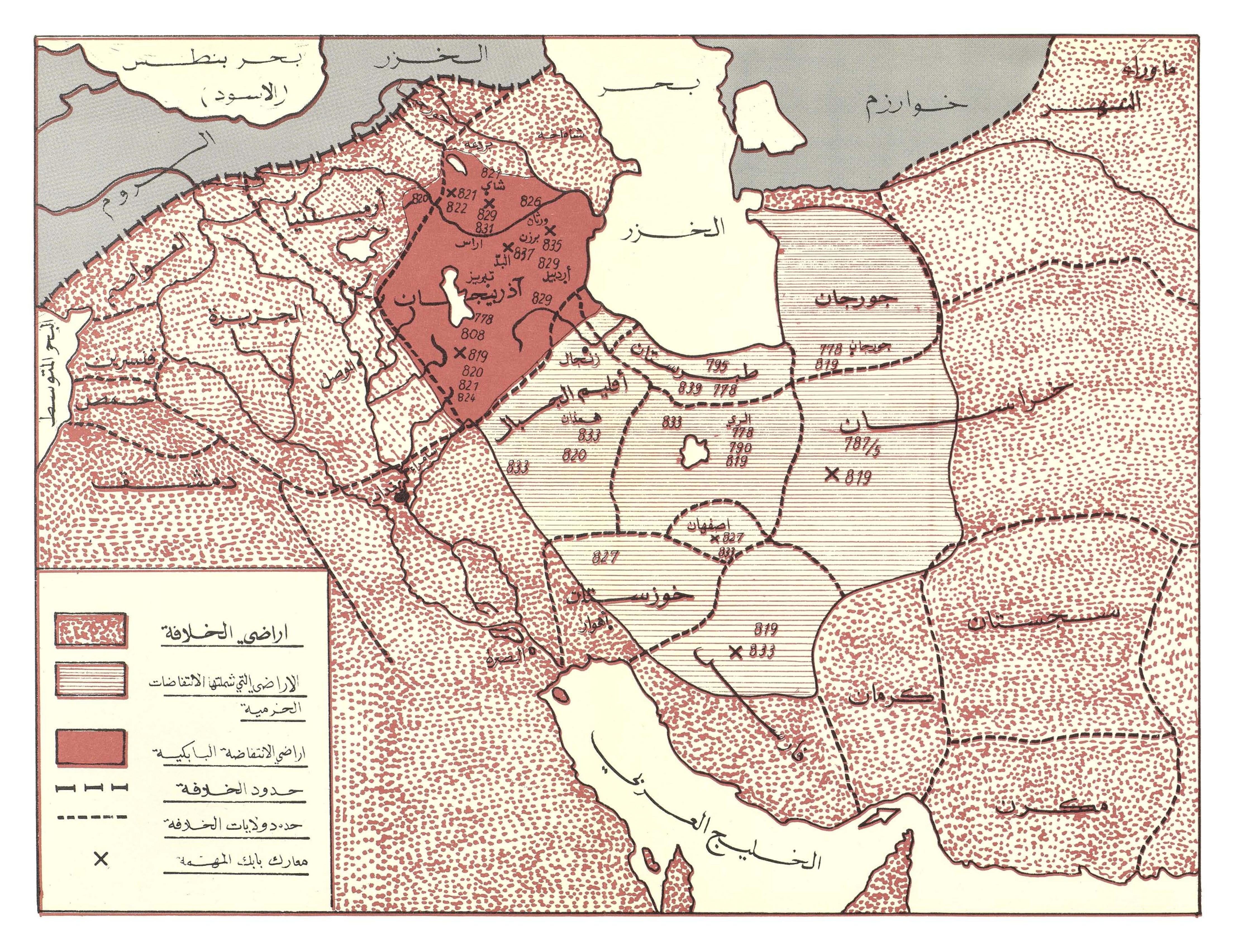
(٢) ذكر الطبري : « وكان جميع من قتل بابك في عشرين سنة مائتي الف وخمسة وخمسين الفا وخمسمائة انسان » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٣ ، ويأخذ بهذه الارقام المبالغ بها كل من المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٦ ـ ٧ وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٣ ، وابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٦٢ ، ويبالغ المقدسي حتى يوصل القتلى الى المليون ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٦ ـ ٧ ، ولكن المسعودي قد تواضع قبله فجعل العدد « في القول المقل خمسمائة الف وقيل اكثر من ذلك وان الاحصاء لا يحيط به كثرة » ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٣ ٠

انغمر الجيش العباسي بالخلافات والانقسامات بين الارستقراطيتين العربية والايرانية وبين افراد العائلة العباسية ٠ فلما تولى المأمون (١٩٨ هـ/٨١٣ م) الخلافة بعد مصرع أخيه الخليفة الامين (١٩٣ هـ/٨٠٩ م ـ ١٩٨ هـ/٨١٣ م) كـــان الجيش منهــوك القوى ضعيفا حطمته الخصومات والأهواء وعصفت به الحروب الاهلية فخرج هزيلا ليواجــه انتفاضات فلاحي مصر والزط في العراق وخرمية ايران والاضطرابات المتعددة وحروب الروم ، لهذا كان عاجزا عن كسب النصر في معاركه مع البابكيين ، ويمكننا ان نوجــز اهم اسباب ضعف جيش الخلافة بما يلي :

ـ الحرب الاهلية (١٩٣ هـ/٨٠٩ م ـ ١٩٨ هـ/٨١٣ م) ، فتنــة الامين والمأمــون وعصيان ابراهيم بن المهدي (٢٠٢ هـ/٨١٧ م ـ ٢٠٣ هـ/٨١٨ م) وانشقاق وحدة جيش الخـــلافة :

ادى تقريب الارستقراطية الايرانية من قبل السلطة العبـــاسية الى عكس ما كان مؤملا به ، فبدلا من تقوية سلطة الخلافة ودعمها واسنادهـــا ، ادى هذا التقريب ـ كما شاهدنا الى سخط الجماهير الايرانية على ارستقراطيتها ونفض ايديها من التعاون مع العباسيين ـ كما وأدى الى تسعير أوار حقد وكراهية الارستقراطية العربية التي بدأت تشعر تدريجيا بازدياد خطر القوى المنافسة لها ، وقد زاد في حقد وكراهيةالارستقراطية العربية على الارستقراطية الايرانية هو احتضان الأخيـــرة للكتــاب والادباء والعلماء الشعوبيين واغداقها الاموال الطائلة عليهم ـ كما لاحظنـــا ذلك سابقا ـ ٠ وكان مــن اسباب نكبة البرامكة هو حقد الارستقراطية العربيـــة التي اخذت توغر صدر الخليفة هارون الرشيد ، وكان هو بالذات يشعر بخطر توسع نفوذهم ويرغب في الاستيلاء على املاكهم ٠ وبعد نكبة البرامكة ـ التي تعد ضربة قوية للارستقراطية الايرانية ـ بــدأت الارستقراطية الايرانية بالتفكير في الحصول على وسيـــلة للعودة الى سابق نفوذهـــا واستغلالها ، فكان ان عثرت على ضالتها المنشودة في ولي العهد عبد الله (المأمون)، والــذي كان وجوده في خراسان فــرصة عظيمة لــم تتوان الارستقراطية الايرانية عن استغلالها٠ ان وجود المأمون فيخراسان فيتلك الفترة كاننتيجةلتنافس الارستقراطيتين وليس سببا للنزاع بينهما كما يتوهم شلبي (٣) ٠

(٣) يقول شلبي : « فليس في التاريخ ما يحدثنا عن ان تولية العهد لاكثر من واحـــد اسقطت الدولة او كانت سببا هاما في اضطرابها واما الحرب بين الامين والمأمون فانها وان كانت حقيقة واقعة الا ان لي فهما خاصا فيها ، وهو انها وقعت بسبب توليـــة خراسان ومـا حولها » ، كيف تكتب بحثا او رسالة ـ ط ٤ / ١٩٦٣ ص ١٤ ٠



بحر بنطس
(الاسود)
بحر الخزر
الخزر
خوارزم
ما وراء النهر
الروم
ارمينيا
اذربيجان
تبريز
اردبيل
البذ
برزن
ورثان
اراس
شاكي
الجزيرة
الموصل
قنسرين
حمص
دمشق
البحر المتوسط
زنجان
اقليم الجبال
همذان
طبرستان
جورجان
خراسان
الري
اصفهان
خوزستان
اهواز
البصرة
فارس
كرمان
سجستان
مكران
الخليج العربي
اراضي الخلافة
الاراضي التي شملتها الانتفاضات الخرمية
اراضي الانتفاضة البابكية
حدود الخلافة
حدود ولايات الخلافة
معارك بابك المهمة

لقد استغلت الارستقراطية الايرانية قضية النزاع على الخلافة ووجود المـأمون بينها استغلالا كليا ، بحيث اصبحت الحرب الاهلية او فتنة الامين والمأمون ، ليست من اجل الخلافة كما تراءى للناس في الظاهر وانمـــا اصبحت في جوهرهـــا نزاعا بين الارستقراطيتين المتخاصمتين على السلطة والجاه والنفوذ ، وقد اشار الى ذلك الفضل بن الربيع عند حثه اسد بن يزيد بن مزيد على محـــاربة المـــأمون (٤) · وقد عنى فوز المأمون بالسلطة انتصار الارستقراطية الايرانية ، وكنتيجة لذلك ان وضع عن خراسان ربع الخراج فحسن ذلك عند اهلها وترك لبس السواد شعار العباسيين ولبس الخضرة، وجعل علي بن موسى الرضا وليا للعهد وسيطر الفضل بن سهل ـ ذو الرياستين ـ عميد الارستقراطية الايرانية على السلطة وتوجيه الامور وبعد اغتياله سيطـر اخوه الحسن بن سهل · لقد لعب الفضل بن الربيع ممثل الارستقراطية العربية والفضل بن سهل ممثل الارستقراطية الايرانية ادوارا بارزة في اشعال نار الخصـــومة فقــد سعى الفضل بن الربيع في اغراء الامين وحثه على خلع المأمون وكان الفضل بن سهل يشير على المأمون بالامتناع عن الانصياع لأوامر الامين (٥) ·

وكان تمرد الارستقراطية العربية البغدادية (العباسية) بقيادة ابراهيم بن المهدي على الخليفة المأمون وعدم الاعتراف بخلافته رد فعل انتصـــار الارستقراطية الايرانية واستمرارا لذلك النزاع الطويل · ففي سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م اراد اهل بغداد ان يبايعوا المنصور بن المهدي بالخلافة (٦) كما وانهم (اهل بغداد) خاضوا في امر خلع المأمون ونصب ابراهيم بن المهدي (٧) ويذكر اليعقوبي في حوادث سنة ٢٠٢ هـ/٨١٧ م فاجتمع قواد الحربية فبايعوا لابراهيم بن المهدي المعـــروف بـ (ابن شكـــله) (٨) ـ ويذكر اليعقوبي ايضا ـ ووثب محمد بن ابي خالد وأهل الحربية بالحسن بن سهل حتى اخرجوه من بغداد ·· وأتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصار دولتكم وقد خشينا **ان تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوسي وقد اخذ المأمون البيعة لعلي بن موسى الرضا** فهلم نبايعك · (٩) وقــد اشار الثائــر بــوجه الخليفة المأمون ، نصر بن

(٤) الكامل ، لابن الاثير ، جـ ٥ ، ص ١٤٩ ·

(٥) ن· م· ، جـ ٥ ، ص ١٣٩ ، ويقول اليعقوبي : « وبويع للمأمون بالخلافة وخلع محمدا فاعطى جميع اهل خراسان الطاعة للمأمون » ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ ·

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨١ ·

(٧) ن· م· ، جـ ٥ ، ص ١٨٤ ·

(٨) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ ·

(٩) ن· م· ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ · ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٧٩ ·

شبث صراحة الى وجهة نظر الارستقراطية العربية في خلافة المأمون « وانما هواي في بني العباس وانما **حاربتهم محاماة عن العرب** لانهم يقومون عليهم العجم » (١٠)، لقد كان من جراء تلك الحروب والفتن ان فقد جيش الخلافة وحدته وتماسكه واحترامه لسادته فاصبح لا هم له الا زيادة العطاء ولم يعد اهلا لمواجهة الخرميين المنتفضين وغير مستعد لخوض معارك حاسمة معهم · بل انه عجز حتى عن ضبط العاصمة حيث احتلها الشطار (١١)·

انتفاضات الفلاحين في مصر : قامت جماهير مصر ـ غالبيتها من فلاحي القبط بالاضافة الى القيسية واليمانية (١٢) من العرب ـ بانتفاضات عديدة معلنة سخطها واحتجاجها على تفاقم الجور (١٣) الاقطاعي والتسلط الحكومي ، وقد بلغت هذه الانتفاضات منتهى خطورتها في اعوام (٢١١ هـ، ٢١٥ هـ، ٢١٦ هـ، ٢١٧ هـ / ٨٢٦ م، ٨٣٠ م، ٨٣١ م، ٨٣٢ م) حيث اضطرت المأمون الى أن يكلف اخاه المعتصم أو يحضر بنفسه ، وقد أرسل أو قاد جيوشا عظيمة (١٤) ، وقد ساهم الافشين في قيادة بعضها، فيذكر اليعقوبي عن حوادث سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م عند عودة المأمون من محاربة الروم « فنزل دمشق ثم اتاه الخبر ان اهل (البشرود) من كور مصر قد ثاروا فأمر أخاه أبا اسحاق (المعتصم) ان يوجه الافشين حيدر بن كاؤوس فوجه به وكف عاديتهم » (١٥) ، ويذكر ايضا : « واشتدت شوكة من كان يحارب الافشين بمصر من اهل الحوف والبيما والبشرود وهي كور اسفل الارض فخرج المأمون الى كور مصر وقدم الافشين في محاربة اهل الحوف فزحف اليهم بنفسه فقتلهم وسبى البيما وهم قبط البشرود » (١٦)، ويروي اليعقوبي استياء الناس من شدة بطش الخليفة بالمنتفضين الذين خرجوا على

---

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٧٩ ·

(١١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨٢ ـ ٣ ·

(١٢) المقريزي ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٧٩ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٤ ، الدوري ، العصر العباسي الاول، ص ٢٢٠ ·

(١٣) يذكر ترتون : « ونستدل على كثرة الثورات في مصر على ان الحكم الاسلامي كان عبئا ثقيلا على كاهل البلاد » ، اهل الذمة ، ص ٢٥٤ · واشار ايضا الى ان « الاقباط غير راضين عن الاوضاع » ، اهل الذمة ، ص ١٥٥ ·

(١٤) انظر ميور ، الخلافة ، ص ٥٠٤ ، الموسوعة التاريخية (السوفييتية) ، م ٢ ص ١٤ ، الدوري ، العصر العباسي الاول : « فاضطر المأمون الى القدوم بنفسه لضخامة هذه الثورة وخطورتها وكان على جيشه الافشين » ، ص ٢٢٠ ، بيلاييف ، يه٠ ١٠ ، العرب ، الاسلام والخلافة العربية ، ص ٢١٦ · بونيياتوف ، اذربيجان ص ٢٥٣ ·

(١٥) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٢٠ ـ ١ ، ابو الفداء ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ص ٢٧١ ·

(١٦) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ ـ ٣ ، ابن خلدون، كتاب العبر، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ ·

الظلم وهم في ذلك اهل حق يقول اليعقوبي : « واستفتى في ذلك (القتل والسلب) فقيها بمصر يقال له الحارث بن مسكين مالكي ، فقال : ان كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا تحق دماؤهم واموالهم ، فقال المأمون (انت تيس ومالك اتيس منك) هؤلاء كفار لهم ذمة اذا ظلموا تظلّموا الى الامام وليس لهم ان يستنصروا بأسيافهم » (١٧) ، وقد اعترف المأمون بأنهم مظلومين ولكن لا يحق لهم الانتفاض· وتكاد تجمع كافة المصادر على ظلم العباسيين وسوء سيرة عمالهم (١٨) ، وقد كانت الحروب مستعرة في كل اراضي مصر من الصعيد وأسفل الارض حتى الاسكندرية وكانت تخمد دائما بقساوة (١٩) · ولئن تيسر للخلافة وبعد جهد قمع هذه الانتفاضات لكن جيشها اصبح ضعيفا منهوكا، وقد صرفت انتفاضات فلاحي مصر هذه اهتمام الخليفة عن شؤون الجبهة الشرقية (الخرمية) ، رغم شعوره بجسامة خطرها ، كما افصح في وصيته لأخيه المعتصم·

انتفاضة الزط في العراق (٢٠) : قامت انتفاضة الزط الساكنين في اواسط العراق وجنوبه (بين واسط والبصرة) في مناطق المستنقعات المعروفة بالبطائح حيث يربون الجاموس والبقر · ولا بد ان الجور قد لحقهم ولا شك مما حدا بهم الى التذمر والاحتجاج ومن ثم الانتفاض بوجه السلطة (٢١) · وقد بدأت اضطراباتهم منذ سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م فعيّن المأمون لحاربتهم عيسى بن يزيد الجلودي (٢٢) (أو الجلوذي كما يذكر ابن الاثير)(٢٣) ، وفي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م عيّن المأمون داود بن يزيد ماسجور (٢٤) لقتالهم · ولم يتيسر لجيوش الخلافة القضاء على هذه الانتفاضة لعدم تمكنها من التوغل وسط الاهوار ، حيث يعتصم الزط ، وظلوا متمنعين بأهوارهم حتى

---

(١٧) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ ·

(١٨) ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ ، المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ ·

(١٩) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ ، المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ ، بيلاييف يه· ا· ، العرب ، الاسلام والخلافة العربية ، ص ٢١٦ ·

(٢٠) ذكر البلاذري « ان الزط كان من نصيب بني حنظلة » ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ ، وذكر امير علي « قبائل الجت الهندية المعروفين لدى المؤرخين العرب بالزط » ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٨٣ ·

(٢١) يذكر الدوري « ·· ويظهر ان وضعهم المعاشي كان واطئا جدا وهذا يدعو الى الظن بانهم كانوا يشاركون العبيد الهاربين (الاباق) في التذمر من سوء الوضع المعاشي وان ذلك التذمر كان سبب ثورتهم » ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٤٠ ·

(٢٢) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٤٤ ·

(٢٣) الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ ·

(٢٤) يسميه ابن الاثير في الكامل « ابن ماسحور » ، جـ٥ ، ص ٢٠٤ ، ويسميه ابن خلدون في كتاب العبر « داود بن مسخور » ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ ·

عام ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م حيث ارسل الخليفة المعتصم ضدهم احمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبةالباهلي (٢٥) فهزموه فعقد المعتصم لعجيفبنعنبسة (جمادىالاولى ٢١٩ هـ) (٢٦) لمحاربتهم ، واستطاع عجيف بعد سد مسالك المياه ومحاصرتهم من التغلب عليهم وجاء بهم الى بغداد في ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م وكان رئيس الزط رجلا يقال له محمد بن عثمان ومساعده سملق (٢٨) · ولا شك ان هذه الانتفاضة قد اشغلت الدولة وانهكت قواها في عهدي المأمون والمعتصم مما خفف الضغط على البابكيين ·

حروب الروم (٢٩) : كانت الحروب الاقطاعية تنشب من حين لآخر بين الامبراطوريتين الاقطاعيتين المتجاورتين ، المتنافستين على سيادة العالم ، العباسية الاسلامية والبيزنطية المسيحية ، وبالرغم من انهماك كلتا الامبراطوريتين في مشاكلهما الداخلية المستعصية كالخلافات العقائدية : شيعة ، معتزلة ، خوارج ، ايقونات، وفي قمع الانتفاضات في بلدانهما ، فانهما لم تتورعا ، رغم انهماكهما ، من اشعال نيران الحروب بينهما مختلقتين حتى أتفه الاسباب لاشعالها · ولا شك ان دوافع تلكالحروب هي لمناصرة المنتفضين (٣٠) وذلك بتخفيض الضغط عليهم (بابك في البلاد الاسلامية وتوما الصقلبي (٣١) في بيزنطة) وللتخلص من المشاكل الداخلية وللتظاهر بالقوة والهيبة ولكسب ود المتدينين ، ومما لا شك فيه ان الهزائم التي حلت بجيوش المسلمين باذربيجان قد تركت اثرا سيئا في نفوس الناس فخارت العزائم وساد الشك في مقدرة الخلافة ، بل ان الكندي (٢٢) استغل اندحار المسلمين امام بابك (٣٣) ، في دفاعه عن المسيحية في بلاط المأمون فقد افاد « بأن الحق او الله اذا كان معكم فلم لم ينصركم

(٢٥) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ ·
(٢٦) ن· م· ، ص ١٩٨ ·
(٢٧) كانوا جميعا ٢٧ الفا والمقاتلة منهم ١٢ الفا ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٢٣ ·
(٢٨) ن· م· ، ص ٢٣٢ ·
(٢٩) انظر فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ ـ ٤ ، رستم ، الروم ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ـ٣٢٢، العدوي ، الدولة الاسلامية ، ص ٩٨ ، تاريخ القرون الوسطى ، (طبعة ١٩٥٢) ، م ١ ، ص ٢١٥ ـ ٧ ، وتاريخ القرون الوسطى (طبعة ١٩٦٤) ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ·
(٣٠) العدوي ، الدولة الاسلامية ، ص ٩٨ ، رستم ، الروم ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ ·
(٣١) بيلاييف ، يه· ا· ، العرب ، ص ٢٤٤ ·
(٣٢) يعقوب بن اسحاق ، دفاع الكندي عن المسيحية ضد الاسلام ، وقد حضر يعقوب بن اسحاق المجلس العلمي الذي اعد في قصر المأمون للمناقشة حول افضلية الاسلام على المسيحية ونشر هذا الكتاب بالانكليزية وليم موير ·
(٣٣) يرى بونيياتوف ان المناقشة جرت ايام نكبة محمد بن حميد الطوسي ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥ ، وجاء في هامش ص ٤٦ ـ ٧ كتاب دفاع الكندي « ان المحاورة جرت في سنة ٢١٤هـ او قبلها بقليل » ·

وانما ينصر بابك ؟ » (٣٤) ، وكان سؤالا محرجا لمجمع العلماء الذي انعقد في القصر لمناقشة الكندي (٣٥) ، وما كان في مقدور الكندي ان يشهر سلاحه هـــذا في وجــه خصومه من علماء المسلمين لو لم يكن يعلم الى اي درك هبطت فيه سمعة جيوش الخلافة المدحورة (٣٦) ، ولذا نجد المأمون يقود بنفسه حملة قوية ضد بيزنطة (٣٧) لاسترجاع هيبة الخلافة المفقودة في اذربيجان (٣٨) وكان ذلك عام ٢١٥هـ / ٨٣٠م اي عقب اندحار محمد بن حميد الطوسي في عام ٢١٤هـ في اذربيجان · ويظن ميور ان تجـديد الحرب ربما كان بسبب عقد اتفاق عام بين بيزنطة وبابك ويعتقد ان سبب غـــزو المأمون عـــام ٢١٥هـ ربما يرجع الى ذلك (٣٩) · ولكن المباحثات بين بابك والبيزنطيين متأخرة عن هذا التاريخ ولا شك · وقد اشار فازيليف (٤٠) وبونيياتوف (٤١) الـــى ان الاتفاق والارتباط بين البيزنطيين وبين الخرميين قد نشأ في حدود عام ٨٣٣م (٢١٨هـ ٣١) ، اما قبل هذا فان البيزنطيين ساعدوا بابك نكاية بالمأمون الذي ساعد توما الصقلبي(٤٢) وتوما هذا قاد حركة شعبية مهمة في سنة ٨٢١م ضـــد الامبراطور ميخائيل (٤٣) ، وبالرغم من ان توما كان يرمي الفوز بالامبراطورية وقد سمى نفسه امبراطورا ، الا انه انهض العبيد ضد السادة ، وبسطاء الجند ضد رؤسائهم (٤٤) ، وكانت جماهير الحركة المنضمة تحت لواء توما مؤلفة من الفلاحين والجنود المظلومين من لدن الاشراف ، ومن قسم من فقراء المدن ، وساهم في الانتفاضة العبيد والثنوية وهراطقة آخرون ، لقد كان في عداد المنتفضين « كل اعداء السادة الذين اوقعهم نصيبهم في عبودية الاقطاع »

(٣٤) دفاع الكندي ، ص ٢٥ ، ص ٤٥ ــ ٤٦ ، انظر ايضا موير ، الخـــلافة ، ص ٥٠٤ ، ص ٥١٥، وبونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠ حيث استخدموا كـــلام الكندي الآنف الـــذكر ·

(٣٥) المصادر المذكورة سابقا ·

(٣٦) بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ ·

(٣٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٢ ــ ٣ ، حوادث سنة ٢١٥هـ ، وص١١٠٤ حوادثسنة ٢١٦هـ ، انظر موللر ، تاريخ الاسلام ، ص ١٩٩ ·

(٣٨) بعد انكسار الجيش العباسي في معركة هشتادسر سنـــة ٢١٤هـ ومصرع القائد محمـد الطـوسي ·

(٣٩) الخلافة ، ص ٥٠٥ ·

(٤٠) بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ ــ ٤ ·

(٤١) بابك وبيزنطة ، محاضرة منشورة في مجلة اكاديمية العلـــوم الاذربيجانية السوفياتية ، المجلد ١٥ ، عدد ٧ ، ١٩٥٩ ، ص ٦١٣ ·

(٤٢) يرد اسمه في المؤلفات العربية توماس الصقلبي او توما الصقلبي ·

(٤٣) تاريخ القرون الوسطى (ط ١٩٥٢) ، م ١ ، ص ٢١٦ ·

(٤٤) ن· م· ص ٢١٦ ·

(٤٥) ٠ وبالرغم من عدم تقبل المأمون لمطاليب جماهير الحركة واستنكاره لها لو حدثت في بلاده ، الا انه قدم المساعدات لتوما وكان يرمي اضعاف خصمه الامبراطور ميخائيل، الا ان المأمون لم تسمح له ظروفه بتقديم المزيد من المساعدات العسكرية (٤٦) حيث كان مكتويا بنار الانتفاضة البابكية ، ولهذا احبط ميخائيل انتفاضة توما بمساعدة اشراف البلغار (٤٧) وباستخدام قوى الامبراطور البلغاري امورتاغ (٤٨) ٠ لهذا فان مساعدة امبراطور الروم في هجومه على تخوم العرب من اجل التخفيف على بابك انما يعزى الى رغبة الامبراطور للانتقام من المسلمين الذين آزروا توما الصقلبي ٠ واهم هذه الحروب كما يرويها اليعقوبي « وخرج المأمون متوجها الى ارض الروم سنة ٢١٦ ففتح اثني عشر حصنا وعدة مطامير » (٤٩) ٠ ويذكر ايضا انه « في سنة ٢١٧هـ غزا بلاد الروم حتى بلغ حصن لؤلؤة عند طرطوس » (٥٠) ٠ وآخر غزوة يذكرها اليعقوبي في سنة ٢١٨هـ حيث اراد الوصول الى حصن لؤلؤة « ولكنه مات (١٧ رجب ٢١٨هـ) قرب البدندون » (٥١) ٠ وهذه الحروب المهلكة المستنزفة للاموال والارواح لم تكن ـ كما قلنا ـ الا من رفع معنوية الجيش واعلاء هيبة الحكومة التي انهارت بسبب الهزائم المتكررة في جبهة اذربيجان ٠ والحروب البيزنطية قد اعطت ولا شك فرصا واسعة للخرميين لكي يكسبوا معارك عديدة في مختلف الميادين ٠

انتفاضات خرميه ايران :

قام خرميو ايران بانتفاضات عديدة في جهات مختلفة من ايران انهكت قوى الجيش العباسي ٠ وقد اشرنا سابقا الى انتفاضات اهل قم في سنة ٢١٠هـ / ٨٢٥م واصفهان ٢١٢هـ / ٨٢٧م واهل قم للمرة الثانية ٢١٦هـ / ٨٣١م واهل الجبال الذين تجمعوا (عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م) في مدينة همذان ٠ وكانت الاخيرة اخطر انتفاضاتهم حيث اجبرت الخليفة المعتصم ان يرسل خيرة جيوشه ، منها جيش بقيادة هاشم بن باتيجور وقد انهزم هاشم وكان آخر الجيوش جيش بقيادة اسحق بن ابراهيم بن

---

(٤٥) ن٠ م٠ ، م ١ ، ص ٢١٦ ٠

(٤٦) رستم ، الروم ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ ٠

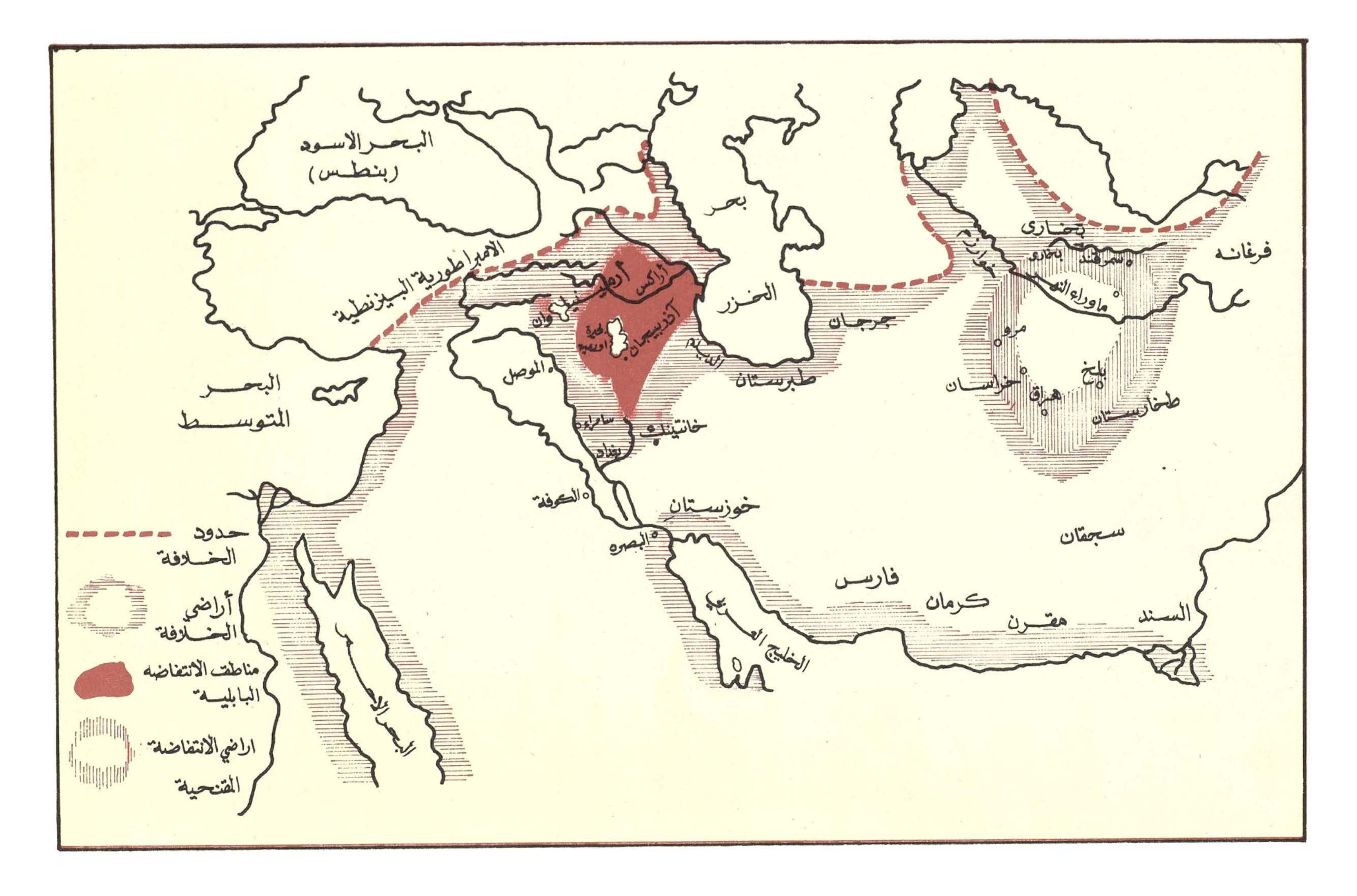
(٤٧) بيلاييف ، يه٠ ا٠ ، العرب ، ص ٢٤٤ ٠

(٤٨) تاريخ القرون الوسطى ، ط ١٩٥٢ ، م ١ ، ص ٢١٦ ٠

(٤٩) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ ٠ انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٠٢ ، ص١١٠٣ ، ص١١٠٤ ٠

(٥٠) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ ٠ الطبري ، ص ١١٠٩ ـ ١١١٠ ٠

(٥١) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ ٠ انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٣٤ ٠ الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ٩٥ ـ ٦ ٠



البحر الاسود
(بنطس)
الامبراطورية البيزنطية
البحر
المتوسط
بحر
الخزر
أراكس
آذربيجان
جرجان
طبرستان
الموصل
خانيتيناب
بغداد
الكوفة
البصرة
خوزستان
الخليج العربي
فارس
كرمان
سجستان
السند
بخارى
سمرقند
ماوراء النهر
فرغانه
مرو
بلخ
خراسان
هراة
طخارستان
حدود
الخلافة
أراضي
الخلافة
مناطق الانتفاضه
البابليه
اراضي الانتفاضة
الفتحية

مصعب الذي وفق لسحق المنتفضين حيث قتل منهم ٦٠ الفا وهرب باقيهم الى بلاد الروم، والذين سيبرزون على مسرح الحوادث مرة اخرى كمساعدين للجيش البيزنطي في حربه ضد العباسيين (٥٢) ٠ ان الانتفاضات العديدة التي قام بها الخرميون الايرانيون بوجه الخلافة العباسية قد ساهمت بدورها في انهاك جيش الخلافة واضعاف هيبة السلطة وفي تخفيف الضغط على الجبهة الاذربيجانية ، هذا مع العلم بأن خرمية شمال غربي ايران كانوا مندمجين مع خرمية اذربيجان في الانتفاضة البابكية ضد السلطة العباسية٠

اضطرابات متعددة :

قامت فتن واضطرابات متعددة وحركات جماهيرية في اماكن مختلفة اشغلت بال الخلافة ولعبت دورها في اعاقة جيوش الخلافة من الانصراف الكلي لقمع انتفاضة البابكيين ومن تلك الاضطرابات حركة نصر بن سيار بن ثبت في شمال سوريا (٥٣) ضد خلافة المأمون ، ويمكن اعتبارها احتجاج الارستقراطية العربية على فوز منافستها الارستقراطية الايرانية (٥٤) ٠ وحركة العلويين (٥٥) في العراق والحجاز واليمن ومنها تمرد بشر بن داود المهلبي عامل السند (٥٦) وصدقة بن علي المعروف بابن زريق (٥٧) (٢١٢هـ) بين الموصل واذربيجان ويعلى بن مرة وجماعته في اذربيجان وسوادة بن عبد الحميد الجحافي في ارمينيا وجعفر بن داود القمي (في قم ٢١٦هـ) وكذلك محمد بن عتاب والصنارية والقيسية في ارمينيا ، وعصيان موالي الجبال وقم واصبهان على ابن هشام (٢١٧هـ / ٨٣٢م) ٠

---

(٥٢) ذكر الطبري في حوادث سنة ٢٢٣هـ عن تيوفيل بن ميخائيل : « حتى صار الى زبطرة ومعه من المحمرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحاق بن ابراهيم ابن مصعب جماعة رئيسهم بارسيس وكان ملك الروم (تيوفيل) قد فرض لهم وزوجهم وصيرهم مقاتلة يستعين بهم في اهم اموره اليه » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٥، ، وذكر المسعودي : « فانكشف الملك (يقصد توفيل بن ميخائيل) وحماه من كان معه من المحمرة والخرمية ممن كان استأمن اليه من ناحية اذربيجان والجبال لما واقعهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب الطاهري وكانوا الوفا » ، تنبيه الاشراف ، ص ١٦٩ ، انظر فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٤ ٠

(٥٣) بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٣ ٠

(٥٤) راجع هامشنا المرقم ١٠ الفصل الرابع ٠

(٥٥) كانتفاضة ابي السرايا الضخمة (السري بن منصور الشيباني) ومعه ابن طباطبا بالكوفة سنة ١٩٩هـ /٨١٥م ، انظر الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٠٤ ٠

(٥٦) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ ٠

(٥٧) يسميه البلاذري « صدقة بن علي » ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، ويسميه اليعقوبي « زريق ابن علي بن صدقة » ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٠ ٠

ب ـ الموقع الجغرافي وطبيعة البلاد وحسن الاستفادة منهما :

كان لموقع مواطن الانتفاضة الجغرافي وطبيعة البلاد اثـــره الحسن في نجاح العمليات العسكرية حيث قامت الانتفاضة في مناطق جبلية وعـــرة كثيـــرة الادغال ومتطرفة عن مركز الخلافة ، ولهذا كانت الجيوش العباسية بعيدة عن مراكز تموينها ، فاذربيجان تقع الى الشمال الشرقي من العراق ، مركز الخلافة ، واقصر الطرق اليها عبر الموصل مخترقا الجبال الوعرة والمسالك الخطرة ، فكانت مراكز الانتفاضة والحالة هذه متطرفة نائية عن بغداد ـ عاصمة الخلافة ـ وكانت الامدادات السائرة عبر المسالك المؤدية الى اذربيجان عرضة للنهب والسلب من قبل المتمردين على السلطة كعلي بن صدقة المعروف بزريق ويعلى بن مرة وغيرهم مما كان يؤخر وصول الامدادات السريعة، بينما كان المنتفضون في ديارهم غير بعيدين عن مراكـــز تموينهم واحتياجهم ٠ وقـد استغل الخرميون تطرف بلادهم في اضعاف جيوش الخلافة واجاعتها ومن ثم تمزيقها، وذلك بمصادرة قوافل تموينها ، ولا يخفى استغلالهم لمناعة الجبال وكثرة الادغال ، فغالبية مناطق الانتفاضة جبال وعرة كثيفة الادغال ، وكان البابكيون يعرفون مسالكها ويجيدون القتال فيها (٥٨) ، وقد اشار اليعقوبي الى ذلك عند كلامه عن المعارك التي خاضها محمد بن حميد الطوسي « فلما امكنه محاربة بابك عبأ لقتاله وزحف اليه فحاربه محـــاربة شديدة لـــه في كـــل ذلـــك الظفـــر ثم صار الى موضع ضيق فيه حزونة فترجل ابن حميد وجماعته وجماعة معه فحمل عليهم اصحاب بابك فقتل محمد وجماعته من وجوه اصحابه » (٥٩) ، وعلى نقيض جيش البابكيين كانت جيوش الخلافة ـ تتألف في غالبيتها من اهل بغداد واهل البصرة (كالحربية من بغداد ومتطوعة البصرة) ـ تجهل تلك المسالك والمضايق وليست لها خبرة بقتال الجبال ، وقد اشار الى ذلك القائد عيسى ابن محمد عند انهزامه امام بابك في احد المضايق (٦٠) « ليس لنا في قتال هؤلاء بخت انما نخشى في قتال المسلمين وانصرف من اذربيجان الى ارمينيا » (٦١) ، وقد بين ميور كيف ان بابك كان يحطم الجيوش الاسلامية واحدا اثر الآخر والتي كانت احيانا تجزأ

(٥٨) الدوري « وكان اصحاب بابك ادرى بمسالك الجبال واعرف بالخطط اللازمـــة لها فكانوا يحصرون اعداءهم في المضايق وينقضون عليهم » ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٦ ٠

(٥٩) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٠ ٠

(٦٠) ذكر اليعقوبي : « واخذ في مضيق فلقيه بابك فيه فهزمه فمر عيسى موليا لا يقف على شيء فصاح بـــه بعض شطـــار الحربية الى اين يا ابا موسى فقال (ليس لنـــا في قتال هؤلاء بخت ٠٠) » ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ٠

(٦١) ن٠ م٠ ص ١٨٩ ٠

كليا الى قطع عند ممرات الجبال حيث يتربصون بها (٦٢) ، والى مثل ذلك اشار امير علي (٦٣) والدوري (٦٤) ٠

قلنا ان الخرميين كانوا يعرفون المسالك والدروب والمضايق معرفة جيدة اذ انهم ابناء تلك المناطق وقد تمرسوا في حروب الجبال والادغال وهذا ما يسر لهم التفوق والنجاح في معاركهم العديدة مع جيوش الخلافة حيث كانوا يباغتون المسلمين من حيث لا يشعرون وينزلون بهم الخسائر الفادحة لجهلهم بالاراضي ومسالكها وملاجئها وطبيعتها (وقد قيل قتلت ارض جاهلها) ٠ ولم يقتصر نجاح البابكيين في معاركهم على معرفتهم لمسالك الجبال الوعرة فحسب وانما يعود الى تحصن البابكيين في المناطق المنيعة ايضا ، ولما كانت غالبية مناطق اعتصام المنتفضين جبلية تيسر لهم التمنع بها وذلك بتحصنهم في المناطق الشاهقة الصعبة المنال من الجبال وكانوا بذلك في مأمن من غزو الجيوش غير المدربة على تسلق الجبال الوعرة ، وكان البابكيون في نفس الوقت يحتلون المراكز الستراتيجية ومشرفين على جيوش اعدائهم ومطلعين على حركاتهم وخفاياهم ، وقد ذكر الدينوري ذلك فقال : « فكان بابك واصحابه يقفون على جبال شاهقة فيشرفون منها على العسكر » (٦٥) ، وذكر ابن الاثير « فكان بابك يشرف عليهم من الجبل » (٦٦) كما واشار الى ما يشبه هذه الاقوال ابن خلدون ٠ ولا شك أن التجاء البابكيين الىذرى الجبال المنيعة وتحصنهم فيها قد يسر لهم المنعة والتفوق والنجاح في حركاتهم ومعاركهم فكانوا يباغتون الجيوش وقوافل تموينها ويحصرونها ويبيدونها بحكم سيطرتهم على المضايق المشارف ولحسن اطلاعهم على مواقع اعدائهم وحركاتهم ٠

لقد ظل المسلمون الى فترة طويلة يحاربون البابكيين في الاودية والمناطق المنخفضة وفي المضايق اذ كانت للمسلمين الطرق والمدن فقط ، اما بقية الاراضي فقد كانت بيد البابكيين ٠ وكان البابكيون بحكم تسلطهم وتمنعهم بمعاقلهم الحصينة يحبطون محاولات جيوش الخلافة للتوغل صعدا في الجبال ٠ ولا شك ان انفراد البابكيين في السيطرة على اعالي المرتفعات له اهميته العسكرية بحيث ظلوا متفوقين ما داموا متمنعين معتصمين بذرى جبالهم ٠

(٦٢) الخلافة ، ص ٥٠٤ ٠
(٦٣) مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٢ ٠
(٦٤) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٦ ٠
(٦٥) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٩ ٠
(٦٦) الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١٨ ٠

لقد استفاد الخرميون استفادة كلية من تطرف بلادهم ووعـــورة جبالهم التي تكسوها الادغال ، وكان لحسن الاستفادة من موقع وطبيعة الاراضي الاثر الواضح في نجاح العمليات العسكرية واستمرار التفوق لمدة طويلة قبل مجـيء القادة والجيوش الاسلامية التي لها معرفة بقتال الجبال ٠

جـ ـ اساليب القتال :

قارع البابكيون المسلمين في قتال مرير طويل كانت الغلبة في الدور الاول منه لهم للاسباب التي ذكرناها آنفا ، وكان لبراعة البابكيين في استخدام اساليب (تكتيكات) مختلفة في القتال اثر ايضا في تلك الغلبة حيث الحقـوا الهـــزائم الشديدة بجيوش المسلمين وكان القائد الشاب المحنك بابـــك ذا مواهب عسكرية (٦٧) عظيمة مكنته من ابتداع اساليب متنوعة لدحر القوات العباسية والتي منها : استخدام فصائل وسرايا خفيفة وسريعة ٠ كانت جيوش البابكيين موزعة على سرايا يقودها قواد عديدون كعصمة الكردي وأذين ومعاوية وطرخان وغيرهم ولا يستقرون في محل واحـــد وانما كانوا يغيرون وينقضون على الجيوش والقوافل اينما وجدوها، ولا ريب ان هذا الاسلوب اتبع عند بدء تولي بابك امر الخرمية حيث لم يكن انصاره بتلك الخطورة (٦٨) وعندما كانت الانتفاضة تشمل اراض واسعة ، واما في السنوات الاخيرة بعد تقليص رقعة الانتفاضة فكانت لبابك جيوش كبيرة ٠ وبحركاتهم السريعة الخفيفة تلك كانوا يباغتون الجيوش ويفتكون بها ومن ثم ينتقلون الى اماكن اخرى يعتصمون بها ، فكان يتعذر على الجيوش العباسية الظفر بها ٠ وقد وردت اشارات في المصادر العربية الى ذلك ، فعنـــد ذكر الطبري لابن البعيث قال : « وكان ابن البعيث مصالحا لبابك اذا توجهت سراياه نزلت بهم فأضافهم » (٦٩) ٠ ان اتباع اسلوب المناوشات السريعة الخاطفة فـــي الحرب ، والذي يعرف اليوم حرب الانصار ، قد حقق للبابكيين انتصارات باهـــرة رغم تفوق جيوش الخلافة عدديا عليهم ٠ ومنها : هدم قلاع وحصون الخلافة ٠ فقد باشر بابك عند

(٦٧) لويس : « وكان بابك من الهراطقة وذا مواهب عسكرية وسياسية عظيمـــة » ، العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ ٠

(٦٨) يامبولسكي : « كانوا قلة ومحتقرين » ، انتفاضة بابك ، ص ١٩ ، وهـــو يـــردد اقوال المقدسي ، البدءوالتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٦ ، انظر بونيياتوف « عندما تولى بابك رئاسة الخرميين في البذ فان عدد اتباعه لم يكن عظيما » ، اذربيجان ، ص ٢٤٤ ٠

(٦٩) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧٢ ، انظر ابة الاثير ، الكامـل ، جـ ٥ ،ص ٢٣٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٨ ٠

(٧٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧١ ، ابن الاثير ، الكامـــل ، جـ ٥ ، ص

تسنمه قيادة انتفاضة الخرميين بتهديم قلاع وحصون الخلافة التي يمكن ان تلجأ اليها القوات العباسية عند انسحابها ، تلك الحصون الممتدة بين زنجان واردبيل (٧٠) ومثل حصن برزند (٧١) وارشق واراغة وكحصن النهر مما يلي اردبيل ، وقد ذكر الطبري وابن الاثير وابن خلدون بأن « بابك قد خرب تلك الحصـــون » (٧١) ، وقـــد اوضح الدينوري ، وان اتهم بابك بتدمير بعض القرى والامصار المجاورة للبـــذ ، بأن السبب الذي حدا ببابك عمل ذلك ، « لتصفو له البلاد ويصعب مطلبه وتشتد المؤنة في التوصل اليه » (٧٣) هو من اجل التحصن · الا ان الدينوري اتهم بابـــك بالقتـــل الجماعي « فاستفتح امره بقتل من حوله بالبذ » (٧٤) ، ولا شك ان الدينوري اختلط عليه الامر ، فبابك سعى لتطهير المنطقة من القوات العباسية ودك معاقلها ولم يرم الى قتل الناس الـذين حواليه اي قتـل كـل المسلمين في اذربيجان · ولقـد اعتمد اتهام الدينوري لبابك بالفتك بالناس المؤرخون الذين تلوه حتى ان ابن النديم اعتبر بابك مبـدع القتل والفتك لدى الخرميين اذ يقول عنه : « احدث في مذاهب الخرمية القتـــل والغصب والحروب والمثلة · ولم تكن الخرمية تعرف ذلك » (٧٥) ، ولا شك ان ابن النديم يعلم بأن المنتفضين الخرميين كانوا قد رفعوا السلاح مرغمين بوجه السلطـة والاقطاع في ازمان سابقة لايام بابك ولكنه تجاهل هذه الحقيقة ليشهر ببابك · ونجد المقدسي يصور بدء نشوء البابكيين قيام المذابح والاغتيالات ويقول بأن بابك اوعز الى جماعته باغتيال من حواليهم وسلمهم الخناجر والسيوف (وكـــانوا في قلة وذلة) وطلب منهـــم القيام بالاغتيال في وقت حدده لهم ثم ارسلهم الى النواحي النائية ليفعلوا ذلك (٧٦) · وتجد الافكار نفسها لدى ابن العبري (٧٧) ، ولكن الحقائق تدحض هذه المفتريات واولها ان الخرميين كانوا يحرمون القتل كمبدأ عام شأنهم شأن المزدكيين الذين كرهوا القتل وسفك الدماء ، وقد ذكر كريستنتسن : « وكل سفك للدماء انما هو عمل يعوق الجهد في سبيل تخليص الارواح » (٧٨) ، والمقدسي نفسه اشار الى ان الخرمية (يتجنبون الدماء جدا الا عند عقد راية الخلاف) (٧٩) · وثانيها ان المسلمين قد انقذوا من الاسر عنـد فتح

٢٣٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٨ ·

(٧١) يقول ابن خرداذبة : « وكانت برزند خرابا فعمرها الافشين » ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ ·

(٧٢) الهامش رقم ٧٠ ·

(٧٣) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ ·

(٧٤) ن· م· ، ص ٣٣٨ ·

(٧٥) الفهرست ، ص ٤٩٤ ·

(٧٦) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٦ ·

(٧٧) مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٤٠ ·

(٧٨) ايران ، يقول : « ومن اجل ذلك حرم على المزدكية اكل لحم الحيوان » ، ص ٣٢٨ ·

(٧٩) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ ·

البـــذ سبعة آلاف وستمائة اسير مسلم كما ذكر اليعقوبي (٨٠) ، وكان بامكانه قتلهم بل ان النسوة اللواتي كن في الاسر شهدن بحسن معاملة بابك لهن (٨١) هذا بالاضافة الى ان المصادر شاهدة على كثرة تبادل الاسرى بين الطرفين ٠ وثالثها يمكن القول بأن البابكيين قد هاجموا القلاع والحصون ودمروها وقضوا على ما فيها من قوى عسكرية٠ اما اعمال القتل والسلب وترويع السكان الآمنين فلا بد ان ذلك من عمل قطاع الطرق واللصوص والقتلة الذين اندسوا في صفوف الحركة وقد اشار اليهم المقدسي نفسه : « وانضوى اليه القطاع والذعار واصحاب الفتن وارباب النحل الزائفة » (٨٢) ٠ لقد ردد المؤرخون المتأخرون اقوال الدينوري وابن النديم والمقدسي وابن العبري ورددها الباحثون الغربيون ، وكان لفلوكل الاسبقية في استخدام تلك الاقوال عند بدء كلامه في مقالته عن بابك « حسب عنوان هذه المقالة لا اريد ان اصف تلك المعارك الدامية والاهوال وتدمير الناس التي فعلها بابك لما اخذ السلطة بيده بمساعدة كثـــرة انصاره الفاقدين للاخلاق » (٨٣) ، ولكن المؤسف ان يعتمد يامبولسكي رواية المقـــدسي دون تمحيص ويرددها بقوله « ماذا عمل بابك اول ما اصبح رئيسا للخرمية ، نظمهم للذبح الجماعي لانصار الخليفة العائشين في ذلك الوقت في اذربيجان » (٨٤) ٠ لكن بونيياتوف ، بعد ان ينقل روايات ابن النديم والمقدسي الآنفة الذكر (٨٥) ، يذكر بأن بابك اضطر الى ان يدخل في جيوشه الطاعة الصارمة لاخضاعها من اجل هدفه الرئيسي ــ محو السيادة العربية من اذربيجان ومن ثم في مناطق اخرى(٨٦)٠ فاذاً كان الهدف ــ وحسب اقوال بونيياتوف ــ محو السيادة العربية وليس القضاء على المسلمين او العرب ٠ لقد عمد بابك الى تهديم الحصون لاضعاف مقاومة المسلمين (٨٧) واما بالنسبة لجيوشه فقد عمد الى النقيض من ذلك اذ اهتم ببناء القلاع والحصون المنيعة له على الربايا والمشارف والقمم للتحصن بها وامر قواده عمل ذلك ايضا ، فيذكر الدينوري : « وامر بابك آذين ان يحصن تلا مشرفا علىالمدينة » (٨٨) ، وهكذا جعل جيوش الخلافة مكشوفة له غير

(٨٠) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٠ ، انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٣ ٠

(٨١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٢٧ ٠

(٨٢) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٦ ، ونفس الشيء قد حصل للمزدكية وقد نبه عليه الطبري، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٣ ، ص ٨٨٥ ، راجع هامشنا ٥٩ ٠

(٨٣) مجلة جمعية الاستشراق الالمانية ZDMG ، ليبزغ ، ١٨٦٩ ، ص ٥٣١ ٠

(٨٤) الانتفاضة البابكية ، ص ١٩ ٠

(٨٥) اذربيجان ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ٠

(٨٦) اذربيجان ، ص ٢٤٥ ٠

(٨٧) وقد اشار الدوري الى ان ضرب بابك لحصون اذربيجان التابعة للعباسيين قـــد اضعف دفاعهم ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٦ ٠

(٨٨) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٩ ٠

حصينة بينما تحصن هو في قلاعه العديدة الشاهقة وكان لغالبية القــواد والامراء المنضمين اليه قلاعهم وحصونهم كابن البعيث الذي كانت له قلعتان (٨٩) ، كما كانت لعصمة الكردي قلعته في مرند ، ولطرخان قلعة في قريته قرب المراغة ٠ ولم يكتف بابك بانشاء الحصون بل انه كان يعمد الى حفر الحفر ليوقع فيها فرسان العرب (٩٠) وقد كبدت هذه الحفر جيوش العرب خسائر جسيمة ٠

ومنها **المباغتة والكمائن** : لمـا كان البابكيون محتلين مشارف الجبال كانت لهـم الدراية التامة بتحركات جيـوش الخلافة وقوافـل تموينها ، هـذا بالاضافة الى كثرة الجواسيس والعيون الذين كان يستخدمهم بابك والذين كان من الصعب التعرف عليهم لانهم من اهل البلد ٠ لهذا كانت الجيوش العباسية وقوافل تموينها عــرضة للمباغتة بحيث تتعرض فجأة الى حملات غير متوقعة تخلق الذعر والارتبـــاك في صفوفها مما يؤدي الى اندحارها وهلاك الكثيرين من افرادها ، وقـد استخدم بـابك هذا الاسلوب (المباغتة) بطرائق عديدة منها اللجوء الى الكهوف والمغاور الواقعة في طرق سيـر الجيوش (٩١) والانقضاض عليها فجأة دون توقع ظهورهم في تلك الاماكن ، اما على مقدمة الجيوش او الانقضاض عليها من الخلف بعد ان تشتبك مقدمة الجيش العباسي بالنزال مع آخرين او ايداع عدد كبير من القوات على الربايـــا والمشارف والسماح لجيوش العباسيين بالمرور دون ان تلحــظ كمائن الخــرمية في تلك المشارف ومـــن ثم تنقض عليهم تلك الكمائن بسرعة بعد ان تبلغ الجيوش العباسية المضايق الوعرة الضيقة فتفتك بهم فتكا ذريعا كما وتختفي الكمائن وراء الصخور حتى اذا جاوزتها الجيوش انقضت عليها من الخلف وينحدر عليهم من الاعالي في آن واحد فيحصل الارتباك ويقع افراد الجيش فريسة بين قبضتي « كماشة » الخرميين ، ومنها الغارات الليلية (البيات) وقد استخدمها بابك كثيرا ، ومنها حفر الحفر الواسعة في طريق الخيالة والانقضاض على من يقع فيها بسرعة ، وكانت الادغال تساعد البابكيين علـــى التخبؤ والتجسس والانقضاض المفاجىء ايضا ٠

(٨٩) ذكر اليعقوبي قلعة لابن البعيث (التي يقال لها شاهي) ، التاريـخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ ، وذكر الطبري (شاهي وتبريز) ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧١ ـ ٢ ، غيران البلاذري قد ذكر مرند ايضا : « واما مرند فكانت قرية صغيرة فنزلها حلبس ابو البعيث، ثم حصنها البعيث ، ثم ابنه محمد بن البعيث وبنى بها محمـــد قصورا ٠٠ » ، فتـــوح البلدان ، جـ ٢، ص ٤٠٥ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ص ٢٣٤ ٠

(٩٠) الدينوري « وقد كان احتفر حوله الآبار ليمتنع الخيل منهـم » ، الاخبـــار الطوال ، ص ٣٣٩ ٠

(٩١) وكانت الخرمية تستبطن الاودية فلا يقدم المسلمون علـــى التقدم ، العـيون والحدائق ، ص ١٨ ٠

قطع الميرة والتموين : كانت مراكز تموين الجيوش العباسية بعيدة عــن جبهات القتال وكانت الميرة والمال والسلاح تنقل اليها بواسطة القوافل المحروسة ولكي يضغط بابك على الجيوش العباسية فانه ركز قصارى جهده (٩٢) للحيلولة دون وصول تلك الامدادات الى الجيش العباسي لكي يقحطه ويولد التذمر بين صفوفه من جراء نفاد الارزاق والاموال بينما يحصل هو على الميرة والاموال وكـــان جواسيسه المنتشرون يأتونه بأخبار تحركات الجيوش وقوافل تموينها اولا بأول ، فكانت سراياه المنتشــرة الموزعة على المسالك والطرق تهاجم قوافل الميرة والتموين حسب تعليماته وارشاداته ، وكثيرا مــا كــان يقوم هو بنفسه بمهاجمتها ومــا كانت تفلت منهم قافلة الا فــي القليل النادر · وتحفل المصادر التاريخية بذكر الهجمات العديدة التي قامت بهـــا جيوش الخرميين من اجل الحصول على الاموال والذخيرة والتموين حتـــى في ايام القائد الافشين حيث اجاعوا جيشه مرتين ·

وكانت مهاجمة قوافل تموين الجيش العباسي من القضايا الاساسية في حروب البابكيين والتي اولوها الاهمية القصوى وكانت من اشد الامور خطورة بالنسبة للجيش العبــاسي ·

د ـ الحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة :

ذكرنا ان المأمون كــان قــد ساعد المنتفض تــوما الصقلبي ضد امبراطور الروم ميخائيل الثاني فكان هذا مع الاسباب الاخرى التي يحقد من اجلها اباطرة الروم على الخلافة العباسية ، دافعا لهم على مساندة الخرميين في انتفاضاتهم بوجه الخلافة وكان الروم يشنون الحروب على الحدود الاسلامية لا من اجل تخفيف ضغط الجيش العباسي على الخرميين فحسب وانما لاغراضهم الشخصية بصورة اساسية ، هذا بالاضافة الى انهم كانوا ـ بحكم عدائهم للعباسيين ـ ملجأ للمندحرين من الخرمية ، علما بأن الروم كانوا غير مخلصين لبابك وللخرمية لكـــرههم الانتفاضات الشعبية · امـــا الحلفاء الآخرون فهم امراء الجزء الشرقي والجنوب الشرقي من ارمينيا ، وقد بحثنا ذلك في نهاية الفصل السابق ·

(٩٢) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٦ ·

٢ ـ اسباب اندحار الانتفاضة المسلحة في الدور الثاني
٢١٨ ـ ٢٢٢هـ / ٨٣٣ ـ ٨٣٧م

ظلت الانتفاضة البابكية المسلحة تحرز النصر تلو النصر في معاركها قرابة ١٨ عاما وقد اوضحنا العوامل التي ساعدت على نجاحها في تلك الفترة فلما تفاقم خطرها وعجزت جيوش الخلافة عن ادراك النصر حرص الخليفة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ / ٨٣٣ ـ ٨٤٢م) وبناء على وصية اخيه المأمون ، بجد على الاجهاز عليها فارسل جيوشا مدربة ومتمرسة بقتال الجبال تحت امرة قائد محنك هو الافشين حيدر بن كاؤوس وامده بقادة لا يقلون عنه مراسا وشدة وجهزه وامده بالاموال والسلاح تمكن ان يحصن بها مواقعه ويحاصر بابك وكان لهروب الاقطاعيين ودور الانتهازيين التخـريبي وتباطؤ الروم في مساعدة المنتفضين اثر في تلك الاندحارات ٠

العوامل العسكرية :

عزل خرمية الجبال عن منتفضي اذربيجان :

لمس الخليفة المعتصم خطـر خرمية الجبال فـي اذربيجان والـذين تجمعوا في (٢١٨هـ / ٨٣٣م) في همذان فبادر الى ضربهم قبل التفرغ والاستعداد لحرب بابك وقد ارسل عدة جيوش كما شاهدنا ـ لدحرهم حتى تمكن اسحق بن ابراهيم بن مصعب من دحرهم وانزل بخرمية الجبال ضربة قاصمة حيث قتل من قتل وهرب قسم الى الروم واسر الباقي ، فأدت هذه الضربة الى محق هذه الجبهة واضعاف مركز بابـك حيث انعزل عن خرميي ايران الجبليين وقـل احتمال الاعتماد عليهم لتلك الضربة الماحقة ، ويشير الدوري الى ان ساحة القتال انحصرت باذربيجان معقل البابكية الاصلي (٩٣) ويرى تومارا ان من نتائج هذه الضربة برودة الكثير من الفلاحين عـن الحركة بحيث تخلوا عن بابك وعادوا الى قراهم (٩٤) ٠ ولا شك ان لتدرب الجيش العباسي وتمرسه بقتال الجبال من اثر في هذه التحولات التي حصلت بحيث اخذ الجيش العباسي ينتقل الى الفوز بعد الهزائم التي كانت تحل به ، وكنتيجـة لاشتباكات الجيـوش العباسية

(٩٣) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٦ ٠

(٩٤) يقول تومارا « لحقت بابك الهزيمة تلو الهزيمة ٠ ومع ذلك فان وضعيته لا تزال بعيدة عـن اليأس ٠ عشرات الالوف من جنوده سقطوا عند همذان في اذربيجان ، عشرات الالوف هربوا الى الامبراطورية الرومية ٠ كثير من الفلاحين بردوا عـن الحركة تخلوا عنه وعادوا الى قراهم ، بابك ، ص ١١٨ ٠ ولا بد ان اذربيجان حلت خطأ محل الجبال ٠

العديدة مع خرمية ايران الجبليين ومع خرمية اذربيجان القاطنين في الجبال ، تدربت تلك الجيوش على اساليب قتال الجبال وتعودت على ظروف المناخ القاسية بخلاف ما كانت عليه الجيوش السابقة والتي كانت غالبيتها ترسل رأسا من البصرة او من بغداد، والتي ليس لها سابق عهد بقتال الجبال وقساوة المناخ ، وتزج فورا بالمعارك مع الخرميين المتمنعين بذرى جبالهم ، فكانت تلك الجيوش العباسية غير المدربة صيدا سهلا للجبليين المتربصين حيث كانوا يجرونها الى النزال في المضايق الوعرة (٩٥) وهناك ينقضون عليها فتتمزق تلك الجيوش نتيجة تضافر عوامل الطبيعة والمناخ وتمنع الخرميين الجبليين وتمرسهم بقتال الجبال ، وهكذا كانت تقع كل الجيوش العباسية فريسة الجهل بطبيعة الارض وعدم التمرن على حروب الجبال ، اما الجيوش المتأخرة فقد تدربت على حروب الجبال كما ان تأني الافشين في حروبه اعطت فرصة لافراد جيشه للاطلاع على مسالك البلد والتمرن على منازلة الاعداء في المناطق الوعرة ٠

وكان الافشين ، (حيدر او خيذر بن كاؤوس الاشروسني) قائدا ماهرا حنكته التجارب في خدمة مصالح سادته ، فقد لازم مولاه منذ كان وليا للعهد وحارب تحت امرته في مصر وشمال افريقيا ، وقد اظهر نبوغا وتفوقا ومهارة وشجاعة (٩٦) جعلت المعتصم يعتمد عليه في الملمات ويدخره للايام العصيبة ٠ وكانت خطة الافشين البارعة هي في اطالة مدة الحرب وعدم التسرع وتضييق الخناق تدريجيا على بابك وتجويعه وحصره في مركزه البذ بعد تمزيق فصائل الخرميين والاجهاز على قادة البابكيين واعوان بابك المخلصين المهمين ٠ ولم يفقه المحاربون هذه الخطة التي تجعل الطامعين والمترددين والخائفين من الملتصقين بالانتفاضة ينفضون ايديهم منها ويلتجئون الى الحياد ان لم ينضموا الى جيوش الخلافة ، لم يفقه المحاربون المسلمون تلك الخطة وتجرأوا بالشكوى من عدم مقارعة الاعداء وانتظارهم الطويل وقالوا عن الافشين « هذا لا يشتهي الا المماطلة ٠٠٠ وانه لا يحب المناجزة وانما يريد التطويل » (٩٧) ، بينما دوريات الخرميين تمر بهم وتزعق بوجوههم وهم ساكتون بل انهم ادركوا جدران قلاع البذ ولكنهم أمروا بالعودة ولم يستلموا امرا بارتقائها ٠ هذه الخطة التي بنيت على دراسة احوال البلد الطبيعية والظروف المناخية وطريقة قتال الخرميين حيث وجد

(٩٥) انظر موير ، الخلافة ، ص ٥٠٤ ٠

(٩٦) يقول عنه ابو الفداء « فسار الافشين وقد احكم صناعة الحرب في الارصاد » ، البداية والنهاية ، ج ١٠، ص ٢٨٢ ــ ٣ ، انظر رايت ــ مجلة العالم الاسلامي ــ ص ٥١ ، هامش رقم ١٧ ، انظر الموسوعة التاريخية (السوفييتية) ، م ٢ ص ١٤ ، موير ، الخلافة ، ص ٥١٤ ، انظر عن « الافشين » بارتولد ، وقد بين بأن هذا اللقب قد اشهتر به ، وهذا اللقب معروف في اشروسنة في اواسط آسيا من قبل الاسلام ، وهو لقب حكام محليين ، المؤلفات ، المجلد الثاني ، القسم الثاني (بالروسية) ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص ٤٩٦ ٠

الافشين ان حروب البابكيين تعتمد على هجمات الفصائل السريعة الخاطفة وعلى المباغتة وعلى الكمائن ، ولهذا عمد الى افساد خطط البابكيين بخطط معاكسة فقد عمد الى النقيض من اساليب البابكيين وذلك بزحف الجيش بأكمله رويدا رويدا والتحصن في المواقع الجديدة بحفر الخنادق وبناء الحصون والتحوط من المباغته « وكان الافشين ابدا يخاف من كمين بابك » (٩٨) ٠ وكان يجعل نصف الجيش على اهبة الاستعداد دوما خشية البيات ٠ ويرى الطبري ان المعتصم امره بهذه التعبئة : « وكتب اليه المعتصم يأمره ان يجعل الناس نوائب كراديس تقف على ظهور الخيل كما يدور العسكر بالليل فبعض القوم معسكرون وبعض وقوف على ظهور دوابهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار مخافة البيات » ٩٩) ٠ وخطة الافشين المبنية على التأني كانت الثغرة التي طعن منها « الافشين » في اخلاصه وولائه على اساس انه كان يحاول اعطاء الفرصة لعدوه بابك للتخلص من المأزق الحرج ٠ وقد اهتم الافشين بتحصين القلاع وتنظيم الاتصال والتجهيزات٠ وكان بابك ــ كما ذكرنا سابقا ــ قد عمد الى تهديم القلاع والحصون التي يمكن ان تلتجيء اليها جيوش الخلافة ، وذلك من اجل اضعاف مقاومة تلك الجيوش ، فلما آل الامر الى المعتصم وجه القائد ابا سعيد محمد بن يوسف الى اردبيل وامره ان يبني الحصون ما بين زنجان واردبيل (١٠٠) ويترك فيها حاميات لتؤمن وصول قوافل الميرة التي ترسل الى اردبيل (١٠١) ففعل محمد ذلك فلما جاء الافشين الذي عسكر في برزند (١٠٢) امر بترميم الحصون الواقعة بين اردبيل وبرزند وانزل تلك الحصون القادة التالية : محمد بن يوسف (١٠٣) في خَشّ(١٠٤) فاحتفر

(٩٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٠٩ ٠

(٩٨) العيون والحدائق، وكان الافشين لا يتقدم الا على تعبئة ولا يرجع الا على تعبئة، ص ١٨ ٠

(١٠٠) العيون والحدائق ، ص ٩

(١٠١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧١ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٤ ٠

(١٠٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠ ، ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ ، العيون والحدائق ، ص ١٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٤ ، وبرزند الى الشمال الشرقي من البذ والى الشمال من اردبيل والى الجنوب من نهر اراكس في اقليم موقان ، وليست ناحية من نواحي تفليس كما توهم الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٧ ٠

(١٠٣) ابو سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي الثغري وكان على قلب جيش محمد بن حميد الطوسي في معركة هشتادسر الاولى سنة ٢١٤هـ ، وقد مدحه ابو تمام والبحتري كثيرا ٠ انظر الملحق الشعري ٠

(١٠٤) من اردبيل الى خش ثمانية فراسخ (٦٤ كيلومترا) ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ ، والفرسخ يساوي ٨ كيلومترات تقريبا ٠

خندقا فيه ، الهيثم الغنوي (١٠٥) في ارشق (١٠٦) فرمم حصنه وحفر حوله خندقا ، علوية الاعور (١٠٧) في حصن النهر (١٠٨) ٠ وكانت قوافل الميرة تسير من اردبيل الى برزند (١٤ فرسخا = ١١٢ كيلومترا) (١٠٩) بخفارة دوريات من هذه المعسكرات حيث تخرج القافلة بمن يخفرها الى حصن النهر فيتسلمها منهم اصحاب علوية الاعور ويبادلون بما لديهم مع اصحاب اردبيل ويعود كل الى حصنه ثم يسير جماعة علوية الاعور بالقافلة بعد اجتيازهم قلعتهم (حصن النهر) حتى يتوجهوا الى منتصف الطريق بينهم وبين ارشق وهناك تنتظرهم جماعة الهيثم الغنوي ويجري التبادل فتسير جماعة الهيثم الغنوي بالقافلة الى ارشق وتعود جماعة علوية الاعور الى حصن النهر بما استلموه من جماعة الهيثم الغنوي ، ومن ارشق تسير جماعة الهيثم بخفارة (ببذرقة) القافلة الى منتصف الطريق الذي بينهم وبين حصن خش (١١٠) حيث تنتظرهم جماعة محمد بن يوسف ويتم التبادل بينهم فتستلم جماعة محمد القافلة من جماعة الهيثم وتتجه بها نحو خش ، اما جماعة الهيثم فتعود الى ارشق بما استلمته من جماعة محمد (الآتية من خش) وبعد ان تجتاز جماعة محمد حصنها في خش تتجه نحو برزند (بين خش وبرزند ٦فراسخ = ٤٨ كيلومترا) (١١١) وفي منتصف الطريق تلتقي بها دوريات الافشين المقبلة من برزند فتستلم القافلة من جماعة محمد وتسير بها نحو برزند وتعود جماعة محمد بما استلمته من دورية الافشين الى حصنها في خش (١١٢) ٠ وبالرغم من تعرض جيش الافشين عدة مرات لخطر المجاعة نتيجة استحواذ بابك على قوافله ، رغم تلك الحيطة والحراسة والخطة المتينة ، الا ان الافشين ضمن ـ لحد ما ـ بهذا التنظيم حراسة قوافل الميرة والتموين ووصول القوافل والميرة اليه بسلام (١١٣) ٠

(١٠٥) يقول عنه الطبري « الهيثم الغنوي القائد من اهل الجزيرة » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٣ ٠

(١٠٦) ذكر ياقوت الحموي عن ارشق « جبل بأرض موقان من نواحي اذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي » ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٥٢ ٠

(١٠٧) ذكر عنه الطبري انه « من قواد الابناء » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٣ ٠

(١٠٨) مما يلي اردبيل ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٣ ٠

(١٠٩)بين اردبيل وخش ثمانية فراسخ وبين خش وبرزند ستة فراسخ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ ٠ ويقول قدامة بن جعفر : « ومن اردبيل الى خان بابك ثمانية فراسخ ومن خان بابك الى برزند ستة فراسخ » ، نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ص ٢١٢ ٠ ولا بد ان خان بابك هي خش ٠

(١١٠) من اهم مراكز تحصينات الافشين ٠

(١١) ابن خرداذبة ، ص ١٢٠ ، قدامة ، ص ٢١٢ ٠

(١١٢) هذه الصورة لتنقلات الدوريات التي تخفر (تبذرق) قوافل التموين اعتمدناها عن الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٢ ــ ٣ ٠

(١١٣) الدوري : « ثم اهتم قواد الخليفة بتأمين المواصلات لايصال الميرة بسلام الى جيش الافشين فنجحوا في ذلك الى حد كبير » ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٧ ٠

وبترميمه للحصون وتأمينه وصل الميرة والامدادات استطاع ان يتغلب على اخطر عوامل افناء جيوش الخلافة ٠

استخدام جماعات متمرسة بقتال الجبال :

لم تقتصر وحدات الجيش العباسي المحارب في اذربيجان على الجماعات العراقية من عربية وايرانية بل ضمت بالاضافة الى هؤلاء اعدادا كبيرة من الكلغرية (١١٤) والكوهبانية (١١٥) والفراغنة والاشروسنيين والعبيد والبربر (١١٦) وكان الكوهبانيون والفراغنة والاشروسنيون متمرسين بقتال الجبال (وغالبيتهم من غلمان الخليفة) وذوي صلابة وجلد ٠

وجيش الخلافة وان كانت فيه عناصر هزيلة ضعيفة كالمتطوعة (١١٧) والتي كانت تجهل حرب الجبال وقد جاءت من اجل المغانم الا ان الاشروسنيين والكلغريين والكوهبانيين والفراغنة كانوا عناصر قوة للجيش لمراسهم وطاعتهم وجلدهم ، وقد تذمر الافشين من المتطوعة والمرتزقة من افراد الجيش فصرخ فيهم يوما « من صبر منكم فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام ، معي جند امير المؤمنين ومن هو في ارزاقه يقيمون معي في الحر والبرد » (١١٨) ، لقد كان الغلمان الاتراك ، وهم غالبية جيش الافشين لهم الدراية على حرب الجبال ويمتازون بالطاعة والانصياع لاوامر امرائهم ولا سيما اذا كان الامراء من بني جلدتهم كالافشين وايتاخ والفضل بن كاؤوس (اخو الافشين) وغيرهم من امراء الجند الاتراك ٠

طول الحصار :

اطال الافشين الحصار على بابك وضيق عليه الخناق حتى اجبره على اللجوء الى مركزه البذ ٠ ان الزحف البطيء والتحصن في المناطق الجديدة وحفر الخنادق

(١١٤) الكلغرية ـ العمال العسكريون ـ يقول عنهم الطبري : هم الفعلة ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ،ص ١١٩٩ ٠

(١١٥) الكوهبانية ـ الجبليون ، وتعني كلمة كوه بالفارسية والكردية جبل ـ انظر الموسوعة الاسلامية (بالالمانية) ، م ١ ، ص ٥٦٨ ٠

(١١٦) ايفانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٤٠ ، يذكر رايت ان الجيش كان خليطا من الصغد والاتراك ومتطوعة الكوفة ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ ، ص ٥١ ٠

(١١٧) يقول ابن الاثير عن المتطوعة « وهؤلاء ليس لهم ثابت في الحرب » ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ ٠

(١١٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٠٩ ٠

والاستحكامات وسد المسالك في المضايق المؤدية للبذ قد مكنت الافشين ، الـذي امّن وصول قوافل تموينه اليه ، من اضعاف بابك ودحره في عقر داره ، وقد ساعد على ذلك ايضا قلة فرص تعرض بابك لقوافل تموين الافشين بسبب الخطة الحصينة التي وضعها لحماية قوافله ، فحرم بابك ولا سيما في العام الاخير من اهم موارد اعاشته بالاضافة الى عدم تمكنه (بابك) من اجاعة جيش الخلافة والضغط عليه بحرمانه من موارد عيشه وتسلحه ٠ لقد اصبح الطريق مفتوحا من جهات عديدة امام قوافل تموين وامدادات جيوش الخلافة بينما بدأت المنافذ والمسالك التي توصل البابكيين باعوانهم تسد الواحدة تلو الاخرى ، وكان تحصين خط الدفاع الممتد من برزند الى زنجان عبر اردبيل اكبر ضربة وجهت الى البابكيين حيث عزلهم هذا الخط عن اقوى انصارهم « خرمية الجبال » و « الديلم » ٠

استمالة جواسيس بابك :

عمد الافشين الى استمالة من يقع بيده من جواسيس بابك فقد كان يطلقهم ويبذل اليهم الاموال ويقول لهم : اذهبوا وكونوا جواسيس لنا ٠ وبدهائه هذا استمال عددا من جواسيس بابك الذين اخذوا يعملون لحساب الطرفين على ما يظهر ، فكان يطلع على خفايا تحركات عدوه ولم تبق تنقلات وحدات بابك وتجوال قادته سرا ، وبهذه الواسطة عرف مرة مكان اعظم قادة بابك ، طرخان ، حيث اغتيل ٠

شدة اهتمام الخليفة المعتصم بأمر الخرمية وحسن تجهيزه للجيش :

ترك المأمون لاخيه المعتصم وصيته التي جاء فيها : « ٠٠٠٠٠ والخرمية فاغزهم ذا حرمة وصرامة وجلد واكنفه بالاموال والجنود فان طالت مدتهم فتجرد لهم فيمن معك من انصارك واوليائك واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه ٠٠ » (١١٩) ولما كان المعتصم شاعرا بجسامة خطر الخرمية فانه اخذ بوصية اخيه واهتم اهتماما كبيرا بموضوع الخرمية وبأمر بابك حتى ان الدينوري يقـول بانـه لم يكن للمعتصم من شأن يشغله سوى بابك « فلما افضى الامر الى ابي اسحاق المعتصم بالله لم تكن همته غيره (يقصد بابك) ٠٠٠ » (١٢٠) ٠ كم يا ترى كانت ملاحظة الدينوري صائبة ! لقدنقلالمعتصم الجيوش التي تحارب الروم وقذف بها الى بابك وترك الجبهة

(١١٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٢٧ ، وجاء في كتاب مختصر اخبـار الخلفاء لابن الساعي البغدادي : « والحربية فاغزهم ٠٠ » ، ص ٥٧ ، ولا شـك ان كلمة الحربية تحريف لكلمة الخرمية ٠

(١٢٠) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٩ ٠

البيزنطية هادئة (١٢١) ، وقد ارسل لمحاربة بابك كل جيوش الخلافة (١٢٢) ، وقد تيسر له ذلك بعد القضاء على الفتن والاضطرابات والهدنة التي شملت الجبهة البيزنطية ، لقد تيسر له ان يزج بكل جيوشه في الحرب مع الخرميين حتى اذا انزل الضربة القاضية بخرمية ايران ـ في همذان ـ توجهت كل الجيوش الى اذربيجان ويتجلى اهتمام الخليفة بأمر بابك وعزمه على القضاء عليه لا بارسال كل جيوشه الى اذربيجان فحسب وانما في حرصه وتتبعه وفي اطلاعه وتوجيهه على الحركات الحربية حيث كان يطلع على الخرائط ويبدي توصياته ، وكان الاتصال يتم بينه وبين الافشين بسرعة بفضل تنظيم البريد واستخدام الحمام الزاجل للغرض نفسه ، ويرى الدوري ان استعمال الحمام لنقل الاخبار كان لاول مرة في هذه الحرب (١٢٣) ، وننقل ما يذكره الطبري عن تنظيم البريد بين اذربيجان وسامراء (مقر الخلافة في الايام الاخيرة من الانتفاضة) ، يقول الطبري « ٠٠ وان المعتصم لعنايته بأمر بابك واخباره ولفساد الطريق بالثلج وغيره جعل من سامراء الى عقبة حلوان خيلا مضمرة على رأس كل فرسخ فرسا معه مجر مرتب فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه من واحد الى واحد يدا بيد وكان ما خلف حلوان الى اذربيجان قد رتبوا فيه دواب المرج فكانت يركض بها يوما او يومين ثم تبدل ويصير غيرها ويحمل عليها غلمان من اصحاب المرج كل دابة على رأس فرسخ وجعل لهم ديادبة (حراس) على رؤوس الجبال بالليل والنهار وامرهم ان ينعروا (يصيحوا) اذا جاءهم الخبر فاذا سمع الذي يليه النعير تهيأ فلا يبلغ اليه صاحبه الذي نعر حتىيقف له على الطريق فيأخذ الخريطة منه فكانت الخريطة تصل من معسكر الافشين الى سامراء في اربعة ايام او اقل » (١٢٤) ٠

وقد صرف المعتصم من الاموال مبالغ طائلة ولم يبخل على جيشه بشيء ، وقد اهتم بتنظيم وصول الاموال والامدادات الى الافشين وبذل للافشين اموالا وهدايا وعطايا كثيرة ، يذكر الطبري : « وكان يجزي الافشين في مقامه بازاء بابك سوى الارزاق والانزال والمعاون في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم وفي كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم » (١٢٥) ، هذا للافشين وحده اما نفقات جيشه كله فيكفينا ان

(١٢١) جاء في الموسوعة التاريخية (السوفييتية) : « ٠٠ وبعد وفاة المأمون عقد الخليفة المعتصم سلما مع بيزنطة وبعث كل قواه لاخماد الانتفاضة » ، م ٢ ، ص ١٤ ، والحقيقة انه سحب كل الجيوش ولم يترك في الثغور سوى حاميات قليلة ، ولم يهتم لجبهة الروم ولم يعقد سلما ٠

(١٢٢) سيل ، القرآن ، ص ١٣٠ ، والملاحظ انه يسمي الافشين بالافشيد Afshid ، انظر بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٦ ٠

(١٢٣) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٧ ٠

(١٢٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٩ ٠

(١٢٥) ن٠ م٠ ، ص ١٢٣٢ ـ ٣ ٠

نعلم انه حول للافشين في عام ٢٢٢هـ / ٨٣٧م ثلاثين مليون درهم (١٢٦) ، حتى ان الذهبي يتصور ان المعتصم انفق بيوت الاموال في حرب بابك (١٢٧) ٠ لقد كان المعتصم سخيا في بذله للاموال من اجل القضاء على انتفاضة اذربيجان الخرمية ، وقد جهز قائده الافشين بالجيوش والمؤن ولم يتركه تحت غائلة الجوع او الاحتياج ، وقد امده بخيرة القواد ، اذ كان يعمل مع الافشين ، حسب روايات المؤرخين ، قادة ذوي خبرة وصلابة وجلد كأبي سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي وابي دلف القاسم بن عيسى العجلي (١٢٨) وجعفر بن دينار الخياط والهيثم الغنوي وعلوية الاعور والفضل بن كاؤوس الاشروسني ومحمد بن خالد بخاراخذاه واحمد بن الخليل بن هشام (ابن اخت علي بن هشام ، والي الجبال زمن المأمون) وبو زباره (١٢٩) وبغا الكبير وداود سياه وبشير التركي وجناح الاعور السكري وابن جوشن ومظفر بن كيدر وصالح آب كش (السقاء) وظفر بن العلاء والحسين بن خالد المدائني ومعاذ بن محمد (١٣٠) وايتاخ (في الحقيقة ان ايتاخ جاء بالمؤن والاموال وعاد الى سامراء) (١٣١) ٠

موقف الاقطاعيين المعادي للانتفاضة :

ومن العوامل التي اضعفت البابكيين وبالتالي ادت الى اندحارهم معاداة الاقطاعيين لهم ، فالاقطاعيون المجاورون كانوا بموقف معادي للحركة وهم وان لم ينضموا الى جانب الخلافة في بداية الامر لضعف مركز الخلافة وانقطاع الصلة بينها وبينهم ، غير انهم وقفوا بوجه الانتفاضة ، ولم يكن ذلك غير اعتيادي لانهم كانوا يخشون على مصالحهم ونفوذهم واستغلالهم من الضياع ، لهذا كان طبيعيا ان يعلنوا الحرب على الحركة التي تهددهم وكان بابك مرغما على خوض المعارك مع هؤلاء الذين يهددون مواقعه من الخلف سواء كانوا متفقين مع الخلافة ام غير متفقين معها ، فسيان

(١٢٦) ن٠ م٠ ، ص ١١٩٥ ٠

(١٢٧) دول الاسلام : « وقد انفق المعتصم بيوت الاموال في حرب هذا فانفق في ذلك في هذا العام (٢٢٢هـ) نحوا من الف الف دينار » ، جـ ١ ، ص ٩٧ ٠

(١٢٨) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ ٠

(١٢٩) ذكره الطبري بوزباره ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٢٥ ، بينما يذكره الدينوري، يوباره ، الاخبار الطوال ، ص ٣٣٩ ٠

(١٣٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ص ١٢٢٦ ، والطبري غير متأكد من الاسم حيث يقول « محمد بنمعاذ » ٠

(١٣١) ن٠ م٠، ص ١١٩٥، ابن الاثير : « ووجه اليه ايتاخ ٠٠٠ فأوصل ذلك للافشين وعاد » ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١٨ ٠

لدى بابك ٠ انهم كانوا خطرا على الحركة ولهذا كان الخرميون يحاربون على جبهتين : جبهة الخلافة وجبهة الاقطاعيين سواء منهم الذين في اذربيجان او في ارمينيا (١٣٢) ٠

هروب الاقطاعيين من صفوف الانتفاضة والتجاؤهم الى صفوف جيش الخلافة :

التجأ الى الانتفاضة في ايام انتصاراتها المتلاحقة فريق من الاقطاعيين من مختلف الاقوام بدافع الخوف وعدم التمكن من الوقوف بوجه تيار الانتفاضة العارم او بسبب كره السلطة العباسية او لشعورهم بأن ايام العباسيين قد انتهت ٠ الا ان هؤلاء اصبحوا مصدر خطر للانتفاضة بحكم مركزهم وكثرة اتباعهم ومناعة قلاعهم ومعرفتهم للبلاد ٠ ولهذا اعتبر الطبري خيانة ابن البعيث لبابك كهزيمة حلت ببابك لا تختلف عن الهزائم العسكرية الاخرى (١٣٣) ٠ لان ابن البعيث غدر بأحد قادة بابك ، عصمة الكردي واتباعه ، وقتل قسما من الاتباع وارسل عصمة مخفورا الى المعتصم ، وقد شاهدنا كيف ان عصمة اضطر الى الاعتراف والادلاء بما يعرف من عورات البلاد ، وقد ظل عصمة مسجونا حتى ايام الواثق ، ولم يكتف ابن البعيث بتلك ، بل انضم الى جيش الخلافة حيث ساهم في الحملة ضد بابك واشترك في معركة هشتادسر الثانية (١٣٤) ٠ ان خيانة الاقطاعيين (الملتجئين الى الانتفاضة خوفا) للحركة لم يكن نادرا كما يقول بيلايف (١٣٥) وقد علل يامبولسكي غدر هؤلاء للحركة وطعنها بسكين من الخلف الى ان الدهاقنة والبطارقة (الاقطاعيين) شعروا بأنفسهم عمق الحركة الاجتماعية الفلاحية (١٣٦) ٠ ويرى ايفانوف ان انتقال الخلافة في بداية ثلاثينيات القرن التاسع من الاندحارات الى النجاحات في الاعمال العسكرية قد ساعد على خيانة الاقطاعيين لبابك ، هؤلاء الاقطاعيين الذين انحازوا في البداية الى المنتفضين (١٣٧) ٠ بينما جاء في تاريخ اذربيجان « خيانة الحلفاء المؤقتين ــ اضعفت الخرميين وساعدت العرب على بلوغ نقطة التحول في كفاحهم ضد حركة الشعب التحررية » (★) ٠ والواقع ان

(١٣٢) انظر الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٦ ، ليو ، تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣١ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٠ ٠

(١٣٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧١ ــ ٢ ٠

(١٣٤) ن٠ م٠ ، ص ١١٩٠ ــ ١ ٠

(١٣٥) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٢١٦ ٠

(١٣٦) انتفاضة بابك ، ص ١٥ ــ ٦ ٠

(١٣٧) مختصر تاريخ ايران ، ص ٤٠ ، وجاء في الموسوعة التاريخية السوفييتية « اندحار بابك ساعد على خيانة الاقطاعيين ٠٠ » ، م ٢ ، ص ١٤ ٠

(★) م ١ ، ص ١٢١ ٠

هروب الاقطاعيين ساعد في اضعاف الحركة ، علما بأنه لم يكن في امكانهم الهروب ايام انتصارات البابكيين الاولى ، فابن البعيث لا بد وانه قد شعر برجحان كفة الخلافة فسارع في عرض خدماته على الخليفة ، فيذكر اليعقوبي : « وكان ابن البعيث قد كتب الى المعتصم يعلمه انه في الطاعة وانه في التدبير على بابك واصحابه » (١٣٨) ٠ ولم يكن ابن البعيث الا واحدا من عديدين انحازوا الى جبهة الخلافة ٠ ان انصراف هؤلاء الاقطاعيين قد احدث ثغرات في مناطق دفاع البابكيين حيث فقدوا مواقع محصنة كثيرة كانت تحمي ظهورهم ٠

جـ ـ العناصر التخريبية ودورها التخريبي في سير الحركة :

كأية حركة جماهيرية واسعة لا بد وان تتسلل الى صفوفها الجماعات الانتهازية ولا سيما في ايام نجاحاتها ، وما اطولها بالنسبة لهذه الانتفاضة ، وكان من الصعب الكشف عن هوية هؤلاء لسعة المناطق التي شملتها الانتفاضة ولبراعة هؤلاء الانتهازيين في اخفاء هويتهم لخشيتهم المحاسبة والانتفاضة في عنفوانها ولصعوبة التعرف على خفايا الناس بسرعة ، الا ان هؤلاء لم يتورعوا عن القيام بأخس الاعمال حينما يأمنون شر الملاحقة فكانوا يسرقون ويقتلون ويتجسسون لحساب الطرفين ويلتجئون بالتالي الى الطرف القوي فيلعبون على الحبلين ٠ واخطر هذه الجماعات هم : قطاع الطرق واللصوص ٠ وتشير بعض المصادر الى انضمام هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق للانتفاضة ، فالمقدسي المطهر بن طاهر يقول : « وانضوى اليه القطاع والحراب والذعار واصحاب الفتن ٠٠ » (١٣٩) ، وكتب ابن العبري : « واحتوى اليه القطاع واصحاب الفتن » (١٤٠) ، بينما يرى جوزي ان انضمام هؤلاء كان لاسباب « لاغراض سافلة معلومة » (١٤١) ، ويعلل الدوري انضمامهم (طمعا في الفوائد المادية) (★) ٠ وقد ادى انضمام هؤلاء الى صفوف الحركة الى تشويه سمعتها باضفاء صفات النهب والسلب والقتل على رجال الحركة من اجل المنافع المادية ، هذا بالاضافة الى ان هؤلاء كانوا عناصر خطرة في صفوف الحركة اذ انهم يثيرون الفزع والتطير ويحرضون على الهرب وعدم الصمود اذ انهم لا يفكرون الا بالمغانم ، اما اهداف الحركة فتلك امور لا يفقهونها ولن يفكروا بها ، ولهذا ينهزمون في اولى النزالات وفي اخف المعارك ٠

---

(١٣٨) التاريخ ، ص ١٩٩ ، جـ ٦ ٠ انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧١ ٢ ٠

(١٣٩) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٥ ٠

(١٤٠) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤١ ٠

(١٤١) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ١٠١ ٠

(★) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٥ ٠

المترددون والطامعون : في عنفوان المد الثوري والانتصارات الباهرة والهياج الجماهيري تنضم الالوف من الناس التي تغمرها موجة الفوران غير مدركة ولا مفكرة بمستقبلها ولا منطلقة من مصالحها لقلة وعيها وادراكها وتفهمها لواقع حالها ، وانما تبهرها الانتصارات وتخشى عدم مجاراة الانتفاضة ، لهذا لا تخلو حركة جماهيرية من انضمام هؤلاء المترددين القلقين ، ولكن هؤلاء لا نفع فيهم بقدر ما يجلبون الضرر، اذ انهم كثيرا ما يحجمون في اللحظات الحاسمة فتضيع الفرصة فيسددون طعنة للحركة من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، اذ انهم يرجحّون مصالحهم الشخصية الآنية على مجموع مصالح المنتفضين ، وبسبب من تخوفهم من سطوة الطبقة السائدة وعقوبة السلطان فهم لا يسهمون في مجمل نشاطات الحركة وان ساهموا فبتحوط وحذر وتردد ۰ أما الطامعون المتسللون الى صفوف الحركة فهؤلاء لا تسيّرهم الا مصالحهم الشخصية الآنية واطماعهم الذاتية وفي عداد هؤلاء يدخل النفعيون وفئات من الاقطاعيين الصغار وكل الذين يفكرون بالحصول على المغانم عند انتصار الانتفاضة ، ومن الطبيعي ان تأثير هؤلاء يكون ضعيفا عندما تحرز الانتفاضة الانتصارات ، ولكن هؤلاء سرعان ما يقلبون ظهر المجن للانتفاضة ويولوها الأدبار ويذهبون عنها بعيدا عند اول انكسار يصيبها ، وحينذاك يأتي الخطر من تخلي هؤلاء حيث يضعفون معنويات الثائرين ويثبطون عزائمهم ، بل ويسارعون بالتودد الى الطرف الآخر المنتصر ۰

عدم مساهمة جميع فلاحي مناطق الانتفاضة : صحيح ان انتفاضات الخرمية قامت على اكتاف الفلاحين ولكن ليس كل الفلاحين قد ساهموا فيها ، فبالرغم من عناية القائمين بالانتفاضة البابكية بمشاكل الفلاحين الا ان فلاحي المناطق التي عمتّها الانتفاضة لم تساهم بمجموعها في الانتفاضة البابكية ولا سيما في الآونة الاخيرة، حيث فترت عزائمهم وعادوا الى قراهم ، فيذكر تومارا : « ان الاخفاقات التي بدأت تصيب بابك قد ساهمت في برودة الفلاحين من الحركة ، وان الكثيرين منهم بدأوا يتخلون عنه ويعودون الى قراهم (★) ۰ ولقد وضحنا سابقا الاسباب التي تدعو الى احجام الفلاحين في القرون الوسطى عن المساهمة في الانتفاضات مسترشدين بتحليل انكلز لذلك عند بحثه الحروب الفلاحية في المانيا (★) ، ولا حاجة بنا لتكراره (★) ، غير اننا نود ان نقول بأن احجام أقسام واسعة من الفلاحين عن المساهمة في الانتفاضة البابكية ، ولا سيما في العهد الاخير ، قد أثر فيها تأثيرا واضحا بينما كان للخلافة امكانياتها الواسعة في اعداد جيوشها الغفيرة وزجها في الجبهة الآذربيجانية ۰

(★) بابك ، ص ١١٨ ۰
(★) الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣١ ۰
(★) راجع الصفحة ١٥٨ من بحثنا هذا ـ الهامش ٣٥٠ ۰

تباطؤ الروم في مساعدتهم للمنتفضين بسبب تخوفهم من توسع الانتفاضة ذات البرامج الاجتماعية :

مرّ بنا ان الخرميين الناجين من معركة همذان (٢١٨ هـ) قد التجأوا الى الروم، وان الروم كانوا يهاجمون الثغور الاسلامية كمساعدة منهم لبابك ونكاية بالمسلمين الذين آزروا المنتفض توما الصقلبي ٠ والملاحظ ان الصلات بين بابك وبيزنطة لم تتوسع اكثر من ذلك ، فان اتصال بابك بتيوفيل بن ميخائيل لم يتعد الطلب منه في مهاجمة الحدود الاسلامية المكشوفة له (★) بعد ان زج العباسيون كل قواهم في اذربيجان ، وكان طلب بابك من اجل تخفيف الضغط (★) عليه وكانت مصالح الطرفين في القضاء على الجيوش العباسية وتحطيم السيادة العربية تدعو الى قيام تحالف بينهما ، ولكن الواقع اثبت على ان امبراطور الروم كان لا يميل الى نجاح الانتفاضة وانما كان يريدها وسيلة لاضعاف العباسيين ، والا بماذا يفسر ذلك الهدوء النسبي الذي شمل الجبهة البيزنطية قرابة الاعوام الاربعة لا سيما وخلو الجبهة من أي أثر للجيوش العباسية ، اللهم سوى حاميات ضئيلة في ثغور مبعثرة ؟ لم أحجم تيوفيل عن مهاجمة الحدود الاسلامية بعد انسحاب الجيوش العباسية منها وانتقالها الى آذربيجان ؟ لماذا هاجم أمبراطور القسطنطينية الثغور الاسلامية بعد سقوط البذ ؟ لماذا لم يستجب تيوفيل لنداء بابك بمهاجمة الحدود الاسلامية وقد اخبره بعدم قدرة الخليفة على ملاقاته لانه زج بكل جيوشه حتى ارسل خياطه وطباخه لمحاربة بابك في اذربيجان ؟ (★) هل كان يجهل أمور الحرب بحيث يترك المسلمين ينتصرون على الخرمية ثم يغزوهم وبذلك تكون للجيوش الاسلامية القدرة على التفرغ له ومنازلته ودحره ؟ اسئلة كثيرة تواجه المعني بهذه القضية حول احجام تيوفيل خلال أربع سنوات كاملات عن غزو الحدود الاسلامية ولا جواب لها الا ان الامبراطور كان يكره كل انتفاضة شعبية ولا سيما اذا كانت ذات برامج اجتماعية ، أما قبوله للخرميين الفارين من ايران فلكي يستخدمهم في حروبه مع المسلمين ، وأما مساعداته السابقة في مهاجمة المسلمين فكانت نكاية بالمسلمين وليس

(✱) امير علي ويذكر مازندران بدلا من اذربيجان كمحل للحركة وهو مخطيء ولا شك ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٨٤ ، فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ـ٤

(✱) تومارا ، بابك ، ص ١١٨ ٠ ليو ، تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣٥ ٠

(★) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤ ، انظر فازيليف حيث كتب : « لقد وقع بابك مع تيوفيل اتفاقا وكان يأمل الآن في هذا الظرف العصيب ان يقوم تيوفيل بغزو على حدود العرب في الوقت الذي ارسل فيه المعتصم كل الجيش ضد بابك ومن ناحية حدود بيزنطة لم يكن باستطاعة الخليفة القيام بأي مقاومة لانه بعث حتى خياطه وطباخه » ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ ـ ٤ ٠

كواجب تجاه الحليف · لقد اثبت تيوفيل (او تيوفيلوس) (١٤٤) انه لم يكن صادق النية تجاه حليفه بابك ، اذ لو كان مخلصا لسارع لانقاذه من محنته وذلك بتخفيف الضغط عنه بمهاجمة الحدود الاسلامية ابان اشتداد الحملة، ولكنه على العكس أعطى الامكانية الواسعة للمعتصم ليسحب جيوشه ويزج بها الى آذربيجان (١٤٥) ، وحتىفي هجومه على زبطرة (٢٢٣ هـ) جاء بعد سقوط البذ ، وقد يعلل بأنه تأخر في استلام استنجاد بابك ولكن الحوادث تدلنا على انه أخبر بعد وصول امدادات الخليفة عام (٢٢٢ هـ) حيث جاء ذكر جعفر وايتاخ في رسالة بابك اليه ، ويذكر الطبري تلكالرسالة: « ان ملك العرب قد وجّه عساكره ومقاتلته اليه حتى وجه خياطه يعني جعفر بن دينار وطباخه يعني ايتاخ ولم يبقعلى بابه احد فانأردت الخروجاليه فاعلم انه ليس فيوجهك أحد يمنعك » (١٤٦) ، وبالرغم من توضيح بابك له فانه لم يقدم على مهاجمة زبطرة الا في عام (٢٢٣ هـ) وبذلك برهن لا على حقده وكراهيته للانتفاضة فحسب وانما على جهله بأبسط أمور الحرب ، اذ أنه ترك الجيوش الاسلامية تقضي على الانتفاضة ومن ثم بدأ بهجومه ، وما أحسبه الا انه كان يتصور ان جيش المسلمين قد أنهك بالحروب مع الخرمية ، ولكن كم كان واهما فقد تيّسر للمعتصم بسهولة توجيه ثلاثة جيوش (١٤٧) ألحقت به شر هزيمة عند عمورية التي ذكر وقائعها أبو تمام وأشاد بانتصار المعتصم الذي قاد الجيش بنفسه يعينه الافشين ومن كان معه،لقد انشد ابو تمام قصيدته المشهورة عن عمورية والتي مطلعها :

السيف أصدق انباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

وما كان بمقدور المعتصم ان يفتح عمورية ويوجه تلك الضربة القوية لتيوفيل ايامحاربة جيوشه لبابك ، وقد أشار الطبري الى ذلك عند توضيحه الاسباب التي دفعت بابك الى ان يطلب من تيوفيل مهاجمة المسلمين اذ قال : « طمعا منه و (يقصد بابك) بكتابه ذلك اليه في ان ملك الروم ان تحرك انكشف عنه بعض ما هو فيه بصرف المعتصم بعض من بازائه من جيوشه الى ملك الروم واشتغاله به عنه » (١٤٨) ، ولما لم يقم بذلك الهجوم الا متأخرا فقد جنى نتيجة حمقه وتهوره ·

(١٤٤) تيوفيل في المصادر العربية وقد ورد لدى رستم ، اسد ، باسم « تيوفيلوس ، اي حبيب الله » ،الروم ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ ·

(١٤٥) بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٦ ·

(١٤٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٤ ·

(١٤٧) رستم ، اسد « ولكن المعتصم استطاع ان يقضي على ثورة بابك في اواخر ٨٣٧م ففرغ للروم واعد ثلاثة جيوش سير احدها بقيادة الافشين عبر طوروس من درب الحدث وقاد هو الجيشين الآخرين وعبر بهما من ابواب قليقية » ، الروم ، جـ ١ ، ص ٣٢٦ ·

(١٤٨) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٤ ·

٣ ـ فترة النضال المسلح تحت قيادة بابك ومجريات الحوادث :
الفترة بين ٢٠١ هـ/٢١٨ هـ ، ٨١٦ م/٨٣٣ م :

في هذه الفترة الطويلة التي توافق سني حكم الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣ م) كان الفوز دائما حليف بابك ، حيث كانت تنتصر جيوشه على الجيوش التي كان يبعثها الخليفة وتتفق غالبية المصادر (١٤٩) على بدء الفعاليات في سنة ٢٠١ هـ ـ (٨١٦ م)، ولا شك ان للمجاعة (١٥٠) التي أصابت مناطق مختلفة من شمال وغرب ايران من اثر في التجاء جموع الفلاحين الجائعين المعدمين الى الانتفاضة ٠

لكن المصادر لا توضح نوعية الفعاليات التي قام بها بابك سوى ذكرها لقيامه بقيادة الخرمية من جماعة جاويدان في منطقة البذ ٠ وتصف هذه الفعاليات بالعبث والفساد (١٥١)، غير ان الدينوري يشير الى ما يفهم منه احتلال بابك للحصون المجاورة له وتهديمها (١٥٢) ، ومنذ عام ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) تبرز الحوادث في المصادر وتظل الى النهاية ٠ ففي عام ٢٠٤ هـ حصلت معركة بين يحيى بن معاذ بن مسلم وبين بابك ولكن دون ان يظفر اي منهما بنصر حاسم (١٥٣) على خصمه فاضطر المأمون سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) الى ان يعهد الى عيسى بن محمد بن خالد (١٥٤) ولاية أرمينيا وآذربيجان

---

(١٤٩) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، جـ ٢ ص١٠١٥، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨٤ ٠

(١٥٠) يشير الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠١٥ ، وابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨٩ الى ان المجاعة حدثت سنة ٢٠١هـ ، وينفرد المسعودي ، مروج ، جـ ٤ ، ص ٢٩ بأن المجاعة حدثت سنة ٢٠٤ وان خروج بابك كذلك عام ٢٠٤هـ ٠ ورواية الطبري وابن الاثير ادق من رواية المسعودي ٠

(١٥١) اليعقوبي ، الطبري ، ابن الاثير ٠

(١٥٢) الاخبار الطوال ، ٣٣٨ ٠

(١٥٣) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٣٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٩٦ ، الموسوعة الاسلامية (الانكليزية) ، م ١ ، ص ٨٤٤ ، (الالمانية) ـ ص ٥٦٩ ، رايت ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٠ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٠ ، بونيياتوف ، اذربيجان،

(١٥٤) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ، لقد ورد في تاريخ اذربيجان « وجه الخليفة المأمون جيشاكبيرا ضد الخرمية تحت قيادة عيسى بن محمد في معركة قرب بردعة كسر الثائرون العدو وحطموا الخصم ، وكان القائد العربي قد قتل » ، ويذكر التاريخ عام ٨٢٢ م ، جـ ١ ، ص ١٢٠ ، ولا ادري علام يُحسد تاريخ اذربيجان ! فلم تحدث الواقعة في ٨٢٢م وانما في ٨٢١م وثانيا فر القائد عيسى بجلده ولم يقتل ، وثالثا من اين جاء بمدينة بردعة ؟ لا ادري ٠ انظر يامبولسكي ، حيث يسميه عيسى بن محمد ابن ابي حامد ، والصواب ابي خالد ، انتفاضة بابك ، ص ٢٠ ٠

ويطلب منه محاربة بابك فتوجه بجموع الحربية من بغداد حتى اذا كان في أرمينيا أنضم اليه الاقطاعيون « كمحمد بن الرواد الأزدي وجميع رؤساء تلك البلاد » (١٥٥)، ورغم تلك الحشود فقد ألجأه بابك الى أحد المضايق حيثانقضعليه بشدة أذعرته فولى عيسى هاربا من آذربيجان الى ارمينيا وهو يقول : « ليس لنا في قتال هؤلاء بخت انما نخشى في قتال المسلمين » (١٥٦) ، واشغل هذا القائد الكبير نفسه بمشاكل أرمينيا ولميتجاسر ثانية على مواجهة بابك الذي استعظم امره وبدأ الولاة يتهيبونه ونتيجة لتلكؤ عيسى في محاربة بابك طيلة ثلاثة اعوام اضطر المأمون الى تكليف علي بن صدقة المعروف بزريق الأزدي (١٥٧) (٢٠٩ هـ/٨٢٣ ـ ٨٢٤ م) ، ولما لم يقم علي بن صدقة بأي شيء ضد بابك عزله المأمون وعين محله ابراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي فيذكر الطبري في حوادث سنة ٢٠٩ هـ : « وفي هذه السنة ولى المأمون صدقة بن علي المعروف بزريق ارمينيا وآذربيجان ومحاربة بابك وانتدب للقيام بأمره أحمد بن الجنيد بن فرزندي الاسكافي ثم رجع أحمد بن الجنيد بن فرزندي الى بغداد ثم رجع الى الخرمية فأسره بابك فولى ابراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي آذربيجان » (١٥٨) ، وبعد ثلاثة أعوام من الفشل والهزائم وتهرب الوالي علي بن صدقة بن زريق من مواجهة بابك اضطر الخليفة الى عزله ، فعصى فأصدر المأمون أمره بتعيين محمد بن حميد الطوسي (١٥٩) واليا وقائدا لمحاربة بابك والعاصي علي بن صدقة بن زريق وذلك عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م (١٦٠) ٠

(١٥٥) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ٠

(١٥٦) ن٠ م٠ ، ص ١٨٩ ٠

(١٥٧) ن٠ م٠ ، ص ١٩٠ ، ويسميه زريق بن علي بن صدقة الازدي ، اما الطبري فيسميه تارة صدقة بن علي وتارة علي بن صدقة بن زريق واخرى يسميه زريق بن علي بن صدقة ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٧٢ ، ص ١٠٩٩ ، ص ١٢٣٣ ، انظر نظام الملك ، ويسميه خطأ « زريق بن علي بن صادق » ، سياست نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٩٢ ٠

(١٥٨) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٧٢ ، عن احمد بن الجنيد بن فرزندي ،انظر البلاذري ، فتوح ، جـ ٢ ، ص ٤٠٥ ، انظر بونيياتوف ، حيث يذكر تعيين ابراهيم بن الليث بن الفضل بعد مصرع محمد بن حميد الطوسي في سنوات ٨٢٩ـ٨٣٠م (اي في عام ٢١٤هـ) ، اذربيجان ، ص ٢٤٨ ٠

(١٥٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٩ ٠

(١٦٠) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ ٠

معركة هشتادسر الاولى (١٦١) (٢٥ ربيع الاول ٢١٤ هـ / ٣ حزيران ٨٢٩ م) :

انصرف الوالي الجديد محمد بن حميد الطوسي الى تثبيت مركـزه في آذربيجان وتقوية جيشه قبل أن ينازل خصمه بابك فلما تم له أسر علي ويعلى بن مرة وغيرهما من القائمين بوجه الخلافة جهزجيشا وسار به لمواجهة بابك ، وكان معـه مهدي بن اصـرم السعدي (١٦٢) (وهو قريب لمحمد الطوسي ، وتولى قيادة الجيش بعد مقتل محمد) ومحمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي والعباس بن عبد الجبار اليقطيني ٠ وقد عبأ جيشه تعبئة جيدة فكان على القلب محمد بن يوسف وعلى الميمنة مهدي بن اصرموعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطيني (١٦٣) اما القائد محمد بن حميد نفسه فقد ظل في المؤخرة يحمي المواقع ويسد الثغرات التي قد تحصل فـي صفوف جيشه ، ورغم تحوطه الشديد حيث كان يترك في كل مضيق او عقبة جماعة من رجاله لحفظ مؤخرته وتجنبا للمباغتة وكان يحفر الخنادق ، وهكذا فعل حينما وصـل هشتادسر (١٦٤) ، ولكن يؤتى الحذر من مكمنه ، فقد كان بابك مشرفا على تحركاته بحكم سيطرتـه على القمم العالية كما وانه كان قد خبأ الكمائن في الاودية وراء الصخور ، فلما توغل محمد ابن حميد وجيشه (٢١٤هـ ـ ٣ حزيران ٨٢٩م) (١٦٥) بعيدا عن مناطق تحصنهم ، وكانتغايتهم الاستحواذ على البذ (١٦٦)، وبلغوا بعض المضايق الوعرة ، خرج عليهم الكمناء من اسفل وانقض عليهم بابك من الاعـلى (١٦٧) في آن واحـد ، فذعر جيش

(١٦١) هشتادسر ـ جبل ووادي ٠ يقع الجبل الى الشرق من البذ على بعـد اقل من فرسخ (حوالي سبعة كيلومترات) ذو موقع ستراتيجي حيث يسيطر على السبل المؤديـة الى البذ ، والكلمة فارسية تعني ستين رأسا لتدل على مناعة المنطقة وكثرة القمم ويسميها اليعقوبي (ساد راسب) الكلمة دون نقـط ، التـاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ويسميه ابن خرداذبة في المسالك والممالك (سادارسب) ، ص ١٢٠ ٠ وجاء في العيـون والحدائق ذكرها بـ(هشنادس) ، ونعتقد ان تسمية الطبري (هشتادسر) اصحها ٠

(١٦٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٧ ٠

(١٦٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ، الطبري ، تاريخ الرسـل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٢ ٠

(١٦٤) يتصور تاريخ اذربيجان ان هشتادسر تقع بقرب المراغة والمراغة تقـع الـى الجنوب الشرقي من بحيرة اورمية ٠ بينما يقع جبل هشتادسر الى الشرق من البـذ ٠ تاريخ اذربيجان ، م ١ ، ص ١٢٠ ٠

(١٦٥) بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٨ ٠

(١٦٦) ن٠ م٠ ، ص ٢٤٨ ٠

(١٦٧) يقول ابن الاثير : « فلما تقدم اصحاب محمد وصعدوا في الجبل مقدار ثـلاث فراسخ (حوالي ٢٤ كيلومترا) خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك اليهم فيمـن معه وانهـزم الناس ٠٠ » ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ ٠

المسلمين (وكانت غالبيتهم من متطوعة الامصار المختلفة) (١٦٨) وارتبكت صفوفه ولم يثبت رغم صيحة قائده الذي ثبت في المعركة الى آخرها ولما اراد الهرب بعد ان يئس لحه الخرميون فانقضوا واردوه قتيلا ودفن على سفح هشتادسر (١٦٩) ٠ ترك فشل هذه الحملة ومصرع قائدها اثرا كبيرا لدى الخليفة المأمون كما اثارت مخاوف من ولاهم المأمون امر محاربة بابك بعد محمد بن حميد الطوسي اذ يقول الدينوري : « وقد عظم امر بابك وتهيبه الناس » (١٧٠) ، فعبيد الله بن طاهر الذي عين بُعيد مصرع محمد بن حميد الطوسي واليا على اذربيجان ومحاربة بابك تلكأ في سيره نحو بابك رغم حسن تجهيزه وآثر البقاء في الدينور ، وكتب الى مهدي بن اصرم ان يتولى قيادة الجيش (١٧١) مما اضطر المأمون ان يبعث اليه من يخيره بين خراسان ومحاربة بابك ، فآثر العافية وفضل خراسان على محاربة بابك (١٧٢) ٠ ولقد توهم الدينوري بأن عبد الله سار من الدينور الى محاربة بابك وان محمد بن حميد الطوسي قد قتل في تلك المعركة فقد كتب : « حتى وافى (يقصد عبد الله) البذ وقد عظم امر بابك وتهيبه الناس فحاربوه فلم يقدروا عليه ففض جمعهم وقتل صناديدهم وكان ممن قتل في تلك الواقعة محمد بن حميد الطوسي » (١٧٣) ٠ ان كلام الدينوري غير صحيح لان عبد الله لم يبرح الدينور الى اذربيجان وانما سار منها الى خراسان ٠ يقول ابن الاثير : « وفيها خرج عبد الله بن طاهر الى الدينور فبعث المأمون اليه اسحاق بن ابراهيم ويحيى بن اكثم يخيرانه بين خراسان والجبال وارمينية واذربيجان ومحاربة بابك فاختار خراسان وشخص اليها » (١٧٤) ، فاذن لم يذهب عبد الله الى اذربيجان وانما سار الى خراسان كما وان محمد بن حميد كان قد قتل قبل مجيء عبد الله ٠ يقول رايت ان المأمون بعث عبد الله بنطاهر لمحاربة بابك في عام ٢٠٧هـ (١٧٥) وهذا غير صحيح لان عبد الله كان يحارب في سورية نصر بن شبث (١٧٦) ولم يعين لمحاربة بابك الا بعد مصرع محمد بن حميد الطوسي ٠ لقد امتنع عبد الله من السفر الى اذربيجان وفضل خراسان رهبة من بابك ورغبة في تثبيت مركز آل طاهر بعد وفاة اخيه (١٧٧) ، واضطر المأمون بعد رفض

---

(١٦٨) ن٠ م٠ ، ص ٢١٨ ٠ ويقول عنهم « وهؤلاء ليس لهم ثابت في الحرب » ٠
(١٦٩) الطبري ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠١ ٠
(١٧٠) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ ـ ٩ ٠
(١٧١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ ٠
(١٧٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٢ ٠
(١٧٣) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ ـ ٩ ٠
(١٧٤) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ ٠
(١٧٥) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٠ ٠
(١٧٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ ٠
(١٧٧) يقول بونيياتوف : « ان عبد الله كان مرغما على تولي ادارة خراسان بعد وفاة اخيه » ، اذربيجان ، ص٢٤٩ ٠

عبد الله الى تعيين علي بن هشام واليا على الجبل وارمينيا واذربيجان ومحاربة بابك، الا ان عليا لم يجسر على محاربة بابك مما اثار حفيظة الخليفة عليه بالاضافة الى سوء سلوكه ٠ وهكذا ظل جيش الخليفة غير قادر على مواجهة بابك في معارك كبيرة حتى وفاة المأمون عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م ٠

الفترة ما بين ٢١٨هـ ـ ٢٢٢هـ / ٨٣٣م ـ ٨٣٧م :

في هذه الفترة حكم فيها الخليفة المعتصم (٢١٨هـ ـ ٢٢٧هـ / ٨٣٣م ـ ٨٤٢م) (١٧٨) وحصل تحول بالنسبة للموقف في اذربيجان فأخذت الجيوش الاسلامية تنتقل من الهزائم الى الانتصارات ، وقد بينا اسباب الاخفاقات التي منيت بها جيوش الخرمية واهم تلك الهزائم :

معركة همذان ٢١٨هـ / ٨٣٣م :

أشرنا كثيرا الى هذه المعركة التي ألحقت بخرمية الجبال (في ايران) هزيمةمنكرة الا اننا نشير اليها هنا لأهمية الضرر الذي لحق بخرمية آذربيجان من هذه الهزيمة ، فالطبري يذكر عدد القتلى في المعركة ٦٠ الفا ، ويذكر ان مجموع القتلى بما فيهم الصبيان والنساء قد بلغ مائة الف (١٧٩) وهرب الكثير من الناجين الى بيزنطة ٠ لقد ادت هذه المعركة التي فاز بها القائد اسحق بن ابراهيم بن مصعب بعد ان فشل قادة آخرون منهم هاشم بن باتيجور ، لقد ادت الى ضعضعة جيش بابك ، فاقتصرت فعالياته على اذربيجان وقل اعتماده على خرمية ايران ولا سيما بعد ترميم الحصون ما بين زنجان واردبيل ٠ والملاحظ ان نظام الملك لا يضبط الارقام فقد جعل عدد الخرمية في هذه المعركة ٢٥ الفا بينما يوصل ارقام القتلى الى ١٠٠ الف ويعتبر الحادثة في زمن المأمون (١٨٠) ٠

جبهة آذربيجان ٢١٨هـ ـ ٢٢٠هـ / ٨٣٣م ـ ٨٣٥م :

انحسرت مواقع الخرميين بعد معركة همذان فاقتصرت على اذربيجان وكان القائد العام للجيوش العباسية ابو سعيد محمد بن يوسف الطائي وقد امره المعتصم بترميم

---

(١٧٨) بويع لابي اسحاق محمد بن هارون الرشيد ـ المعتصم بالخلافة ـ الخميس ١٨ رجب ٢١٨هـ (الطبري ١١٦٤) / ١٠ آب ٨٣٣م (بونيياتوف ، اذربيجان ، ٢٥٣) ٠

(١٧٩) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٦٦ ٠

(١٨٠) سياست نامه ، النص الفارسي ص ٢٩٢ والنص الروسي ص ٢٢٥ ٠

الحصون بين زنجان واردبيل والتحصن بها وذلك من اجل حراسة طريق تموين اردبيل، وقد اثر ذلك في اضعاف الاتصال بين من بقي من خرمية ايران والبابكيين ٠

هزيمة القائد معاوية :

ورغم قيام محمد بن يوسف بتحصين الحصون وحشد الرجال فيها فانه لم يجسر على المبادرة لمهاجمة سرايا بابك ، الا انه قام بغارة معاكسة على اعقاب غارة قامت بها سرية لبابك يقودها معاوية (يسميه تومارا بـ « مازيا ») (١٨١) ، وقد ابلى محمد ومن معه في تلك المعركة التي حلت ببابك (١٨٢) حيث استطاع جيش محمد ان يقتل ويأسر الكثير من الخرميين بالاضافة الى انقاذهم الاسرى المسلمين (١٨٣) ٠

اسر عصمة الكردي في قلعة شاهي :

ذكرنا ان لمحمد بن البعيث قلعتا تبريز وشاهي ، وقد اتفق مع بابك وكان يمد سرايا بابك حينما كانت تمر به بما تحتاجه ، وعندما احس ابن البعيث بانتقال الجيوش العباسية من مواقف الدفاع الى الهجوم وكسبها بعض المعارك (همذان ٢١٨هـ وانتصار محمد على معاوية) بدأ بالتفكير بالانتقال الى الجانب القوي ٠ يقول اليعقوبي « كتب ابن البعيث الى المعتصم يعلمه في الطاعة وانه في التدبير على بابك واصحابه ثم مكر بعصمة » (١٨٤) ٠ فلما مر به القائد عصمة الكردي امير مرند اهتبلها فرصة للتقرب واظهار الولاء للخليفة فأسر عصمة بعد ان اسكره وقتل قسما من رجاله ، اذ كان يطلب من عصمة وهو موثوق ان ينادي على رجاله الذين كانوا اسفل القلعة ، واحدا واحدا بأسمائهم ، وكل من كان يدعى فيرتقي يُقتل ، حتى احس البقية بالوقيعة فهربوا ٠ وقد بعث ابن البعيث بعصمة الى المعتصم وبذا طعن بابك من الخلف والحق به ضررا كبيرا حيث فقد بابك احسن اعوانه ومن اعظم قواد سراياه ، هذا بالاضافة الى اطلاع المعتصم على خفايا وعورة بلاد اذربيجان من قبل عصمة ، ويعتبر المؤرخون هذا الحدث كهزيمة ثانية لحقت ببابك بعد هزيمة قائده معاوية (١٨٥) ٠

---

(١٨١) بابك ، ص ١١٧ ٠

(١٨٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٥ ، ص ١١٧١ ٠

(١٨٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٤ ٠

(١٨٤) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ ٠

(١٨٥) ن٠ م٠ ، ص ١٩٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧١ ، انظر المراجع ايضا ـ يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢١ ، رايت ، بابك البذي والافشين ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥١ ، بونيياتوف، اذربيجان، ص ٢٥٨ ٠

الفترة ٢٢٠هـ ـ ٢٢٢هـ / ٨٣٥م ـ ٨٣٧م :

وهذه الفترة الحافلة بالمعارك الجسام هي الفترة التي قاد فيها الافشين ، حيدر ابن كاؤوس الاشروسني ، جيوش الخلافة المحاربة في اذربيجان ضد بابك ، وكانت الحرب سجالا بين قائدين عظيمين الافشين وبابك ، فقد حقق بابك فيها بعض الانتصارات ولكنه اضطر في الاخير نتيجة شدة الضربات ومقتل اعوانه الى الالتجاء الى قلعته البذ حيث سقطت في الاخير بيد الافشين ٠ لقد ارخت المصادر العربية تاريخ توجيه المعتصم للافشين لمحاربة بابك في عام ٢٢٠هـ ، فقد ذكر الطبري « ووجه به لحرب بابك وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة فعسكر بمصلى بغداد ثم صار الى برزند » ، وذلك في حوادث سنة ٢٢٠هـ ٠ ولكن زاخودير ينفرد بذكر تاريخ ٢٢١هـ (٨٣٦م) ٠

معارك سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م :

انصرف الافشين في بداية الامر بعد نزوله في برزند الى تحصين القلاع وترميم الحصون بين اردبيل وبرزند ، وبهذا تكـــوّن له خط من القلاع ممتد من زنجان الى برزند (١٨٨) ، فقد رمم قبله محمد بن يوسف الحصون التي بين زنجان واردبيل ٠ وقد جعل في هذه الاماكن التي حصنها حاميات على رأسها قادة كلفوا بحماية مواقعهـــم ومراقبة اعدائهم ومحافظة قوافل الميرة والتموين ، وقد مر بنا كيفية ذلك (١٨٩) ٠

معركة ارشق (١٩٠) :

وهي اول معركة يساهم فيها الافشين ضد بابك ٠ وتفصيل الامر هو ان جاسوسا اسمه صالح قد اعلم الافشين بأن المال الذي بعثه الخليفة اليه مع بغا الكبير قد وصل الى اردبيل وان بابك قد استعد للانقضاض عليه وقد اعد كمينا فـــي مواضع مختلفة

(١٨٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧١ ، لاحظ بونيياتوف « ٣ حزيران ٨٣٥م عين الخليفة المعتصم الافشين حيدر بن كاؤوس قائدا على كـــل الجيش المحـــارب للخرميين » ، اذربيجان ، ٢٥٧ ٠

(١٨٧) الترجمة الروسية لـ « سياست نامه » ـ الحاشية رقم ٤٧٦ ، ص ٣٥٠ ٠

(١٨٨) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ ، ابن الاثير ، الكامـل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٤ ، العيون والحدائق ، ص ١٠ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٢ ، بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٩ ٠

(١٨٩) العيون والحدائق ، ص ١٠ ٠

(١٩٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧٤ ـ ٥ ، العيون والحدائق ، ص١٠ـ١ ٠

(١٩١) ، وقد تأكد الافشين من اقوال الجاسوس حيث ارسل الى ابي سعيد يأمره التأكد من صحة الخبر فذهب ابو سعيد (محمد بن يوسف) وشاهد بنفسه الكمائن • وبعد تأكد الافشين من صحة الخبر طلب من بغا التريث في اردبيل وانتظار اوامره ، ثم اشار عليه بأن يسير بالمال والرجال في قافلة حتى اذا وصلت القافلة قلعة النهـــر (حصن النهر) ترك الرجال يستمرون في سيرهم منفردين متجهين نحو برزند (١٩٢) ويؤجل تسفير المال عن القافلة ، وهكذا فعل بغا الكبير حيث رجع بالمال من حصن النهر الى اردبيل واستمرت القافلة وكأن المال معها نحو برزند • وكان الافشين قد خرج بجنده من برزند متجها نحو خُـــشّ فبلغها عند الغروب وبات خارج معسكر ابي سعيد عند خــش ، ثم رحل في اليوم الثاني متجها نحو منطقة ارشق حيث قائده الهيثم الغنوي ، وكانت القافلة الخالية من المال قد خرجت من حصن النهر ومعها آمر حصن النهر علوية الاعور وكان بابك متهيئا لها فانقض عليها وقتل من فيها واستولى على امتعة والبسة وعلى صاحب النهر(١٩٣) فارتدوا البسة جند حصن النهر تنكرا،ثم توجه بابك الىمقابلة هيثم الغنوي ولم يعلم بابك بالمصيدة التي نصبها الافشين له فلما وصل مكــان التقاء فريقي قلعتي النهر وارشق لم يعرف الموضع الذي يقف فيه علوية الاعور عادة ، ولهذا وقف في مكان غيره ينتظر مجيء هيثم الغنوي ومن معه، وقد اثار جهل بابك بالموضــع المخصص لعلوية الاعور الشك والريبة ، حيث استراب الهيثم بعد وصوله الى المكان واستغرب من وقوف بابك وجماعته (وكان يظنهم جماعة علويــــة الاعور) في غيــر موضعهم فارسل طلائعه لمعرفة السبب ، وعند عودة الطليعة علم بأن الخرميين فتكوا بزميله علوية الاعور ومن معه فقفل راجعا مسرعا الى حيث توجد قافلته التي اتى بهــا من ارشق ليسلمها الى علوية الاعور فطلب منها الاسراع بالعودة الى حصن ارشق ، وظل هو مع رجاله يحمي مؤخرة القافلة وارسل فارسين مجدين ليخبرا القائد محمد بن يوسف والافشين بجلية الامر ، وقد استطاع الهيثم ان يدرك وجنوده حصـــــن ارشق ويحتمون به وما كاد يلجأ الهيثم الى الحصن حتى وافته سرية بابك فأحاطت به واطل بابك من عل وطلب من الهيثم ان يترك الحصن ويستسلم ، ولكـــن الهيثم (كــان معه ستمائة راجل واربعمائة فارس) (١٩٤) كان معتمدا على متانة حصنه الذي كان يحيطه خندق • وكان الفارسان قد ادركا جند الافشين الذى كان متجها بدوره الى ارشق ولم يبق امامه سوى اقل من فرسخ ، فلما علم الافشين بمحاصرة بابك للقلعة اغار برجاله دفعة واحدة واخذ بابك على حين غرة ، فلم يفق بابك الا وجيش الافشين قد احاق به

(١٩١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧٥ •
(١٩٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٥ •
(١٩٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧٥ •
(١٩٤) ن• م• ، ص ١١٧٧ •

وبعد معركة غير متكافئة افلت بابك مع نفر من اصحابه بعد ان قضي على بقية رجاله المقاومين فهرب الى موقان (١٩٥) الواقعة خلف خطوط اعدائه ، وهناك بعد فترة جاءه فريق من جنده فتسلل معهم عائدا الى البذ (١٩٦) ٠

كانت هذه المعركة اول نصر احرزه الافشين وقد رفعت من معنويات جنوده ٠

مهاجمة قوافل المسلمين :

رغم الخسارة الفادحة التي حلت ببابك وبجنده فانه لم يركن الى الدعة بل سارع الى انزال ضربات مقابلة بجند الخلافة وكان يعلم اثر القحط في ارباك الجيش ولهذا آثر الضغط على خصمه من هذه الناحية فقرر استخدام سراياه للتعرض لقوافل تموين الافشين لتجويعه من جهة وليحصل هو على الغنيمة ٠ ومن هذه استيلاؤه على القافلة المتوجهة من خش الى برزند (١٩٧) وكانت بقيادة صالح آب كش (السقاء) (١٩٨) ، فانقض عليها احد قادة بابك (١٩٩) واستولى على ما فيها وقتل رجالها ونجا صالح مع نفر من اصحابه وفروا بأرواحهم هاربين وقحط جيش الافشين من جراء ذلك مما اضطر الافشين ان يكتب الى حاكم المراغه ان يجهزه بالميرة ٠ وقد لبى حاكم المراغة (٢٠٠) الطلب وجهز « قافلة ضخمة فيها قريب من الف ثور سوى الحمر والدواب وغير ذلك تحمل الميرة ومعها جند يبذرقونها » (٢٠١) ، ولم تسلم هذه القافلة حيث انقضت عليها سرية لبابك بقيادة طرخان (او آذين) (٢٠٢) فاستباحوها ، مما سبب القحط في جيش الافشين ، وقد سارع الافشين في طلب المعونة من آمر الشيروان (او السيروان) (٢٠٣) فأمده بالطعام الكثير وبنفس الوقت وصل بغا بامداده بما يحمل من المال والرجال ٠

---

(١٩٥) العيون والحدائق ، ص ١٠ ـ ١١ ٠

(١٩٦) الكامل ، لابن الاثير ، جـ ٥ ، ص ٢٣٥ ، العيون والحدائق ، ص ١١ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ ٠

(١٩٧) في سنة ٢٢٠ ٠

(١٩٨) الطبري ، ويقول تفسيره السقاء ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧٨ ٠

(١٩٩) يسميه يامبولسكي « سعيد الأصبهذ » ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ ٠

(٢٠٠) يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ ٠

(٢٠١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٥ ٠

(٢٠٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، لم يتأكد فذكرهما معا ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧٩ ، يذكر يامبولسكي ، طرخان فقط ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ ٠

(٢٠٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧٩ ، وقد ذكر السيروان فقط ٠ انظر يامبولسكي ويذكر السيروان فقط ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ ، انظر بونيياتوف ، يذكر الشيروان والسيروان ، اذربيجان ، ص ٢٥٩ ٠

معركة هشتادسر الثانية :

مر بنا ذكر معركة هشتادسر الاولى التي اندحر فيها جيش الخلافة وقتل القائد محمد بن حميد الطوسي ، وبعد سبعة اعوام حصلت معـــركة هشتادسر الثانية وقد اندحر فيها جيش الخلافة ثانية . وتفصيل الامر : بعد وصول بغا الكبيـــر بالامدادات وجهه الافشين (في ربيع سنة ٢٢١هـ بعد عيد النوروز) مع جيش كبير ليدور به حول جبل هشتادسر وينزل في خندق محمد بن حميد الطوسي ليحفره ويحكمه ويخندق فيه ، وكانت خطة الافشين على ما يظهر توجيه ثلاثة جيوش من جهات مختلفة تسير نحو البذ لانزال ضربة قوية محكمة بحيث يسير الافشين من برزند ويسير محمد بن يوسف من خش ويتوجه بغا الكبير من خندقه قرب هشتادسر ، وقد التقى جيشا الافشين ومحمد بن يوسف في موضع يعرف لدى مؤرخي العرب بـ « دروذ » (لا بد وانها دو الروذ) فحفرا خندقا وبنيا سورا (٢٠٤) ، الا ان بغا قد تسرع فدار حول جبل هشتادسر القريب من البذ واشرف على البذ دون ان يعلم الافشين بالامر حتى انه وصل الى قرية البـذ واقام فيها ثم ارسل الفا من رجاله في عـــلافة فانقض عليهم جيش بابـــك واستباح العلافة وقتل من قتل واسر من قدر عليه وارسل منهم رجلين للافشين ليطلعاه على جلية الامر فتألم الافشين لتلك الهزيمة ولان بغا بتسرعه قد افسد عليه خطته ، وكان بغا الكبير قد تراجع الى خنادقه متخاذلا وسارع بابلاغ الافشين ويسأله المدد فأمده الافشين بجيش عليه اخوه الفضل بن كاؤوس واحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناع الاعور السكري وصاحب شرطة الحسين بن سهل فتوجه الجيـــش من دوالروذ ودار حـــول هشتادسر والتحق بجيش بغا الكبير المتحصن في الخندق .

ولقد اعلم الافشين بغا الكبير بأنه سيحارب بابك في يوم عينه لـــه وان خطته هي ان يوجه جيشين (ينقضان على بابك من جهتين) . وفي اليوم المقرر خرج الافشين من دوالروذ متجها نحو البذ وخرج بغا الكبير من خنادقه وصعد الى هشتادسر وعسكر عند ربوة بجوار قبر محمد بن حميد الطوسي ، وقد ارغمت رداءة الاحوال الجوية ، لا سيما على المرتفعات ، حيث هبت ريح باردة عاصفة مصحوبة بأمطار غزيرة ، جيش بغا الكبير على العودة الى معسكره دون ان يقوم بما اسند اليه من واجب . امـــا جيش

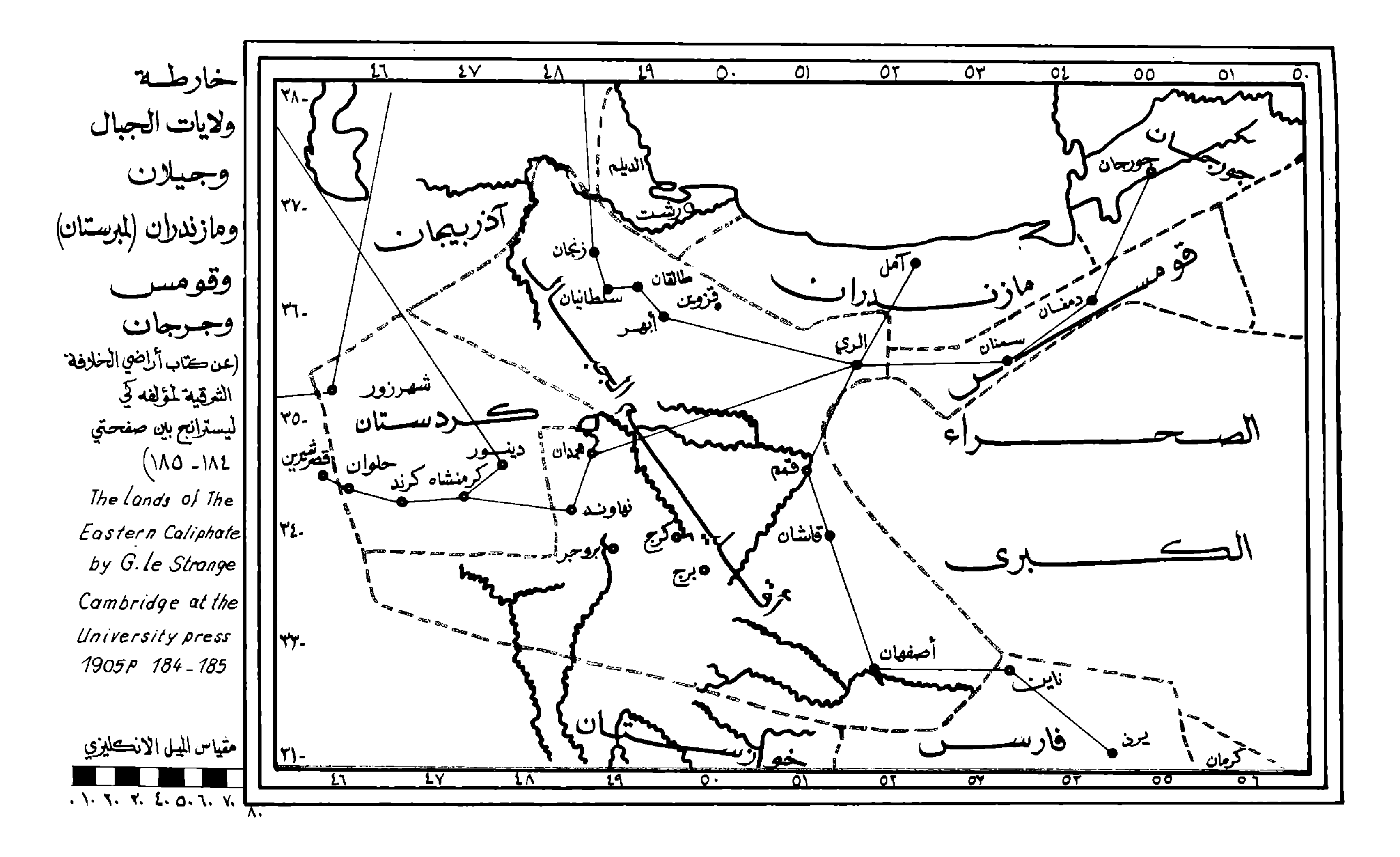
(٢٠٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٨٧ ، ابن الاثير ، الكامـل ، ج ٥ ، ص ٢٣٧ ــ ٨ ، انظر يامبولسكي ويسميها : درواز ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ ، بونيياتوف: دولزود ، اذربيجان ، ص ٢٤٤ .

الافشين فقد استطاع ان يلحق ضربة بصفوف جيش بابك ، حتى انه استولى على خيمته وامرأة كانت معه (٢٠٥) ٠ ولكن الافشين وان الحق الهزيمة بغريمه بابك ولكنه لم يسدد الضربة القاضية كما كان يريد لان بغا الكبير قد افسد عليه خطته باستعجاله فلم يطبقا على جيش بابك من ناحيتين وانما تعرض الخرميون لهجوم الافشين فقط ، اما جيش بغا فقد تعذر عليه هذه المرة القيام بواجبه بسبب رداءة الاحوال الجوية ٠ ولقد توجه بغا في اليوم التالي من اجل مقاتلة الجيش الخرمي الذي كان بازائه في هشتادسر ، ولكنه لم يحظ به لانه انسحب في اليوم السابق حسب اوامر بابك الذي قرر الانسحاب والتحصن بقلعته البذ ٠ يئس بغا من مواجهة عدوه وهو يفتش عنه نهاره كله ولهذا طلب من داود سياه قائد مقدمته ان يفتش عن مكان امين يلتجئون اليــــه ليلتهم ، ومــن ثم ينقضون في اليوم التالي على اعدائهم ٠ فعثر القائد داود على محـــل مناسب ، وقد تراءت له من بعيد اعلام جيش الافشين (٢٠٦) ٠ وفي تلك الليلة بلغت الاحوال الجوية الى اقصى ما يمكن ان تصل اليه من رداءة حيث العواصف الثلجية والرياح الزمهريرية والضباب الحالك (٢٠٧) ٠ فلم يتمكنوا من مبارحة اماكنهم لثلاثة ايام وقد نفد زادهم واضطر بغا في اليوم الثالث ، بعد الحاح الناس عليه ، على مغادرة المكان والهبوط الى الوادي ٠ في تلك الفترة التي كان بغا الكبير معتكفا في اعالي جـبل هشتادسر كانت جيوش بابك قد قامت بهجوم معاكس اجبرت بقية جيوش الافشين على التراجــــع الى معسكرها في دوالروذ ولم يكن بغا ليعلم ذلك ، فعندما هبط الوادي وتوجه صعدا نحو البذ (لتطبيق الخطة وظنا منه بأن الافشين لا يزال يحارب) حيث لم يبـــق امامه الا مقدار نصف ميل عرف من طلائع مقدمته ان جيش الافشين قد تراجع تحت تأثير الهجوم المعاكس الذي قام به بابك وان بابك متهيء لملاقاته ، وقد اعد له عسكرين ، لقد عرفذلك من التحذير الذي حذر به بعض رجال بابك لقريب له في جيش بغا ، من غلمـــان ابن البعيث ، فيذكر الطبري « وكان على مقدمته جماعة فيها غلام لابن البعيث له قرابة بالبذ فلقيتهم طلائع لبابك فعرف بعضهم الغلام فقال له فلان فقـــال من ههنا فسمى لـــه من كان معه من اهل بيته فقال ادن حتى اكلمك فدنا الغلام منه فقال له ارجع وقل لمن تعنى به يتنحى فاناقد بيتنا الافشين وانهزم الى خندقه وقــد هيأنا لكـــم عسكـــرين فعجل الانصراف لعلك ان تفلت ، فرجع الغلام فاخبر ابن البعيث بذلك وسمى له الرجل فعرفه ابن البعيث فأخبر ابن البعيث بغا بذلك فوقف بغا وشاور اصحابه فقـــال بعضهم هذا باطل هذه خدعة ليس من هذا شيء ، فقال بعض الكوهبانية ان هذا رأس جبل اعرفه من صعد الى رأسه نظر الى عسكر الافشين فصعد بغا والفضل بن كاؤوس وجماعة منهم

(٢٠٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٨٩ ٠

(٢٠٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٨ ٠

(٢٠٧) ن٠ م٠ ، ص ٢٣٨ ٠


خارطة
ولايات الجبال
وجيلان
ومازندران (طبرستان)
وقومس
وجرجان
(عن كتاب أراضي الخلافة الشرقية لمؤلفه كي ليسترانج بين صفحتي ١٨٤ - ١٨٥)
The Lands of The Eastern Caliphate by G. le Strange Cambridge at the University press 1905P 184 - 185
مقياس الميل الانكليزي
٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠
آذربيجان
كردستان
مازندران
قومس
الصحراء الكبرى
فارس
خوزستان
الديلم
ورشت
زنجان
سلطانيان
طالقان
قزوين
أبهر
آمل
الري
دمغان
سمنان
جورجان
جرجان
شهرزور
دينور
حلوان
قصر شيرين
كرمنشاه كرند
همدان
نهاوند
بروجرد
كرج
برج
قم
قاشان
أصفهان
نايين
يزد
كرمان
٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦
٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣١

ممن نشط فاشرفوا على الموضع فلم يروا فيه عسكر الافشين فتيقنوا انه قـد مضى وتشاوروا فرأوا ان ينصرف الناس في صدر النهار قبل ان يجنهم الليـل » (٢٠٨) ، ولكن هذا التحذير جاء متأخرا فبغا بعيد عن الافشين وقد توغل بعيدا وطريق عودته محفوف بالمخاطر ، ولكن رغم ذلك صمم العودة الى معسكره عن طريق الاستدارة حول هشتادسر ليتجنب المضايق ٠ وقد سار القائد داود سياه في المقدمة وكان بغا قد حثه على الاسراع بالسير ولكن بعد ان اخذ التعب من الناس مأخذه طلب بغا من داود ان يفتش عن ملجأ يبيت فيه الجيش فلم يعثروا والتجأوا الى جبل شديد الانحدار فاتخذوه سترا يحمون به ظهورهم واقاموا الحراسة والتعبئة من جهة المصعد ، الا ان البابكيين وقد كانوا يراقبون مسيرة الجيش ، حيث كانت طلائعهم غير بعيدة عنهم ، قـد شنوا هجوما عنيفا مزقت فيه صفوف الجيش المتهاوي المتعب الجائع وفر القائد بغا على دابة بمساعدة ابن البعيث الذي دله على طريق في هشتادسر نزل منه علـى معسكره في الخندق وقد خسر بغا كثيرا من رجاله فقد قتل جناح السكري وابن جوشن وجرح الفضل ابن كاؤوس (واخذ الخرمية المال والمعسكر والسلاح والاسير ابن جويدان » (٢٠٩) ، وفرت فلول من الجيش والتجأت الى الخندق وهي منهوكة منهـارة مذعورة ، وهناك تخندق بغا خمسة عشر يوما ثم جاءه امر الافشين بالتوجه الى المراغة على ان يعيد المدد الذي امده به ، وهكذا عاد الفضل بن كاؤوس وجميع الذين هم في الاصل مـن جيش الافشين عادوا بقيادة الفضل الى معسكر الافشين في دوالروذ ٠ لقد اعتمدنا رواية الطبري (٢١٠) وابن الاثير (٢١١) في تبسيط هذه المعركة ، اما اليعقوبي فلم تكن لديه الفكرة واضحة حيث كتب « فكانت بينه وبين بابك وقائع وكان عسكره بموضع يقال له (برزند) فصار بموضع يقال له (سادراست) (٢١٢) فأقام في محاربته حولا حتى كثرت الثلوج ثم رجع الى برزند ثم وجه بخليفته (٢١٣) الـى (سادراست) وزحف وصير في كل ناحية ٠٠٠ وصار بـ (دروذ الروذ) فخندق وبنـى سـورا وكمّن الكمائن » (٢١٤) ٠

(٢٠٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٩٠ ـ ١ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٨ ـ ٩ ٠

(٢٠٩) انطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١١٩٣، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ص ٢٣٩، انظر يامبولسكي، انتفاضة بابك ، ص ٢٥ ـ ٦ ٠

(٢١٠) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١١٨٧ ـ ١١٩٣ ٠

(٢١١) الكامل جـ ٥ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ ، أنظر أيضا ، العيون والحدائق ، ص ١٥ ٠

(٢١٢ الكلمة كما ذكرنا سابقا غير منقطة ولا بد وان اليعقوبي يقصد بها هشتادسر ٠

(٢١٣) المقصود به بغا الكبير ٠

(٢١٤) التاريخ ، جـ٣ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ٠

لقد اثرت معركة هشتادسر في الافشين تأثيرا بليغا دفعته الى التروي والتريث في امر مهاجمة البذ ولهذا فرق الناس الى حصونهم شتاء عام ٢٢١ منتظرا ربيع عام ٢٢٢هـ (٢١٥) ٠

مصرع طرخان شتاء ٢٢١هـ / ٨٣٦م :

حينما عمد الافشين الى الهدوء في فصل الشتاء من عام ٢٢١هـ استعدادا لربيع عام ٢٢٢هـ وهدأت جبهات القتال طلب طرخان ، اعظم قادة البابكيين الاذن من بابك في السماح له بأن يشتي في قريته الواقعة في ناحية هشتادسر (٢١٦) ، فأذن له بابك لاعتقاده بعدم تمكن الافشين من القيام بالحرب ـ بعد معركة هشتادسر ـ في فصل الشتاء بعد اشتداد البرد وكثرة الثلوج ٠ وسافر طرخان الى قريته ، وكان الافشين يراقب تحركات قادة الجيش ويتربص بهم الدوائر ، لهذا علم بمغادرة طرخان الى قريته فأرسل الى « ترك مولى اسحاق بن ابراهيم بن مصعب » (٢١٧) وهو في المراغة يأمره بقتل طرخان او اسره وارساله اليه ، وقد تمكن ترك من اغتيال طرخان ليلا وبعث برأسه الى الافشين ٠ وكان لمصرع طرخان اثر كبير في معنوية بابك (٢١٨) وفي صفوف جيشه لمكانته البارزة لدى بابك ولمقدرته وقابليته وجرأته ٠

معارك سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧م :

اخلد الافشين للهدوء شتاء سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) بانتظار تحسن الظروف المناخية وبانتظار الامدادات من العراق ، ولا سيما بعد ان حلت به الخسائر في معركة هشتادسر شتاء ٢٢١هـ ـ كما شاهدنا ـ ، وجاءه المدد من سامراء فقد امده المعتصم بجيش يقوده جعفر بن دينار الخياط (٢١٩) ثم اتبعه بايتاخ ومعه ٣٠ مليون درهم عطاء للجنود وللنفقات « لم يمكث ايتاخ وانما سلم ما لديه وعاد » (٢٢٠) ، وهكذا تهيأت الظروف للافشين ليقوم بزحفه وهو اكثر املا في الفوز من السابق ولا سيما بعد مصرع طرخان ٠ واهم معارك هذا العام التي يسرت وتكللت بالاستيلاء على البذ كانت :

---

(٢١٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١١٩٣ ، أنظر يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢٦٠

(٢١٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١١٩٣ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٦ ، بونيياتوف ، آذربيجان ، ص ٢٦٠ ٠

(٢١٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١١٩٣ ـ ٤ ، ابن الاثير، الكامل، جـ٥ ص ٢٣٩٠

(٢١٨) بونيياتوف ، آذربيجان ، ص ٢٦٠ ٠

(٢١٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١١٩٤ ٠

(٢٢٠) ن٠م٠ ، ص ١١٩٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ٥ ص ٢٣٩ ، العيون والحدائق ، ص ١٧ ٠

معركة نهر كلان روذ (٢٢١) :

بعد ان استجم الافشين شتاء ٢٢١هـ ، وكمل اعداده خرج في اوائل ربيع ٢٢٢هـ (٨٣٧م) من برزند وسار حتى نزل على نهر كلان روذ « والذي يجري قرب البذ » (٢٢٢) فاحتفر خندقا الى الشمال الشرقي من البذ ، وكان قد كتب الى ابي سعيد ان يوافيه ، فجاء ابو سعيد محمد بن يوسف ونزل بحذائه على نهر كلان روذ وعسكر في خندق على بعد ثلاثة اميال من معسكر الافشين ولم يمكث اكثر من خمسة ايام حتى علم بأن جيشا بقيادة آذين نزل قبالة جيش الافشين وقد ارسل هذا القائد عياله الى جبل يشرف على روذ الروذ « وتقع هذه القرية الى الشمال من البذ على نهر ليكني على بعد ٦ فراسخ من برزند وعلى بعد فرسخ واحد من البذ » (٢٢٣) وكان من جراء تهوره واستهتاره بمقدرة جيش الخلافة رفض نصيحة بابك بادخال عياله الحصن قائلا « لا اتحصن من اليهود يعني المسلمين » (٢٢٤) ونصيحة بابك ان دلت على شيء فانما تدل على شعور بابك بتعاظم بأس خصمه بحيث اخذ يحسب له حسابه ، الا ان آذين دفع ثمن تهوره ، فان الافشين لما علم بوجود عائلة آذين خارج الحصن ارسل جماعة من الخيالة معهم الكوهبانية بقيادة ظفر بن العلاء السعدي والحسين بن خالد المدائني (٢٢٥) وهم من قواد ابي سعيد، فخرجوا ليلا من كلان روذ وساروا عبر مضايق وعرة ضيقة وعند الفجر وصلوا نهر ليكني (٢٢٦) ـ قبالة روذ الروذ ـ فعبروه وارتقوا الجبل عند روذ الروذ واستولوا على عيال القائد آذين (٢٢٧) وعادوا بهم وكان الافشين قد اتخذ الاحتياطات اللازمة فقد امر قسما من الكوهبانية ان يقفوا على القمم الشاهقة ومعهم الاعلام ليعطوا الاشارة فيما لو تعرض الجند للخطر (٢٢٨) ، فلما عاد الجند من جبل روذ الروذ ـ وقد كان القائد آذين قد علم بأخذ المسلمين لعياله ـ ارسل كتيبتين احداهما لتسيطر على المضايق وتسد الطريق بوجه الجند المسلمين والاخرى تهاجمهم من الخلف قبل بلوغهم المضايق ، فلما عاد الجند بمن معهم من عيال آذين تعرضت لهم الكتيبة الثانية فقتلوا قسما من جند المسلمين وانقذوا بعض النساء ، وقد لاحظ الكوهبانيون الذين على القمم ذلك فحركوا اعلامهم منذرين بالخطر ، وكان الافشين قد هيأ كتائب عديدة لمواجهة خطر تعرض جنده لهجوم مفاجىء ، فسارت الكتيبة الاولى مسرعة بقيادة مظفر بن كيدر ثم

---

(٢٢٢) بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٤ ٠

(٢٢٣) ن٠م٠ ، ص ٢٤٤ ٠

(٢٢٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١١٩٦ ٠

(٢٢٥) ن٠م٠ ، ص ١١٩٦ ٠

(٢٢٦) ن٠م٠ ، ص ١١٩٦ ، بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٤ ٠

(٢٢٧) توهم يامبولسكي بأنهم عائلة طرخان ، انتفاضة بابك ، ص ٢٦ ٠

(٢٢٨) كجنود المخابرة في أيامنا ، ولا بد انها أول مرة تستخدم الاعلام للاشارة ٠

اتبعها الافشين بكتيبة يقودها محمد بن يوسف ، ثم بثالثة يقودها بخاراخذاه ـ وهذا يظهر ان الافشين كان يرمي الايقاع بجند الخرمية ومعرفة مدى شدة بأسهم اكثر من اهتمامه بالاستيلاء على عيال اذين ـ فلما اقتربت الكتائب الثلاث من المضايق هرب الخرميون الذين كانوا مسيطرين على المضايق وانضموا الى جماعتهم الذين يحاربون، ولكن الكتائب الثلاثة سارعت الى نجدة جند المسلمين المشتبكين مع الخرميين وادركتهم قبل ان يتمكن الخرميون منهم فأنقذوهم وعادوا جميعا الى معسكر الافشين ومعهم بعض عيال آذين (٢٢٩) ٠ لقد ادت هذه المعركة ، التمهيدية للاستيلاء على البذ ـ كما قال يامبولسكي (٢٣٠) ـ ، الى رفع معنوية جند الخلافة وازالة تلك المخاوف التي كانت تسيطر على اذهان الناس من ان الخرميين لا يقهرون وانهم شياطين الجبال، فقد غزوهم في مقراتهم وسلبوهم في عقر دارهم وانتصروا عليهم بعد كسرهم اسطورة التفوق ٠

حصار قلعة البذ والهجوم عليها :

تقع قلعة البذ الحصينة ، وهي معقل بابك ومركز الانتفاضة (٢٣١) ، كما يعتقد بونيياتوف ، على جبل قرداغ الى الجنوب من نهر اراكس والى الشرق من نهر كيرخو (بيفان) الذي هو احد روافد اراكس (٢٣٢) ٠

الحركات التمهيدية :

كان كسب الافشين معركة كلان روذ مقدمة لزحفه على البذ ، فقد شجع هذا الكسب القائد المحنك الافشين على المضي قدما نحو غايته ، وهي سحق الانتفاضة والقضاء على

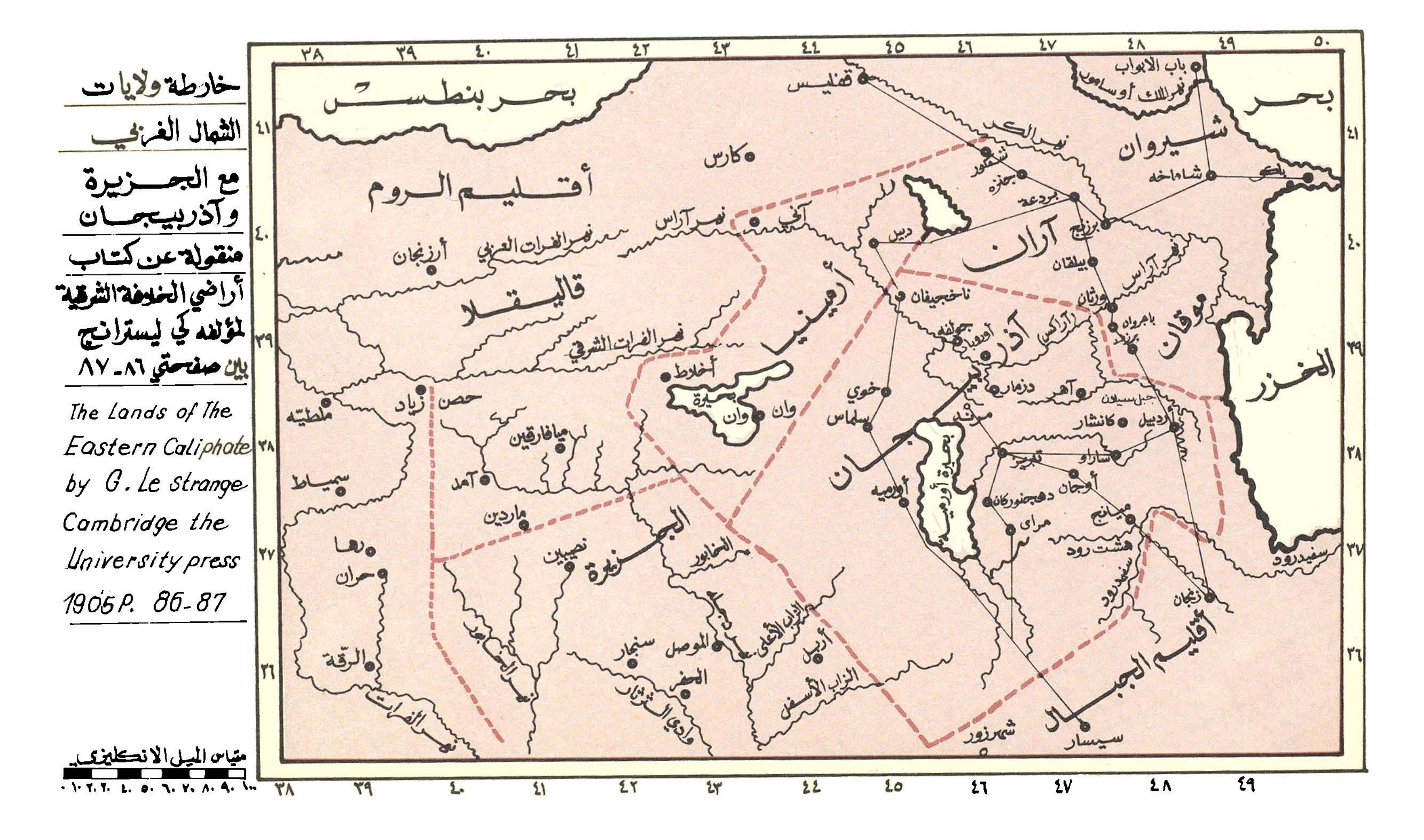
---

(٢٢٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١١٩٦ ٠

(٢٣٠) انتفاضة بابك ، ص ٢٦ ٠

(٢٣١) ذكر أبو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي عن البذ « وبالبذين موضع ٠٠٠ وفيه تعقد اعلام المحمرة المعروفين بالخرمية ومنه خرج بابك ٠٠ » ، الرسالة الثانية ، ص ١٢ـ٣، وكتب ياقوت الحموي « بذ بتشديد الذال المعجمة كورة بين آذربيجان وأران بها كان مخرج بابك الخرمي أيام المعتصم » ، م١ كراسة رقم ٣ ص ٣٦١ ، ويقول سورديل في الموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) ، بأن موقع البذ لم يتحقق لحد الان ، يقع في المنطقة الجبلية من أران ليس بعيدا عن أراكس ، م١ ص ٨٤٤ (ط لندن، ١٩٦٠ م) ، أنظر حول موقع البذ ، مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١٠٤ ، يامبولسكي - انتفاضة بابك ص ٢٧ ـ ٨ ، رايت ، بابك البذي والافشين ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ص ٤٦ ٠

(٢٣٢) أنظر مناقشة بونيياتوف لمختلف الاراء المتضاربة حول تحديد مكان مدينة البذ، اذربيجان ، ص ٢٤٠ ـ ٤ ، ومقالته عن مدينة وقلعة البذ في مجلة أخبار المجمع العلمي الآذربيجاني ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٩ ، ص ٢٧ ـ ٣٢ ٠


خارطة ولايات
الشمال الغربي
مع الجزيرة
وآذربيجان
منقولة عن كتاب
أراضي الخلافة الشرقية
لمؤلفه كي ليسترانج
بين صفحتي ٨٦ ـ ٨٧
The Lands of The
Eastern Caliphate
by G. Le strange
Cambridge the
University press
1905 P. 86-87
مقياس الميل الانكليزي
بحر بنطس
بحر الخزر
أقليم الروم
قاليقلا
أرمينية
آران
آذربيجان
موقان
شيروان
الجزيرة
أقليم الجبال
تفليس
كارس
آني
نهر آراس
نهر الفرات الغربي
نهر الفرات الشرقي
أرزنجان
أخلاط
بحيرة وان
وان
ملطيه
حصن زياد
ميافارقين
آمد
سميساط
ماردين
رها
حران
الرقة
نصيبين
الخابور
سنجار
الموصل
الحضر
أربل
الزاب الأعلى
الزاب الأسفل
وادي الثرثار
نهر الفرات
شهرزور
سيسار
زنجان
ميانج
هشت رود
سفيد رود
مراغه
مراى
تبريز
أوجان
ساراو
أردبيل
كانشار
جبل سبلان
أهر
دزمار
خوي
سلماس
أرميه
بحيرة أرميه
ناخجيفان
دبيل
جلفه
أوردباد
ورثان
بيلقان
برزنج
بردعة
جنزه
شمكور
نهر الكر
شاماخه
باكو
باب الأبواب
نهر اللك أوسامور
باجرواند
بلنجان

بابك والاستيلاء على البذ ٠ غير ان الملاحظ ، برغم ازدياد الامل فــي الانتصار والذي خلقه مصرع طرخان وكسب معركة كلان روذ ، فان الافشين ، على غير ما كان يتوقعه جنده والقادة الذين معه ، اخذ يبطيء في زحفه حتى اثار الريبة والشكوك لديهم ، ولعل وعورة المنطقة وعدم سيطرة جيش الخلافة على كل المسالك والمنافذ المؤدية للبذ وتلافي الوقوع في كمائن مهلكة ، قد دفعت الافشين الى اللجوء الى ذلك ، فقد سار بتؤدة وبطء وحذر وتحوط شديد (٢٣٣) بالرغم من ازدياد امله في النصر عما كان عليه قبلا ، وهناك قول بأنه كان يرغب في اتاحة الفرصة لبابك ليستعيد بأسه ويتمكن من المقاومة وانه كاتب بابك في ذلك عارضا عليه ميله اليه ويناشده عدم التورط في اعمال حربية قد تعود عليه (على بابك) بالخسران ٠ فالبغدادي يذكر مثلا « وذكروا انه دخل في دعوتهم(الخرمية) « الافشين » صاحب جيش المعتصم وكان مراهنا لبابك الخرمي » (٢٣٤) ، وذكر ايضا « واخرج الخليفة لقتالهم (الخرمية) الافشين فظنه ناصحا للمسلمين وكان في سره مع بابك وتوانى في القتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين » (٢٣٥) ٠ ولكن الوقائع تدحض تلك الاتهامات وتثبت على ان الافشين كان مجبرا على التأني اذ انه كان يدرك خطورة المسالك الجبلية الوعرة « وكان الافشين ابدا يخاف مــــن كمين بابك وكانت الخرمية تستبطن الاودية » (٢٣٦) والتي كانت خطوط دفاع طبيعية لعاصمة الخرميين ومهالك خطيرة بالنسبة للمسلمين ، هذا بالاضافة الى ان الخليفة قد اشار على الافشين بالتحوط التام والتأني ٠ ويرى بونيياتوف ان الزحف البطيء (٣٢ كيلومترا في العام) والتريث في الزحف كان نتيجة الاوامر المختلفة المتناقضة الصادرة من الخليفة (٢٣٧)٠ ولقد اجاب الافشين على تذمر جنده من الابطاء في مواجهــة العـــدو رغـــم تهيؤهم واستعدادهم التام ليل نهار ، اجاب بقوله « انا والله اعلم ان ما تقولون حق ولكن امير المؤمنين امرني بهذا ولا اجد منه بدا » (٢٣٨) ٠ بدأ الافشين زحفه متجها نحو المضيق المؤدي الى روذ الروذ ،وكان يعسكر في المناطق الجبلية الشائكة ويجبر الرجال والخيالة على ان يبقوا على اهبة الاستعداد اذ كان يخشى البيات وكان الخليفة قــد اشار عليه بذلك وطلب منه ان يستمر الجند بالاستعداد التام بالمناوبة بالرغم من ابتعادهم عن جند

(٢٣٣) وعلى الضد من قولنا يذكر روبرت باين « بعد عدة معارك سريعة استولى الافشين على قلعة الثائر وجاء ببابك الى سامراء اسيرا » ، السيف الذهبي ، ص ١٧٨ ، فهــو يرى ان الافشين سار بمعارك سريعة نحو هدفه ، وهو يذكر اسم بابك دائما باسم (باربك)٠

(٢٣٤) الفرق بين الفــرق ، ص ٢٨٤ ٠

(٢٣٥) ن٠م٠ ، ص ٢٨٤ ٠

(٢٣٦) العيون والحدائق ، ص ١٨ ٠

(٢٣٧) آذربيجان ، ص ٢٦٠ ٠

(٢٣٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١١٩٨ ٠

اعدائهم بحوالي ٣٢ كيلومترا (اربعة فراسخ) (٢٣٩) ٠ وقد تمكن مع قليل من رجاله ان يبلغ قريبا من الربوة التي جرت عليها معركته مع بابك عام ٢٢١هـ ، وقد شاهد عليها كتيبة خرمية ولكن لم تجر بينه وبينهم معركة وعاد الى معسكره ، وقد كرر التوغل الى هناك مرات وكان يقوم بتلك الجولات حسب ما يرى للاستطلاع والتعرف على اماكن عدوه وقواه ، وامر الكوهبانية بالتفتيش عن القمم التي يمكن استخدامها كمراكز اشراف للاستطلاع والتحذير ، فاختاروا له ثلاثا ، فسار الافشين الى روذ الروذ مع الكلغرية (فرقة مؤلفة من العمال تستخدم لبناء الحصون او المسالك او لحفر الخنادق او ما اشبه) وامر ابا سعيد بأن يشاغل كتيبة الخرميين حتى يستطيع الكلغرية بناء استحكامات على طول الطرق المؤدية الى القمم الثلاث وحفر الخنادق وراء الاستحاكمات وسد المسالك الاخرى المؤدية الى القمم فتم له ذلك واصبح الطريق الى القمم عبر استحكامات المسلمين فقط ، ونقل الى تلك القمم الرجال والمؤن والاغذية والعمال لبناء الاستحكامات عليها زيادة في الحيطة ٠ وتم حفر خندق واسع لمعسكره وكان ابو سعيد يشاغل الخرمية ايضا اثناء حفر الخندق الواسع ، وبهذا اصبحت لدى الافشين اربعة خنادق (٢٤٠) محكمة اساسية ، واحد في برزند وآخر في كلان روذ والثالث في دروذ (دوالروذ) والرابع عند روذ الروذ ، هذا بالاضافة الى تحصن الرجال في القمم العالية الثلاث وتحصن بخاراخذاه على رأس العقبة القريبة من الربوة التي لا تبعد عن روذ الروذ تركها لحماية مؤخرته عند زحفه من روذ الروذ الى البذ ، لانه كان يخشى هجوم البابكيين من واد قرب تلك الربوة على جيش المسلمين عند زحفه نحو البذ وبذلك ينحصر الجيش العباسي بين فكين (كماشة) (٢٤١) وكان بابك بالفعل قد اكمن قسما من جيشه هناك ٠ وبتحصن بخاراخذاه في مكانه ذاك حرم بابك من الاستفادة من ذلك الموقع الاستراتيجي ٠ وكان يقع بالقرب من البذ واد وهو كخندق (٢٤٢) طبيعي يعزل البذ عن جيش المسلمين ، ولكي يقلل الافشين من اهمية هذا الحائل الطبيعي فقد اجرى تطبيقا لاحتلال ثلاثة اطراف منه عدا الطرف القريب من الطريق المؤدي الى باب قلعة البذ ، فقد امر ابا يوسف ان يعبر الى الجانب الثاني من الوادي (٢٤٣) ويحتل موضعا عليه ، وامر جعفرا الخياط واحمد الخليل بن هشام ان يعبرا ويحتلا مواضع اخرى (٢٤٤) ،

(٢٣٩) ن٠م٠ ، ص ١١٩٩ ٠

(٢٤٠) بونيياتوف ، اذربيجان ص ٢٤٤ ٠

(٢٤١) الكماشة اداة من حديد تشبه الملقط لسك المسامير وغيرها ويستعمل في الجيش كاصطلاح حين الهجوم على جيش ما من ناحيتين ٠

(٢٤٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٢٠٤ ٠

(٢٤٣) ن٠م٠، ص ١٢٠٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص ٢٤١ ٠

(٢٤٤) ن٠م٠ ، ص ١٢٠٤ ٠

هذا بالاضافة الى ان بخاراخذاه كان يشرف من ربوته على جهة من ذلك الوادي ، اما الافشين نفسه فكان يحتل جانب الوادي الذي يحاذي معسكره ٠ اما الطريق المؤدي من الوادي الى باب قلعة البذ فان بابك قد حشد فيه اهم جيوشه بقيادة آذين ليمنع وصول جند الخلافة الى باب الحصن ٠ وكان تطبيق هذه الخطة قد جرى كثيـــرا حيث تنزل الجيوش العباسية صباحا وتسير باتجاهات مختلفة عابرة الوادي وتحتل مواقعها من دون ان تقدم على مهاجمة البذ او التعرض للخرمية (٢٤٥) ، واما جند بابك الذين هم خارج القلعة فانهم كانوا يتوارون مختفين حسب تعليمات بابك ولا يظهرون انفسهم ، وتبقى جيوش الخلافة حتى العصر ثم تقفل راجعة ، واول من يعبر عائدا الى روذ الروذ جيش ابي يوسف ثم يليه جيش احمد الخليل ثم جيش جعفر الخياط (٢٤٦) ، اما الجيش الذي مع الافشين على الطرف الثاني فانه يبقــى لحماية مؤخــــرة الجيـــوش العابرة وكاحتياطي لها واما الجيش الذي مع بخاراخذاه (قوامه ١٠٠٠ فارس و ٥٠٠ مشاة) (٢٤٧) فانه كان لحماية مؤخرة الجيش برمته وكانت التعليمات المبلغة الى بخاراخذاه ان يظل في موقعه ولا يتحرك وانما يحمي مؤخرة الجيش ويحافظ على خط الرجعة ويمنع احتمال قيام الخرميين بالانقضاض على الجيوش العباسية عند توجهها نحو البذ ٠ لقد اجرى الافشين هذه التطبيقات مرارا ليطلع على مخابىء الكمائن ومقدار الجيوش التي اعدها بابك للدفاع ومواقعها وقد نجح في معرفة تلك الاسرار بمحض الصدفة ٠ ففي احدى التطبيقات وعندما قفل الجيش العباسي عائدا من الجانب الثاني للوادي حسب الترتيب السابق وعبر اغلبه الوادي فتح قليل من الخرمية باب حصن البذ واغاروا على جماعة جعفر الخياط ، فحمل عليهم جعفر واعادهم الى باب حصنهم ، وفي هذه الاثناء ارتفع الصياح (٢٤٨) وظن اناس من كلا الجانبين بأن الحرب قد قامت ، فعبر المتطوعة الذين مع ابي دلف الوادي (٢٤٩) دون امــر الافشين وخــرجت كمائــن الخــرمية من مكامنها دون امر من بابك ، وكان الافشين ، الذي لا يزال في موضعه في الجانب الثاني من الوادي ، يستشيط غضبا على جعفر ويعد عمله خروقا لاوامره حتى انه قال : « لقد افســد عــلي تعبيتي » (٢٥٠) لان الافشين لــم يصمم عــلى الــزحف نحو البــذ بعــد لانه لا يزال يخشى المباغتة وقطع الطريق عليه من قبل الجيوش الكامنة خارج القلعة ، ولهذا وبالرغم من بلوغ المتطوعة والجند الذي مع جعفر اسوار القلعة فان الافشين اصر

(٢٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٥ ص ٢٤١ ٠
(٢٤٦) الطبري، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١١٠٤ ٠
(٢٤٧) ن٠م٠ ، ص ١٢٠٣ ٠
(٢٤٨) ن٠م٠ ، ص ١٢٠٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ٥ ص ٢٤١ ٠
(٢٤٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٥ ص ٢٤١ ٠
(٢٥٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢٠٦ ٠

على عدم جدوى ذلك الهجوم ٠ ولقد استنجد جعفر بالافشين ان يمده بـ ٥٠٠ رجل من الناشبة ، غير ان الافشين امره بتلافي الخطر والتخلص من المأزق والانسحاب المنتظم « فبعث اليه الافشين انك افسدت علي امري فتخلص قليـــلا قليـــلا وخلص اصحابك وانصرف » (٢٥١) ٠ وطبيعي لم يدرك جعفر خطة قائده وتحوطه الشديد الا ان الافشين قد اطلع في حينه على مخابىء الخرمية حيث هبت منها الكمائن عند سماعها الصياح عند باب القلعة كما وادرك الافشين اهمية الموقع الذي يحتله بخاراخذاه في حفظ مؤخرة الجيش العباسي برمته فقد كان ذلك الموقع يشرف على واد آخر اختبأ فيه جيش آخر للخرمية كان مهيأ من بابك للانقضاض على جيش الخلافة كله فيما لو تحرك نحو البذ بما فيهم بخاراخذاه ، غير ان ابقاء بخاراخذاه في محله حال دون قيام جيش الخرمية ذاك بتنفيذ ما اوكل اليه ، ولكن موقع هذا الجيش قد انكشف للافشين ايضا فقد تحرك عند سماعه الصيحة عند ابواب البذ ٠ لقد عاتب جعفر الافشين بشدة على عدم تلبيـة استنجاده بارسال المدد اليه والذي كان حسب تصوره قادرا على فتح البذ بهم ٠ ولقد جرت مشادة بين جعفر والفضل بن كاؤوس حول الموضوع ٠ عندئذ افهمه الافشين بأنه لو سار اليه المدد وترك بخاراخذاه محله لحلت بهم الكارثة بعد احتلال الخرمية لـموقع بخاراخذاه ٠ لقد كان لقصر مدة بقاء جعفر ولعدم اطلاعه الكافي على مجمـــل سير الحركات ما دفعه لان يتصور بأن الافشين لا يرغب جديا بالقضاء على بابك مما اتاح الفرصة للكتاب والمؤرخين ان يصوروا ذلك ، ولا سيما بعد تطـــاولات المتطوعة عـلى الافشين لقلة اصطبارهم ، بأنه دليل على خيانة الافشين وتباطئه كما لاحظنا ذلك عند البغدادي مثلا ٠ لكن الافشين كما يتضح لنا لم يتخذ ذلك الموقف الا لشعوره بجسامة الخطر فيما لو جازف بقذف كل جيوشه لاحتلال البذ ذلك اليوم ، ولم يكن موقفه مبنيا على عطفه على بابك او ميله نحوه بل العكس فانه كان صارما مع بابك حتى انه عرض عليه مرة الامان فطلب بابك ان يمهله يوما واحدا فرفض الافشين واصر عليه الآن والا فـــلا (٢٥٢) ٠

لقد كان لتلك الخطيئة التي ارتكبها بعض الخرمية بفتحهم باب القلعة ومهاجمتهم مؤخرة جيش جعفر ، اثرها فقد اطلعت الافشين على كثير من الاسرار الخطيرة ومهدت السبيل لاحتلال البذ فيما بعد ٠

(٢٥١) ن٠م٠ ، ص ١٢٠٦ ـ ٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ٥ ص ٢٤١ ٠

(٢٥٢) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ص ٢٠٠ ٠

احتلال البذ :

الزحف الاول :

بعد ان اطلع الافشين على مكامن الخرمية واجرى تطبيقات كثيرة على عبور الوادي الفاصل بينه وبين البذ وتعرفت فصائل جيشه ووحداته على مواقعها وكيفية عبورها وعودتها والواجبات الملقاة عليها ، استراح في معسكره عند روذ الروذ في انتظار ذوبان الثلوج ، غير ان المتطوعة ، وهم جند غير نظاميين برموا من الانتظار والابتعاد عن المغانم ، فضجوا بالشكوى وحتى التطاول ، فزجرهم الافشين قائلا : « من صبر منكم فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام » (٢٥٤) ٠ فاتهموا الافشين بأنه يشتهي المماطلة ، ولكن الافشين لم يعر لهم اذنا صاغية ولم يلتفت لتلك الاحتجاجات والاقاويل بل صمم على انتظار اليوم الذي استعد له فلما قرب الموعد المحدد جهز جيشه بكامل عدته وسلاحه ومؤونته وما يحتاج اليه من ادوات الحفر والهدم والحريق كالعرادات والمجانيق والنفط والسلالم والفؤوس والمعاول وادوات تطبيب الجرحى والاغذية ٠ وزحف الجيش نحو البذ تاركا بخاراخذاه محتلا موقعه المعين ، وعبرت الجيوش الثلاثة باتجاهاتها المعينة بعد ان ابلغ جعفر بأنه مفوض بأن يأخذ ما يشاء من الجند وان بقية الجيش الذي سيمكث مع الافشين على الجانب الثاني من الوادي سيكون احتياطيا له وهكذا ابقى جيش ابي سعيد وجيش احمد الخليل على اهبة الاستعداد للنجدة كما وابلغ ابا دلف بأن على المتطوعة الذين هم اضعف جيش الافشين ان يحاربوا في اخف المناطق عليهم ٠ فلما بدأ الزحف وسارت الجيوش العباسية متجهة نحو باب القلعة لاقت مقاومة عنيفة من الجيش الذي كان يقوده آذين ، وقد استخدم الخرميون كل ما امكنهم استخدامه للدفاع ، ولكن مقاومتهم لم تمنع المسلمين من ادراك باب القلعة كما وادرك قسم من الكلغرية والمتطوعة السور ، ولكن الخرميين الذين في الداخل خرجوا من باب القلعة وازاحوا الجند المهاجمين وصدوهم، فتراجع المسلمون وقد أثخنوا بالجراح وعادوا الى معسكرهم في روذ الروذ ٠

(٢٥٣) الاسبوع الاول من شهر رمضان سنة ٢٢٢ هـ٠ الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١١٩٧ ٠

(٢٥٤) ن٠م٠ ، ص ١٢٠٩ ٠

(٢٥٥) ن٠ م٠ ، ص ١٢١٤ ، وجاء في الموسوعة الاسلامية (باللغة الالمانية) : « وبعد محاولات غير موفقة في احتلال البذ من قبل قوات المتطوعة من البصرة جاءت القوات الفرغانية واحتلت مدينة البذ وأبيحت ونهبت » ، م١ ص ٥٦٩ ، والملاحظ ان القوات المهاجمة في الزحف الاول لم تكن من المتطوعة فقط ٠

الـزحف النهائي :

بعد اسبوعين من الحملة الفاشلة (٢٥٥) عاود الافشين الزحف ثانية على البذ ، غير انه فكر هذه المرة في التغلب السريع على مقاومة الجيش الذي يحمي الطريق المؤدي من الوادي الى باب القلعة والذي يقوده آذين ، لهذا وضع خطة محكمة للاجهاز على هذا الجيش فأرسل عند الغروب جندا من الناشبة يقدرهم الطبري بألف (٢٥٦) معهم اعلام سود وزودهم بالغذاء وكلف الادلاء ان يدوروا بهم من الجهة الثانية وان يصعدوا بهم الى اعالي الجبل الذي يشرف على موقع جيش آذين وطلب منهم ان ينحدروا ظهرا بعدما يرون اعلام العباسيين زاحفة على الخرميين ، وعند هبوطهم علـى جيش آذين عليهم ان يرموهم بالنشاب والصخور وهم رافعون الاعلام العباسية السوداء (٢٥٧) . كما وامر الافشين بشيرا التركي وبعض قواد الفراغنة ان يكمنوا في الوادي الذي يقع اسفل جيش آذين (٢٥٨) ليحولوا بين الكمائن التي وضعها بابك في اسفل الوادي من الهجـوم المباغت عـلى جيش المسلمين ، وليعزلوا هذه الكمائن ويمنعوها مـن مساعدة جيش آذين عند الحاجة ، فسار بشير والفراغنة ليلا وكمنوا في مواقعهم من الوادي ٠

وفي نهار اليوم التالي (٢٥٩) لذلك التهيؤ الذي جرى ليلا (٢٦٠) زحفت جنـود الافشين على غير تعبئتها المعهودة ، فقد عبر الوادي ولاول مرة بخاراخذاه مـع جنده وساروا في المقدمة مع جعفر الخياط الذي سار معه ايضا ابو سعيد واحمد الخليل ، وبذلك يكون الافشين قد قام بمحاولة انتحارية لفتح البذ ، حيث رمى في جبهة القتال كل جيشه وقواه الاحتياطية والجيش الذي يحمي مؤخرته ٠ ويظهر لنا بأنه لم يقـم بتلك المجازفة الا نتيجة اعتقاده بأنه لا يستطيع فتح البذ ما لم يحطم الجيش المدافع خارج اسوار القلعة ، ولا يتم تحطيم هذا الجيش الذي يقوده آذين الا بعزله وارباكه بالهجوم الصاعق عليه من الاعلى والاسفل والامام ، وهذا يتطلب منه زج كل قواه ٠ وبالفعل فقد ارتبكت صفوف ذلك الجيش حيث هوجم من اماكن لم يكن ليتوقعها، كما وشلت كمائن بابك من القيام بما اسند اليها من مهام ، حيث واجهت بشيرا التركي مع الفراغنة ٠

وقد لجأ الخرميون الى كل ما ادخروه لاجل دفاعهم فاستخدموا حتى الاكداس الهائلة من الحجارة اهيلت على جند الافشين ، ولكن دون جـدوى ، فهـي وان اخرت الجند قليلا عن زحفهم ، ولكنهم استمروا في زحفهم وادركوا السور والباب ، ولما

---

(٢٥٦) تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٢١٤ ٠

(٢٥٧) ن٠م٠ ، ص ١٢١٤ ٠

(٢٥٨) ن٠م٠ ، ص ١٢١٥ ٠

(٢٥٩) يوم الجمعة، الطبري « يوم الجمعة لعشر بقين منشهر رمضان فيهذهالسنة (٢٢٢ هـ) »، تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١١٩٧ ٠

شاهد بابك احاطة الجند بقلعته وضعف مقاومة جماعته تسلل من ناحية مـــع نفر من رجاله قاصدا الافشين للتفاوض معه على الصلح وطلب الامان ، فترك جيشه يحارب ويقاوم وذهب هو الى الوادي ووقف قبالة الافشين طالبا الصلح والامان ، ويشير الى ذلك اليعقوبي « وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون من شهر رمضان سنة ٢٢٢ فأرسل اليه بابك يسأله ان يكلمه فوافقه وبينهما نهر فعرض عليه الافشين الامان فسأله ان يؤخره يومه ذلك فقال له انما تريد ان تحصن مدينتك فان اردت الامان فاقطع الوادي فانصرف واشتدت الحرب ودخل المسلمون مدينة البذ » (٢٦١) . لقد طلب بابك ان يمهل ليتجهز هو وعياله ويغادر المنطقة وكاد الامر ان يتم غير ان الافشين قد ابلغ بأن الفراغنة قد دخلوا البذ وان اعلامهم ترفرف على قصور بابك فعند ذلك هرول الافشين وهو يدعو الناس الى الزحف والاجهاز على البقية وسارع الافشين ليشرف مع جماعته على نهاية البذ . ولدينا صورة اخرى للمقابلة التي تمت بين بابك والافشين وهي اكثر تفصيلا ، ويرويها الطبري « فقال بابك اريد الامان من امير المؤمنين فقال له الافشين قد عرضت عليك هذا وهو لك مبذول متى شئت فقال قد شئت الآن على ان تؤجلني اجلا احمل فيه عيالي واتجهز فقال له الافشين قد والله نصحتك غير مرة فلم تقبل نصيحتي وانا انصحك الساعة خروجك اليوم في الامان خير من غد قال قد قبلت ايها الامير وانا على ذلك فقال له الافشين فابعث بالرهائن الذين كنت سألت قال نعم اما فلان وفلان فهم على ذلك التل فمر اصحابك بالتوقف قال فجاء رسول الافشين ليرد الناس فقيل له ان اعلام الفراغنة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس فدخل ودخلوا وصعد الناس بالاعلام فوق قصور بابك » (٢٦٢) . ومن النص الذي اوردناه عن الطبري يتضح بأن مفاوضات الصلح قد جرت مرارا وكانت هذه هي المرة الاخيرة ويمكن اعتبار المطاعن التي وجهت الى الافشين بأنه يتصل به سرا بنيت علـــى اســاس هـــذه المفاوضات ، والمفاوضات من الامور الطبيعية بين الاطراف المتخاصمة ، ولكن المؤرخين استغلوها مجالا للطعن كما شاهدنا البغدادي ويشير اليها نظام الملك ايضا (٢٦٣) . لقد سارع الافشين للاشراف بنفسه على نهاية البذ وكان في المدينة بقية من جند يعدهم الطبري ستمائة رجل « وكان قد كمن في قصوره وهي اربعـــة ستمائة رجل » (٢٦٤) ، ولكـن صاحب العيون والحدائق يعدهم اربعة آلاف وستمائة « وكان بابك قد كمن في قصوره

(٢٦٠) يوم الخميس ، اليعقوبي « من شهر رمضان سنة ٢٢٢ » ، التاريخ جـ٣ ص ٢٠٠ .

(٢٦١) ن٠م٠ ، ص ٢٠٠ .

(٢٦٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢١٧ ـ ٨ ، انظر العيون والحدائق ، ص ٢٠ـ٢١ .

(٢٦٣) سياست نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٩٣ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٦ حيث يشير الى وجود اتفاق سري بين بابك والافشين .

(٢٦٤) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢١٨ .

اربعة آلاف وستمائة رجل واشتبك الناس وخرج هؤلاء الكمناء من القصور » (٢٦٥) ، ولا شك بأنه نتيجة التحريف ارتفع العدد الى اربعة آلاف وستمائة لدى صاحب العيون والحدائق · لقد أبى هؤلاء الجند ان يستسلموا فأمر الافشين النفاطين بتوجيه النيران عليهم فوجهت عليهم النيران واحرقوا واهيلت عليهم الدور (٢٦٦) ، وأسر بعض من عثر عليه من عائلة بابك ، اما بابك نفسه فقد استطاع الافلات الى واد يتجه الى هشتادسر ، ولم يمكث الافشين في المدينة المغتصبة وانما قفل بجيشه الى معسكره في روذ الروذ ، ولهذا استطاع بابك والذين معه ان يعودوا الى مدينتهم علهم يعثرون على ما تبقى من مال وطعام ، فاستطاعوا الحصول على ما يبغون ، وهربوا الى الوادي المطل على هشتادسر ، ثم تعرضت المدينة في اليوم الثاني الى تفتيش دقيق عمن بقي من الاحياء فيها فلم يجدوا احدا فيها ، فأمر الافشين الكلغرية بتهديم القصور وحرقها ، وجرى ذلك لثلاثة ايام على التوالي ، ويقول الطبري ولم يدع فيها بيتا ولا قصرا الا احرقه وهدمه (٢٦٧) ، وجاء في العيون « ولم يزل الافشين يهدم ويحرق ثلاثة ايام ورجع وقد افلت بابك في بعض اصحابه ··· » (٢٦٨)· ولقد تم تحرير الاسرى المسلمين الذين كانوا في البذ ، يعدهم اليعقوبي « واخرج من كان بالبذ من اسارى المسلمين فكانوا سبعة آلاف وستمائة » (٢٦٩) ، والطبري وان اتفق مع اليعقوبي في العدد الا انه ذكر الرواية بصيغة اخرى « واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات واولادهم سبعة آلاف وستمائة انسان » (٢٧٠) · ولقد تم اسر (٣٣١٩) شخصا (٢٧١) من الخرمية ، ويدخل في هذا العدد بابك وعائلته ·

تتفق غالبية المصادر على ان سقوط البذ قد تم يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٢٢٢هـ الا ان تلك المصادر لا تتفق على تاريخ اليوم ، فاليعقوبي يعتبره يوم (١٠ رمضان) وذلك عندما ارخ يوم الهجوم العام السابق للسقوط يوم الخميس فيقول « وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون (مضين) من شهر رمضان سنة ٢٢٢ » (٢٧٢) ، واما الطبري فيذكر يوم الجمعة السابق لنهاية شهر رمضان بعشرة ايام « وفي هذه السنة (٢٧٣) فتحت البذ مدينة بابك ودخلها المسلمون واستباحوها وذلك في يوم الجمعة لعشر

---

(٢٦٥) العيون والحدائق ، ص ٢٠ـ١ ·
(٢٦٦) ن·م· ، ص ٢١ ·
(٢٦٧) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢١٩ ·
(٢٦٨) ص ٢١ ·
(٢٦٩) التاريخ ، جـ٣ ص ٢٠٠ ·
(٢٧٠) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢٣٣ ·
(٢٧١) ن·م· ، ص ١٢٣٣ ·
(٢٧٢) التاريخ ، جـ٣ ص ٢٠٠ ·

بقين من شهر رمضان في هذه السنة » (٢٧٣) ٠ ولما كان الشهر العربي بين ٢٨ يوما و ٣٠ يوما فيحتمل ان يكون تاريخ الاستيلاء ، وحسب رواية الطبري هذه ، يوم ١٨ رمضان او ١٩ رمضان او ٢٠ رمضان ٠ اما المسعودي فانه لا يذكر اليوم ولا التاريخ ولا يحدد الشهر وانما جعله بين رمضان وشوال « وكان الفتح وأسر بابك في شهر رمضان وقيل شوال سنة ٢٢٢هـ » (٢٧٤) ويكرر ابو الفداء رواية الطبري « وافتتح الافشين البذ مدينة بابك واستباح ما فيها وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان » (٢٧٥) ٠ ونتيجة لاختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ سقوط البذ فان المراجع الحديثة « اختلفت ايضا في تحديد تاريخ الاستيلاء على مدينة البذ ، ففي الموسوعة الاسلامية (بالالمانية) نجد تحديد التاريخ بـ ١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٦ نيسان ٨٣٧م (٢٧٦) ، بينما حدد في الموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) بـ ٩ رمضان سنة ٢٢٢هـ / ١٥ آب ٨٣٧م (٢٧٧) ، وقد اكتفى كل من تاريخ ايران (٢٧٨) وتاريخ آذربيجان (٢٧٩) بذكر شهر آب ٨٣٧م لتحديد تاريخ سقوط البذ ٠ ونجد الدوري يأخذ بروايتي اليعقوبي والطبري رغم التفاوت بينهما « واخيرا كان الزحف العام على البذ يوم الخميس ٩ رمضان سنة ٢٢٢ وفتحت المدينة ودخلها المسلمون لعشر بقين من رمضان » (٢٨٠) ، بينما نجد يامبولسكي حدد تاريخ الاستيلاء على البذ بـ ١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٤ آب ٨٣٧م (٢٨١) وقد حدد بونيياتوف تاريخ الاستيلاء على البذ بـ ٢٠ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٦ آب ٨٣٧م (٢٨٢) ٠

ان رواية اليعقوبي لا يمكن اعتمادها لان يوم الخميس من شهر رمضان ٢٢٢هـ لا

....

(٢٧٣) تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١١٩٧ ٠

(٢٧٤) التنبيه والاشراف ص ٣٥٣ ٠

(٢٧٥) البداية والنهاية ، ج١٠ ص ٢٨٣ ٠

(٢٧٦) م١ ص ٥٦٩ ٠

(٢٧٧) م١ ص ٨٤٤ ٠

(٢٧٨) ص ١٠٩ ٠

(٢٧٩) م١ ص ١٢٤ ٠

(٢٨٠) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٨ ٠

(٢٨١) وهو بهذا يطابق الطبري في اليوم الذي حدده لسقوط البذ ، انتفاضة بابك ، ص ٣٤ ٠

(٢٨٢) مقاله عن موقع مدينة وقلعة البذ ، مجلة المجمع العلمي الآذربيجاني ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٩ ، ص ٢٠ ، وهو محق باعتبار رمضان ٣٠ يوما فعند طرح ١٠ يكون الاحد المصادف ٢٦ آب ، أنظر كتابه ، اذربيجان ، ص ٢٦٣ ، وهنا اكتفى بـ ٢٦ اب ٨٣٧ م ولم يشر الى التاريخ الهجري ٠

(٢٨٣) أخذ بهذه الرواية الدوري والموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) ٠

يصادف ٩ رمضان / ١٥ آب (٢٨٤) وانما يصادف ١٠ رمضان / ١٦ آب حسب جداول يوسف اوربلي (٢٨٤) وان اليعقوبي لا بد وانه يعني الخميس السابق ليوم الجمعة (يوم الفتح) ٠ واذا رجعنا الى جداول اوربلي لوجدنا ان شهر رمضان سنة ٢٢٢هـ يبدأ يوم الثلاثاء المصادف ٧ آب ٨٣٧م وينتهي في يوم الاربعاء ٣٠ رمضان (٢٨٥) المصادف ٥ ايلول ٨٣٢٧م ، وعلى هذا الاساس فان يوم ٢٠ رمضان هو يوم الاحد المصادف ٢٦ آب وهذا ما اخذ به بونيياتوف معتمدا على قول الطبري (لعشر بقين من رمضان) ولكن الطبري ذكر يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، فاذا رجعنا الى الجداول وجدنا ان الجمعة تصادف يوم ١٨ رمضان ٢٤ آب وهذا ما اخذ به يامبولسكي معتمدا رواية الطبري ايضا ومعتبرا كالطبري شهر رمضان في ذلك العام ٢٨ يوما وليس ٣٠ يوما ٠ ان قول الطبري يوم الجمعة لا يحتمل الشك ، ولما كان الطبري ـ حسب اعتقادنا ـ يعلم ان يوم السقوط هو ١٨ رمضان ، لهذا قال لعشر بقين من رمضان ظنا منه ان رمضان ٢٨ يوما ٠ والصواب ان يقول في يوم الجمعة لاثني عشر يوما بقين من رمضان ٠ وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار يوم الجمعة ١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٤ آب ٨٣٧م تاريخ سقوط قلعة ومدينة البذ على يد الافشين ٠

(٢٨٤) جداول لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٥١ ٠

(٢٨٥) انظر جدول شهر رمضان لسنة ٢٢٢ ومطابقته لاشهر سنة ٨٣٧م في الملحق رقم ـ د ـ ٠

الفصل الخامس

حياة بابك وآثار الانتفاضة
ثبت بأسماء المصادر

من القضايا المعقدة في تاريخ الحركة البابكية معرفة حياة قائدها بابك من حيث مولده ونشأته واصله واهله والقادة الذين عمل معهم ، فالآراء متضاربة والاقوال فيها اختلافات واسعة نتيجة تحامل المؤرخين على الحركة ووصمهم اياها بكل ما هو شنيع، ولان بابك ولد في وسط معدم لا يأبه افراده بتاريخ ولادة اطفالهم · واقدم رواية كتبت عن بابك هي المنسوبة الى واقد بن عمرو التميمي (١) حيث اشار اليها ابن النديم « وعمل اخبار بابك » (٢) ، غير ان هذا المؤلف لم يصل الينا مع الاسف ·

يرجع الدينوري اصل بابك الى ابي مسلم الخراساني حيث كتب عنه : « وقد اختلف الناس في نسبه ومذهبه والذي صح عندنا وثبت انه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت ابي مسلم هذه التي ينتسب اليها الفاطمية من الخرمية » (٣) ، اما الطبري فلا يشير الى هذا النسب بل يعتبر بابك من اصل وضيع حيث ينقل رواية مصدرها محمد بن عمران كاتب علي بن مر يقول فيها ان عليا بن مر حدث كاتبه محمدا بأن رجلا من الصعاليك يقال له مطر قال له (اي لعلي بن مر) : « كان والله يا ابا الحسن (يعني عليا ابن مر) بابك ابني قلت : وكيف ؟ قال كنا مع ابن الرواد وكانت امه (برومید) (٤) العوراء من علوج (فلاحين) ابن الرواد فكنت انزل عليها وكانت مصكة فكانت تخدمني وتغسل ثيابي فنظرت اليها يوما فواثبتها بشبق السفر وطول الغربة فأقررته في رحمها ثم قال غبنا غيبة بعد ذلك ثم قدمنا فاذا هي تطلق فنزلت في منزل آخر فصارت الي يوما فقالت : حين ملأت بطني تنزل ههنا وتتركني فأذاعت انه مني فقلت والله لئن ذكرتني لاقتلنك فأمسكت عني فهو والله ابني » (٥) · اما ابن النديم ، الذي اعتمد رواية واقد

---

(١) الفهرست ، صفحة ٤٩٤ ·
(٢) المرجع نفسه ، صفحة ٤٩٤ ·
(٣) الأخبار الطوال ، صفحة ٣٣٨ ·
(٤) جاء في الهامش «يومئذ» · والكلمة غير واضحة ولا بد انها اسم أم بابك ، تاريخ الرسل ، المجلد ٣ الجزء ٢ الصفحة ١٢٣٢ ، يسميها بونياتوف (بارومند) تاريخ اذربيجان ، صفحة ٢٣٧ ·
(٥) م٣ ج ٢ الصفحة ١٢٣٢ ·

فيما كتبه عن بابك ، وعن الفهرست تناقلت المصادر (٦) والمراجع (٧) اخبـار بابك ، يذكر في الفهرست : قال واقد (وكان ابوه رجلا من اهل المدائن ـ دهانا ـ نزع الى ثغر اذربيجان فسكن قرية تدعى بلال آباذ من رستاق ميمد ٠ وكان يحمل دهنه في وعاء على ظهره ويطوف في قرى الرستاق فهوى امرأة عوراء وهي ام بابك ٠ وكان يفجر بها برهة من دهره فينما هي وهو منتبذان عن القرية ، متوحدان في غيضة ومعهم شراب يعتكفان عليه اذ خرج من القرية نسوة يسقين الماء من عين الغيضة فسمعن صوتا نبطيا يترنم به ٠ فقصدن اليه فهجمن عليهما ٠ فهرب عبد الله واخذن بشعر ام بابك وجئن بها الى القرية وفضحنها فيها٠ قال واقد : ثم ان ذلك الدهان رغب الى ابيها فزوجه منها فأولدها بابكا ثم خرج في بعض سفراته الى جبل سبلان واعترضه من استقفاه وجرحه فقتله فمات بعد مديدة » (٨) ، واخذ بهذه الرواية مع الايجاز والتحوير من تلا ابن النديم من المؤرخين والمؤلفين ، فالمقدسي كتب عن اصل بابك « ذكروا انه كان لغير رشدة وان امه كانت امرأة عوراء فقيرة من قرى اذربيجان فشغف بها رجل من نبط السواد يقال لـه عبد الله فحملت منه وقتل الرجل وبابك حمل » (٩) ، ويقول ابن الجوزي عنه « واصله انه ولد زنا » (١٠) ٠ وقد ذكر المؤرخ فاردان « رجل من الفـرس المسمى بـاب (١١) الخارج من بغداد ٠٠ » (١٢) وينسبه المؤرخ السرياني ميخائيل الى ابي مسلم « وان اتباعه اعتبروه كملك وينتظرونه وهذا يعني انه المهـدي المنسوب الـى ابـي مسلم الخراساني » (١٣) ٠ وكتب تومارا عن بابك « من الممكن انه ولد ٧٩٨ ـ ٨٠٠ واسم ابيه كان عبد الله ٠ كان عبد الله نبطيا من المدائن الاسم العربي الاصل عبد الله يشير الى انه كان مسلما ٠ مات عبد الله تاركا زوجه وطفلين حسن وعبد الله الابن الاكبر

(٦) يشير فلوكل الى ان الشهرستاني أهمل ذكر بابك ـ مقالة بابك صفحة ٥٣١ ٠
(٧) اعتمد ، تومارا ، بابك صفحة ٣٣ ـ ٤، ورايت مجلة العـالم الاسلامي العدد ٣٨ لسنـة ١٩٤٨ ، صفحة ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، على رواية الفهرست ، ولقد وردت لدى الخضري مشوهة (نشأ بابك بن بهرام بقرية تدعى بلال آباد من رستاق ميمتد ثم اتصل بجاويدان ابن سهرك ملك جبال البد ورئيس من بها من الخرمية) ، تاريخ الامم الاسلامية ، ط ٩ ص ١٩٧ ، ولا نعلم من اين اتى باسم بهرام والدا لبابك ٠
(٨) الفهرست ، ص ٤٩٤ ٠
(٩) البدء والتاريخ ، جـ٦ ، ص ١١٤ ـ ٥ ٠
(١٠) نقد العلم والعلماء ، ص ١٠٠ ٠
(١١) يسميه المؤرخون السريان والارمن (باب ، وبابان) بدلا من بابك ٠
(١٢) بازمافيب ، صفحة من تاريخنا في القرون الوسطى ، ص ١٥ ٠
(١٣) ن٠م٠ ، ص ١٤ـ٥ ، أنظر ذلك لدى المؤرخ ابن العبري (بار ـ أبراوس) ن٠م٠، ص ٧٣، أنظر ليو ، تاريخ أرمينيا ، م٢ ص ٤٢٧ ٠

حسن سمي بعدئذ بالتسمية الايرانية بابك » (١٤) ، ويذكر عنــــه مارغليوث (وتاريخه الخاص كتب بواسطة واقد بن عمرو التميمي الذي لوحظ في الفهرست ، وقـــد ترجم بواسطة فلوكن في ZDMGXXIII ٠ هذا الكتاب يتفق مع الطبري الذي يعتبره خلفا لجاويدان ٠ البغدادي (الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٢) يؤكد ان اتباع بابك يجعلون مؤسس دينهم اميرهم الذي عاش قبل الاسلام المدعو شارون Sharwin الـــذي كان ابوه زندي Zandi (١٥) ٠ بينما والدته كانت ابنة ملك فارسي ٠ وهذا يظهرشكلا آخر لقصة ابن اسفنديار (ترجمة بروان ص ٢٢٧) ذلك ان شارون من بيوتات بــــاو Baw (الذي يسمى في الطبري شارون بن سورخاب بن باب Bab) على انه اول شخص يلقب بملك الجبال) (١٦) ٠ ويعتمد رايت روايـــة ابـــن النديـــم وينقلها بحذافيرها (١٧) ٠ ويذكر بونيياتوف (خلال عام توفي عبد الله فانتقلت برومند مع ابنها بابك الى سراب » (١٨) ٠

امامنا اذن ثلاث روايات حول اصل ومنشأ بابك ٠ اولها رواية ترجع اصله الى ابي مسلم الخراساني وهذه الرواية التي اول من ذكرها الدينوري ، الذي لم يحاول المس بسمعة بابك وطعن نسبه بالرغم من اطلاعه على مختلف الروايات التي طعنت بابك، ان هذه الرواية تستند على الآراء التي تعزو ظهور الخرمية الى مقتل ابي مسلم وظهور حفيده كمطالب بالثأر لجده ، وقد اشرنا سابقا الى ضعف الآراء وبينا ان الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية وسابقة لعهد ابي مسلم ٠ ورغم تأكيد الدينوري (والذي صح عندنا وثبت) على صحة روايته فانه ، كما يرى ، يصعب الاخذ بها ٠ وقد ردد هذه الرواية بشكل او آخر المؤرخون السريان والارمن فهم يذكرون مـــؤسس الخـــرمية جاويتان (جاويدان) ثم هارون ثم المهدي ، والذي هو بابان (بابك) ، وهذا الخلط العجيب تجده ايضا لدى الكاتب الارمني المعاصر ليو (١٩) ٠ والرواية الثانية تجعل بابك ابنا غيــر

(١٤) بابك ، ص ٣٣ـ٤ ٠ بينما تشير غالبية المصادر الى ان عبد الله خلف وراءه زوجتهوطفلا واحدا وليس طفلين ٠

(١٥) هكذا وردت لديه ٠ أما لدى البغدادي فقد وردت كالآتي (والبـــابكية ينسبون أصل دينهم الى أمير كان لهم في الجاهلية أسمه شروين ، ويزعمون ان اباه كان من الزنج ، وأمـــه بعض بنات ملوك الفرس) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، فهنـــا وردت الزنج بينمـــا وردت لدى مارغليوث زندي Zandi وهناك فرق كبير ولا شك بينهما ٠

(١٦) الموسوعة الاسلامية المختصرة ، ص ٢٥٨ ٠

(١٧) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ٠

(١٨) آذربيجان ، ص ٢٣٦ـ٧، وقد أشار الى اختلاف المؤرخين في تسمية والد بابك ٠

(١٩) لاحظ أقوال فاردان ص ١٤ وميخائيل ص ١٤ـ١٥ (وبار ـ أبـــراوس) ص ٧٣ في كتاب بازمافيب ، صفحة من تاريخنا في القرون الوسطى ، باللغة الارمنيـــة ، أنظر أيضا ليو، تاريخ أرمينيا ، م٢ ص٤٢٦ـ٧ ٠

شرعي لصعلوك اسمه مطر وقد ظل هذا الاب منكرا لابنه حتى ذاع صيته (بابك) فأسر هذا الصعلوك يوما عليا بن مر بأن بابك ابنه · هذه الرواية التي اوردها الطبري يتضح فيها طابع الاختلاق والطعن ويصعب الاخذ بها لان المصادر الباقية تشير الى ان والد بابك (والذي هو من العراق) توفي بعد زواجه من ام ابنه بابك وبعد ولادته بمدة قصيرة ، اثر طعنة قاتلة · فالطبري لم يذكر موطن هذا الصعلوك وقد اعتبره حيا حتى ذاع اسم بابك ، بينما نجد المقدسي الذي اعتمد روايتي الطبري وابن النديم حدد موطن الرجل واشار الى مصرعه وذكر ان ذلك حدث قبل ولادة بابك ، ويشير المؤرخون الى ان عبد الله (نبطيا او ايرانيا ، من أهل العراق) وتجد ترديد اسم عبد الله وموطنه العراق في الادبيات المعاصرة ، ويثار هنا سؤال وهو : كيف يصح ان يكون اسم والد بابك عبد الله واسم أخيه الذي أسر معه عبد الله ؟ ألا يكون ذلك تناقضا او اضطرابا في المصادر؟ اعتقد انه من الميسور افتراض زواج ام بابك برجل ثان بعد مصرع زوجها الاول الذي ترك لها طفلا واحدا هو الحسن (بابك فيما بعد) ومن الزوج الثاني خلفت الآخرين حيث هناك عبد الله ومعاوية · ان تسمية الطبري لوالد بابك بمطر لا تعطي مسوغا لقبول روايته على انها أقرب للقبول على أساس ان رواية الفهرست التي تذكر اسم والد بابك عبد الله تناقض تسمية أخيه عبد الله ·

أما الرواية الثالثة فتجعل بابكا اليتيم الابن الوحيد الشرعي لكاسب عراقي اسمه عبد الله · وهذه الرواية التي ينقلها ابن النديم عن واقد بالرغم من التشويش والطعن والمس بسمعة بابك فانها كما يرى اكثر الروايات قبولا لا لان الكثير من المصادر والمراجع اعتمدتها ولكنها تحوي وقائع اكثر احتمالا للصدق من الروايتين الاخريتين · اما أم بابك فلا تختلف الروايات علىكونها امرأة فقيرة من فلاحات آذربيجان يسميها الطبري (بروميد) وتذكر المصادر على أنها عوراء فقيرة امتهنت حرفا عديدة كمرضعة وغسالة وخادمة لتربي ابنها اليتيم حسن (بابك فيما بعد) · يمكننا ان نتوصل على ضوء المصادر العربية بأن بابك الخرّمي عراقي الاصل (من ناحية أبيه) أذربيجاني المولد والمنشأ وانه تربى ونشأ في أحضان الفقر وذاق مرارة العوز والفاقة وانحدر من فئة الكسبة وعاش وسط الفلاحين ، لهذا كان متفهما وشاعرا بأحاسيس ومشاكل مجتمعه ، أما عن أصله فالآراء متضاربة أيضا فهل هو من أصل عربي أم من النبط أم من الايرانيين الساكنين في العراق أم آذربيجاني ؟ أكثرية المصادر تشير الى ان والده من نبط العراق أو من نبط السواد أو المدائن ، الا ان الطبري لم يحدد أصله واكتفى الفهرست بقوله بأنه من أهل المدائن ، وهنا لا يمكن تحديد أصله ، لأن في المدائن كان يعيش السكان الاصليون (النبط) والايرانيون والعرب · أما الدينوري فيشير الى ان أصله من الايرانيين وهذه الرواية ضعيفة كما قلنا · وحتى يتم العثور على ما كتبه واقد التميمي ، والذي فصل فيه أخبار بابك كما يظهر من أقوال ابن النديم ، وعلى ما يعثر عليه من أخبار فيصفحات

مطوية ، فانه من الصعوبة تحديد اصل بابك (عنصره) على ضوء ما لدينا من مصادر، اما اعتباره اذربيجانيا من ناحية الام ، فان ذلك راجع لجهل المصادر لاصل والد بابك لان العادة الجارية ان ينسب الولد الى أصل والده ولا ينظر الى أمه فأولاد الاماء اعتبروا عربا ولو ان امهاتهم اجنبيات حتى لدى الامويين المتعصبين، لان آباء هؤلاء من العرب . ولكن لا يعني هذا اننا لا نعتبر بابك آذربيجانيا من حيث الموطن والوسط الذي عاش فيه ، فهو قد عاش وسط المجتمع الاذربيجاني وكان يمت لهم بصلة من ناحية أمه ويشعر بشعور وأحاسيس الشعب الآذربيجاني ولا يستبعد ان والدته قد أطلعته على اصل والده وموطنه الاصلي غير ان ذلك لميخلقلديه شعورا وتحسسا نحو اصل وموطن والده كالشعور والتحسس الذي تولد لديه نحو موطنه وابناء الشعب الاذربيجاني .

واما محل ولادة وسكنى بابك فالاراء متضاربة أيضا اذا لم يحدد محل سكنى والدة بابك وان اتفق الجميع على انها من اذربيجان ، فابن النديم ينفرد بتحديد سكناها في قرية بلال آباذ في رستاق ميمد بينما يعتبرها الطبري من سكان منطقة تبريز ، لأنه ذكر بأنها كانت من علوج ابن الرواد ، وابن الرواد كان ينزل تبريز كما يذكر البلاذري (واما تبريز فنزلها الرواد الأزدي ثم الوجناء بن الرواد وبنى بها وأخوته بناء وحصنها بسور فنزلها الناس معه) (٢٠) . ولهذا لا يمكن تحديد المكان الذي قضى فيه بابك طفولته وردحا من شبابه وذلك لانه نشأ يتيما (٢١) معدما لا يعنى بمولده ومنشأه أحد. واما لغته فهي الآذرية ، يقول اليعقوبي : (وأهل مدن آذربيجان وكورها أخلاط من العجم الآذرية والجاودانية القدم أصحاب مدينة البذ التي كان فيها بابك ثم نزلتها العرب لما افتتحت..) (٢٢) ، واما ابن حوقل فلا يذكر الآذرية وانما يعد العربية والفارسية فقط من اللغات الموجودة في آذربيجان وأرمينيا (فأما لسان أهل آذربيجان وأكثر أهل أرمينية فالفارسية والعربية) (٢٣) ، ويشير ابن النديم الى ما يفهم منه بأن أم بابك كانت تفهم النبطية (لغة سكان العراق القدماء) (٢٤) ، ويذكر في مكان آخر (وناطقه « يشير الى اتصال جاويدان ببابك » فوجده على رداءة حاله وتعقد لسانه بالاعجمية فهما ورآه خبيثا ..) (٢٥) . وأما ياقوت الحموي فيقول عن أهل آذربيجان : (ولهم لغة يقال لها الآذرية لا يفهمها غيرهم) (٢٦) . ولقد أشار مينورسكي عند كلامه عن

---

(٢٠) فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ .

(٢١) يتيما حسب رواية ابن النديم والمقدسي ، وأما رواية الطبري فتعتبر بابك غير يتيم حيث ظل مطر والد بابك عائشا حتى عرف بابك ، وهذه الرواية ضعيفة كما قلنا .

(٢٢) البلدان ، ص ٢٧١ .

(٢٣) المسالك والممالك ، ص ٢٥٠ .

(٢٤) الفهرست ، ص ٤٩٤ .

(٢٥) ن.م. ، ص ٤٩٥ .

(٢٦) معجم البلدان ، ج١ ص ١٢٨ .

لغات ولهجات آذربيجان الى وجود الآذرية : (ويتكلمون العديد من اللهجات « آذرية تاليشي Talishi ») (٢٧) التي بقي قسم منها كجزر عائشة وسط متكلمي التركية، هذه هي القاعدة التي اعتمد عليها بابك في انتفاضته ضد الخلافة) (٢٨) ، اذن فلغة بابك الاصلية هي الآذرية ويعرف الفارسية والعربية ، ومعرفته للفارسية يمكن استخلاصها من رواية ابن النديم (وتعقد لسانه بالاعجمية) ، وأما معرفته للعربية فبحكم اشتغاله أثناء طفولته مع سادة عرب فقد عمل حسب رواية واقد مع (الشبل بن المذقى الآزدي برستاق سراة) (٢٩) ، واشتغل مع محمد بن الرواد الازدي نحو سنتين في تبريز (٣٠) ، لقد قضى بابك طفولته وردحا من شبابه في أعمال جسمانية مرهقة بعيدا عن والدته ثم عاد اليها وسكن معها بعد بلوغه الثامنة عشرة من عمره ثم التحق بجماعة جاويدان الخرمية ٠ اما ديانته فقد كان مسلما قبل ان ينضم الى الخرمية حيث تخلى تدريجيا عن الاسلام ٠

اتصال بابك بالقادة الخرّميين :

تشير المصادر الى وجود خصومات فردية بين قادة الخرمية السابقين لرئاسة بابك ، وكان للضربة القوية التي وجهت للخرميين أيام هارون الرشيد من أثر في تفكك وحدة الخرميين وضعفها ، وقد أشار ابن النديم الى ان جاويدان كان يحاذر من عقد اجتماع موسع للخرمية خشية شر العرب (٣١) ، فكانت الخرمية ضعيفة منقسمة الى جماعات حتى أخذنا نسمع وحسب أقوال المؤرخين الى وجود قائد باسم أبي عمران وآخر جاويدان وكانا متنازعين تقوم الحروب بينهما ، يقول ابن النديم حسب رواية واقد : (وكان بجبل البذ وما يليه من جباله رجلان من العلوج متحرمين (٣٢) ولهما جدة وثروة وكانا متشاجرين في التملك على من بجبال البذ من الخرمية ليتوحد احدهما بالرياسة يقال لأحدهما جاويدان بن سهرك والآخر غلبت عليه الكنية يعرف بأبي عمران

---

(٢٧) أشار مينورسكي في الهامش الى (الآن مثل هذه اللهجات عادة تسمى شمالية غربية ومن المحتمل انها تكمل التقاليد الميدية كمناهض للتقاليد (الجنوبية) الفارسية ، واعتمادا على ابن حوقل ٢٤٩ (باعتناء كريمر ج٢ ، ٣٤٧) فيما جاور جبل سبلان Sablan (سافالان Savalan) قرب أردبيل كل قرية امتلكت لهجة خاصة ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٢ ـ ٣ ٠

(٢٨) ن٠م٠ ، ص ١١٢ـ٣ ٠

(٢٩) الفهرست ، ص ٤٩٤ ٠

(٣٠) ن٠م٠، ص ٤٩٥ ٠

(٣١) ن٠م٠ ، ص ٤٩٦ ٠

(٣٢) يسمي ابن النديم الخرمية بحرمية (بالحاء دون الخاء) ولا بد ان ذلك تحريف للكلمة ٠

وكانت تقوم الحرب بينهما صيفا وتحول بينهما الثلوج في الشتاء لانسداد العقاب) (٣٣) فاذن كان هناك خصام وحروب مستمرة ويظهر ان هؤلاء كانوا منصرفين لاعمالهم وأشغالهم أكثر من انصرافهم لشؤون الانتفاضة الخرمية أو ان الاطماع الشخصية كانت طاغية لديهم بحيث دفعت بهم الى شن الحرب بعضهم ضد بعض ويتضح انصرافهم الى الاعمال الخاصة من ان جاويدان بن سهرك (حسب رواية ابن النديم (٣٤) أما الطبري فيسميه جاويذان بن سهل (٣٥) والمسعودي جاويذان بن شهرك (٣٦) وابن الاثير يسميه جاويدان بن سهل (٣٧)، وفي المصادر الارمنية (٣٨) والسريانية (٣٩) جاويتان بن سهل أو سحل) ذهب مرة الى زنجان ليبيع هناك ٢٠٠٠ شاة له ، وعند عودته تعرف على بابك ، وتصف الرواية العربية هذا اللقاء بأن جاويدان بعد ان عاد من زنجان مر ليلا بقرية أم بابك (كان بابك يبلغ الثامنة عشرة) (٤٠) فنزل مع غلمانه لديها فهيأت لهم بمساعدة بابك ما استطاعت تهيئته وقام بابك ، بنشاط ملحوظ ، في خدمة جاويدان فأعجب جاويدان به لذكائه وبراعته وعرض على والدة بابك موافقتها في استخدامه بمرتب قدره ٥٠ درهما شهريا (٤١) ، هكذا تصور الرواية العربية اتصال بابك بالخرمية صحيح ان بابك كان فقيرا معدما وكان مرغما على القيام بمختلف الاعمال لمساعدة والدته ومنها الخدمة لدى الاغنياء ولكن رواية اتصال بابك بالحركة الخرمية وبرئيسها جاويدان على تلك الصورة لا يمكن قبولها ، لأنه عقيب اتصال بابك بجاويدان تعرض الاخير لطعنة قاتلة في احدى حروبه مع أبي عمران (الذي قتل هو الآخر في تلك المعركة) وبعد وفاة القائد جاويدان انتخب الخرمية بابك رئيسا لهم ٠ فكيف يا ترى تيّسر للخرمية اكتشاف المواهب والميزات العظيمة لدى خادم يافع حديث العهد بخدمة رئيسهم ؟ لكي ينتخبوه خلفا لرئيسهم الراحل هل اجدبت الخرمية الى ذلك القدر وبحيث استعصى عليها ان تجد ضالتها المنشودة بين رجالها البارزين حتى راحت تفتش عن الخدم ؟ هنالك احتمالان للقضية اما ان بابك عمل في خدمة سيده مدة طويلة واكتسب احترام وثقة جاويدان وأهله والمقربين اليه ورؤساء الخرمية ، واما ان بابك عمل مع الخرمية كعضو بارز في الفرقة ساهم في فعالياتها بنشاط وتحمس مما جلب الانتباه اليه وكان في مركز أرفع من خادم ، وهذا الاحتمال الاخير هو المقبول بنظري لأن اتصال بابك (حسب الروايات) بخدمة جاويدان كان قصيرا لا يتيح الفرصة لكسب الثقة والاحترام لخادم يافع ولهذا يستبعد انتخاب الخرمية لخادم شاب مع احتمال وجود من

(٣٣) الفهرست ، ص٤٩٥ ٠

(٣٤) ن٠م٠ ، ص ٤٩٥ ٠

(٣٥) تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٠١٥ ٠

(٣٦) مروج الذهب ، ج٤ ص ٢٩ ٠

(٣٧) الكامل ، ج٥ ص ١٨٤ ٠

(٣٨) أنظر الهامش رقم ١٩ الفصل الرابع ٠

(٣٩) أنظر الهامش ١٩ الفصل الرابع ٠

(٤٠) وذلك سنة ٢٠١ هـ ٨١٦ م ٠

(٤١) الفهرست ، ص ٤٩٥ ٠

هم أعلى منه مركزا وشأنا، ومهما يعزو ابن النديم لزوجة جاويدان الشابة من دور في تفضيل بابك على غيره على اساس انه كان عشيقها ـ حسب مزاعمه من اجل الطعن وتشويه السمعة ـ فان ذلك لا يعطي مبررا لتخطي مساعدي جاويدان والرؤساء الذين كانوا يعملون معه وانتخاب غلام حديث العهد بخدمة رئيسهم ، اذن ، لا بد وان بابك قد انضم الى فرقة الخرمية كفرد مساهم في نشاطاتها وأعمالها (على ضعفها في ذلك الحين) تحت قيادة جاويدان وان الاخير وجد (أثناء الحروب وفي الحياة العامة) في الشاب المتحمس من القابلية والشخصية ما يؤهله لقيادة الفرقة ولا بد وانه أسرّ بذلك الى خلصائه ومن بينهم زوجته الشابة ، فلما مات من جرحه البليغ دعت زوجته الى انتخاب بابك حسب وصية زوجها الراحل ولاقت هذه الدعوة استحسان الجميع لما عهدوا في بابك من الأهلية لذلك ولما سبق وان سمعوه من رئيسهم جاويدان من اطراء لشجاعة واقدام وقابلية بابك للرئاسة ٠ قد يقال بأن في حروب القرون الوسطى كان العبيد والخدم يحاربون مع أسيادهم (٤٢) وهذا صحيح ولكن هذا لا يبرر سرعةانتخاب الخرّمية لخادم ، ان وصية جاويدان لانتخاب بابك من بعده لتنفي رواية استخدام جاويدان لبابك لان جاويدان وزوجته وبقية الخرمية لمسوا شدة بأس وجرأة واقدام بابك وحسن تصريفه للامور وهذه تلمس في الحروب والاعمال العامة وقلما تكتشف في الخدمات الخاصة التي يقدمها الخدم ٠

زوجات بابك :

ترد بين دفات المصادر أسماء أو ذكر لزوجات بابك، فالطبري يذكر عن هرب بابك: (فخرج هو وأخواه عبد الله ومعاوية وأمه وامرأة له يقال لها ابنة الكلندانية) ٤٣) ، ولدينا قصة واقد عن زواج بابك بأرملة رئيس الخرمية الشابة (٤٤)٠ فمن هاتين الروايتين يفهم على ان بابك باشر الحياة الزوجية بامرأة واحدة وانتهى ولديه زوجة واحدة ولكن هنالك روايات تفيد بوجود زوجات عديدات لدى بابك فهل كان يباشر تعدد الزوجات ؟ أم كان يعاشر زوجة واحدة ؟٠ الطبري يذكر ما يفهم منه وجود زوجات

(٤٢) هكذا كان المألوف حسب قوانين القرون الوسطى ، لاحظ اشارة ولهاوزن حول استخدام العرب للموالي ، الدولة العربية ، ص ٢٠٠ ٠

(٤٣) تاريخ الرسل ، م٢ ج٢ ص ١٢٢١ ، ويقول بونيياتوف (من الواضح ان ابنة الكلندانية ربما كانت ابنة فاساك أمير سونيك التي تزوجها بابك بعد مساعدته لفاساك ضد العرب، فبعد أن حطم بابك العرب في ٨١٨ م أخذ بابك ابنته (فاساك) ومد سلطته على هذه المنطقة (سونيك)٠ وهذه هي التي أغرته على الهرب عبر موطنها الى بلاد بيزنطة ، آذربيجان ، ص ٢٦٦ ، أنظر مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ٦٩ ٠

(٤٤) الفهرست ، ص ٤٩٦ ٠

عديدات عند تفسيره لقول سهل بن سنباط لبابك (وكل من ههنا (في أرمينيا) من البطارقة انما هم أهل بيتك قد صار لك منهم أولاد) (٤٥) فهو يفسر قول سهل هذا، هكذا : (وذلك ان بابك كان اذا علم ان عند بعض البطارقة ابنة أو أختا جميلة وجهاليها يطلبها فاذا بعث بها اليه والا بيته وأخذها وأخذ جميع ما له من متاع وغير ذلك وصار به الى بلده غصبا) (٤٦) ، ان تفسير الطبري لقول سهل بن سنباط يشم منه رائحة الطعن اذ لا يعقل زواج بابك من كل بنات أو أخوات البطارقة ورؤساء الارمن وانما أشار سهل الى زواج بابك من ابنة سافاك وبهذه الصورة اعتبره الارمن قريبا لهم ولربما كان لزواج بابك ببعض بنات وأخوات البطارقة في فترات متفاوتة خلال الاعوام العشرين وعلى انفراد وليس بصورة مجتمعة ٠ هذا التفسير من جانب الطبري قد أوحى للكثيرين بأن لدى بابك كان الكثير من الزوجات ، يذكر كورديان في (بازما فيب) عن زوجة بابك التي هربت معه (ومع واحدة من زوجاته الخالندانية « الكلندانية ») (٤٧) ويقول عنها أيضا : (لم يذكر ابن خلدون عنها أي شيء ولميسمها الطبري ٠ فمن كانت هي من بين زوجات بابك الكثيرات التي نالت ذلك الشرف ٠ ممكن التفكير بأن هذه الابنة الخلندانية (الكلندانية) يمكن أن تكون ابنة سافاك التي تزوجها بابك والتي أبدت مساعدتها لزوجها في انقاذه ٠٠) (٤٨)٠ لا يمكن التصديق بأن بابك قد جمع لديه ذلك الحشد من الزوجات كما يصوره الطبري في تفسيره لقول سهل، وذلك لان الخرميين كانوا يدعون الى الاكتفاء بأمرأة واحدة وذلك بموجب دعوتهم لاحترام مركز المرأة ، يقول تومارا : اننا لم نواجه مشاعية النساء طيلة تاريخ الحركة الخرمية بل على العكس شاهدنا حتى القادة كانت لكل واحد منهم زوجة واحدة) (٤٩) ، كما

(٤٥) تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٢٢٣ ٠

(٤٦) ن٠م٠ ، ص ١٢٢٣ ٠

(٤٧) مجلة بازمافيب ، بابك وسهل بن سنباط ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، ص ٩ ، هل هناك علاقة بين تسمية كورديان لآخر زوجات بابك بالخالندية وبين الدولة الكردية الخلدية (نسبة الى الههم القومي) والتي تعرف بالدولة الأراراتية (نسبة لموقعهم الجغرافي في منطقة أرارات ـ أراراتو) ايضا ، لا سيما وان اراضي الامير فاساكالذي تعاقد مع بابك في نفس منطقة الدولة الخلدية التي ظهرت في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد (٨٨٣ ق٠م ـ ٧١٤ ق٠م) التي عاصرت الدولة الاشورية من عهد الملك الاشوري آشور ناصربال الى الملك الاشوري سرجون الثاني الذي غزا الدولة الخلدية وقضى عليها الى الابد عام ٧١٤ ق٠م٠ فهل كان فاساك منحدرا من أسرة تمتد جذورها الى الخلديين الاكراد حتى يطلق على ابنته : ابنة الخالندانية ؟

(٤٨) ن٠م٠ ، ص ٢٠ ٠

(٤٩) وردت الكنات محرفة عند الخضري على شكل (الكتاب) ، تاريخ الأمم الاسلامية ، ط ٩ ص ١٩٩ ٠

وان الحوادث تشير الى ان بابك هرب مع زوجة واحدة وليس مع زوجات ، قد يقال بأنها المفضلة ولكن لمَ لم يشر الى البقية حتى ولو بحرف واحد ؟٠ فعند ذكر الطبري للأسرى من عائلة بابك بقوله : (وعدة من صار في يد الأفشين من بني بـابك سبعـة عشر رجلا ومن البنات والكنات (٤٩) (زوجات الابناء او الاخوة) ثلث وعشرون امرأة) (٥٠) ، قد أشار الى بنات بابك وبنات اخوته وأولاده وزوجات أخوة بابك وابنائه ولم يشر الى زوجات بابك وانما سبق وأن أشار الى أسر زوجة بابك ابنة الكلندانية مع والدته، وهذا يعني وجود امرأة واحدة لدى بابك في أيامه الاخيرة ٠

هـروب بابك :

اضطر بابك بعد سقوط البذ الى الهرب وسلك وادي هشتـادسر المكتظ بالأدغال وقد هرب معه أخواه عبد الله ومعاوية (٥١) وأمه وزوجته وغـلام له وبعض خـاصته ولما علم الافشين بافلات بابك شـدد الحراسة على المسالك والطرق المؤدية للغيضة التي التجأ اليها الفارون فقد كان الافشين يخشى من لجوء بابك الى مكان أمين منيع يستعيد فيه قواه ويجدد نشاطه ويعود فيهدد الخلافة بالخطر (٥٢) ولهـذا حـرص على أن لا يفلت من قبضته فأرسل الكتائب العديدة (٥٣) وكتب الرسائل الى جميع الجهات (٥٤)، ووعد بالمبالغ الطائلة (٥٥) ٠ ولما كاد الزاد يفنى لدى بابك ورهطه في الغيضة صمـم بابك على اختراق الطوق المضروب عليه فاجتاز مسلكا خلوا مـن الحراس لتطرفه وقلة المياه فيه فعبره مسرعا غير ان هروبه قد انكشف بعد هنيهة من قبل بعض المراقبين الذين كانوا يراقبون ذلك المسلك من بعيد فأخبروا بأنهم رأوا جماعة يغادرون الغيضة ووصل الخبر الى الجند فانطلقوا في اثرهم وكان على رأس الجند ابو الساج (٥٦) فأدركوهم واسروا معاوية وام بابك وزوجته وافلت بابك واخـوه عبد اللـه وغلام لهم واجتازوا

---

(٥٠) تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٢٣٣ ٠

(٥١) يقول رايت عن معاوية ، الذي هو اخو بابك ، بأنه احد جنرالاته ، وهذا التباس وقع فيه ولا شك ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٢ ٠

(٥٢) أنظر المسعودي ، مروج ، ج٤ ص ٥٦ ٠

(٥٣) قدرها الطبري بـ ١٥ كتيبة ، م٣ ج٢ ص ١٢١٩ ، ويقـول رايت بأن الأفشين أرسل ٥٠٠٠ رجل على شكل جماعات في كل جماعة ١٠٠ أو ٢٠٠ للبحث في المسالك ومراقبة الهاربين، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٢ ٠

(٥٤) الدينوري (وقد كان الأفشين كتب الى أصحـاب تلك النواحي والى الاكـراد بأرمينية والبطارقة بأخذ الطرق عليه ، الاخبار الطوال ، ص ٣٤٠ ٠

(٥٥) اليعقوبي ، وضمن لمن جاء به ألف ألف درهم والصفح عن بلادهم ، التاريخ ، ص ٢٠٠ ٠

(٥٦) يسميه ابن خلدون : (أبا السفاح) ، العبر ، ج٣ ص ٢٩١ ، وهذا تحريف ولا شك٠

الحدود الى أرمينيا (٥٧)٠ ورد أمان الخليفة لبابك في الفترة التي كان فيها مختبئا في الغيضة ، فبعثه الافشين مع اثنين من البابكية الاسرى لديه وقد أرفقه بكتاب من ابن بابك لابيه يناشده الرضوخ والانصياع للامر الواقع وقد خاف الجميع عدا هذين الاسيرين من توصيل كتاب الأمان والرسالة الى بابك لما يعلمونه من أنفته ، فقد وافقا على نقل الامان الى بابك في الغيضة بعد ان وعدهما الافشين بتأمين عيش ذويهما، ولقد أوصلا الأمان والرسالة الى بابك ، الذي تأثر جدا من انهيار ابنه الاسير ، ورفض الأمان واجاب ابنه بتوبيخ شديد (٥٨) ٠ ويعتقد رايت بأن الامان قد وصل ولما يمض على هروب بابك اكثر من عشرة أيام ٠ سلك بابك طريقه في الهرب عبر أرمينيا متجها نحو الشمال ويشير قسم من المصادر الى انه كان يروم الذهاب الى بلاد الروم ، فالدينوري يقول : (توجه الى أرمينية وسار حتى عبر نهر الرّس متوجها الى الروم) (٥٩) ، ويذكر الطبري ان سهل بن سنباط سأل بابك عن وجهته فأجابه (قال اريد بلاد الروم او موضعا سمّاه) (٦٠) ، ويقول ابن العبري (فلما ضاق أمره خرج هاربا ومعه أهله الى بلاد الروم) (٦١)٠ فهل يا ترى فكر بابك باللجوء الى امبراطور الروم علّه يجد لديه بارقة من أمل في معاودة نشاطه بعد ان يلم شعثه ؟ ولكن لم أتجه شمالا عبر سونيك ولم يسر غربا نحو بيزنطة ؟ قد يقال بأن المطاردة أجبرته ان يسلك هذا الطريق ، ولكن بعد أن عبر نهر أراكس وأمن الطرد لماذا استمر شمالا أيضا ؟ قد يقال ان زوجته أوحت اليه بالأمان الذي يلاقيه عند السونيكيين لو وصل اليهم ؟ ولكن بابك اجتاز القسم الشرقي من سونيك ولم يسر غربا بل سار شمالا ودخل مقاطعة أران حيث وقع في أراضي سهل بن سنباط ٠ يخيل الي بأن بابك لم يفكر جديا في موضوع اللجوء الى بيزنطة والاعتماد على امبراطورها تيوفيل وانما كان يريد اللجوء الى مكان أمين يختفي فيه ويكون قريبا من اتباعه الذين تبعثروا ونستدل على ذلك من تجاهل العديد من المصادر (٦٢) لذكر الروم أو اللجوء الى امبراطور الروم ومن أقوال بابك وآماله في معاودة النضال والاهتمام بشؤون فرقة الخرمية فقد جاء على لسان بابك بأنه لا يحبذ بقاء اخيه عبد الله معه في قلعة سهل بن سنباط اذ قال له : (ليس يستقيم ان أكون أنا وأخي في موضع واحد فلعله ان يعثر بأحدنا فيبقى الاخر ولكن أقيم عندك أنا ويتوجه عبد الله

(٥٧) العيون والحدائق ، ص ٢١-٢ ٠

(٥٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٢٢٠-١ ٠

(٥٩) الاخبار الطوال ، ص ٣٤٠ ٠

(٦٠) تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٢٢٣ ٠

(٦١) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤١ ٠ ويأخذ بهذه الاقوال جوزي ، من تاريخ الحركات، ص ١١٣ والدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٥ ٠

(٦٢) لم يذكر اليعقوبي والمسعودي وابن النديم وصاحب العيون والحدائق موضوع اللجوء الى بيزنطة ٠

أخي الى ابن اصطفانوس لا ندري ما يكون وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا) (٦٣) فنرى تأكيده على الاستمرار في الدعوة ويقول يامبولسكي (وهذا يعني انه لم ينفض فكرة استمرار النضال في ذات الموضوع الذي حارب من أجله الخرّميون بتفان) (٦٤)٠ لهذا فان تفكير بابك في اللجوء الى الروم لم يكن واضحا أو لم يكن ليحظى باهتمامه بصورة رئيسية ولا سيما وقد تباطأ الامبراطور تيوفيل ولم يصغ الى استنجاده بالضغط على المسلمين من ناحية ليخفف من شدة الحملة على بابك ويتضح كذلك من ذكر بابك لاسم محل آخر غير بلاد الروم في جوابه لسهل بن سنباط ويعتقد يامبولسكي ان بابك لم يذكر بلاد الروم امام سهل الا تملصا من الجواب (٦٥) ٠

اجتاز بابك الحدود الآذربيجانية الارمنية بعد عبوره نهر أراكس في نقطة التقائه برافده نهر كيرخسو ودخل أراضي سونيك من طرفها الشرقي ولكنه لم يلبث في مقاطعة سونيك رغم وجود حلفائه (٦٦) فيها ولكنه غادرها الى أرآن حيث بلغ أراضي سهل بن سنباط صاحب قلعة شاكي (٦٧) Waku وهناك تعرف عليه ابن سنباط الارمني بعد ان أعلمه أتباعه بوجود بابك وأخيه وغلامه ، وبخطة بارعة في التمويه والخداع استطاع سهل أن يقنع بابك بالذهاب معه الى قلعته والاختفاء فيها وكان ابن سنباط من الآمراء الارمن الذين سبق وأن تحالفوا مع بابك ولكنهم أنجروا بعد تغيّر الموقف وشاهدوا رجحان كفة الخلافة الا ان سهلا (المستلم رسالة مغرية جدا من الافشين) أخفى نواياه عن بابك وأظهر انه لا يزال على موقفه السابق من السلطة وبهذا استدرج بابك الى النزول في قلعته وسار بابك معه وهو غير مطمئن على سلامته فقد أصر على أن ينزل هو لدى سهل ويذهب أخوه عبد الله الى عيسى بن اصطيفانوس صاحب قلعةكتيش(٦٨) في البليقان وكان بابك يثق به ، وكان سهل يحاول ان يثني بابك عن رأيه ويهون لديه الامر الا ان بابكا أفهمه بخطورة بقائهما في محل واحد (٦٩) وهكذا غادر

(٦٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٢٢٤ ٠

(٦٤) انتفاضة بابك ، ص ٣٦ـ٧ ٠

(٦٥) ن٠م٠ ، ص ٣٦ ٠

(٦٦) أنظر ليو ، تاريخ أرمينيا ، م٢ ص ٤٣٦ ٠

(٦٧) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ١١٣ ، يرى بونيياتوف ان قلعة شاكي العائدة لسهل بن سباط تقع فيالقرية التي تحمل نفس الاسم ، شاكي (في مقاطعة سيسيان الارمنية السوفياتية) وليس في مدينة نوخا الاذربيجانية السوفياتية ، معلومات جديدة عن موقع قلعة شاكي ، مجلة المجمع العلمي الاذربيجاني، العدد ٩ لسنة ١٩٥٩، ص٨٧١٠

(٦٨) بونيياتوف ، ن٠م٠ ، ص ٨٦٩ ـ ٨٧٠ ، وذكرت القلعة في تجارب الامم الملحق بكتاب العيون (كبيش ، وفي الهامش كيس ، كيش ، كيّش) ، ص ٥٤٨ ٠

(٦٩) انظر هامش الفصل الرابع رقم ٦٣ ٠

عبد الله في اليوم الثاني قلعة شاكي وتوجه الى ابن اصطيفانوس ٠ أما ابن سهل فلم يتوان حيث أخطر الافشين بوجود بابك لديه واتفق الطرفان بعد تأكد الافشين من الخبر على ارسال قوة تسير حسب مشورة ابن سنباط لالقاء القبض على بابك وقد أبلغ سهل القائدين اللذين بعثهما الافشين على رأس القوة وهما أبو سعيد وبوزيارة (٧٠) أبلغهما سهل بأنه يفضل القاء القبض على بابك خارج قلعته ويامبولسكي على صواب حين يعلل سبب ذلك (بان سهلا كان يخشى من بطش الخرمية ان هو سلم بابك في قلعته) (٧١)٠ وكان ان دبر سهل الخروج الى الصيد وعرض فكرة الخروج على بابك الذي وافق دون تردد بعد أن ذكر له سهل أهمية التنزه والتخلص من جو القلعة الذي يدعو الى السأم وكان قد بعث برسله الى أبي سعيد وبوزياره يعلمهما عن خروجه مع بابك في اليوم التالي وعين لهما الوادي الذي سيكونان فيه وطلب منهما أن ينقضا عليهما من سفحي الجبل المشرف على الوادي ويقبضا عليهما وقد نفذت خطة سهل بحذافيرها غير ان بابك قد عرف في آخر لحظة خيانة سهل حيث بادره بالقول عند القبض عليه انما بعتني لليهود (يقصد المسلمين) بالشيء اليسير (٧٢) ٠ أراد سهل ان يظهر الحادثة وكأنما وقعت صدفة ولكنها لم تنطل على بابك ٠ وكوفيء سهل على ذلك حيث أنعم عليه بالامارة (البطرقة) وأعفيت بلاده مما عليها من واجبات ومنح مليون درهم ومنطقة مغرقة بالجوهر (٧٣) ٠ أقتيد بابك أسيرا وأوصل بحراسة شديدة الى الافشين بمعسكره في برزند ، واذا أخذنا برواية الطبري (٧٤) فأن وصوله الى الافشين يكون يوم السبت ١٠ شوال ٢٢٢هـ المصادف ١٥ ايلول ٨٣٧م ، فتكون المدة بين هروبه ووصوله الى الافشين اقل من شهر ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على شدة اهتمام الافشين بأمر القاء القبض على بابك ، والى اي مدى كان تأثير الوعيد والاغراء قويا ! اعلم الخليفة بالامر بأسرع وقت ويشير المسعودي الى استخدام الحمام الزاجل لذلك الغرض (٧٥) ٠ وكان

(٧٠) الطبري، تاريخ الرسل، م٣ جـ٢ ص ١٢٢٥، يسميه المسعودي (يوماده) المروج، جـ٤ ص٥٦٠

(٧١) انتفاضة بابك ، ص ٣٧ ٠

(٧٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢٣١ ٠

(٧٣) ن٠م٠ ، ص ١٢٣٢ ، أنظر أيضا بارتولد، المؤلفات، المجلد الثاني القسم الاول (بالروسية)، موسكو ، ١٩٦٣ ، ص ٦٨١ـ٢ ٠

(٧٤) تاريخ الرسل ، ويقول : (وكان وصول بابك الى الافشين ببرزند لعشر خلون من شوال (سنة ٢٢٢ هـ) بين بوزباره وديوداذ) م٢ جـ٣ ص ١٢٢٨، وديوداذ هو أبو الساج ، ويعتبر المقدسي (المطهر) تاريخ القاء القبض على بابك يوم الجمعة ١٤ رمضان سنة ٢٢٣ هـ، البدء والتاريخ ، جـ٦ ص ١١٨، وهو مخطيء ولا شك اذ ان بابكا قد أعدم قبل هذا التاريخ ، أنظر أوربلي ، يوسف ، جداول لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية ، ص ٥١ ٠

(٧٥) المروج ، جـ٤ ص ٥٦ ويشير حتي ، فيليب ، الى أن أول ذكر لاستخدام الحمام الزاجل ورد

للخبر وقع عظيم لدى الخليفة والخاصة لزوال ذلك الخطر الجسيم ولدى سكان العاصمة الذين اكتوى ذووهم بنار الانتفاضة وفقدوا الكثير من اهليهم في معاركها ، فكان يوما مشهودا ـ كما تصف المصادر ـ او عيدا كبيرا ، ضج الناس فيـــه بالتكبير ، وكتـب الخليفة الى الامصار معلنا فرحته بالانتصار ولاجل بعث الثقة واعادة الهيبـة لسمعة الخلافة المتداعية ٠ ان استقبال الخبر بذلك الوقع وبتلك الصورة ليدلان على عظم جسامة خطر الانتفاضة البابكية على الخلافة (٧٦) ٠ ولما استلم الافشين بابكا بمفرده علم بأن عبد الله لا يزال طليقا وهو لدى عيسى بن اصطيفانوس (يسميه الطبري : عيسى بـن يوسف المعروف بابن اخت اصطفانوس ملك البيلقان (٧٧) ، وفـــي المصادر الارمنية يعرف بـ ياي ابو موسى) (٨٧) ، فأرسل الافشين الى عيسى يأمره بارسال عبد الله اليه فبعثه اليه ، وللمسعودي رواية اخرى عن اسر بابك لا تحتمل التصديق وتحتوي كثيرا من الطرف قد ضللت بعضا من المؤرخين والمؤلفين يقول فيها : « « وقال له : ايها الملك ، قم الى قصرك الذي فيه وليك وموضع يمنعك الله فيه من عدوك فسار معه الى ان اتى قلعته واجلسه على سريره ورفع منزلته ووطأ له منزله ومن معه وقدمت المائدة وقعد سهل يأكل معه فقال له بابك بجهله وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع اليه : امثلك يأكل معي ؟ فقام سهل عن المائدة وقال : اخطأت ايها الملك ، وانت احق من احتمل عبده ، اذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ، وجاءه بحداد ، وقال له : مد رجلك ايها الملك واوثقه بالحديد فقال له بابك اغدرا يا سهل ؟ قال يا ابن الخبيثة انما انت راعي غنم وبقر ، ما انت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟ ٠ وقيد من كان معه وارسل الى الافشين يخبره الخبر وان الرجل عنده فسرح اليه الافشين اربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بوماده ، فتسلموا بابك ومن معه واتى به الافشين ومعه سهل بن سنباط » (٧٩) ، وقد اعتمد هذه الرواية المقدسي (٨٠) ، وابن

في نقل خبر القاء القبض على بابك ، تاريخ العرب (المطـول) جـ١ ط٣ لسنة ١٩٦١ ، ص ٤٠٠ ٠

(٧٦) يقول المسعودي : (وأطلقت الطيور الى المعتصم ، وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح) ، المروج ، جـ٤ ص ٥٦ ، ويقول المقدسي (وكان ذلك من اعظم الفتوح في الاسلام) ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٨ ٠

(٧٧) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢٣٢ ، كذلك التسمية في تجارب الامم الملحق بكتاب العيون، ص ٥٤٨ ٠

(٧٨) بازمافيب ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، ص ١٣٤ ، بارخوداريان ، تاريخأغوان، م١ ص ١٣٦ ٠

(٧٩) المروج ، جـ٤ ص ٥٦ ٠

(٨٠) البدء والتاريخ ، جـ٦ ص ١١٧ـ٨ ٠

العبري (٨١) بشيء من التحوير ، ويظن جوزي بأن سهلا قد سلم بابكا واخاه « فقبض عليه وعلى اخيه عبد الله ومن كان معهما من الاهل والاصدقاء وسلمهم جميعا بعد ان امنهم ، الى رسول الخليفة » (٨٢) ، لكن مصادر اخرى غير المسعودي والمقدسي وابن العبري تذكر عن لجوء عبد الله الى قلعة كتيش العائدة لعيسى بن اصطيفانوس ، بعد ان بات ليلة واحدة مع اخيه في قلعة شاكي عند سهل ٠

استقبل الافشين بابكا بعرضه بين صفين من جنده لا احتراما لمقــام بابك ولكن ليظهر للجند عظمته وفخره بقهره بابك الذي روع الجميع ، ثم حبسه في دار منتظرا مقدم اخيه عبد الله فلما قدم عبد الله مرسلا من عيسى اودعه الدار التي حبس فيها بابكا ، فلما جاءه امر الخليفة بالشخوص اليه اخبر بابكا بأمر السفر وعرض عليه انه بوسعه ان يعلن رغبته في شيء قبل مغادرته اذربيجان فرجاه بابك ان يسمح لــه بالقاء آخر نظرة على مركز الحركة البذ فسَمح له ليلا وسار به الحراس بخشوع في ليلة هادئة مقمرة من ليالي خريف ٨٣٧م وتجول البطل في قلعته الخاوية المهدمة ومرت بخاطره سني النضال المريرة الطويلة وكيف كانت البذ على طرف كل لسان وكان منظرها الكئيب وهي خاوية على عروشها تحت ظلال اشعة البدر الباردة لا يمكن احتماله فقفل راجعا بصمت مهيب ولم يجسر الحرس على تعكير ذلك الصمت كأنهم في موكب جنائزي واخبر الافشين بأنه لم يبق لديه مطلب آخر فعزم الافشين على السفر وكان طيلة ايام السفر من برزند الى سامراء يخبر الخليفة اذ كانت رسله تترى وقد جئنا سابقا على وصف سعاة البريد المنتشرين على طول الطريق والذين نصبهم الخليفة خصيصا للاطلاع على اخبار بابك اولا بأول ٠

متى ابتدأ الركب يغادر برزند وهو محمل ببابك واخيه عبد الله ؟ هذا امر لم يعن به المؤرخون الا انهم يشيرون الى تاريخ وصول الركب الى سامراء وان اختلفــوا في تاريخ اليوم الا انهم يكادون يجمعون على شهر صفــر سنة ٢٢٣هـ ، فاليعقوبي يذكر « وقدم (يقصد الافشين) على المعتصم وهو بسر من رأى فتلقاه القواد والناس على مراحل ودخلها لليلتين خلتا من صفر سنة ٢٢٣ » (٨٣) ، اي في ٢ صفر بينمــا يقول الطبري « ذكر ان قدومه عليه به كان ليلة الخميس لثلث خلون من صفر بسامرا » (٨٤) اي ٣ صفر ، اما المسعودي فيقول : « دخل سامراء يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين » (٨٥) ، ولما كان اليوم الثاني من صفر سنة ٢٢٣هـ يصادف

---

(٨١) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٣ـ٤ ٠

(٨٢) من تاريخ الحركات ، ص ١١٣ ٠

(٨٣) التاريخ ، جـ٣ ص ٢٠٠ ٠

(٨٤) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢٢٩ ٠

(٨٥) المروج ، جـ٤ ص ٥٧ ٠

الخميس ٣ كانون الثاني عام ٨٣٨م لهذا فان روايتي اليعقوبي والمسعودي اضبط من رواية الطبري وان اتفق الطبري مع المسعودي بذكر الخميس ٠ ولما بلغ الموكب قناطر حذيفة استقبلهم هارون بن المعتصم وآخرون من عائلة الخليفة ثم انزل الافشين بابكا في قصره بالمطيرة عند بلوغهم سامراء وزاره الوزير احمد بن ابـــي داود متنكرا وكان الخليفة يتلهف لرؤية بابك فلما عاد وزيره واخبره بما رأى لم يصطبر الى غد وانما سار اليه في جوف الليل متنكرا وسأله بعض الاسئلة اجاب عليها دون ان يميز سائلها وفي اليوم الثاني نقل بابك من قصر الافشين إلى الدار العامة باستعراض مهيب كما يصفه الطبري « واصطف الناس من باب العامة الى المطيرة واراد المعتصم ان يشهره ويريه الناس ٠٠٠ فأمر بتهيئة الفيل وأمر به فجعل في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة وهو وحده فقال محمد بن عبد الملك الزيات

قـــد خـُضـّب الفيـــل كعادتـــه يحمـــل شيطـــان خراســـان
والفيـــل لا تخضـب اعضـاؤه الا لـــذ ي شـــأن مـــن الشـــان

فاستشرفه الناس من المطيرة (حيث قصر الافشين) الى بـــاب العامة فأدخـــل الدار العامة » (٨٦) ، اما المسعودي ، حيث يُطنب في الوصف ، فيذكر ان العرض بدأ من القاطول (على بعد خمسة فراسخ من سامراء = ٤٠ كيلومترا) حيث استقبلهم هارون (٨٧) ، ولكن رواية الطبري اقرب الى التصديق اذ لا يعقل ان يستعرض ببابـــك هذه المسافة الطويلة والفيل لا يسير الا على مهل والخليفة متلهف لرؤية اسيره بابك ٠

لم يمهل بابك طويلا اذ نطق الخليفة باعدامه فور وصوله لديه وقد قطعت اطرافه اولا فلطخ وجهه لكي لا يترك شحوب وجه اثر نزف دمه انطباعا بأن ذلك الشحوب من خشية الموت ٠ هكذا اجاب بابك حينما سئل عن سبب صبغه وجهه بدمائه (٨٨) ٠ ثم علق جسده على خشبة طويلة في طرف من سامراء ظل يحمل اسم بابك ، اما رأسه فقد ارسل الى بغداد برفقة اخيه عبد الله حيث علق رأس بابك هنـــاك (٨٩) ومنهـــا الى

(٨٦) تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٢٣٠ ، والشعر الذي يرويه هنا قد ذكـــره أيضا عن حادث وصول المازيار الى بغداد ، في ص ١٣٠٢ (قد خضب الفيـــل كعـــادته ــ يحمل كيلان خراسان) ، وأعتقد ان الشعر يخص فقط المازيار ولا ينطبق على بابك ، والا فما علاقة خراسان ببابك ؟

(٨٧) المروج ، ج٤ ص ٥٦ــ٧ ٠

(٨٨) حول هذه الحادثة راجع ، التنوخي ، جامع التواريخ ، ج١ ص ٧٥ ، سياست نامه، لنظام الملك ، ص ٢٩٥ (الترجمة الروسية ص ٢٢٧) ، المقـــدسي، البـدء والتاريخ ، ج٦ ص ١١٧ــ٨ ٠

(٨٩) حسب رواية المسعودي ، المروج ج٤ ص ٥٨ ، وأما الطبـــري فلا يشير الى بغداد وانمـــا يذكر خراسان مباشرة ، تاريخ الرسل م٣ ج٢ ص ١٢٣١ ، ويقول بـــاين ، روبرت (ثـــم

خراسان . متى اعدم بابك ؟ المصادر لا تحدد اليوم والتاريخ فالطبري يقول كان ذلك يوم الاثنين او الخميس (٩٠) الا ان المصادر تشير الى انه اعدم بعد العرض . فحسب رواية الطبري كان يوم العرض هو اليوم التالي لبلوغ موكب الافشين مدينة سامراء ، ولما كان يوم البلوغ هو الخميس (٣ كانون الثاني ٨٣٨م ـ ٢ صفر ٢٢٣هـ) فان يوم اعدام بابك على هذا الاساس يكون الجمعة (٣ صفر ٢٢٣ هـ / كانون الثاني ٨٣٨م) ولقي عبد الله المصير نفسه في بغداد على يد اميرها اسحاق بن ابراهيم (٩١) ، حيث امر اسحاق بقطع اربعة عبد الله وصلب في الرصافة (الجانب الشرقي من بغداد) على رأس الجسر (٩٢) وقد ابدى عبد الله شجاعة وجلدا كأخيه بابك حيث اشار الطبري الى انه لم ينطق ولم يتكلم حينما قطعت اطرافه (٩٣) .

هل كان بابك ملكا او اميرا اقطاعيا ؟ ام ظل قائدا ثوريا (فكريا وسياسيا وعسكريا) للانتفاضة البابكية ؟ واذا كان رئيسا او قائدا ثوريا في اول ايامه ألم يتحول تدريجيا وبمرور الزمن الى امير اقطاعي او ملك في الجزء المحرر من اراضي الخلافة؟ هذه من المسائل المعقدة ايضا في تاريخ الانتفاضة البابكية وذلك لان غالبية المصادر لم تتطرق الى نوعية الحكم او تصريف الامور او شكل الادارة في الاجزاء التي حررتها الانتفاضة فليست هنالك صورة واضحة عن ماهية الحكم طيلة السنوات العشرين ، ومن ناحية ثانية ترد في بعض المصادر كلمات (ملك ، تملك ، ملوكية) عند وصفها لبابك او اسلافه والشيء الثالث عدم ورود تلك الكلمات التي تشير الى الملوكية في اقرب المصادر زمنا للانتفاضة . فالدينوري (ابو حنيفة) واليعقوبي لم يشيرا بأدنى كلمة او اشارة الى الملوكية او التملك وهما اقرب المؤرخين عهدا بالانتفاضة بل ان الصورة التي تعكسها رواياتهما عن بابك كقائد ثوري للحركة فحسب . واما الطبري فقد وردت لديه رواية تفيد بأن بابكا كان ملكا اذ يقول ان بابكا قد بعث بجوابه الى ابنه (الذي كتب الى ابيه عندما كان في الغيضة يطلب من ابيه ان يستجيب للامان الذي بعثه اليه الافشين) ويقول بابك في جوابه « عسى ان اعيش بعد اليوم قد كنت باسم هذه الرياسة وحيث ما

قطع رأس باربك (يقصد بابك) وعلق على جسر بغداد لأخطار الثوار البغداديين بينما قرر الخليفة ارساله بعد ذلك الى خراسان) ، السيف المقدس ، ص ١٧٨ ، ولا أجد معنى (لاخطار الثوار البغداديين) هنا حيث لم تكن في بغداد أية ثورة في عهد المعتصم ؟.

(٩٠) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢٣٠ .

(٩١) ن.م. ، ص ١٢٣١ .

(٩٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٣ ص ٢٠٠ ، أما الطبري فيذكر انه شنق في الرصافة بين الجسرين ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢٣١ .

(٩٣) الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٢٣١ .

كنت او ذكرت كنت ملكا ولكنك من جنس آخر ٠٠ » (٩٤) ٠ وبالرغم من انها الحالة الوحيدة التي يذكر الطبري فيها كلمة ملك فان بابك قد قـــدم موضوع الرئـــاسة على الملوكية وهذا يعني انه رئيس الطائفة البابكية ، الا ان الناس يذكرونه كملك وبابك يؤكد كثيرا على موضوع رئاسة الحركة للفرقة الخرمية فقد اصر عند التجائه الى قلعة سهل بن سنباط على ان يظل هو لدى سهل ويذهب اخوه الى عيسى بن اصطيفانوس ، وقـد علل ذلك « فلعله ان يعثر بأحدنا فيبقى الآخر ولكن اقيم عندك انا ويتوجه عبد الله اخي الى ابن اصطفانوس لا ندري ما يكون وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا فقال له ابن سنباط ولدك كثير قال ليس فيهم خير وعزم » (٩٥) فهنا تأكيد على رئاسة الفـــرقة الخرمية (وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا) فحتى الايام الاخيرة ظل بابك يعتبر نفسه رئيسا روحيا وقائدا فكريا لفرقة الخرمية آخذا على نفسه مهمة نشر دعوتها ٠ ويذكـــر الطبري في مجال آخر بصورة غير مباشرة ما يوهم بأن بابك كان من الاقطاعيين ، فقد ذكـر ان عبد الله سأل ابن شروين الطبري (الذي اقتاده من سامراء الى بغداد) عشية اعدامه ان يطعمه فالوذجة ويسقيه خمرا ثم سأله (من انت ؟ فقال : ابن شروين ملك طبرستان٠ فقال الحمد لله الذي وفق لي رجلا من الدهاقين يتولى قتلي ٠٠ ثم قال يا ابا فلان ستعلم غدا اني دهقان ان شاء الله » (٩٦) ، وامـــا المسعودي الذي لا يلتزم الدقة في تعابيره واقواله فقد وردت لديه اقوال تشير بصراحة الى الملوكية فهو يذكر عن سهل بن سنباط « ٠٠ ترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك ، ٠٠ وقال له : ايها الملك قم الى قصرك اخطأت ايها الملك وانت احق من احتمل عبده اذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ٠٠ مد رجلك ايها الملك ٠٠٠ ما انت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟ » (٩٧) ، ويذكر الاقوال هذه عند المقابلة الاولى وفي القصر لكن هذه الاقوال لا يمكن ان تؤخذ اساسا للحكم ، لانها من تصورات المسعودي ومن بنات افكاره ٠ اما ابن النديم فيورد نصوصا كثيرة تذكر الملوكية والتملك فهو يذكر عن جاويدان وأبي عمران منقادة الخرمية السابقين لبابك (وكان بجبل البذ وما يليه من جبـــاله رجـــلان من العلوج متخرمين ولهما جدة وثروة وكانا متشاجرين في التملك على من بجبال البذ منالخرمية ليتوحد أحدهما بالرياسة يقال لاحدهما جاويدان بن سهرك والاخر غلبت عليه الكنيـة يعرف بأبي عمران) (٩٨) الا ان كلمة التملك هنا لا تعني حسب رأينا سوى الاستحواذ ولا تعني الملوكية ولان جاويدان قد سافر بعد ذلك الى زنجان ليبيع فيها أغنامه وليسمن

....

(٩٤) ن٠م٠ ، ص ١٢٢١ ٠

(٩٥) ن٠م٠ ، ص ١٢٢٤ ٠

(٩٦) نم٠ ، ص ١٢٣١ ٠

(٩٧) المروج ، جـ٤ ص ٥٦ ، ابن أبي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط الورقة ٥٦ أ ، ب ٠

(٩٨) الفهرست ، ص ٤٩٥ ٠

عادة الملوك التنقل بين المدن لبيع الاغنام ٠ اذن فالنزاع كان بينهما للانفراد برئاسة الفرقة ٠ لذا لم يكن جاويدان ملكا حتى يورث من بعده ، ولهذا لم يرث بابك الملوكية عن أحد وانما تولى قيادة فرقة الخرمية بعد مقتل رئيسها ، ويشير ابن النديم الى ان زوجة جاويدان قالت عن بابك ٠٠ (وانه يملك الارض) (٩٩) ويذكر عن لسانها انها قالت بان زوجها أخبرها قبل وفاته (٠٠ وقد رأيت أن أملكه على أصحابي) (١٠٠) والظاهر من القولين ان بابك يملك الارض ويكون ملكا على اصحاب جاويدان ولكن لا يصح اعتبار هذين القولين اساسا لافتراض ملوكية بابك على رقاب الناس او تملكه للارض، فقد سبق وان دحضنا ملوكية جاويدان فلا يمكن والحالة هذه ان يرث كملك على الناس أو مالك على الارض ٠ فما تفسير قولها اذن ؟ بينا سابقا ان قولها ٠٠ وانه يملك الارض ٠٠ يفسر على انه يستحوذ على الاراضي من الاقطاعيين ويتم ذلك بمساعدة الخرميةله ويتم توزيعها على الفلاحين مشاعا حسب برامج الخرمية وأما قولها ٠٠ وقد رأيت أن أملكه على اصحابي ٠٠٠ فهذا القول يستعمل مجازا على ان يعني ترأسه للجماعةايضا كما يعني تملكه على الجماعة ولهذا فان جاويدان لم يعن الا الاستعمال المجازي لقوله٠ ولقد وردت اشارات في المراجع أيضا على انه ملك فقد وردت لدى سيل (١٠١) ورايت (١٠٢) ، ويقول شلبي عنه (وبابك هو زعيم الخرمية بعد جاويدان بن سهرك ملك جبال البذ ورئيس الخرمية الاكبر) (١٠٣) ، فهو يرى ان بابك جاء بعد ملك جبال البذ ٠

علاقة المازيارية بالبابكية :

يرد ذكر الانتفاضة التي قامت في طبرستان (٢٢٤ هـ/٨٣٩ م) مقرونا بالانتفاضة البابكية على أساس الاتصالات والمراسلات بين المازيار وبين بابك وعلى أساس اتفاقهما مع الافشين على الانتفاض بوجه الخلافة ، فمن هو المازيار ؟ وما علاقة الانتفاضة الطبرستانية المعروفة بالمازيارية بالبابكية ؟ وما هو طابعها ؟ المازيار وأسمه محمد بن قارن بن بنداد هرمز (١٠٤) أصبهذ طبرستان من الامراء المحليين وكان ذا طموح في التخلص من السلطة الاجنبية ولما كانت المناطق الشمالية من ايران مسرحا للانتفاضات والحروب التي قامت بوجه الخلافة العباسية في العصر العباسي الاول كما مر بنا في

---

(٩٩) ن٠م٠ ، ص ٤٩٦ ٠

(١٠٠) ن٠م٠ ، ص ٤٩٦ ٠

(١٠١) القران ، ص ١٣٠ ٠

(١٠٢) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٣ ٠

(١٠٣) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ ٠

(١٠٥) تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص ١٢٧٨ ٠

الفصل الثاني (١٢١ ص ـ ١٣٧ ص) ولا سيما انتفاضات الخرمية في اقليم الجبال او في جرجان وطبرستان وخراسان ، فان بلاده ظلت تحتفظ بذكريات الانتفاضات الفلاحية وظل فلاحو طبرستان يشكون من التعسف والارهاق وكانت الارستقراطية الاقطاعية من العرب أو من الابناء (الارستقراطية الايرانية) قد ربطت مصيرها مع السلطة العباسية ٠ يقول الطبري ان سرخاستان أحد ولاة المازيار أعلم الفلاحين بأن الارستقراطية المحلية (الابناء) يكونون خطرا عليهم فقال لهم (ان الابناء هواهم مع العرب والمسودة (العباسيين) ولست آمن غدرهم ومكرهم وقد جمعت أهل الظنة ممن اخاف ناحيته فاقتلوهم لتأمنوا) (١٠٥) ، ولما كان المازيار قد وطد نفسه على الانفصال وكانت الارستقراطية متعاونة مع الخلافة لهذا لم يكن امامه الا ان يلتجيء الى الجماهير الشعبية ، الساخطة على السلطة وعلى الاقطاعيين ، فتعاون معها لاجل تحطيم القوة المحلية التي تعتمد الخلافة عليها وهي الارستقراطية وتذكر المصادر بأنه كاتب بابك وشجعه في المضي في انتفاضته الاذربيجانية ضد السلطة وكان يرمي من كل ذلك الى اضعاف السلطة لكي يتسنى له من ناحيته النهوض بوجه الخلافة فهو قد سعى لاضعاف الخلافة من الداخل وشجع على اضعافها من الخارج ، يقول الطبري: (ان المازيار لما عزم على الخلاف دعا الناس الى البيعة فبايعوه كرها وأخذ منهم الرهان فحبسهم في برج الأصبهذ (الكلام عن الارستقراطية) وأمر أكرة الضياع (الفلاحين) بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم وكان المازيار يكاتب بابك ويحرضه ويعرض عليه النصرة) (١٠٦) ٠ لقد استغل المازيار النزاع القائم بين الفلاحين والملاكين حول الارض من أجل مطامحه ووجهه نحو السلطة وذلك بتشجيعه هو وأعوانه للفلاحين بنهب الضياع وقتل أصحابها لتضعف شوكة الارستقراطية ، السند الرئيسي للخلافة هناك ، يذكر الطبري (ان سرخاستان كان معه ممن أختار من أبناء القواد وغيرهم من اهل امل ٠٠ في داره مئتان وستون فتى ممن يخاف ناحيته٠٠ ثم امر بكتفهم ودفعهم الى الأكرة ليلا فدفعوهم اليهم وصاروا بهم الى قناة هناك فقتلوهم ورموا بهم في أبار تلك القناة) (١٠٧) ، ويذكر الطبري عن المازيار نفسه انه طلب من الفلاحين قتل الامراء الاقطاعيين (وقال لهم صيروا الى الحبس فاقتلوا ارباب الضياع جميعهم قبل ذلك ثم حوزوا بعد ذلك ما وهبت لكم من المنازل والحرم ، فجبن القوم عن ذلك وخافوا وحذروا فلم يفعلوا ما أمرهم به) (١٠٨) ٠ وكان خوف الفلاحين مبعثه ما تراكم لديهم من تهيب الارستقراطية وخشية نفوذها، ولو انصاع الفلاحون لأوامر المازيار لربما كان للانتفاضة

(١٠٦) ن٠م٠ ، ص ١٢٦٩ ٠

(١٠٧) ن٠م٠ ، ص ١٢٧٨ ٠

(١٠٨) ن٠م٠ ، ص ١٢٧٨ ـ ٩ ٠

نتيجة أخرى ، ولكن الفلاحين لم يذهبوا كثيرا مع الانتفاضة ، وهذا كان أحد عناصر ضعفها ٠

أما اتصال الانتفاضة بالأفشين فالمصادر تشير الى المكاتبات التي قامت بين الطرفين وكان كلاهما يسعى لاتخاذ الاخر وسيلة لتحقيق مطامحه ، فالأفشين كان يطمع بولاية خراسان التي أصبحت وقفا على آل طاهر وكان يسمع تذمر المعتصم من عبد الله بن طاهر ولما كانت طبرستان تابعة في ادارتها الى خراسان فكان يتصور في حالة اشتداد الخصومة بين المازيار وعبد الله أن يعجز الاخير عن القضاء على الانتفاضة ، وحينئذ يعهد اليه الخليفة بمحاربة المازيار ويوليه خراسان ، وكان قد بعث بالرسائل المشجعة للمازيار على عصيان أوامر عبد الله ولقيت هذه التشجيعات قبولا لدى المازيار واعتبرها ركيزة آماله في تعجيز السلطة والتحرر من نفوذها لاعتقاده بأن عبدالله اعجز من أن ينتصر عليه واذا أضطر الخليفة أن يرسل جيوشا غير الخراسانية فمن المحتم انه سيعهد بقيادتها الى الافشين الذى يطمئن اليه حسب ما اتفقا عليه وهناك آراء وأقوال للطبري حول سعي الافشين وبابك والمازيار على تقويض السلطة العربية والدين الاسلامي واعادة الامور الى الأكاسرة والديانة القديمة ، وتنسب هذه الاقوال تارة الى بابك وأخرى الى الافشين وتارة الى المازيار ، بل وأشرك معهم خاش أخو الافشين وفوهيار اخو المازيار كالرسالة التي قيل ان خاش بعثها الى فوهيار والتي جاء فيها (٠٠ انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك وغير بابك ٠٠٠ ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم) (١٠٩) ، وهذه المزاعم وان تكررت لدى المسعودي « فأقر (المازيار) على الافشين : انه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس » (١١٠) ٠ وما يرويه ابن اسفنديار وكلامه مليء بالاخطاء والتلفيقات ويسرد الحوادث المسهبة على شكل قصص ، يقول عن المازيار « قال المازيار وهو مأسور عند عبد الله ـ أنا والافشين حيدر بن كاؤوس وبابك قد اتفقنا اربعتنا (لم يخبرنا براون لماذا هم اربعة) على اخذ الامبراطورية من العرب واعادتها لأكاسرة الفرس » (١١١) ، هذه الاقوال والآراء والتهم التي وجهت للافشين من أجل الاطاحة به والقضاء عليه وان تكررت ولكن من الصعوبة تصديق قيام تفاهم بين بابك والافشين ، وعلى ماذا ؟ على اعادة الكسروية والمجوسية ؟ وكلنا يعلم ان المزدكية خاصمت الكسروية والديانة الزرادشتية ، فكيف يسعى الخرميون لاعادة ذلك

(١٠٩) ن٠م٠ ، ص ١٣١١ ـ ٢ ٠

(١١٠) المروج ، جـ٤ ص ٦١ ، أنظر الدوري الذي آمن بهذه الاقوال ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٤١ ـ ٢ ٠

(١١١) تاريخ طبرستان ، ترجمة بروان ، ص ١٥٥ ٠

والخرميون متطورون عن المزدكية ؟ ٠ فلا يمكن قيام تفاهم بين بابك والافشين حيث كانا على طرفي نقيض ، لقد تكونت لدى الافشين (الذي هو تركي وليس ايراني) مطـــامح وميول في السيطرة وقديكون اسلامه ضعيفا ويرغب في العودة الى دينه السابق ولكن اتفاق الثلاثة على اعادة مجد الأكاسرة والديانة المجوسية لا يمكن قبوله ، اما مكاتبات المازيار الى بابك والأفشين وان أنكرها المازيار نفسه فيمكن قبولها وكان الدافع له في ذلك من أجل توطيد حركته ٠ متى بدأت الحركة ؟ وأين ؟ هنالك اختلافات في المصادر عن تأريخ الحركة فالبلاذري يقول عن المازيار انه قام (بعد ست سنوات وأشهر من خلافته «المعتصم») (١١٢) ، أي في عام ٢٢٤ هـ ٨٣٩ م ، ويذكر عنه انه ضرب بالسياط فلمـا رفعت السياط عنه مات فصلب بسر من رأى مع بابك الخرمي وذلك سنة ٢٢٥) (١١٣) ولا يشير الدينوري الى السنة ولكنه يذكر انه قام في طبرستان (حتى قتله وصلبه الى جنب بابك) (١١٤) ولا شك ان المقصود الى جانب خشبة بابك وليس في زمن واحد حيث صلب بابك في عام ٢٢٣ هـ ٠ أما اليعقوبي فيذكر روايتين يعتبر المازيار أولا انتفض في عهد المأمون (١١٥) وفي الثانية في عهد المعتصم ويقول فيها (٠٠٠ وقدم به سنة ٢٢٦ فضرب بالسياط حتى مات وصلب الى جانب بابك) (١١٦)، اما الطبري فيعتبر الانتفاضة في طبرستان فقط وبدأت في عام ٢٢٤ هـ (١١٧) ويعتبر وفـــاته تحت السيـــاط سنة ٢٢٥ هـ (١١٨) ، أما المسعودي فيذكر في عام ٢٢٥ هـ صلب المازيـــار الى جانب بـــابك (١١٩) ، وأما البغدادي فلا يذكر السنوات وقد ذكر جرجـــان كميدان لحــركة المازيار بالاضافة الى ذكره طبرستان ، يقول البغدادي (واما المازيارية منهم فهم اتباع مــازيار الذي أظهر دين المحمرة بجرجان) (١٢٠) وله ايضا (وكانت فتنة مازيار قد عظمت في ناحيته الى أن أخذ في أيام المعتصم وصلب بسر من رأى بحذاء بابك الخرمي) (١٢١)، ويظل البغدادي يصر على ذكر جرجان فعند كلامه عن المتأخـــرين من الخرمية يقـول (وأتباع مازيار اليوم في جبلهم أكرة من يليهم من سواد جرجان) (١٢٢) ، ثم يعـــود

(١١٢) فتوح البلدان ، ص ٣٣٩ ٠

(١١٣) ن٠م٠ ، ص ٣٤٠ ٠

(١١٤) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ ٠

(١١٥) التاريخ ، جـ٣ ص ٢٠٢ ٠

(١١٦) ن٠م٠ ، ص ٢٠٢ـ٣ ٠

(١١٧) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص ١٢٧٤ـ٥ ٠

(١١٨) ن٠م٠ ، ص ١٣٠٣ ٠

(١١٩) المروج ، جـ ٤ ، ص ٦١ ٠

(١٢٠) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٨ ٠

(١٢١) ن٠م٠ ، ص ٢٦٨ ٠

(١٢٢) ن٠م٠ ، ص ٢٦٩ ٠

فيذكر طبرستان مع جرجان وذلك عند كلامه عن عبد الله أخي بابك) ثم أخذ أخوه اسحاق وصلب ببغداد مع مازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان) (١٢٣) ، وقد وقع البغدادي في أخطاء كثيرة هنا فقد أورد النص على شكل يظهر فيه اسحاق كأنما هو أخو بابك ، بينما اسحاق هو أمير بغداد الذي عهد اليه صلب عبد الله كما مر بنا ، ثم يذكر ان المازيار صلب في بغداد وكل المصادر تشير الى صلبه في سامراء ، ان جملة أخذ أخوه اسحاق لا يمكن ان تعني سوى ان اسحاق هو أخو بابك لان الفعل صيغ على هيئة المبني للمجهول ولهذا يتعذر اعتبار اسحاق فاعلا وكان الصحيح ان يكتب وأخذ أخاه اسحاق ٠ لقد انفرد البغدادي بجعل جرجان ميدانا لفعاليات المازيار وأظنه حسب محاولة غزو جرجان من قبل اتباع المازيار ، والتي لم يكتب لها النجاح كما يوضح الطبري (١٢٤) ، حسب ذلك توسعا لفعاليات المازيارية حتى شملت جرجان، ولوجود بقايا الخرمية (المحمرة) والذين لعبوا دورا انشط من خرمية طبرستان فيما مضى غير انهم لم يستطيعوا الانضمام الى خرمية طبرستان ابان انتفاضة المازيار، لقد أخذ باقوال البغدادي كل من يامبولسكي (١٢٥) والدوري (١٢٦) وبونيياتوف (١٢٧)، ولكني لا أميل الى الاخذ به لأن غالبية المصادر ذكرت طبرستان دون غيرها ميدانا للحركة ، الا الذهبي ، وهو من المتأخرين ، فقد ذكر جرجان (١٢٨) ايضا ، ولأن عبد الله بن طاهر والي خراسان الدائم كان قد سارع في ارسال جيش الى حدود طبرستان ليمنع قوات المازيار من التوغل في الاراضي الجرجانية ، لأنه كان يخشى من انتشار الحركة بين محمّرة جرجان حيث كانوا ذا عدد يحسب له حسابه ٠ ولقد وفق في صد القوات الزاحفة نحو جرجان وأوقفها عند الحدود كما يروي ذلك الطبري : (ثم وجه مازيار اخاه فوهيار الى مدينة طميس وهي على حد جرجان من عمل طبرستان فخرب سورها ومدينتها ٠٠٠ ثم توجه بعد ذلك الى طميس سرخاستان وانصرف عنها فوهيار فلحق بأخيه المازيار ٠٠٠ وانتهى الخبر الى عبد الله بن طاهر والي المعتصم فوجه اليه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بنمصعب وضماليه جيشا كثيفا يحفظ جرجان وأمره أن يعسكر على الخندق الذي عمله سرخاستان في طميس الى البحر علىالحدود بين طبرستان وجرجان ، فنزل الحسن بن الحسين معسكرا على الخندق الذي عمله سرخاستان وصار بين العسكرين عرض الخندق) (١٢٩) ٠

---

(١٢٣) ن٠م٠ ، ص ٢٨٤ ٠

(١٢٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٧٥ ٠

(١٢٥) انتفاضة بابك ، ص ٤١ ٠

(١٢٦) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٤ ٠

(١٢٧) اذربيجان ، ص ٢٤٦ ٠

(١٢٨) دول الاسلام ، وذكر خروجه عام ٢٢٤هـ ونهايته ٢٢٥هـ ، جـ ١ ، ص ٩٨ ٠

(١٢٩) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٧٥ ٠

مـن المصادر المتقدمة نعلم ان الانتفاضة كانت قصيرة الامد حيث اتفقت غـالبية المصادر على ان عام ٢٢٤ هـ هو بداية الانتفاضة وان المازيار صلب في سامراء بعد ان مات تحت السياط في عام ٢٢٥ هـ ، ولا شك ان المازيار لم يحسن توقيت انتفاضته اذ انه لو قام بها في سنوات سابقة أيام كانت جهود الخـــلافة كلها موجهة للقضـاء على الانتفاضة البابكية في آذربيجان لربما كانت الظروف مواتية له أكثر من التاريخ الذي قام به ، هذا الى ان المازيار لم يكن زعيما روحيا أو رئيسا لفرقة الخرمية في طبرستان كما كان بابك ، وانما كان أميرا ذا مطامح في التحرر من نفوذ السلطة استخدم حقـد الخرمية عـلى الاقطاع والسلطة ، لهذا لم يكن هنالك تجـاوب روحي تـام بينه وبين الجماهير المنضمة الى حركته ٠ ان استغلاله حقد خرمية طبرستان وقيادته لانتفـاضة الفلاحين الخرمية وتشجيعه لبابك قد أوحته مصالحه الشخصية والا فبماذا يبرر تفاهمه مع الافشين والذي هو عدو الخرمية وعدو الجماهير المنتفضة سواء في شمال أفريقيا بما فيها مصر أم في ايران وأرمينيا وآذربيجان ، أليس هو الذي قضى على الانتفـاضة البابكية ؟ ٠ وما كان الافشين مخلصا أبدا لقضايا الجماهير وانما كان في اتفاقه مـع المازيار يسعى لاغراضه الشخصية ٠ لقد قاد المازيار الحركة الفلاحية وشجع الفلاحين على قتل ونهب أملاك الاقطاعيين من أجل تحطيم ركائز السلطة والقضـاء على الخطـر الذي يهدده من الخلف ، ان المازيار وان قاد حركة فلاحية اجتماعية سعت الى تحـــرر الفلاحين من ربقة الاقطاعيين الا ان تلك الحلول بالنسبة له كانت وسائل لتحقيق أغراضه لا غايات سعى لها من أجل تحقيق اهداف جماعاته ولهذا وجدنا تقاعس الفـــلاحين وترددهم وعدم مشاركتهم بصورة اجماعية ، ولهذا كان عمر الانتفاضة قصيرا ، أمـا السبب الذي ادى الى قيام المازيار بالانتفاض حسب رأي المصادر فانـــه كـان يطمع بالتخلص من نفوذ السلطة ويكره ويحسد آل طاهر ولاة خراسان ، حيث كـــان يتبعهم مباشرة ، ولهذا استنكف من تحويل الضرائب السنوية الى خراسان ، وبـدأ بتوجيهها الى العاصمة ٠ الا ان المعتصم كان يعيدها من منتصف الطريق الى عبد الله بن طاهر والي خراسان ، مما كان يثير حقد عبد الله على المازيار حتى اذا اطمأن الـى الافشين وشجعه هذا الاخير انتفض ٠ ولم تشر المصادر الى تعاظم جور الاستغلال الاقطاعي ، والذي ادى الى اشتداد حقد المستغلين ونفرتهم من التسلط ، وكان المازيار بين امرين : اما الوقوف مع الارستقراطية المساندة للسلطة ، واما مع الجماهير ، فمال الى استغلال حقد الجماهير وتحويله لمصالحه ٠

علاقة منكجور الفرغاني خال ولد الافشين بالبابكية :

في نفس العام الذي انتفض فيه فلاحو طبرستان بقيـــادة المازيار حصل تمـرد منكجور الفرغاني وكيل الافشين على اذربيجان ٠ وكان الافشين قد عيـن واليا عـلى

اذربيجان ، وبعد ان تم له اخماد الانتفاضة البابكية قفل راجعا الى العراق واصطحب معه بابكا وبقية الاسرى بعد ان وضع يده على جميع خزائن وامـــوال البابكية وترك منكجور الفرغاني وكيلا عنه على ولاية اذربيجان ، وبعـد عامين (٢٢٤هـ / ٨٣٩م) تمرد منكجور على الخلافة ، وقد انضمت اليه فلول الخرمية التـــي نجـت من الموت وأفلتت من الاسر ولم يكن انضمام بقايا البابكية لتمرد منكجـــور بسبب تأييدهم لـــه وموافقتهم لنهجه ومطلبه ولكن كما يخيل لنا ـ انضموا بدافع اخذ الثأر وبسبب تعاظم حقدهم على ازدياد الجور والتعسف ٠ اما اسباب تمرد منكجور فهناك روايتان ، يذكر اليعقوبي (وكان اول سبب حبس الافشين ان منكجور الفرغاني خـــال ولد الافشيـن وخليفته بآذربيجان خلع هناك وجمع اليه اصحاب بابك وسار الى ورثان فقتل محمد بن عبيد الله الورثاني وجماعة من اولياء السلطان ، فقال المعتصم للافشين احضر منكجور فوجه اليه المعتصم بأبي الساج المعروف بديوداذ في جيش عظيم ثم بلـــغ المعتصم ان منكجور انما خلع بأمر الافشين وانما وجه اليه بأبي الساج مددا ، فوجه محمد بن حماد على البريد ووجه بغا التركي فحارب منكجور فطلب الامان فأعطي وجـــيء بـــه الى سامراء » (١٣٠) ، فاليعقوبي لم يوضح بدقة سبب تمـــرد منكجور وانما عزاه الـى الافشين وان الخليفة سخط عليه لما قتل محمد الورثاني وجماعة الخليفة فـــي مدينة ورثان ٠ اما الرواية الثانية التي يرويها الطبري تقول « خالـــف منكجور الاشروسني قرابة الافشين باذربيجان ٠٠٠٠ فأصاب في قرية بابك في بعض منازله مـالا عظيما ، فاحتجزه لنفسه ولم يعلم به الافشين ولا المعتصم ، وكان على البريد باذربيجان رجــلا من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمن فكتب الى المعتصم بخبر ذلـــك المال وكتب منكجور يكذب ذلك ، فوقعت المناظرة بين منكجور وعبد الله بن عبد الرحمن حتى هـم منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمن ، فاستغاث عبد الله بن عبد الرحمن بأهل اردبيل فمنعوه مما اراد به منكجور فقاتلهم وبلغ ذلك المعتصم فأمـــر الافشين ان يوجه رجلا بعزل منكجور ووجه رجلا من قواده في عسكر ضخم فلما بلغ منكجور ذلك خلع وجمع اليه الصعاليك وخرج من اردبيل فرآه القائد فواقعه فانهزم » (١٣١) يجعـــل الطبري سبب الخلاف هنا هو عثور منكجور على اموال وامتناعه عن تسليمها ٠ هاتان الروايتان وان اختلفتا بالاسباب لكنهما صورتا حقيقة الوضع المتردي في اذربيجان٠ وان انضمام البابكية للمتمرد الفرغاني عكس التذمر الشعبي ودل على ان انتصار الخلافة على بابك لم ينه النزاع ولم يضع حدا لسخط الجماهير على الاستغلال والارهاق٠

(١٣٠) التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ ، يعتبر الطبري ان الورثاني قد امتنع عن الخلافة في ورثان (تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٥ ، ص ١٣٠١) وبهذا يكون قد خالـــف مـــا ذهب اليه اليعقوبي ٠

(١٣١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٥ ، ص ١٣٠١ ٠

نهاية الافشين :

ارتبط اسم الافشين بالانتفاضة البابكية حيث تم على يده ـ كما مر بنا ـ سقوط البذ واسر بابك ، ولأن لنهايته علاقة بالانتفاضة البابكية ، لا بد لنا ان نطلع على نهايته. حكم الافشين متهما بالزندقة والالحاد وبسرقة الاموال التي وضع يده عليها بعد احتلال البذ وبالخيانة بممالأته بابك وتهاونه مع وكيله على اذربيجان منكجور وتشجيعه للمازيار على الانتفاض . ولم يشفع له اخلاصه ولا حسن بلائه في الحروب التي قادها ظافرا منتصرا سواء في اخماده الانتفاضات الجماهيرية في شمال افريقيا بما فيها مصر او في اذربيجان او في حروبه مع الروم فقد حكم عليه بالحبس ومات في سجنه وصلب وأحرقت جثته (١٣٢) وانتهى نتيجة صراع الارستقراطية الملتفة حول القصر . يقول الدينوري « ثم ان احمد بن ابي داود وجد على الافشين لكلام بلغه عنه فأشار على المعتصم ان يجعل الجيش نصفين نصف مع الافشين ونصف مع اشناس وفعل المعتصم ذلك فوجد الافشين منه وطال حزنه واشتد حقده » (١٣٣) ، ونتيجة اطماعه الشخصية فقد اثار خصما عنيدا هو عبد الله بن طاهر والي خراسان ويرجع الطبري الخصومة بينهما الى ايام حروبه باذربيجان (١٣٤) وكان في اطماعه يمثل بداية محاولات تسلط الامراء الاتراك وقد اشار الذهبي « وخافه ايضا المعتصم » (١٣٥) ، ولم يكن الافشين ليعدم منافسين له من بين الاتراك انفسهم ، ولقد ابدى ملاحظته حينما اقتاده بغا الكبير الى السجن حيث قال « قد كنت اتوقع هذا منكم قبل اليوم » (١٣٦) . ويشير ليفي الى ان الافشين « قد اثار غيرة منافسيه وعداوتهم فعملوا على اسقاطه باتهامه بالزنديق » (١٣٧) . قام بمحاكمة الافشين جماعة على رأسهم احمد بن داود ومحمد بن عبد الملك الزيات ، وقد وجهت اليه تهم عديدة وجوبه بشهود عديدين منهم المازيار صاحب طبرستان والموبذ والمرزبان بن تركش امير من الصغد ومسلمان من الصغد احدهما مؤذن المسجد والآخر امام فيه، ويفصل الطبري المحاكمة (١٣٨) وملخصها : سأل محمد بن عبد الملك الزيات الافشين عن سبب جلده لامام ومؤذن جامع الصغد ، فأجاب

---

(١٣٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ، المسعودي ، المروج ، م ٤ ، ص ٦١ ـ ٢ ، ابن ابي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط ، الورقة ٥٦ ب ، بارتولد ، المؤلفات ، المجلد الثاني / القسم الثاني (بالروسية) ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص ٤٩٦ .

(١٣٣) الاخبار الطوال ، ٣٤١ .

(١٣٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٣٠٣ ـ ٤ ، انظر العيون والحدائق ، ص ٦١ .

(١٣٥) دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(١٣٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٣١٣ .

(١٣٧) تراث فارس ، ص ١١٦ .

(١٣٨) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ١الى ١٣١٣ .

الافشين بأنه ضرب كل واحد منهما الف سوط (الرقم مبالغ فيـــه كثيرا) بأنهما بنيـا مسجدا بأشروسنه وبينه وبين ملوك الصغد عهدا وشرطا ان يترك كل قوم على دينهم ٠ سأل محمد عن سبب احتفاظه بكتاب الحاد مزين بالذهب والجوهر والديباج ٠ اجـاب عليه الافشين بأنه ورثه عن ابيه وكان يعنى بأدبه ويهمل كفره وكان في غنى عمـا فيه من الجواهر ثم طعن بشهادة الموبذان (الذي ذكر بأن الافشين كان يأكل المخنوقة وهو غير مطهر) وقال عنه بأنه لم يكن ثقة ولما تقدم المرزبان بشهادته التي جـــاء فيها ان الافشين كان يستلم رسائل الاشروسنيين التي يبدأونها الى الاله من عبده فلان بن فلان، صرخ محمد بوجه الافشين : فماذا ابقيت لفرعون ؟ فأجابه الافشين : هذه عادة القوم لأبي وجدي من قبل ولي قبل ان ادخل الاسلام فكرهت ان اضع نفسي دونهم فتفسد علي طاعتهم ٠ ثم جيء بالمازيار وسئل عن الرسائل المتبادلة بينهما فأنكرها المازيار ولكنه قال بأن خاش اخا الافشين كتب الى اخي قوهيار (لم يكن ينصر هـــذا الدين الابيض غيري وغيرك وغير بابك ٠٠٠ ويعود الدين الى ما لم يزل عليه ايـــام العجم) (١٣٩) فاستغرب من تحمله مسؤولية رسالة بين اخويهما وحتى لو صدرت منه فهـــي وسيلة لاستدراك المازيار ٠ وتوجه بالسؤال الاخير اليه احمد بن ابي داود فسأله امطهر انت ؟ فأجاب بالنفي ٠ فسأله احمد ولكن ذلك يكمل اسلامك ؟ فأجاب ان الذي منعه من ذلـك هو الخوف ٠ وقال فيما بعد انه خشي ان يقول نعم فلا يصدق وتكشف عورته ٠ وبعد ان طرح احمد سؤاله الاخير اعلن للحكام : قد بان لكم امره ٠ يا بغا عليك به فضرب بيده بغا على منطقته فجذبها (١٤٠) ولم يسأل الافشين عن ممالآته لبابـــك او تهاونه مـــع منكجور ، ولكن المؤرخين يوجهون هذين الاتهامين اليه فـــي مناسبات عديدة ويـروي الطبري رواية عن محاولة الافشين لسم المعتصم او كبار القواد الاتراك في وليمة يعدها لذلك الغرض (١٤١) ، ولقد صورها ابن اسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان واشار الى ان المازيار اعلم عبد الله بن طاهر بقرب نهاية المعتصم على يد الافشين ولما سقاه كثيرا من الخمر وسكر ذكر تفاصيل المؤامرة (١٤٢) ٠ ولكن طابع الاختلاق فيها واضح ، اذ كيف تسنى للمازيار ان يعرف نوايا الافشين واليوم الذي ستتم فيه المؤامرة كما وانـه يسمي اولاد المعتصم بألقابهم (الواثق والمتوكل) مع العلم بأن هذه الالقاب لقبوا بهـا عند توليهم الخلافة اي بعد ممات المازيار (١٤٣) ٠ لا يستبعد ضعف ايمـــان الافشين بالاسلام ولا مجال لنكران مطامحه ومساهمته مع ارستقراطيين في دس الدسائس بناء

---

(١٣٩) ن٠ م٠ ، ص ١٣١١ ، العيون ، ص ٦٥ ٠

(١٤٠) ن٠ م٠ ، ص ١٣١٣ ٠

(١٤١) ن٠ م٠ ، ص ١٣٠٦ ٠

(١٤٢) تاريخ طبرستان ، ص ١٥٥ ٠

(١٤٣) ن٠ م٠ ، ص ١٥٥ ٠

على تنافس الارستقراطيات الثلاث (العربية والايرانية والتركية) وتشجيعه للمازيار على الانتفاض ومنكجور الفرغاني على التمرد ولكن ممالآته لبابك لا اساس لها من الصحة وان وردت في كثير من المصادر العربية كما مر بنا ـ ونورد على سبيل المثال اقوال البغدادي في الافشين : « واتهم افشين الحاجب بممالآة بابك في حربه وقتل لأجل ذلك ٠ » (١٤٤) ، « وذكروا انه دخل في دعوتهم (الخرمية) الافشين صاحب جيش المعتصم وكان مراهنا لبابك الخرمي ٠٠٠ واخرج الخليفة لقتالهم الافشين فظنه ناصحا للمسلمين وكان في سره مع بابك وتوانى بالقتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين وقتل الكثيرين منه ٠٠٠ ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الافشين وخيانته للمسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصلب لذلك » (١٤٥) ٠ ولقد بينا في حينه خطل هذه الآراء وان الافشين كان جادا في حربه مع بابك وا نالظروف الطبيعية والمناخية وتمرس الخرميين في القتال بمناطقهم الوعرة قد اجبرت الافشين على التواني كما وان المعتصم انعم على الافشين بأعظم التقدير والتبجيل وأمر الشعراء بمدحه ، فيذكر الطبري « فتوج المعتصم الافشين وألبسه وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم (عشرين مليونا) منها عشرة آلاف الف صلة وعشرة آلاف الف درهم يفرقها في اهل عسكره وعقد له على السند وادخل عليه الشعراء يمدحونه » (١٤٦) ، ويقول المسعودي « وتوج الافشين بتاج من ذهب مرصع بالجوهر واكليل ليس فيه من الجوهر الا الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر قد شبك بالذهب ، وألبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن بن الافشين بأترجة بنت اشناس وزفت اليه » (١٤٧) ، فلا يعقل ان يكرم المعتصم الافشين بعد تهادنه او تعاونه مع عدوه بابك ٠ وقد يقال ان ذلك التعاون ربما كان في الخفاء ، ولكن الم يكن للخليفة العيون والارصاد ؟ وهؤلاء منبثون بين الجند والثوار ويخبرون الخليفة بكل شيء ٠ ولمَ لم يرد ذكر الخيانة في المحاكمة ؟ ان ابن ابي داود وابن الزيات وغيرهم لم يشيروا الى تعاونه مع بابك ٠ لكن ذلك الاتهام جادت به قرائح المؤرخين لتبرير الحكم اكثر ٠ ان السبب المباشر والحقيقي هو تنافس الارستقراطيين الملتفين حول القصر ومعاداة آل طاهر ولاطماع الافشين وتخوف المعتصم من تعاظم نفوذ الافشين كما قال الذهبي « وخافه ايضا المعتصم » (١٤٨) ٠

(١٤٤) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٨ ٠

(١٤٥) ن٠ م٠ ، ص ٢٨٤ ٠

(١٤٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ ٠

(١٤٧) المروج ، ج ٤ ، ص ٥٩ ٠

(١٤٨) دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٨ ٠

اثر الانتفاضة البابكية في النظام الاجتماعي والسياسي للخلافة

بالرغم من ان الانتفاضة البابكية ، التي دامت عشرين عاما ، لم تستطع ،شأنها شأن باقي انتفاضات الخرمية ، وكل انتفاضات مجتمع العبودية والاقطاع ، ان تضع حدا للاستغلال وذلك لعدم نضوج الشروط الضرورية لمثل هذا الامر · فمستوى الانتاج لم يكن يسمح بعد بالانتقال الى نظام خال من الاستغلال والاضطهاد · لانها كانت تفتقر الى التنظيم · ولم يكن لدى المنتفضين انفسهم ادراك واضح لا لاهداف النضال ولا لطرق تحقيقها · فلم يكن المنتفضون في تلك العهود يملكون نظرية تقدمية تنير طريقهم في النضال ولا حزبا · وهذان الشرطان الاخيران تكونا فقط في عهد الرأسمالية (★)، ولكن الانتفاضة البابكية لم تمر كسحابة عابرة في سماء الخلافة العباسية دون ان تحدث تأثيرا ، بل انها تركت آثارا جسيمة في النظام الاجتماعي والسياسي معا اذ انها زعزعت كيان الخلافة وكبدتها الخسائر الفادحة في الاموال والارواح ، والتي تضاربت اقوال المؤرخين في تقديرها بين ربع مليون الى مليون قتيل ، مما اضعف معنويتها واهبط سمعتها ونفوذها فتقلص نفوذها المركزي على الاطراف مما شجع الامراء الارستقراطيين على الاستقلال المحلي ، كالطاهريين ، كما وتشجع الاتراك ، فيما بعد ، على التطاول على شخص الخليفه بل ان المعتصم خشي من زعماء الاتراك وكان قد خشي الافشين كما مر بنا ·

نشوء وتوطد الامارات الاقطاعية وتطور الاقطاع :

واكبنا ـ سابقا ـ مسيرة الاقطاع ونموه ، وقلنا ان عدم تطور الاقطاع بوتائر اسرع كان يعود الى عدم اكتمال شروط التملك الاقطاعي للارض وهذا يرجع ، عدا العوامل الطبيعية وطريقة الارواء ، الى قوة السلطة المركزية والى غياب الامراء الاقطاعيين عن اراضيهم وسكناهم في العاصمة ، غير ان هذه الحال لم تدم بعد تعرض الخلافة للهزة العنيفة التي حلت بها من جراء الحروب المهلكة التي خاضتها لاخماد الانتفاضة البابكية ، فقد اظهرت الخلافة طيلة عشرين عاما عجزها عن القضاء على بابك بل كانت جيوشها في اغلب الاحيان تنهزم امام قوات البابكيين مما ترك انطباعا سيئا حول مقدرة الخلافة وزعزع هيبتها لدرجة تجرأ فيها الكندي على الطعن بقدرة الجيوش العباسية والتهكم عليها نتيجة انتصارات جيوش بابك عليها · ولهذا ٌوجدت الامكانيات الطبيعية لتقليص الارتباط بالمركز · ومهما عد المؤرخون والباحثون عصر المأمون من العصور الزاهية العظيمة فان في ذلك العصر بالذات نشأت الامارات

(★) ق· افاناسييف ، اسس الفلسفة الماركسية ، ترجمة عبد الرزاق الصافي ، بيروت ، ص ٢٢١ ·

الاقطاعية نتيجة ضعف السلطة المركزية في بغداد حيث نشـــأت الامــارة الطاهرية في خراسان والمازارية في طبرستان وبعد وفاته (المأمون) بطريقية سهل بــن سنباط في آران ولم يغير انتصار الخلافة على بابك من الموضوع شيئا فان هيبة الخلافة السابقة ونفوذها السابق لم يعودا للوجود ٠ فيذكر مينورسكي « بالرغم من اعـــدام بابك فان احتلال العباسيين للقفقاز قد ضعف تدريجيا كما ظهر من تطور الابتعاد عـــن السلطة المركزية في العائلة الساجية » (١٤٩) ٠ ويعزو خدابخش نجـــاح الطاهريين في جعل الولاية وراثية في اسرتهم في عهد المأمون الى السياسة وليس الى القوة (١٥٠) ، ولكن فات خدابخش ان الخلافة كانت مكرهة على قبول امارة الطاهريين وان لا سبيل لها في ازاحتهم لضعفها فلم يحتاجوا للقوة ٠

تسلط الاتراك على الخلفاء :

كان الصراع بين الارستقراطيتين العربية والايرانية قد بلغ اوجـــه في الحرب الاهلية بين الامين والمأمون ، وانعكس هذا الصراع على الجيش العباسي فلـــم يأمن المعتصم الاعتماد على الجيش المؤلف بصورة رئيسية مـــن العرب والايرانيين ومعهم البربر واسرى الحروب ، والذي انقسم على نفسه وقل احترامه لرؤسائه وفقـــد الثقة بنفسه ، نتيجة الانكسارات والاندحارات والهزائم المتلاحقة في الجبهة الاذربيجانية مع الخرميين ، ولجهل غالبية افراد الجيوش العباسية الحرب في الجبال دفع المعتصم الى ان يستعمل غلمانه الاتراك الذين كان قد استجلبهم لاستخدامهم كرقيق وحرس لــه ٠ دفعته الاسباب الآنفة الى ان يستعمل غلمانه الاتراك ويزج بهم فـــي حروب اذربيجان ضد بابك ، وكانت براعتهم في قتال الجبال وتمرسهم فيها خير معين لهـــم فـــي كسب المعارك ، وكانت هزيمة بابك وانتصار القادة الاتراك المساهمين فـــي الحملـــة وعلى رأسهم الافشين قد تركا لديهم انطباعا بأن لهم الفضل وحدهم في ذلك الانتصار الحاسم يضاف الى ذلك مساهمتهم في فتح عمورية فتكونت لديهم دالـــة على الخلافة وبدأوا يساهمون في الخصومات الدائرة بين الارستقراطيين الملتفين حول القصر ، كاشتراك

....

(١٤٩) دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١١ ، ويقول ماكوفلسكي « ومع ان انتفاضة بابـك قد أخمدت الا انها وجهت للخلافة البغدادية (كانت العاصمة حينذاك سامراء) تلـــك الضربة التي لم تصح منها » ، اعمال القسم الفلسفي ، المجلد الســـادس ، ١١ باكو ، ١٩٦٠ ، من التاريخ الفلسفي في اذربيجان في القرنين الحادي عشـر والثاني عشر ، ص ٥ (بالروسية) ٠

(١٥٠) الحضارة الاسلامية ، ص ١٤٢ ــ ٣ ٠

البعض منهم في مؤامرة العباس بن المأمون ضد المعتصم (١٥١) ، كما وان القضاء على الافشين كان بسبب التنافس على النفوذ ، ولئن ذهب الافشين ضحيتها فان البقية لم يكفوا عن النشاط والمساهمة في الخصومات والدسائس والمكائد البلاطية حتىاستطاعوا ان يكونوا لهم نفوذا بارزا ويلعبوا دورا رئيسيا في تعيين وعزل الخلفاء وسمل اعينهم وقتلهم حتى غدا الخلفاء ألعوبة بأيديهم وحتى تندر عليهم الشعراء فقالوا :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وقال دعبل في ذم المعتصم :

لقد ضاع امر الناس حيث يسوسهم وصيف واشناس وقد عظم الخطب
واني لأرجو ان ترى من مغيبها مطالع شمس قد يغص بها الشرب
وهمك تركي عليه مهانة فأنت له ام وانت له اب (١٥٢)

ويقول شاعر الزط :

فاستنصروا العبد من ابناء دولتكم
من يازمان ومن بلج ومن توز
ومن شناس وافشين ومن فرج
المعلمين بديباج وابريز (١٥٣)

ويشير خدابخش الى ان بداية سيطرة الاتراك على جيش الخلافة كانت واحدا من الاسباب الكثيرة التي ادت الى سقوط الدولة العباسية (١٥٤) ٠ والى هذا المعنى اشار الدوري (١٥٥) ٠ ولم يقتصر ضرر تقريب الاتراك على الخلفاء وحدهم بل سبق وان لحق جماهير بغداد اذى هؤلاء الجفاة ، فيذكر ابن الطقطقي « وقيل ان المعتصم استكثر المماليك فضاقت بهم بغداد وتأذى بهم الناس وزاحموهم في دورهم وتعرضوا بالنساء » (١٥٦) ٠

---

(١٥١) انظر الطبري (عن حوادث سنة ٢٢٣هـ) ويفصل المؤامرة التي ساهم فيها الامراء الاتراك الذين منهم عمرو الفرغاني واحمد بن الخليل ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٥٦ ـ ١٢٦٦ ٠

(١٥٢) ابن الساعي البغدادي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ٥٩ ٠

(١٥٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٦٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٣ ـ ٤ ٠

(١٥٤) الحضارة الاسلامية ، ص ٦٤ ٠

(١٥٥) العصر العباسي الاول ، ص ٢٢٩ ، دراسات ، ص ١٣ ٠

(١٥٦) الفخري في الآداب السلطانية ـ ص ٢٣١ ، ابن ابي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط ، الورقة ٥٩ ب ٠

ومن آثار الانتفاضة العميقة في الحياة السياسية للخلافة هي :

انقسام الامبراطورية الاسلامية العظيمة اثناء وبعد انتهاء الانتفاضة :

قبل مجيء المأمون كانت الخلافة العباسية امبراطورية شاسعة مترامية الاطراف لم يخرج من حوزتها الا الاندلس (شبه جزيرة ايبريا) وكانت تمتاز بقوة السلطة المركزية وبهيبة السلطان ، ولكن الحروب المستمرة التي خاضها الخرميون والمكللة بالانتصارات دوما اضعفت قوة السلطة المركزية فبدأت تظهر الامارات الاقطاعية الوراثية المستقلة في الولايات حيث نشأت الطاهرية (٨٢١ ــ ٨٧٣م) اثناء الاندحارات والهزائم التي منيت بها الخلافة ، وبالرغم من تمكنها اخيرا من الاجهاز على بابك الا ان تأثير الانتفاضة ظل يعمل في زعزعة نفوذ السلطة المركزية وهكذا نشأت الامارة الصفارية (٨٧٦ ــ ٩٠٣ م) والسامانية (٨٧٥ ــ ٩٩٨ م) والغزنوية (٩٦٢ ــ ١١٨٦) في الجهات الشرقية من الخلافة والطولونية (٨٦٨ ــ ٩٠٥) في الجهات الغربية من الخلافة (مصر) ولا يخفى ان نشوء هذه الامارات الارستقراطية الوراثية كان مرجعه ضعف نفوذ الخلفاء وتقلص سلطانهم عن الاطراف بسبب من عجزهم عن مقاومة الانتفاضة الخرمية في حينه ، ولهذا فنشوء الامارات هو اسلوب تطور الاقطاع ونمو اللامركزية ٠ ولم تعد عاصمة الخلافة سامراء او بغداد فيما بعد لتغري الطامعين من الامراء على المكوث فيهما والتردد على السلطان بل اخذ هؤلاء يتوجهون الى الاطراف لتكوين كيانات مستقلة لها عواصمها وجيوشها ونقودها وسجونها مكتفية بالاعتراف الاسمي بسيطرة الخلافة ، اما من الناحية الفعلية فلم يكن للخلافة اي نفوذ عليها ٠ ولقد شجع هذا الاستقلال على تطوير الاقطاع بوتائر اسرع مما كان عليه في بداية العصر العباسي الاول ٠

سقوط هيبة الخلافة :

كان للخلافة قبل الانتفاضة سمعتها وقدسيتها وهيبتها لدى الشعوب وكان اسم الخلافة يتردد بهيبة وخشوع ، ولئن تعرضت الخلافة العباسية الى انتفاضات وتمردات وحروب واسعة الا ان سمعة الخلافة وجلال السلطان ظلا مرتفعين ٠ ولئن هددت الانتفاضات والحروب امن الخلافة وسلامة البلاد بالخطر فان هيبة الخلافة ظلت محافظة على مكانها المرموق ٠ الا انه في الانتفاضة البابكية لم تتعرض سلامة الخلافة للخطر فقط بل ارتعش جلال السلطان وسقطت هيبة الخلافة من عليائها من جراء تخاذلها وعجزها عن كسب المعارك مع المنتفضين رغم توفر الامكانيات الواسعة لديها ، وقد ولّد عجز الخلافة عن احراز النصر انطباعا سيئا لدى الشعوب نجم عنه استصغار شأن الخلافة وعدم المبالاة بسلطانها وسطوتها وهذا ما جرأ الكندي المسيحي على ان يقف في

بلاط المأمون وامام علماء المسلمين ليتطاول على اقدس ما يعتز بـه المسلمون ، وكانت حججه الدامغة انتصارات بابك نفسها وعجز جيوش المسلمين عن الوقوف امامه ٠ يقول الكندي : لو كان الله مع المسلمين والمسلمون على حق فلماذا ينصر الله بابك الكافر ؟ (١٥٧) ، وبمرارة واسى ابلغ المأمون اخاه المعتصم بأن يبذل قصارى جهـوده لاعادة هيبة الخلافة وذلك بالقضاء على الخرمية ، ولم يكن المعتصم بحاجة الى مـن يوصيه بخطر الانتفاضة البابكية وتأثيرها البليغ في هيبة الخلافة وما تسببه من تنامي فـرص التخلص من نفوذ السلطة المركزية لدى الاطراف ، وان استقلال الامارات الوراثية لدليل على فقدان الخلافة لهيبتها وسلطانها ، لقد فكر المعتصم بكل شيء واستخدم جل طاقاته للقضاء على الانتفاضة ولم يبخل بمال او اي شيء فيقول الذهبي : « وقد انفق المعتصم بيوت الاموال في حرب هذا (يقصد بابـك) » (١٥٨) ٠ لقـد اراد ان يستعيد هيبة الخلافة وجلال السلطان بأي ثمن ، ولكنه وان حقق النصر على بابك فانه لم يستطع ان يعيد للخلافة رونقها وصيتها وجلالها ٠ لقد فقدت ذلك الى الابد ٠ وكان هؤلاء الغلمان الاتراك الذين استخدمهم للقضاء على الانتفاضة قد اجهزوا علـى ما تبـقى من هيبة مهلهلة متداعية ، فكان تسلط الاتراك على الخلفاء الضربة القاضية التي سـددت الى سمعة الخلافة المتدنية ٠

ولئن تيسر للخلافة بعدئذ الفرصة لان تتظاهر بالوقوف على قدميها ، ولـو على وهن ، فانها دون شك لم تعد ذلك الجبار المارد المهيب الذائع الصيت وانما كيانا هزيلا واهيا ومعتمدة على ما لها من سابق عز ومجد ، فلهذا لم يبق للخلافة بعد خروجها مـن الانتفاضة البابكية وما رافقها من ارهاصات ، لم يبق لهـا رونقها وصيتها المجلجـل المـدوي ٠

بقـايا الخرمية :

هل قضي على الخرميين عند القضاء على انتفاضة بابك بعـد سقوط البذ ؟ هل ركدوا وسكنوا ؟ ام حافظوا على تقاليدهم الثورية ؟ يخبـرنا اليعقوبي عـن انضمام الخرمية بعد عامين من سقوط البذ الى تمـرد منكجور الفرغاني (١٥٩) ، وما كـان انضمامهم الى هذا التمرد الذي يخالفونه في العقيدة والاهداف الا لطلب الثأر ومقاومة التعسف والاستغلال ، وفي الرسالة الثانية لابي دلف الذي سافر وتجول في تلك المناطق بين ٣٣١ ـ ٣٤١هـ / ٩٤٢ ـ ٩٥٢م يرد كلام عن جبل البذ (وفيه تعقد اعلام المحمرة

(١٥٧) محاورة الكندي ، الصفحات ٤٥ ـ ٤٦ ٠

(١٥٨) دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٧ ٠

(١٥٩) التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ٠

المعروفين بالخرمية ومنه خرج بابك وفيه يتوقعون المهـــدي ٠٠ » (١٦٠) ، ولقد ذكـر المسعودي انه زار مناطق الخرمية ـ والتي ذكرناها فـــي مناسبات سابقة ـ في عـام ٣٣٢هـ (اي بعد مائة وعشرة اعوام من سقوط البذ) فوجد اكثر هـؤلاء الخـرمية في القرى والضياع وسيكون لهم عند انفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان الآتي (١٦١) ٠ كما وان المقدسي المتوفي ٥٠٧هـ ذكر بأنه زارهم في مناطقهم وشاهدهم وناقشهم (١٦٢) فمن هذه الاخبار نعلم أن الخرمية ظلوا بعقائدهم وآرائهم ٠ واذا لم يكتب للانتفاضة البابكية ، رغم عمقها وشمولها واتســاع ميادينها واستطالة فترات ازمانها ، اذا لم يكتب لها النجاح لاسباب موضوعية وذاتية لاحظناها ، واذا لم تستطع شأن كل الانتفاضات والثورات التي قامت في عهود الـــرق والاقطاع ان تضع حدا للاستغلال ، فان هذه الانتفاضة الواسعة لم تفقد ولا شك التأثيـــر الكبير المدوي الذي لازمها فجأة وانما تناقص ولا ريب ذلك التأثير الذي كان لها تدريجيا وخلال عـدة قرون ، اذ لا يمكن قلع جذور حركة اجتماعية من محيطها بمجـرد كسب معارك حربية على معتنقي مبادئها ، ولهذا ظلت الخرمية وظل انصارها لاحقاب وان لم يكن لهم ذلك التأثير ٠ ونتيجة عدم الدقة في استخدام التعابير والمصطلحات الحديثة واطلاقها على عهود سابقة لأوانها وقع جوزي في ارتباك فكري حينما يقول : « ان البابكيين غلبوا على امرهم وماتوا كحزب اشتراكي (؟) الا انهم عاشوا الى ايام سلجوق ومن ورثتهم من سلاطين خوارزم كنحلة دينية لا اهمية لها كبرى » (١٦٣) ٠ وعلى النقيـض من هـذه الاقوال المرتبكة استخلص يامبولسكي عدم فقدان تأثير اي حركة اجتماعية في مسيـرة تطور المجتمع ٠ فقد كتب عن نهاية الانتفاضة البابكية : « فشل اي حـــركة اجتماعية واسعة لا ينهي تأثيرها الجدي في مسيرة تطور المجتمع الذي نمت ونضجت وتوسعت فيه (١٦٤) ، وهذا ما اكدته الحوادث وما اشرنا اليه سابقا ٠ وقـــد نفت الموسوعة الاسلامية ان تكون نهاية بابك قد وضعت حدا لحركة الخــرمية (١٦٥) ، وقـــد اشار بونيياتوف الى ان تلك النهاية لا تعني ان جماهيـــر اذربيجان والمناطق المجاورة قـد سكنت وهدأت (١٦٦) ، ويخبرنا جوزي بأن المتأخرين من الخرمية اضطروا ان يتستروا

(١٦٠) ص ١٣ ٠
(١٦١) المروج ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ ـ ٦ ، التنبيه ، ص ٣٥٣ ـ ٤ ٠
(١٦٢) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ ٠
(١٦٣) من تاريخ الحركات ، ص١١٧ ٠
(١٦٤) انتفاضة بابك ، ص ٣٩ ٠
(١٦٥) م ١ ، ص ٨٤٤ (بالانكليزية) ٠
(١٦٦) اذربيجان ، ص ٢٧٠ ٠

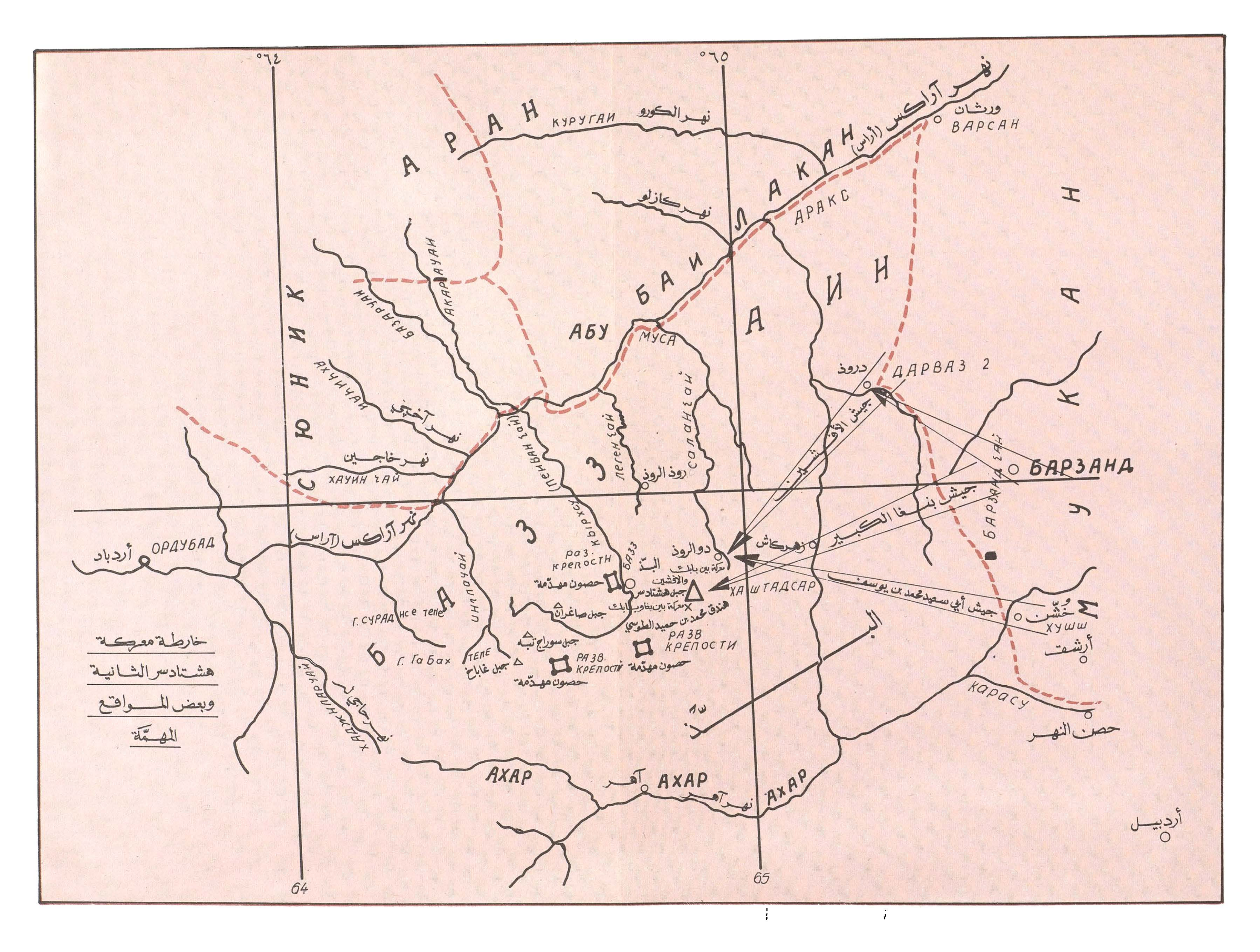
ويخفوا دعوتهم وان ينشروهابطرق خفية (١٦٧) ٠ ويتوصل يامبولسكي مـن دراسته للشاعر نظامي (١٦٨) ، وفي اعتماده على آراء كريمسكي في تحليل الصوفية (١٦٩)، على انه دخل في صوفية اذربيجان الكثير مـن البابكيين ـ الخرميين بعـد اندحـار الانتفاضة الاذربيجانية (١٧٠) ٠ ان تقوقع الخرمية وتسربلهم بلباس الصوفية حصل تدريجيا مع ذوبان الروح الثورية لديهم بمرور الزمن ، ولا ريب انهم نقلوا معهم الى الصوفية بعضا من مفاهيمهم الاجتماعية حيث تركت انطباعا او تأثيرا لدى هذا الشاعر او ذاك ٠

(١٦٧) من تاريخ الحركات ، ص ١١٧ ٠

(١٦٨) نظامي ، الياس يوسف اوغلي (ولد حوالي ١١٤٤م وتوفي حوالي ١٢٠٣) مـن كبار شعراء ومفكري اذربيجان ٠

(١٦٩) مختصر تطور الصوفية ، موسكو ، ١٨٩٥ ، ص ٦ ٠

(١٧٠) انتفاضة بابك ، ص ٤٢ ٠



خارطة معركة
هشتادسر الثانية
وبعض المواقع
المهمّة
٥٦٤
٥٦٥
64
65
АРАН
КУРУГАИ
نهر الكورو
نهر آراكس (أراس)
ورثان
ВАРСАН
ЛАКАН
АРАКС
نهر كازلو
БАИ
АБУ
МУСА
ЮНИК
СЮ
АИН
А
ДАРВАЗ 2
دروز
جيش الأفشين
БАРЗАНД
جيش بنغا الكبير
نهر خاجين
ХАУИН ЧАЙ
نهر آخچي
АХЧИЧАЙ
روذ الروذ
З
ОРДУБАД
أردباد
نهر آراكس (آراس)
دوالروذ
زهركاش
البذّ
معركة بين بابك والأفشين
جبل هشتادسر
حصون مهدّمة
خندق محمد بن حميد الطوسي
ХАШТАДСАР
جيش أبي سعيد محمد بن يوسف
خُشّن
ХУШ
أرشق
جبل صاغران
جبل سوراج تبه
جبل غاباخ
Г. СУРАД
Г. ГаБах
РАЗВ КРЕПОСТИ
Б
Д
ЕН
БАРЗАНД ЧАЙ
КАРАСУ
حصن النهر
АХАР
آهر
نهر آهر
أردبيل

الخاتمة

لم تكن البابكية ـ انتفاضة الشعب الآذربيجاني بمعونة شعوب اخرى ضد الخلافة العباسية ـ وليدة الصدفة ، وانما هي نتيجة حتمية طبيعية ولهـا جذورها العميقة في التاريخ ٠ فمن اجل تشخيص اسبابها الحقيقية ودوافعها الرئيسية واهدافها وبرامجها التي سعت الى تطبيقها تحتم الضرورة دراسة الفرقة الخرمية التي تنتمي اليها البابكية٠ ولما كانت الخرمية متطورة عن المزدكية اقتضى الامر دراسة احوال معتنقي افكار هذه الفرقة واهم مبادئها لكي تتوضح المعتقدات والمبادىء والبرامج في تسلسلها التاريخي وتطورها الزمني ٠ لان الانتفاضة البابكية وان كـانت انتفـاضة فلاحية ضد الجـور والاستغلال الطبقي الاقطاعي والتسلط الحكومي ، فانها اتخذت التعاليم الخرمية الدينية اطارا ايديولوجيا لها ٠ وكما هو معروف فان المعارضة الثورية ضد الاقطاع كانت تتخذ احيانا ـ كما بيّن انكلز ـ شكلا دينيا (١٧١) ٠ لقـد قـامت الانتفـاضة البابكية في اذربيجان وفي جزء من ارمينيا وفي الجزء الشمالي الغربي من ايران ، فمن اجل معرفة ظروف واحوال سكان تلك المناطق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولأجل دراسة سير تطور اساليب الانتاج واثر ذلك في تغيير العلاقات الانتاجية ومشاهدة اثر كل ذلك في تغيير بنـاء المجتمع وتكوينه الاجتماعي والسياسي وتشخيص الصـراع الطبقي والمفاهيم التي استغلت في تلك الميادين ، حتمت الضرورة دراسة الوضـع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لتلك البلدان قبل وبعد الفتح الاسلامي ومن ثم فـي العصرين الاموي والعباسي ٠

نشأت في تلك الاقطار ، بأوقات متفاوتة نسبيا ، بعد انحلال المشاعية ، مجتمعات العبيد ومن ثم مجتمعات الاقطاع ، وقد ظهرت الديانة الزرادشتية فـي ايران لمسـاندة المـلاك ولتحبيذ الطاعة وخدمة الاسياد فناهضتها المانوية بفرديتها السلبية وتقشفها وزهدها وكان المجتمع الايراني والاذربيجاني والارمني ، بحكم السيطرة الساسانية ، يئن طيلة عهود مجتمع الرق من الظلم والاستغلال الطبقي المرهق ، فلمـا بلغـت ازمة مجتمع العبيد ذروتها وكانت قد نمت الحرف والتجارة الى جـانب الزراعة ، تصدت

(١٧١) الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣٤ ٠

المزدكية ، التي كانت تعبيرا لأزمة مجتمع العبيد ، تصدت لمحاربة الاستغـــلال البشع وناهضت الزرادشتية ، دين الدولة الساسانية الرسمي ، المؤيدة لتسلــط الاشراف ٠ وكان الصراع سجالا حقق فيه الشعب بفلاحيه وعبيده وكسبتــه بعض المكاسب وأذعنت الارستقراطية ومعها الملك قباذ للواقع ولاقى المقاومون مختلف المصائر من قتل وتشريد ونهب أملاك، ولكن الارستقراطية التي ضربت مصالحها وولي العهد (كسرى أنوشروان فيما بعد) الحاقد على المزدكية دبروا مؤامرة للقضاء على الحركة المزدكية وبرضى من قباذ وتحت علمه فأجهزوا على قسم من المزدكيين ، بضمنهم مزدك ، وأجهز أنو شروان على من تبقى عقب توليه الحكم ٠ لقد نادت المزدكية بمشاعية الارض الزراعية واحترام مركز المرأة اضافة الى اهتمامها بقضايا فلسفية دينية ، وكانت برامجها الاجتماعيـــة عناصر جذب قوية وسط الفلاحين المعدمين والعبيد والكسبة وفقـــراء المـــدن وصغار التجار ، ولئن أجهز على الغالبية من معتنقي المزدكيـــة ، لكن المزدكيـــة كفرقة لم تمت وعاشت سرية حيث ظهرت متطورة في العهــد الاســلامي باسم الخــرمية ، لقد ساهمت المزدكية في الاجهاز على عهد الرق وساعدت على نشوء الاقطـــاع ، وكانت الضرائب التي وضعها أنو شروان وتوزيعه الاراضي عـــلى الاشراف ومساعدتهم ماليا نتيجـة الحركة المزدكية وقد ساعدت أعماله هذه على الاسراع في نشوء الاقطاع ايضا ٠

لقد كانت آذربيجان وأرمينيا وايران مسرحـــا للحروب بين الامبـــراطوريتين الساسانية والرومانية ـ البيزنطية وكان المجتمع يئن من نير الاستغلال الاقطاعي الذي

نشأ ونما أبان الحركة المزدكية وفي أعقابها ٠ وقد أنهكت الحـــروب كلتا الامبرطوريتين مما ساعد على تقدم الفتوحات الاسلامية بسرعة ٠ ومـــن جراء محاولة العـــرب فرض الارستقراطية القبلية ولطبيعة الارض ولعوامل المنـــاخ وأثر ذلك في طـــريقة الارواء وابتعاد الملاك عن أملاكهم فان الاقطاع سار بوتائر أبطأ بالرغم من ان الخلفاء كـــانوا يقطعون الارض لاعوانهم ، فلم تظهر الاراضي المكتملة فيها شـــروط التملك الاقطاعي حتى نهاية العصر العباسي الاول ، ومع ذلك فان المجتمع كان اقطاعيا ، ومن أجل ذلك تتوجب دراسة الاقطاع ونموه في العهد الاسلامي ودراسة المجتمع وطبقاته الاساسيـة والثانوية المختلفة ودراسة الضرائب التي هي استمـــرار لأنظمة الضرائب البيزنطيـة والساسانية مع بعض التغيرات ، ودراسة معاملة أهل البلد المفتوح الموالي (المسلمين) والذميين (غير المسلمين)٠ ولقد عانت شعوب تلك البلدان من نير الاستغلال الاقطــاعي والجور الحكومي المتمثل بفداحة الضرائب وازديادها على مر الاعوام ، فقد استسلمت المدن على قدر معين وحددت الجزية على الافراد بالنسبة الى دخـولهم ولكن الامويين زادوا في كمية الضرائب على المدن وعلى الافراد فجعلوها (على قدر الطاقة) بالرغم من انها كانت محدودة (على قدر مسمى) مما أثار حفيظـــة الشعوب عـــلى الضرائب المتزايدة ٠ ولقد احتقرت الشعوب المحكومة غير العربية ، ولهـــذا ساهم أبناء الشعوب

المغلوبة (مسلمون وذميون) في انتفاضات عديدة من أجل تخفيف الضـائقة الاقتصادية ومن أجل المساواة ، لقد ناضلت الشعوب سياسيا وفكريا (الشعوبية) من أجل تخلصها من نير الاستغلال الاقطاعي والجور والاحتقار الحكــومي ، وأبرز مساهمـاتهم كانت مساهمة الشعب الايراني في الدعوة العباسية ، ولما لم يحقق العبـاسيون الوعود التي وعدوا بها انتفضت جماهير الفلاحين والكسبة والعبيد ضد السلطة بقيادة الخرميين ، الذين باشروا بدعايتهم الى مشاعية الاراضي الزراعيــة والتخــلص من الضرائب المتزايدة والى احترام مركز المرأة ، منذ أواخر الحكم الاموي · وقد تميزت في العصر العباسي الصفات الطبقية في انتفاضات الخرميين أكثر من الانتفـاضات التي ساهمت فيها الشعوب في العصر الاموي حيث كانت الارستقراطية المحلية، المتضررة مصالحها، مساهمة غالبا في الانتفاضات ضد الامويين ، أما في انتفاضــات الفلاحين الخرميــة فكانت الارستقراطية المحلية مع السلطة وقد رفعت هذه الارستقراطيــة لواء الشعوبية بطابع رجعي ومعاد للعرب فتخلت عنها الجماهير اذ اعتمدت على النضال المسلح دون النضال الفكري · لقد قمعت الانتفاضات الفلاحية الخرمية الواحدة تلو الاخرى لـكن أعظمها كانت الانتفاضة البابكية التي أنهكت قوى الخلافة العباسية طيلة عشرين عـاما وكان النجاح في سنوات (٢٠١هـ ــ ٢١٨هـ) حليف البــابكيين بسبب درايتهـم بحروب الجبال وتمتعهم في المناطق المنيعة ولانهماك الجيش العباسي الضعيف في قمع انتفاضات فلاحي مصر والزط في العراق وخرمية ايران ولانشغاله في حروب الروم ، وكان ذلك في عهد الخليفة المأمون ، فلما جاء المعتصم وقد أخمدت الانتفاضات وأهمـل شأن الجبهـة البيزنطية ، تيسر للجيش العباسي ، الذي طعّم بعناصر كفوءة متدربة على قتال الجبال وأسندت قيادته الى قائد محنك تحت تصرفه ما يبتغي من الاموال والرجال هو الافشين، وقد تم بناء الحصون والقلاع وترميمها من قبل قادة سبقوا الافشين في أعوام ٢١٨ ــ ٢٢٠ هـ ، فتمكن الجيش بقيادة الافشين ومعه قادة ذوو مهارة وجلد ، في حروبه ٢٢٠ ــ ٢٢٢ هـ ان يحقق انتصارات ويقلل من رقعة الارض التي تحتلها الانتفاضة تدريجيـا حتى تيسّر للافشين أخيرا محاصرة البذ ، قلعة البابكيين الحصينة ومركزهم المنيـع ، وفتحها وكان لانتقال الاقطاعيين ، المنضمين الى الانتفاضة خوفـــا ، من صفوفها الى صفوف جيش الخلافة وتهاون أمبراطور الروم في مساعدة الانتفاضة ، ذات البـرامج الاجتماعية الخطرة على مصالحه ، كان لذلك أثر أيضا في اندحـــار الانتفاضة ، أمـا بابك ، الذي التجأ الى أرمينيا هربا ، فقد سلمه غدرا أمير أرمني اقطـــاعي (سهل بن سنباط) ، الذي كوفيء على خيانته لحليفه السابق · وقد أعدم بابك في سامراء وأخوه عبد الله في بغداد واعتبر يوم القاء القبض عليه يوما عظيما وعيدا كبيرا ونصرا مؤزرا لجسامة الانتفاضة البابكية على الخلافة · لقد صُورت الانتفاضة الفلاحية الآذربيجانية أبشع تصوير من لدن المؤرخين الحاقدين على كـل انتفاضة جماهيرية ضـد السلطـة،

الملاحق

تتمة ـ قائمة الجهشياري

اسم المنطقة	مجموع الدراهم	موارد اخرى
خراسان	٢٨٠٠٠٠٠٠	نقر الفضة الامناء الف نقرة ٠ البراذين ٤ الاف برذون ، الرقيق الف رأس ، المتاع ٢٧ الف ثوب ، الاهليلج ٣٠٠ رطل ، الابرسيم الف منا ٠
جرجان	١٢٠٠٠٠٠٠	الابريسم الف منا ٠
قومس	١٥٠٠٠٠٠	نقر الفضة الامناء الفا نقرة ٠ الاكسية سبعون كساء ٠
طبرستان والدوبان ودونباوند	٦٣٠٠٠٠٠	الفرش الطبري ستمائة قطعة ، الاكسية مائتا كساء ، الثياب خمسمائة ثوب ، المناديل٣٠٠ منديل ، الجامات ٦٠٠ ٠
الري	٠١٢٠٠٠	الرمان مليون رمانة ، الخوخ الف رطل ٠
اصفهان (سوى خمتش ورساتيق عيسى واويس)	١١٠٠٠٠٠٠	العسل عشرون الف رطل ، الشمع عشرون الف رطل ٠
همذان ودستبي	١١٨٠٠٠٠٠	رب والريقاس الف منا ، العسل الاروندي عشرون الف رطل ٠
ماهي البصرة والكوفة	٢٠٧٠٠٠٠٠	
شهرزور وما يليها	٢٤٠٠٠٠٠٠	
الموصل وما يليها	٢٤٠٠٠٠٠٠	العسل الابيض عشرون الف رطل
الجزيرة والديارات والفرات	٣٤٠٠٠٠٠٠	
آذربيجان	٠٤٠٠٠٠٠٠	
موقان وكرخ	٣٠٠٠٠٠	
جيلان	ـــــــ	من الرقيق مائة رأس
التتر والطيلسان	ـــــــ	من العسل اثنا عشر زقا ومن البزاه عشرة بزاه ومن الاكسية عشرون كساء
ارمينية	١٣٠٠٠٠٠٠	البسط المحفورة عشرون بساطا ، الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ٠٠٠ البغال ٢٠٠ بغلا ٠
قنسرين والعواصم	٤٩٠٠٠٠	
حمص	٣٢٠٠٠٠	الزبيب الف راحلة ٠
دمشق	٤٢٠٠٠٠	
الاردن	٠٩٦٠٠٠	
فلسطين	٣٢٠٠٠٠	ومن جميع أجناد الشام من الزبيب ٣٠٠ الف رطل ٠
مصر سوى تنيس ودمياط والاشمونين (فان هذا وقفت للنفقات)	١٩٢٠٠٠٠	
برقه	١٠٠٠٠٠٠	
افريقيا	١٣٠٠٠٠٠٠	ومن البسط مائة وعشرون بساطا

تتمة ـ قائمة الجهشياري

اسم المنطقة	مجموع الدراهم	موارد اخرى
اليمن (سوى الثياب)	٨٧٠٠٠٠	
مكة والمدينة	٣٠٠٠٠٠	

المجموع :

العملة الورقية : ٠٠٠ ٤٠٨ ٤١٤ درهم
العينيات وقيمتها : ٠٠٠ ٠٠٠ ١١٠ درهم
٠٠٠ ٤٠٨ ٥٢٤ درهم

لقد ورد في الصفحة ٢٣٥ ما يلي : فذلك العين خمسة آلاف دينار قيمتها حساب اثنين وعشرين درهما بدينار ما ئة الف درهم وخمسة وعشرون الف الف وخمسمائة واثنان وثلاثون الف درهم ٠ الورق اربعمائة الف الف واربعة الاف الف وسبعمائة الف وثمانية آلاف درهم ٠ يكون الورق مع قيمة العين ـ خمسمائة الف الف وثلاثين الف الف وثلثمائة الف واثني عشر الفا ٠ اي = ٠٠٠ ٣١٢ ٥٣٠ درهم وهذا غير صحيح من حيث الجمع اذ يجب ان يكون = ٠٠٠ ٤٠٨ ٥٢٤ درهم ٠

٤ ـ قائمة قدامة بن جعفر ، كتاب الخرا جوصنعة الكتابة (١)

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة درهم	ارقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
الاهـــواز	١٨٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	وورد في ص ٢٤٩ وارد الاهواز ٢٣٠٠٠٠٠٠ درهم
فارس	٢٤٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
كرمان (مقاطعة في السنة)	٠١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	وورد في ص ٢٥٠ وارد كرمان ٠٦٠٠٠٠٠٠ درهم
اصبهـــان	١٠٥٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
سجستان	٠١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
خراسان (والارتفاع خراسان على ما كان عليه عبد الله بن طاهر لسنة ٢٢١هـ معثمن السبي والغنم والكرابيس)	٣٨٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	وورد في ص ٢٥٠ وارد خراسان ٣٧٠٠٠٠٠٠ درهم (٢)
ماه الكوفة	٠٥٠٠٠٠٠٠	
ماه البصرة	٠٤٨٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
ماسبذان	٠١١٠٠٠٠٠	وورد في ص ٢٥٠ وارد ماسبذان ٠١٢٠٠٠٠٠ درهم
مهرجان قذق	٠١١٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
الايغارين	٠٣١٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
آذربيجان	٠٤٥٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	
قم وقاشان	٠٣٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	
الري	٢٠٢٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	وورد في ص ٢٥٠ وارد الري ودماوند ٢٠٠٨٠٠٠٠٠ درهم

(١) ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة باسم ، نبذ من كتاب الخراج وصنعـــة الكتابة لابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، ليدن ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م ٠

(٢) لا بد ان العلي نقل هذا الرقم عن وارد خراسان وظن ان هذه قائمة ابن خرداذبة ـ انظـر القائمة رقم ٣ ٠

تتمة ـ قائمة قدامة بن جعفر

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة درهم	ازقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
قزوين على عبره سنة ٢٣٧ هـ	٠١٦٢٨٠٠٠ (ص ٢٤٤)	وورد في ص ٢٥٠ قزوين وزنجان وابهر ١٨٢٨٠٠٠ درهم
قومس	٠١١٥٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	
جرجان	٠٤٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٥)	
طبرستان على عبره سنة ٢٣٤ هـ	١١٦٣٠٧٠ (ص ٢٤٥)	وورد في ص ٢٥٠ وارد طبرستان ٤٢٨٠٧٠٠ درهم
ارمينيــا	٤٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٦)	
السواد على عبره سنة ٢٠٤ هـ	١٣٠٢٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٩)	
حلوان (المكتوب عن وارد حلوان في ص ٢٥٠ بانه ٩٠٠٠٠٠٠٠ وهــذا غير صحيح واظنــه ٩٠٠٠٠٠ درهم) .		
تكريت والطيرهان والسن والبوازيج	٩٠٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
كورة الموصل	٦٣٠٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
قردي ويزيدي	٣٢٠٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
ديار ربيعه	٩٦٣٥٠٠٠	
ارزن وميافارقين	٤٢٠٠٠٠٠	
مقاطعة طرون	١٠٠٠٠٠	
ارمينيا	٤٠٠٠٠٠٠	
امــد	٢٠٠٠٠٠٠	
ديار مضر	٦٠٠٠٠٠٠	
اعمال طريق الفرات	**٢٩٠٠٠٠٠**	
قنسرين والعواصم	٣٦٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
جند حمص	٢٢٨٠٠٠ (ص ٢٥١)	
جند دمشق	١١٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	

تتمة ـ قائمة ابن خلدون

اسم المكان	المبالغ	المواد العينية وغيرها	الملاحظات وكما وردت لدى الجهشياري
قومس	مليون درهم مرتين و٥٠٠ الفدرهم	من نقر الفضة (؟)	بدون مرتين ٠ من نقر الفضة الفا نقرة ٠
طبرستان والروبان ونهاوند	٦ ملايين درهم وثلثمائة الفدرهم	ومن الفرش الطبري ٦٠٠ قطعة ومن الاكسية ٢٠٠ والثياب ٥٠٠ ثوب ومن المناديل ٣٠٠ ومن الجامات ٣٠٠ ٠	طبرستان والدوبان ودنباوند بدون مرتين ٦٠٠ جام
الري	١٢ مليون مرتين	ومن العسل ٢٠ الف رطل ومن الرمانين الف رطل ومن العسل ١٢ الف رطل	بدون مرتين بدون عسل
همدان	١١ مليون درهم مرتين وثلاثمائة الف درهم	ومن الرمانين الف رطل ومن العسل اثنا عشر الف رطل	١١٨٠٠٠٠٠ بدون مرتين رب والريباس الف منا والعسل ٢٠ الف رطل
ما بين البصرة والكوفة	١٠ ملايين درهم مرتين و ٧٧٠ الف درهم		ماهي البصرة والكوفة ٢٠٧٠٠٠٠٠ درهم
ماسبذان والدينبار	٤ ملايين درهم مرتين		لا وجود لهما عند الجهشياري
شهرزور	٦ ملايين درهم مرتين و ٧٠٠ الف درهم		٢٤٠٠٠٠٠٠ درهم عند الجهشياري
الموصل وما اليها	٢٤ مليون مرتين	ومن العسل الابيض عشرون مليون رطل	بدون مرتين والعسل ٢٠ الف رطل
اذربيجان	٤ ملايين درهم مرتين		بدون مرتين
الجزيرة وما يليها من اعمال الفرات	٣٤ مليون درهم مرتين	ومن الرقيق الف رأس ومن العسل ١٢ الف زق ومن البزاه عشرة ومن الاكسية عشرون	بدون مرتين اما المواد العينية فلا وجود لها لدى الجهشياري

تتمة قائمة ابن خلدون

اسم المكان	المبالغ	المواد العينية وغيرها	الملاحظات وكما وردت لدى الجهشياري
ارمينيا	١٣ مليون درهم مرتين	ومن القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلا ومن البغال ٢٠٠ ومن المهر ٣٠	بدون مرتين ٠ البسط المحفورة ٢٠ والرقم ٥٨٠ قطعة والبزاة ٣٠بازيا
قنسرين	٤٠٠ الف دينار	ومن الزيت الف حمل	٤٩٠ الف دينار بدون زيت ٠
دمشق	٤٢٠ الف دينار		
الاردن	٩٧ الف دينار		٩٦ الف دينار
فلسطين	٣١٠ الف دينار	ومن الزيت ٣٠٠ الف رطل	٣٢٠ الف دينار ومن الزيت
مصر	١٩٢٠٠٠٠ دينار		
برقه	مليون درهم مرتين		بدون مرتين
افريقيا	١٣ الف درهم مرتين	ومن البسط ١٢٠ بساطا	١٣ مليون درهم
اليمن	٣٧٠ الف دينار	سوى المتاع	٨٧٠ الف دينار
الحجاز	٣٠٠ الف دينار		

(١) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ١ ، القاهرة ١٢٨٤هـ ، ص ١٥٠ ـ ١ ، وطبع القاهرة ١٩٥٥م ، ص ١٧٩ ـ ١٨١ ٠ ذكر ابن خلدون في ص ١٥٠ ٠٠٠٠ وكذلك وجد بخط احمد ابن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد ايام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة ٠ ولا بد ان ابن خلدون قد نقل هذه القائمة عن الجهشياري ، ولكنه وقع في اخطاء كثيرة ولهذا اوردنا ما جاء لدى الجهشياري مع العلم ان الجهشياري اعتبر القائمة مقدمة ايام الرشيد ، وابن خلدون قد ظنها ايام المأمون ٠ ولقد نقل زيدان ، جرجي عن قائمة ابن خلدون (التمدن الاسلامي ، جـ ٢ ، مصر ، ١٩٠٢، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥) واعتبرها برغم اخطائها ممثلة لعهد المأمون، وكذلك اعتبرها حتي، فيليب (تاريخ العرب ، مطول ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦) ، بالرغم من اعترافه بعدم جلائها وضبطها ـ ممثلة لعهد المأمون ٠ والملاحظ على قائمة ابن خلدون ذكره كلمة مرتين ولا ندري ما المقصود بها هل المبلغ مضاعف اما يدفع على وجبتين بالسنة ؟ ومن اين جاء بهذه الكلمة ؟

الملحق ـ ب ـ

الزنادقة والغنوص

١ ـ الزنادقة :

الزندقة حركة ذوي الآراء الحرة من الملحدين لمناهضة الاديان . ويعرف الاشخاص بالزنادقة (جمع زنديق) ـ نسبة الى كتاب الزند ـ وهو تفسير كتاب (الافستا المجوسي) ، وقد اختلف العلماء والمؤرخون والباحثون قديما وحديثا في اصل اشتقاق الكلمة ، وعلى اي الجماعات تطلق ، هل ينفرد بها المانيون ـ اتباع ماني ـ ؟ ام كل الذين يبطنون الشرك ويظهرون التوحيد ؟ . ولكنهم ـ اي العلماء ـ لم يختلفوا على حقيقة ان الكثيرين من ذوي الآراء الحرة والافكار الجريئة اتهموا جزافا بالزندقة . وارى بأن الزندقة لم تناهض الاسلام كدين، وانما ناهضت السلطة الاسلامية الحامية لمصالح الطبقة السائدة والمضطهدة لكل معارضة ، ولو ان مناهضة الزنادقة للسلطة كانت سلبية ضعيفة وفردية ليست جماهيرية . ذكر الالوسي ، محمود شكري : والزنديق بكسر الزاي من الثنوية او القائل بالنور والظلمة او من يبطن الكفر ويظهر الايمان او من لا يؤمن بالآخرة والربوبية (١) ، وقد ذكر كولدتسهير عن الزندقة « وكانت تطلق في العصر العباسي على من ينحو من المسلمين في تفكيره الديني نحو العقائد الزرادشتية والمانوية » (٢) ، يقول ابن كمال باشا : لفظ الزنديق ، فارسي معرب ، على ما نص ائمة اللغة ـ اصله زنده ، او زندي ، على اختلاف القولين ، والراجح هو الاول على ما حققناه في مسالتنا المعمولة في تحقيق التعريب ، وعلى الوجهين نسبته الى زند (٣) . وقد اورد محفوظ ، حسين علي في تعليقه على هذا النص (٤) ، مختلف الآراء حول كلمة زنديق اذ يقول : وقد اختلفوا في اصله اختلافا كبيرا ففي جمهرة اللغة ـ ابن دريد الازدي (٥) : زنده كر ، وفي المخصص ـ ابن سيده، مصر ١٣٢٠هـ جـ ١٤ ص ٤٣ : زندكر ، وفي لسان العرب ـ ابن منظور الافريقي ـ مصر ١٣٠٢هـ جـ ١٢ ص ١٢ : زندكر ، وفي المزهر في علوم اللغة وانواعها ـ جلال الدين

---

(١) بلوغ الارب، جـ ١ ، ص ١٧٧ .

(٢) العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص ٢٧٩ .

(٣) محفوظ ، حسين علي ، رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا (متوفي ٩٤٠هـ) ، بغداد ، ١٩٦٢ . وفي هذه الكراسة بحث لمختلف آراء العلماء والفقهاء والمؤرخين الاسلام حول كلمة زنديق ، وخاصة في الصفحة الاولى من الكراسة حيث نقلنا رأي ابن كمال باشا .

(٤) ن. م. هامش الصفحة الاولى .

(٥) حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٥هـ ، جـ ٣ ، ص ٥٠٤ .

السيوطي ـ مصر (طبعة البجاوي) جـ ١ ص ٢٧٨ ـ ٩ : زنده كرد ، وفي المحيط ـ الصاحب بن عباد (مخطوط ١٣٥٤هـ كتبه الشيخ محمد السماوي بالنجف) جـ ١ ص ٤٤٠ : زنده ، وفي شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل ـ الخفاجي ـ مصر ١٢٨٢هـ ص ١١٢ : زنده كرد زند زندي زن دين زنده ، وفي تاج العروس ـ السيد مرتضى الزبيدي ـ مصر ط ١ ـ ١٣٠٦ ـ ٧هـ جـ ٦ ص ٣٧٣ : زن دين ، وفي المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ـ الجواليقي ـ مصر ـ ١٣٦١هـ ص ١٦٦ ـ ٧ : زنده كرد ، زنيده ، وفي منتهى الارب في لغة العرب ـ الصفى بوري ـ طهران ـ ١٢٩٦هـ جـ ١ ص ٥١٨ ـ ٩ : زن دين ، وفي مجمع البحرين ـ الطريحي ـ طهران ـ ١٢٩٨هـ (مادة زن دق) زند زندا زن دين ، وفي القاموس ـ الفيروزابادي ـ مصر ـ ١٣٥٢ هـ جـ ٣ ص ٢٤٢ : زن دين ، وفي اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ـ الشرتوني بيروت ١٨٨٩م جـ ١ ص ٤٧٧ : زنده ، وفي محيط المحيط ـ المعلم بطرس البستاني ـ بيروت ١٨٦٧م جـ ١ ص ٨٨٩ : زن دين ، وفي البستان ـ الشيخ عبد الله البستاني ـ بيروت ١٩٣٧م جـ ١ ص ١٠١٧ : زن دين ، راجع المصباح المنير ـ الفيومي ـ مصر ـ ١٩٣٩م جـ ١ ص ٢٤٩ ، وصحاح اللغة ـ الجوهري ـ مصر ـ ١٢٩٢هـ جـ ٢ ص ٨٨ ، ودائرة المعارف ـ البستاني ـ بيروت ـ ١٨٨٧م جـ ٩ ص ٢٧٠ ، ودائرة معارف القرن الرابع عشر ـ محمد فريد وجدي ـ مصر ـ ١٣٤٢هـ جـ ٤ ص ٦٠٨ ، وفرنود سار ـ ناظم الاطباء ـ طهران ـ ١٣١٩ ـ ١٣٢٠هـ جـ ٣ ص ١٧٨٣ ، وبرهان قاطع ـ محمد حسين بن خلف التبريزي ـ طهران ـ ١٣٣١ ش جـ ٢ ص ١٠٣٩ ، وكتاب صديقي ـ ص ٢١ و ٩٠ ، والبديع في معرفة اللغة ـ السيد علي المبيدي ـ طهران ـ (؟) ـ ص ٩٥ ، والالفاظ الفارسية المعربة ـ ادي شير ـ بيروت ـ ١٩٠٨م ص ٨٠ ـ ١ ، وترجمان ولغة ـ محمد يحي بن محمد شفيع القزويني ـ طهران ١٢٧٣هـ : مادة (زن ديق) ، والانساب ـ السمعاني ـ ليدن ـ ١٩١٢م (ورقة ٢٨٠/ب) في مادة الزندي ، وجامع التعريب بالطريق القريب (مخطوط ١٢٠٢هـ) نسخة (مكتبة الاوقاف العامة ببغداد) المرقومة ٦٠١٥ (ورقة ١٧١أ ـ ورقة ١٧٢أ) ، وضياء الحلوم المختصر من كتاب شمس العلوم ـ محمد بن نشوان بن سعيد الحميري (نسخة خزانة المشكاة بطهران) مخطوط جـ ٢ (ورقة ٥٠/ب) ، (١) انتهى تعليق محفوظ ·

(٢) حول الزنادقة راجع ايضا الدوري ، عبد العزيز في كتابه العصر العباسي الاول الصفحات ١٠٩ ـ ١١٦ ويذكر في ص ١١١ ما يلي : ولكن يجب ان نلاحظ ان

---

(١) محفوظ ، رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا ، هامش ص ١ ·
(٢) بغداد ، ١٩٤٥ ·
(١) بيروت ، ١٩٦٢ ·
(٢) بغداد ، ١٩٤٩ ·

الزنادقة لم يكونوا جميعا مانوية وان الاسم تدرج معناه فشمل جميع اتباع الديانات الفارسية الذين يظهرون الاسلام ، ثم صار يشمل الملحدين او المتشككين في الدين ٠
ويعرض الدوري آراء بـــراون Browne وبيفـــن Deven وفون كريمـــر Von Kremer ، القائلة بأن الزنادقة هم من المانوية ٠

وذكر الدوري في كتابه « الجذور التاريخية للشعوبية » (١) : « وقـــد استمرت الحركة المانوية باسم الزندقة في المجتمع الاسلامي » ـ ص ٢٤ ، كما وذكر الدوري في كتابه مقدمة في تاريخ صدر الاسلام (٢) : « وانتشرت الزندقة وهي تمثل نزاعا سياسيا دينيا بين الديانات الفارسية ، والطموح الفـــارسي وبين الـــروح العـــربية والدين الاسلامـــي » ص ٩١ ٠ راجـــع ايضـــا جـــب H. A. R. Gibb فـــي كتـــابه Studies on the civilisation of Islam (٣) وفيه فصل عن الشعوبية والزندقة العربية ص ٨٢ ـ ٩٤) ٠

اما في المصادر العربية فيمكن مراجعة الملطي ، كتاب التنبيه والـــرد على اهل الاهواء والبدع ، طبع استانبول ، ١٩٣٦م ص ٧٢ ٠ والجاحظ ـ البيـــان والتبيين ، جـ ٣ ، ولو اننا لا نتفق مع قوله : فانما عامة من ارتاب بالاسلام انما جاءه هـــذا عن طريق الشعوبية فاذا ابغض شيئا ابغض اهله وان ابغض تلك اللغة ابغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الاسلام اذ كانت العـــرب هي التي جاءت به وكانوا السلف ، الجزء الثالث طبع القاهرة ، ١٩٣٢م ص ١٤ ، اذ ان بين الزنادقة كان هناك عرب ، مثل صالح بن عبد القدوس ومطيع بن اياس ، كمـــا وان الجاحظ ارجع الزندقة الى العنصرية وهذا غير صحيح ٠ وابن النـــديم ، الفهرست (٤) ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، والجهشياري ، الوزراء والكتـــاب (٥) ، والمسعودي ، مـــروج الذهب جـ ١ ص ٢٥٠ (٦) ، والبغدادي ، الفرق بين الفرق (٧) ، والشهرستاني ، الملل والنحل (٨) وابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية (٩) ٠

راجع : حتي ، فيليب ، تاريخ العرب (مطول) (١٠) حيث يذكر: زندقة فيالعربية

---

(١) بيروت ، ١٩٦٢ ٠
(٢) بغداد ، ١٩٤٩ ٠
(٣) بوسطن ، ١٩٦٢ ٠
(٤) طبع القاهرة (؟) ٠
(٥) القاهرة ، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م ٠
(٦) القاهرة ، ٤ اجزاء ، ١٩٥٨م٠
(٧) القاهرة (؟) ٠
(٨) القاهرة ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١ م٠
(٩) بيروت ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠ م٠
(١٠) بيروت، دار الكشاف ، ١٩٦١ م٠

مأخوذة من زنديك الفارسية ـ مجوسي عباد نار ، ـ جـ ١ ط ٣ لسنة ١٩٦١ ص ١١٤ ، هامش رقم ٢ ، وذكر ايضا : اطلق قدماء العرب لفظة زنديق (وهي مشتقة من زنديك البهلوية) على كل مسلم اظهر عقائد الفرس لا سيما المانوية وصارت لفظة زنديق فيما بعد تدل على من اتصف بالحرية الفكرية ٠ ص ٤٤٠ هامش رقم ٢ ٠ راجع ايضا بارتولد ، الحضارة الاسلامية (١) (مترجم للعربية) ص ١١ ـ ١٢ ، ويذكر شلبي، احمد : وقد ظهرت الزندقة قبل ان يظهر الاسلام فالزندقة ليست خروجا على الاسلام خاصة وانما هي خروج على جميع الاديان وعلى كل القيم والمعايير الاخلاقية السليمة، في قصور الخلفاء العباسيين (٢) ، ـ ص ٣٤ ٠

ب ـ الغنوصية :

يقترن بذكر ماني والتعاليم المانوية ذكر اسم الغنوصية والديصانية والمرقيونية ٠ فما هي الغنوصية ؟ وما علاقة الغنوص بكل من الديصانية والمرقيونية ؟ ومن ثم بالمانوية ؟

ذكر ابن النديم عن الديصانية : انما سمي صاحبهم بالديصان باسم نهر ولد عليه، وهو قبل ماني ، والمذهبان (يقصد الديصانية والمانوية) قريب بعضهما من بعض ، وانما بينهما خلف (اختلاف) في اختلاط النور بالظلمة ، فان الديصانية اختلفت في ذلك على فرقتين : فرقة زعمت ان النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها ، فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه ، وفرقة زعمت ان النور اراد ان يرفع الظلمة عنه لما احس بخشونتها ونتنها ، شابكها بغير اختياره ٠٠٠ وزعم ابن ديصان ان النور جنس واحد والظلمة جنس واحد ، الفهرست (٣) ص ٤٨٨ ٠ ويقول الشهرستاني عن الديصانية ـ وهو تقريبا يردد اقوال ابن النديم : « اصحاب ديصان اثبتوا اصلين ، نورا، وظلاما ٠ فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا ٠ فما كان من خير ونفع ، وطيب وحسن فمن النور ٠ وما كان من شر وضرر ، ونتن وقبح ، فمن الظلام ٠ وزعموا ان النور : حي ، عالم ، قادر ، حساس ، دراك ، ومنه تتكون الحركة والحياة ٠ والظلام ميت ، جاهل ، عاجز ، جماد ، موات ، ولا فعل له ولا تمييز ـ الملل والنحل (٤) ، جـ ١ ص ٢٥٠ ٠ وكتب ابن النديم عن المرقيونية: اصحاب

---

(١) ترجمة حمزة طاهر ، القاهرة ٠

(٢) القاهرة ، ١٩٥٤ ٠

(٣) طبع القاهرة ، (؟) ٠

(٤) طبع القاهرة ، ١٣٨١هـ ، ١٩٦١ م٠

مرقيون ، وهم قبل الديصانية ، وهم طائفة من النصارى ، اقرب من المانية والديصانية، وزعمت المرقيونية ان الاصلين القديمين النور والظلمة ، وان ههنا كونـا ثالثا مزجهـا وخالطها ٠٠٠ واختلفوا في الكون التالثما هو ، فقالت منهم طائفة هو الحياة ، وهو عيسى ، وزعمت طائفة ان عيسى رسول ذلك الكون الثالث ــ الفهرست ص ٤٨٨ ــ ٠٩ وبشيء من التفصيل يضيف الشهرستاني الى اقوال ابن النديم عن المرقيونية ، فيقول : اصحاب مرقيون اثبتوا أصلين قديمين متضادين : احدهمـا النـور والثـاني الظلمة٠ واثبتوا اصلا ثالثا هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج٠ فـان المتنافرين المتضادين لا يمتزجان الا بجامع ٠ وقالوا : ان الجامع دون النور في المرتبة ، وفوق الظلمة ، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم ٠٠٠ وهذا خلاف ما قالته المانوية ، وان كان ديصان اقدم ، وانما اخذ ماني منه مذهبه وخالفه في المعدل ٠ وهو ايضا خلاف ما قال زردشت، فانه يثبت التضاد بين النور والظلمة ، ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين ، الجامع بين المتضادين ٠ ــ الملل والنحل ــ جـ ١ ص ٢٥٢ ٠

ويذكر ابن النديم عن ماني : « واستخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية » ــ الفهرست ص ٤٧٢ ٠ ويذكر البيروني عن ماني : وكـان عـرف مـذهب المجوس والنصارى والثنوية ــ الآثار الباقية ــ (١) ص ٢٠٧ ٠ وقال عنه الشهرستاني : احدث دينا بين المجوسية والنصرانية ــ الملل والنحل ــ جـ ١ ص ٢٤٤ ٠

اما الغنوص فهو مجموعة آراء وثنية ذات اصول مختلفة لهذا احتوى على عقائد مختلفة بضمنها ثنائية الوجود وقد تسربت هذه الآراء الى المسيحية والـى المانوية ٠ يذكر كريستنسن ، آرثر عن ماني : وقد نشأ الطفل الصغير (يقصد ماني) على مذهب المغتسلة (يقصد الصابئة) ٠ ولكنه تعمق بعد ذلك في درس اديـان زمانه الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الكنيستيكية (الغنوصية) وخاصة مذهبي ابـن ديصان ومرقيون فترك مذهب المغتسلة ــ ايران في عهـد الساسانيين (٢) ــ ص ٢٧١ ــ ٢ ، ٠٠٠ ولا يستطيع الباحث ان يغفل الاصل الكنوستيكي (الغنوصي) لخلـق الدنيا والمعاد عنـد ماني ٠ وقد وجد شيدر في ملخص عقائد ماني الذي ذكره الكسندر الليكوبوليسي في صورة فلسفية (يحتمل ان يكون حوالي سنة ٣٠٠) اساس الفلسفة الهيلينية التي بني عليها ماني ، تلميذ ابن ديصان ، نظريته) ــ ايران في عهد الساسانيين (٣) ــ ص١٧٩ وقد اشار بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفيتش الى تأثير الغنوصية في المانوية : ان آراء بردسان الكاتب السرياني الذي حاول التأليف بين الفلسفة الوثنية المسماة الغنوستية

---

(١) ليبزك ، ١٨٧٨م ٠

(٢) ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ ٠

(٣) ن٠ م٠

(الغنوصية) Ganosticisme وبين بعض آراء النصرانية ، ولا ريب قد اثرت في المانوية التي ظهرت في القرن الثالث (١) ٠ ويعلق المؤرخ التركي كوبريلي ، محمد فـؤاد على كلام بارتولد ، ف٠ فيقول : ٠٠٠ فالغنوص gnos معناهـــا (المعرفة العليـــا ذات الاسرار) وتسمى العقائد الدينية الفلسفية المختلفة التي تتصل بـ (غنوص) الغنوصية ٠٠٠ومع وجود اسرار مشتركة بين الغنوصيين الذين يؤمنون بوقوفهم على معرفةعالية ذات اسرار لا يطلع عليها غيرهم ، فان هنالك مذاهب غنوصية قد نشأت مـــن اصول مختلفة ومتميزة عن بعضها من حيث عقائدها ٠ وتشاهد تحت هذا الاسم مذاهب مختلفة نشأت من الوثنية واليهودية والمسيحية ، اختلطت عقائدها بعضها ببعض ونشأت مـن اصول قديمة جدا (٢) ٠

ويرى الدوري ، عبد العزيز : ان كلا من ابن ديصان ومرقيون سبق ماني في المزج بين الزردشتية والمسيحية وتكوين مذهب خاص من الاثنين ، العصر العباسي الاول(٣)، اما بروكلمان ، كارل فيقول : ظهر ماني كمؤسس لديانـــة غنوصية جـــديدة متأثرة بالنصرانية من ناحية وببابل وايران من ناحية اخرى ، تاريخ الشعوب الاسلامية (٤)٠

....

(١) الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة الطاهر ، القاهرة ، ص ١١ ــ ٢ ٠

(٢) ن٠م٠ ص ١١ ــ ٢ ٠

(٣) بغداد ١٩٤٥م ، ص ١١٢ ٠

(٤) ترجمة فارس ، د٠ نبيه امين ، وبعلبكي ، منير ، ج ١ ، ط ٢، بيروت ١٩٥٣، ص ١٠٨٠

الملحق ـ ج ـ

القصائد والاشعار التي قيلت بمناسبة الانتفاضة وما يتعلق بها

١ ـ الشاعر علي بن الجهم ، ابو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشي الشامي ، ١٨٨هـ ؟ ، ٢٤٩هـ ·

قال (★) علي بن الجهم بن بدر يمدح المعتصم بالله (١) :

١ ـ متى عطلت رباك من الخيام
سقيت معاهدا صوب الغمام ـ ٣ ـ
٣٦ ـ ولیت (فلم) (٢) تدع لدين ثأرا
سيوفك والمثقفة الدوامي ـ ٩ ـ
٣٧ ـ نصبت المازيار على سحوق
وبابك والنصارى في نظام (٣) ـ ٩ ـ
٣٨ ـ مناظر لا يزال الدين منها
عزيز النصر ممنوع المرام ـ ٩ ـ
٤٣ ـ وجمع الزط حين عموا وصموا
عن الداعي الى دار السلام ـ ١٠ ـ
٤٤ ـ اطل عليهم يوم عبوس
(تعوّذ) منه ايام الحمام ـ ١١ ـ

★ ★ ★

(★) **ملاحظة** : ان الارقام التي تسبق بيت الشعر تعود الى تسلسل الابيات في القصيدة بينما الارقام التي في نهاية بيت الشعر فتعود الى صفحات الديوان او المصدر المنقولة عنه القصيدة ·

(١) ديوان علي بن الجهم ، عني بتحقيقه خليل مردم بك ، دمشق ، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م · والمعتصم بالله ، الخليفة العباسي ·

(٢) في الاصل (ولم) والفاء في هذا الموضع احكم ·

(٣) السحوق ـ الطويل ، ويريد بالنصارى هنا الروم والذي صلب منهم ناطس (وسماه الطبري باطس) ·

(٤) حناالفاخوري ، تاريخ الادب العربي ، لبنان ، ١٩٥١م ، ص ٥٠٦ ·

٢ ـ الشاعر البحتري ، ابو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى ، ٢٠٦هـ / ٨٢١م ـ ٢٨٤هـ / ٨٩٧م (٤)

قال يمدح ابا سعيد (١) (القائد محمد بن يوسف) :

١ ـ زعم الغراب منبىء الانباء
ان الاحبة آذنوا بتناء ـ ٢٢٧ ـ

٣٢ ـ ثار محمد (٢) لهم على
كلب العدى وتخاذل الاحياء ـ ٢٢٨ ـ

٣٣ ـ ما انفك سيفك غاديا او رائحا
في حصد هامات وسفك دماء ـ ٢٢٨ ـ

٣٤ ـ حتى كفيتهم الذي استكفوك من
امر العدا ووفيت اي وفاء ـ ٢٢٨ ـ

٣٥ ـ ما زلت تقرع باب بابك بالقنا
وتزوره في غارة شعواء ـ ٢٢٨ ـ

٣٦ ـ حتى اخذت بنصل سيفك عنوة
منه الذي اعيا على الامراء ـ ٢٢٨ ـ

٣٧ ـ اخليت منه البذ وهي قراره
ونصبته علما بسامراء ـ ٢٢٨ ـ

٣٨ ـ لم يبق فيه خوف بأسك مطمعا
للطير في عود ولا ابداء ـ ٢٢٨ ـ

٣٩ ـ فتراه مطردا على اعواده
مثل اطراد كواكب الجوزاء ـ ٢٢٨ ـ

٤٠ ـ مستشفا للشمس منتصبا لها
في اخريات الجذع كالحرباء ـ ٢٢٨ ـ

★ ★ ★

وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم (٣) :

١ ـ عارضننا اصلا فقلنا الربوب
حتى اضاء الاقحوان الاشنب ـ ١٨٧ ـ

(١) ديوان البحتري ، ط القسطنطينية ، جزءان ، سنة ١٣٠٠ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، م ٠٢
(٢) يقصد القائد محمد بن حميد الطوسي ٠
(٣) المجلد الثاني، ص ١٨٧ ـ ٠٨ واسحاق بن ابراهيم بن مصعب هو القائد الذي انتصر على الخرمية في معركة همذان ٢١٨هـ ـ ٨٣٣م ٠

٢٧ ـ ولحـربة الاســلام حيـــن يهـــزهـــا
حول يـــراع لــــه النفــاق ويرعب ـ ١٨٨ ـ
٢٨ ـ تلــك المحمـــرة الــــذين تهـــافتوا
فمشـــرق فـــي غيـــه ومغــرب ـ ١٨٨ ـ
٢٩ ـ والخـــرمية اذ تجمــــــع منهـــم
بجبــال قـــران الحصـــى والاثلــب ـ ١٨٨ ـ
٣٧ ـ سلبوا واشـــرقت الدمـــاء عليهـــم
محمـــرة فكـأنهم لـــم يسلبـــوا ـ ١٨٨ ـ

★ ★ ★

وقال يمدح محمد بن يوسف (١) (**ابا سعيد**) :

١ ـ فيــــم ابتـــداركم المــــلام ولوعــــا
ابكيـــت الا دمنـــــة وربوعـــــا ـ ١٦٧ ـ
٢٥ ـ للــه درك (٢) يــوم بــابــك فـــارسا
بطـــلا لأبـــواب الحتــوف قروعــا ـ ١٦٨ ـ
٢٦ ـ لمـــا اتـــاك يقـــود جيشا ارعنـــا
يمشـــي اليـــه كثـــافة وجموعــا ـ ١٦٨ ـ
٢٧ ـ وزعتهـــم بيـــن الاسنـــه والظبــى
حتـــى ابـــدت جموعهــم توزيعا ـ ١٦٨ ـ
٢٨ ـ فـــي معـــرك ضنــك تخال بــه القنا
بيـــن الضلـــوع اذا انحنيـــن ضلوعا ـ ١٦٨ ـ
٢٩ ـ مـــا ان ثنـــى فيـــه الاسنــة والظبى
لطلـــي الفـــوارس سجـــدا وركوعا ـ ١٦٨ ـ
٣٠ ـ جلبتـــــه بشـــــــاع رأس رده
لبـــس الترائـــك للهيــاج صليعــا ـ ١٦٨ ـ
٣١ ـ فدعوتهم بظبى السيوف الـــى الردى
فأتـــوك طـــرا مهطعيـــن خشوعــا ـ ١٦٨ ـ

---

(١) المجلد الاول ص ١٦٧ ـ ٨ .

(٢) ذكر ياقوت الحموي هذا البيت من القصيدة محركــا كلمـــة درك ، معجـم البلدان ، م ١ ، كراسة ٣ ، ص ٣٦١ .

٣٢ ـ حتـــى ظفـــرت ببـــذهم فتـــركته
للـــذل (١) جانبه وكـــان منيعا ـ ١٦٨ ـ

★ ★ ★

وقال البحتري يرثي بني حميد ويخص ابا مسلم (٢) :

١ ـ اقصـــر حميـــد لا عـــزاء لمغـــرم
ولا قصـــر عن دمع وان كـــان من دم ـ ٥٥ ـ
٩ ـ بشـاهقـه البـــذين قبـــر محمـــد
بعيـــد عـــن الباكيـــن في كل مأتـم ـ ٥٥ ـ
١٠ ـ تشـــق عليـــه الـــريح كـــل عشيـة
جيـــوب الغمـــام بيـــن بكـــر وايم ـ ٥٥ ـ

★ ★ ★

وقال يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف (الصامتي) (٣) :
١ ـ لا دمنـــة بلـــوى خبـت ولا طلـــل
يـــرد قـــولا عـــلى ذي لوعـــة يسل ـ ١٧٥٨ ـ
٢٩ ـ تهفـــو بـــه رايـــة صفـــراء تحسبهـــا
arابرديـــة صبغتهـــا الهـــون والشلل ـ ١٧٦٢ ـ
٣٠ ـ امســـى يـــرد حـــريق الشمس جانبـــه
عن (بابك) ، وهي في الباقين تشتعل ـ ١٧٦٣ ـ
٣١ ـ كـــأنهم ركبـــوا للحـــرب وهو لهم
بنـــد ، فمـــا لف مذ اوفى ولا نزلوا ـ ١٧٦٣ ـ



(١) ذكره ياقوت محركا للذل ، معجم البلدان ، م ١ ، فـراسة ٣ ، ص ٣٦١ ٠
(٢) المجلد الثاني ، ص ٥٥ ٠
(٣) تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، جـ ٣ ، ص ١٧٥٨ ـ ١٧٦٥ ، (هـــذه الابيات لم تدرج سابقا في هذا الملحق وانما اضيفت فيما بعد) ٠

ذكر ابن الاثير ـ في الكامل (١) ـ عن الزط بعد اندحارهم لما جلبهم عجيف بن عنبسه اسرى بسفنهم الى بغداد ، ذكر كما يلي : واقام الزط في سفنهم ثلاثة ايام ثم نقلوا الى الجانب الشرقي وسلموا الى بشر بن السميدع ، فذهب بهم الى خانقين ثم نقلوا الى الثغر الى عين زربه فأغارت الروم عليهم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم احد ٠ فقال شاعرهم في ذلك (٢) :

يا اهل بغداد موتوا دام غيظكم
شوقا الى تمر برني وسهريز ـ ٢٣٣
نحن الذين ضربناكم مجاهرة
قسرا وسقناكم سوق المعاجيز ـ ٢٣٣
لم تشكروا الله نعماه التي سلفت
ولم تحوطوا اياديه بتعزيز ـ ٢٣٣
فاستنصروا العبد من ابناء دولتكم
من يازمان ومن بلج ومن توز ـ ٢٣٣
ومن شناس وافشين ومن فرج
المعلمين بديباج وابريز ـ ٢٣٣
واللابسين كمخان الصين قد خرطت
اردانه درز برواز الدخاريز ـ ٢٣٣
والحاملين الشكى نيطت علائقها (٣)
الى مناطق خاص غير مخروز ـ ٢٣٣
يغرى ببيض من الهند هامهم
بنو بهلة في ابناء فيروز (٤) ـ ٢٣٣
فوارس خيلها دهم مودعة
علفى الخراطيم منها والفراريز (٥) ـ ٢٣٣
مسخرات لها في الماء اجنحة
كالآبنوس اذا استحضرن والشيز ـ ٢٣٣
متى ترموا لنا في غمر لجتنا
حذرا نصيدكم صيد المقاقيز ـ ٢٣٣

(١) القاهرة ، ج ٥ ، ١٩٣١ ـ ١٩٤٠م ، ص ٢٣٣ ٠
(٢) ن٠ م٠ ، هامش ص ٢٣٣ ، وكذلك الطبري ، م ٣ ، ج ٣ ، ص ١١٦٩ ـ ٧٠ ٠
(٣) في الطبري علائقها ٠
(٤) في الطبري ص ١١٦٩ ٠
(٥) في الطبري ، ص ١١٧٠ ٠

او اختطافا وارها كما اختطفت
طير الرجال حثانا بالشناقيز ـ ٢٣٤
ليس الجلاد جلاد الـزط فاعترفوا
اكل الثريد ولا شرب القواقيز ـ ٢٣٤
نحن الذين سقينا الحرب ذرتها
ونقفينها مقاسات الكواليز ـ ٢٣٤
لنسفعنكم سفعا يذل له
رب السرير ويشجى صاحب التيز ـ ٢٣٤
فابكوا على التمر ابكى الله اعينكم
في كل اضحى وفي فطر ونيروز (١) ـ ٢٣٤

★ ★ ★

ذكر الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود في كتابه « الاخبار الطوال » (٢) : ولما قدم الافشين ومعه بابك اجلسه المعتصم على سرير امامه وعقد التاج على رأسه وفي ذلك يقول اسحاق بن خلف الشاعر في قصيدته التي مدح فيها المعتصم بالله (٣) :

ما غبت عن حرب تحـرّق نارها
بالبذ كنت هنا وانت هناك ـ ٣٤١
عزت بأفشين حسامك امة
والدين ممتسك به استمساكا ـ ٣٤١
لما اتاك ببابك تـوّجته
وأحق من اضحى له تاجاك ـ ٣٤١

★ ★ ★

وذكر الدينوري ، ابو حنيفة ايضا (٤) : ان ابا تمام رثى محمد بن حميد الطوسي بقصيدة يقول فيها :

كأن بني نبهان يوم وفاته
نجوم سماء خـرّ من بينها البدر ـ ٣٣٩

---

(١) في الطبري ، ص ١١٧٠ ٠
(٢) القاهرة (؟) ، ص ٣٤١ ٠
(٣) ن٠ م٠ ص ٣٤١ ٠
(٤) ن٠ م٠ ، ص ٣٣٩ ٠

وفيها يقول :

فاثبــت فـــي مستنقـــع المــوت رجلـــه
وقــال لها من تحت اخمصك الحشر ـ ٣٣٩

★ ★ ★

قصيدة ابراهيم بن المهدي

ذكر المسعودي في « مروج الـذهب » (١) : ولما قتل بابك واخوه وكان من امره ما تقدم ذكره قام في مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فممن قام فــي ذلك اليوم ابراهيم بن المهدي فقال شعرا بدلا من الخطبة وهو :

١ ـ يـا امـيـن اللـــه ان الحمــد للـــه كثيـرا ـ ٥٨
٢ ـ هكـذا النصـر ، فـــلا زال لـــك اللـــه نصيرا ـ ٥٨
٣ ـ وعلـــى الاعـداء اعطيـــت من اللـــه ظهيرا ـ ٥٨
٤ ـ وهنيئـــا هيـــأ اللـــــه لـك الفتح الخطيرا ـ ٥٨
٥ ـ فهـــو فتـح لـم ير النـــاس لـه فتحا نظيرا ـ ٥٨
٦ ـ وجزى الافشيـن عبـدا اللـه خيرا وحبورا ـ ٥٩
٧ ـ فلقـد لاقـى بـه بـــابك يومـا قمطريرا ـ ٥٩
٨ ـ ذاك مـولاك الـــذي الـــفيته جلدا صبورا ـ ٥٩
٩ ـ لك حتـى ضـــرّج الســـــيف له خدا نظيرا ـ ٥٩
١٠ ـ ضربة القت عـلى الدهـــر له في الوجه نورا ـ ٥٩

★ ★ ★

اورد ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، في المسالك والممالك (٢) بيتا للشاعر الحسين بن الضحاك :

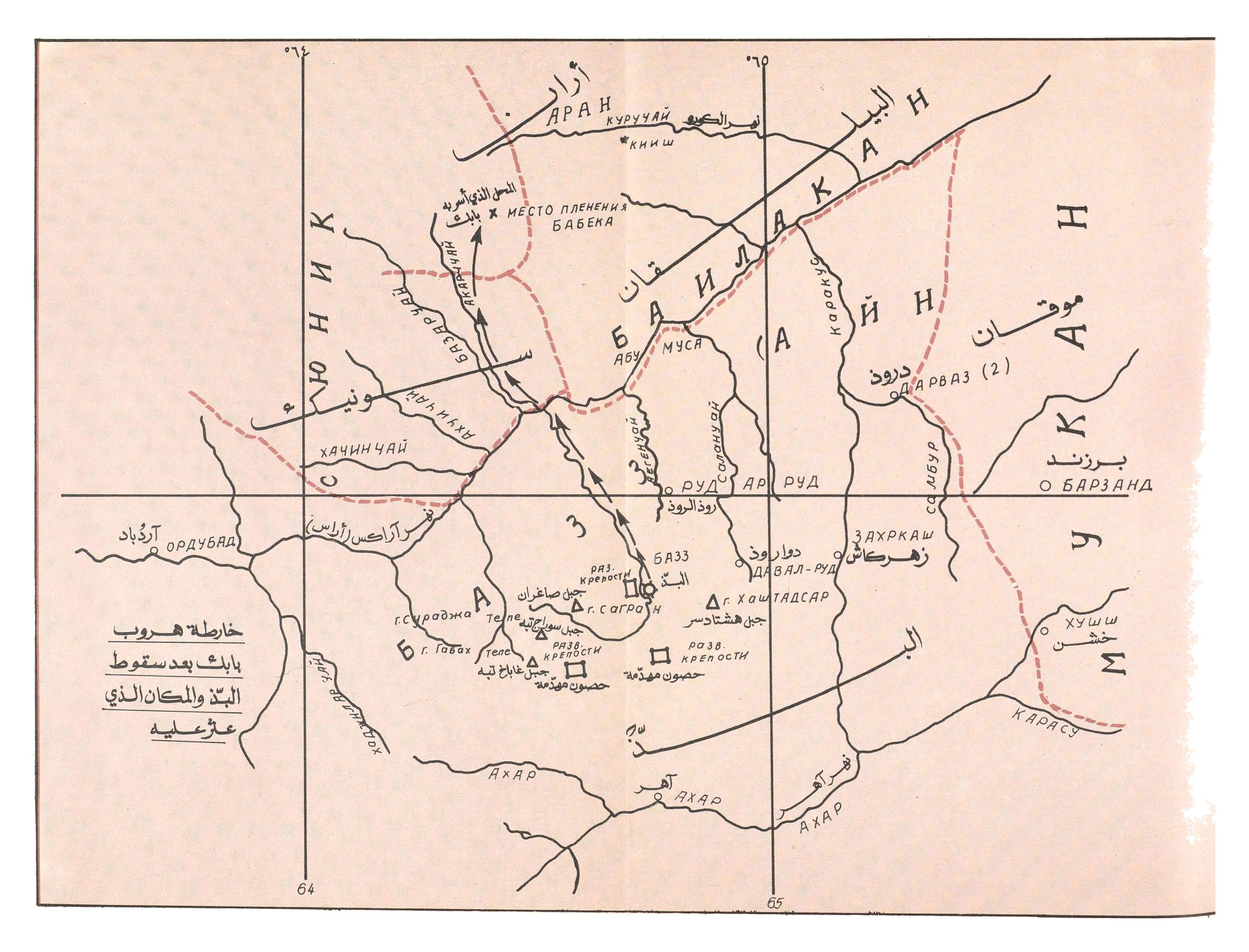
---

(١) الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م، ص ٥٨ ـ ٥٩ ، ورد في كتاب بابك لمؤلفه سعيد نفيسي المترجم عن الفارسية الى الاذربيجانية ذكر هذا الشعــر محرفا : يا امير المؤمنين بدلا من يا امين الله،طهيرا بدلا من ظهيرا، ص٨٠، وهنأ الله بدلا من هيأ الله ، وهو فتح بدلا من فهو فتح ، نطيرا بدلا من نظيرا ، قهطريرا بدلا من قمطريرا، السيك بدلا من السيف ، والبيت الاخير على هذه الصورة :

ضربــة ابقـت على الد هر في الوجــه نورا

ص ٨١ ، ونعتقد ان لجهل الطباع الباكوي من اثر في هذا التحريف ٠

(٢) ليدن ، ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٩م ، ص ٢٢٠ ٠



خارطة هروب
بابك بعد سقوط
البذّ والمكان الذي
عثر عليه
٤٦٥
٤٦٥
64
65
أران
АРАН
КУРУЧАЙ
نهر الكورو
КИИШ
المحل الذي أسر به بابك
МЕСТО ПЛЕНЕНИЯ
БАБЕКА
البيلقان
БАИЛАКАН
موقان
МУКАН
СЮНИК
سونيك
БАЗАРЧАЙ
АКАРЧАЙ
АХУИЧАЙ
ХАЧИНЧАЙ
АБУ МУСА
КАРАКУС
ДАРВАЗ (2)
درود
ТЕГЕНУАЙ
САЛАНУАЙ
РУД АР РУД
رود الروذ
СОМБУР
برزند
БАРЗАНД
نهر اراكس (أراس)
آردُباد
ОРДУБАД
БАЗЗ
البذّ
РАЗ. КРЕПОСТИ
جبل صاغران
г. САГРАН
г. ХАШТАДСАР
جبل هشتادسر
ДАВАЛ-РУД
دوار روذ
ЗАХРКАШ
زهركاش
г. СУРАДЖА ТЕПЕ
جبل سوراج تبه
г. ГАВАХ ТЕПЕ
جبل غاباخ تبه
РАЗВ. КРЕПОСТИ
حصون مهدّمة
ХУШ
خشن
البذ
КАРАСУ
ХАДЖИЛАР ЧАЙ
АХАР
آهر
نهر آهر

لـــــم يـــدع للبـــــذ مـــن ساكنـــــه
غيــــر امثـــال كأمثــــال ارم ـ ٢٢٠

★ ★ ★

وقد اورد هذا البيت مع بيتين آخرين ، المقدسي ، المطهر بـــن طاهر فـــي كتابه « البدء والتاريخ » (١) دون ان يذكر قائله اذ كتب : وامر (الخليفة) بمدحه (للافشين) وجعل صلتهم عنده فمما قيل فيه :

كـــــل مجـــد غيــــر مـــا اثلـــــه
لبنـــــي كـــاووس اولاد العجـــــم ـ ١١٧
انمــــــا الافشيــــن سيــــف سلـــــه
قـــدر اللـــــه لكـــــف المعتصـــم ـ ١١٧
لـــم يـــدع فـــي البـــذ مـــن ســاكنـــه
غيـــــر امـــــثال كأمثـــــال ارم ـ ١١٧

★ ★ ★

كتب الطبري يصف عرض بابك في سامراء حيث اركبوه علـــى فيل : وامر بــه فجعل في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة وهو وحده فقـــال محمد بـــن عبد الملك الـــزيات (٢) :

قـــــــد خضـــــب الفيـــل كعـــــادته
يحمـــــــل شيطــــان خـــراسان ـ ١٢٣٠
والفيـــــــل لا تخضــــب اعضـــــاؤه
الا لـــــذي شـــأن مـــن الشـــان ـ ١٢٣٠

★ ★ ★

قال المسعودي (٣) ـ في التنبيه والاشراف ـ ليدن ، ١٨٩٣ :

---

(١) طهران ، ج ٦ ، ١٩٦٢ م ، ص ١١٧ ٠
(٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ليدن ، ١٨٨١ م، ص ١٢٣٠ ٠
(٣) (لم تدرج ابيات الحسين بن الضحاك التي اوردها المسعودي في التنبيه والاشراف ، لـــم تدرج في الملحق سابقا واضيفت فيما بعد) ٠

ولحق الافشين بالمعتصم فنزل معه على عمورية وفي ذلك يقول الحسين بن الضحاك الخليع الباهلي في قصيدة طويلة يمدح ابا الحسن الافشين :

أثبت المعصوم عزاً لأبي	حسن أثبت من ركن أضم
كل مجد دون ما أثله	لبني كاوس املاك العجم
لم يدع بالبذ من ساكنه	غير أمثال كأمثال أرم
وقر توفيل طعنا صادقا	فض جمعيه جميعا وهزم

ص ١٧٠

وقال الحسين بن الضحاك في كلمة له طويلة يخاطب المعتصم :

لم تبق من انقرة نقرة	واجتحت عمورية الكبرى
ان يشك توفيل بتأريخه	فحق ان يعذر بالشكوى

ص ١٧٠

وقال :

تفنى بنو العيص وأيامهم	وذكر أيامك لا تفنى
يا رب قد أملكت من بابك	فأجعل لتوفيلهم العقبى

ص ١٧٠

★ ★ ★

ذكر ابن اسفنديار ، محمد بن الحسن في كتابه (تاريخ طبرستان) (١) قصيدة لم يذكر قائلها (٢) :

١ ـ وقايله جرتم غداة يسوقكم
اسارى الى اللفور قلف الأساور ـ ١٥٣
٢ ـ لعمرك لو شئنا امتنعنا واصبحت
بنو قارن فينا طحين الدوائر ـ ١٥٣
٨ ـ ايرضى امير المؤمنين بما نرى
وليس امير المؤمنين بجائر ـ ١٥٣

---

(١) ترجمة براون الى الانكليزية ، ليدن ، لندن ١٩٠٥ م٠
(٢) ن٠ م٠ ص ١٥٣ ٠

٩ ـ ايجعلنـــا نهب المجـــوس ومـــا نـــرى

اليهم سوى ديـن الهـدى مـن جـرائر ـ ١٥٣

فـــان ينـج مثـل المـــازيار ولـم يـــذق

سلافة مـــوت من كـــؤوس البــــواتر ـ ١٥٣

وانـــي ألاقـــي المـــازيـــار كـــأنني

أرى رأسه تاجـــا لـــرمح بـن طـاهر ـ ١٥٣

★ ★ ★

٣ ـ الشاعر ابو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، يذكر بأنه ولد ١٨٠هـ ، ٧٩٦م او ١٨٨هـ / ٨٠٤م والراجح ١٩٠هـ / ٨٠٦م ، وتوفي ٢٢٨هـ / ٨٤٣م ، وهو اكثر الشعراء ذكرا للانتفاضة ومواقعها ومعاركها ٠

وقال يمدح ابا دلف القاسم بن عيسى العجلي (١) :

١ ـ عـلى مثلهـــا مـــن اربـــع ومـــــلاعب

اذ علت مصونـــات الدمــوع السواكب ـ ٢٠٥

٣١ ـ وقد عـــلم الافشين وهـــو الـــذي بـــه

يصـان رداء الملك عـــن كـل جـــاذب ـ ٢١٧

٣٢ ـ بـــانك لمـــا أسحنـــك الأمـــر واكتسى

اهـــابة تسفـــر في وجـوه التجـارب ـ ٢١٨

٣٣ ـ تجللتـــــه بالـــرأي حـــتى اريتـــه

به مـــلء عينيـه مكـــــان العـواقب ـ ٢١٨

٣٤ ـ بأرشـــــق اذ ســـالت عليهـم غمـــامه

جـرت بالعـــوالي والعتـــاق الشوازب ـ ٢١٨

★ ★ ★

يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف ويذكر وقعته مع الخرمية (٢) :

١ ـ أبي فـــلا شنبـــا يهـــوى ولا فلجـــا

ولا احـــورارا يـــراعيه ولا دعجـــا ـ ٣٣٣

٢ ـ كفّى فقـــد فـــرجت عنـــه عـــزيمته

ذاك الولوع وذاك الشـوق فانفرجا (٣) ـ ٣٣٣

---

(١) ديوان ابي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، مصر ، ١٩٥١م ، م ١ ، ص ٢٠٥، ٢١٨ ، وايضا ديوان ابي تمام ، القاهرة ، ١٩٤٢م ، ص ٣٥ ٠ ارشـق قال ياقوت الحموي ، جبل بأرض موقان من نواحي اذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي، معجم البلدان ، م ١ ، كراسة ٢ ، ص ٦٥٢ (طبعة بيروت ، ١٩٥٧) ٠

(٢) ديوان ابي تمام ، مصر ١٩٥١ ، م ١ ص ٣٣٣ ، ص ٣٣٩ ٠ وطبعة القاهـــرة ١٩٤٢ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ٠

(٣) ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٥٤ ٠

٣ ـ كانت حـــوادث في موقـــان مـــا تــركت

للخــــرمية لا رأســـا ولا ثبجـــا (١) ـ ٣٣٣

٥ ـ ابـــلغ محمــــدا المــلقى كـــــلاكله

بأرض خش امـام القـــوم قــد لبجـــا ـ ٣٣٤

١٢ ـ ويــــوم ارشـــــق والآمال مرشقـه (٢)

اليك لا تبتـــغي عنـــــك منعرجـــا ـ ٣٣٥

١٤ ـ للـــه ايـــامك الـــلاتي اغــرت بهـــا

ضفر الهـــدى وقديما كان قد مرجـا (٣) ـ ٣٣٦

١٥ ـ كانت عــلى الدين كالســاعات من قصــر

وعدهـــا بــابك من طولهـــا حجـجـا (٤) ـ ٣٣٦

٢٨ ـ ان ينـج منــك ابــو نصـر فعـن قـــدر

تنجــو الرجال ولكن سله كيف نجـا (٥) ـ ٣٣٩

٢٩ ـ قد حل في صخــرة صمــاء معنقــة (★)

فـــانحت برأيـــك في اوعارهـــا درجا ـ ٣٣٩

★ ★ ★

قال ابو تمام يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف الثغري (٦) :

١ ـ حمتـــــه فـــأحتمى طعـــم الهجــــود

غـــداة رمتـــه بالطــــرف الصيـــود ـ ٨١

٢٤ ـ أليــــس بأرشـــق كنـــت المحـــــامي

عـــن الاســـلام ذا بـــأس شـــديد ـ ٨٣

٢٥ ـ رآك الخـــرمـــي عليـــه نـــــارا

تلهـــب غيـر خـــامدة الوقـــــود ـ ٨٣

(١) الثبج الظهر ، وثبج كل شيء معظمه ٠

(٢) ارشقت المرأة والظبية اذا ادامت النظر ٠

(٣) مرج الدين : اضطرب ٠

(٤) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٥٤ ٠

(٥) (ابو النصر) : قيل هو بابك ، وقيل من اصحابه ، اي نجا مسلوبا ٠ وطبعـــة القاهرة ، ١٩٤٢ ،ص ٥٥ ٠

(★) معنقة مرتفعة واصل ذلك في طول العنق ٠

(٦) ديوان ابي تمام ، ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٨١ ـ ٨٤ ٠

٢٦ ـ دلفت لهم بأبنــــاء المنايــــــا
علــى العقبــان في خــلق الأســود ـ ٨٣
٢٧ ـ رجــا صيــدا فردتــه المنايــا
الــى انيــاب مقتنــص الصيـود ـ ٨٣
٢٨ ـ وقــد كــان الجليــد فغــادرته
رمــاحك غيـر مصطبــر جليــد ـ ٨٣
٢٩ ـ وفــي موقــان كــنت غــداة ماقوا
اشــد قــوى مــن الحجــر الصــلود ـ ٨٣
٣٤ ـ ويــوم البــدّ لمــا يبـق حقــد
علــى الاعــداء في قــلب حقــود ـ ٨٣
٣٥ ـ حــططت ببــابك فانحــطّ لمــا
رأى أجــل الشـقي مــع السعيـد ـ ٨٣
٣٦ ـ ومــا ان زلــت تــأنســه بوعــد
وتوحشــه بانــذاز الوعيـد ـ ٨٣
٣٧ ـ فطـورا تجــلب الدنيــا عليــه
بخيــل في الســروج وفـي اللبــود ـ ٨٣
٣٨ ـ وطــورا تستثيــر عليــه رأيــا
كحــد السيــف في حبــل الوريــد ـ ٨٣
٣٩ ـ تمثــل نصــب عينيــه المنــايا
فيــرغب في القيــام وفي القعــود ـ ٨٣
٤٠ ـ ومــا شيء مــن الاشيــاء اقــضى
علــى المهجــات مــن رأي سديد ـ ٨٣
٤١ ـ فمــا نــدري أحــدّك كــان أمضــى
غــداة البــدّ أم حــد الحــديد ـ ٨٣
٤٢ ـ لأن طــلعت نجــومهم بنحــس
لقــد طــلعت نجــومك بالسعــود ـ ٨٤

★ ★ ★

وقال يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف الطائي (١) :
١ ـ سرت تسجيـر الدمـع خـوف نـوى غدِ
وعــاد قتــادا عندهــا كــل مرقــد ـ ٢٢

(١) ديوان ط ١٩٥١ ، ص ٢٢ ـ ٣١ .

١١ ـ رمى اللـــــه منـــــه بابكـــا وولاتـــــه
بقـاصمة الاصـلاب في كـل مشهـد (١) ـ ٢٤

١٤ ـ فتى يوم بـذ الخـُـرمية لـــم يــكن
بهيــابــة نكــس ولا بمعـّــرد (٢) ـ ٢٤

١٥ ـ قفـــا سندبـــايا والـــرماح مشيحـــة
تهـدى الى الروح الخـفي فتهتــدي (٣) ـ ٢٥

١٦ ـ عــدا الليــل فيهـا عن معـاوية الـردى
ومـــا شك ريب الدهـــر في انـــه ردي ـ ٢٥

١٩ ـ وفي أرشـــق والهيجـــاء والخيـل ترتمي
بأبطالهـــا في جمـــاجم متـــوقد ـ ٢٦

٢٠ ـ عططت عــلى رغم العــدا عـزم بـابك
بصبـــرك عـــط الا تحمى المعضـد (٤) ـ ٢٦

٢٣ ـ وموقـــان كـــانت دار هجـــرته فقــد
توردتهـــــا بالخيـــــل اي تـــورد ـ ٢٦

٣١ ـ وللكـــذج العليـاء سمت بــك همـّـــة
طمـوح يروح النصر فيهـا ويغتـدي (٥) ـ ٢٨

٣٤ ـ وبـــالهضب مـــن أبرشتـــويم و دروذ
علت بـك اطـــراف القنـــا فـاعل وازدد ـ ٢٨

٤٢ ـ جلوت الدجى عـــن اذربيجـــان بعـدما
تـردت بـــلون كالغمـــــامة أربـــد ـ ٢٩

٤٤ ـ رأى بـــابك منـك التي طـــلعت لـــه
بنحـس وللـــدين الحنيـف بأسعـــد ـ ٣٠

★ ★ ★

(١) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٧٦ ـ ٧٩ واورد ياقوت تسلسل ١١ ـ ١٤ ـ ١٥ ، معجم م ١١، ص٢٦٧، وجاء في ديوان ١٩٤٢ بابكا وجيوشه ، ص ٧٧ ، وورد في كتاب بابـــك لسعيد نفيسي المترجم الى الاذربيجانية عن الفارسية بفاصمة بدلا من بقاصمـــة ، ص ٦٩ وهذا خطأ مطبعي ٠

(٢) المعرد الهارب ، ط ٤٢ ، ص ٧٧ ، وفي ترجمة بابك للاذربيجانية بهياتــه بدلا من بهيابة ، ص ٦٩ ، وهذا خطأ مطبعي ولا شك ٠

(٣) ورد في ط ٤٢ والمنايا مشيحة ، ص ٧٧ ٠

(٤) الغط الشق والا تحمى ضرب من البرد والمعضد الذي فيه خطوط تخالف لونه ، ورد هـــذا البيت في ط ٤٢ ، ص ٧٧ ٠

(٥) الكذج بالفارسية البيت المسكون فكأن هذا الموضع سمي بذلك ٠ ورد هذا البيت في ط ٤٢، ص ٧٨ ٠ وورد في معجم البلدان ، م ١٦ ، ص ٤٤٢ ٠ واورد ديوان ط ٤٢ بيتا (حططت بها يوم العروبة عزه ـ وكان مقيما بين نسر وفرقد) بيت ٢٤ ص ٧٧ ٠

وقال يمدح ابا سعيد (١) (محمد بن يوسف) :

١ ـ داع دعـــا بلســـان هـــاد مرشـــد
فأجـــاب عـــزم هـــاجد في مـــرقد ـ ١٠٢

٢١ ـ ان الخـــلافة لو جـــزتك بموقـــف
جعـــلت مثـــالك قبـــله للمسجـــد ـ ١٠٣

٢٢ ـ وســعت اليــك جنودهـــا حتــى اذا
امتـــك خـــر لـــديك كـــل مقـــلد ـ ١٠٣

٢٣ ـ والله يشـــكر والخليفـــة موقفـــا
لـــك شائعـــا بالبذ صعب المشهـــد ـ ١٠٤

٢٤ ـ في مـــأزق (٢) ضنـــك المكـــلا مغصص
ارز المجـــال مـــن القنـــا المتقصـــد ـ ١٠٤

٢٧ ـ يا فـــارس الاســلام انـت حميتـــه
وكفيتـــه كـــلب العـــدو المعتـــدي ـ ١٠٤

٣٠ ـ ادركـت فيـــه دم الشهيـــد وثـــأره
وفـــلجت فيه بشكـــر كـــل مـــوحد ـ ١٠٤

٣١ ـ ضحـــكت لـــه اجيـــال مكـــة ضحكها
في يـــوم بـــدر والعتـــاد الشهـــد ـ ١٠٤

٣٢ ـ احييت للاســـلام نجـــده خـــالد
وفسحـــت فيـــه لمتهـــم ولمنجـــد ـ ١٠٤

★ ★ ★

وقال يمدح ابا سعيد ، محمد بن يوسف الطائي (٣) :

١ ـ بأبعـــد غـــاية دمـــع العيـــن بعـــدوا
هي الصبـــابة طـــول الـــدهر والشهـــد ـ ١٠

٣٤ ـ تركت منهم سبيـل النـــار ســـابلة (★)
في كـــل يـــوم اليهـــا عصبـــة تفـــد ـ ١٨

(١) ديوان ابي تمام ، ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٥ ٠

(٢) مأزق كمجلس المضيق ٠

(٣) ديوان ابي تمام، ط ١٩٥١ ، م ٢ ، ص ١٠ ، وط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، وقدورد في ص ٧٥ تسلسل ٢٧ ما يلي :

٢٧ ـ اعيـا عـلى ومـا اعيـا بمشكلـة بسندبايا ويوم الـــروع محتشـد ـ ٧٥

(★) سابلة عامرة : يقول تركت سبل جهنم منهم عابرة ، لانهم يصيرون اليها اذا قتلوا ٠

٣٥ ـ كـأن بـابك بالبذيـن بعـدهم
نـؤى اقـام خـلاف الحي او وتـد (١) ـ ١٨

٤٣ ـ وأهـل موقـان اذ مـافوا فـلا وزر
انجاهم منـك في الهيجـاء ولا سنـد (٢) ـ ٢٠

٤٤ ـ لم تبـق مشـركة الا وقـد عـلمت
ان لم تتـب ان للسيـف مـا تـلد (٣) ـ ٢٠

٤٥ ـ والببر (٤) حين اطلخـم الامـر صبحهـم
قطـر من الحـرب لمـا جاءهم خمـدوا ـ ٢٠

★ ★ ★

وقال ابو تمام يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف الطائي (٥) :

١ ـ اظـن دمـوعها سنـن الفـريد
وهـي سلكـاه من نحـر وجيـد ـ ٣٢

٦ ـ بأرض البـذ في خيشوح حـرب
عقيـم مـن وشيـك ردى ولـود ـ ٣٤

١٧ ـ قضـى مـن سندبايا كـل نحـب
وارشق والسيـوف مـن الشهـود (٦) ـ ٣٦

١٨ ـ وارسلهـا علـى موقـان رهـوا
تثيـر النقـع اكـدر بالكـديد (٧) ـ ٣٧

٢٥ ـ وفـي ابـرشتويـم وهضبتيهـا
طلعت عـلى الخـلافة بالسعـود (٨) ـ ٣٨

٢٧ ـ وبيـت البيـات بعقـد جـأش
اشـد قـوى مـن الحجـر الصلود ـ ٣٨

(١) اورد ياقوت هذا البيت في معجم ، م ٣ ، ص ٣٦٠ ، وفي ديوان ابي تمام، ط ٤٢، الابيات تسلسل ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ ، في ص ٧٥ ٠

(٢، ٣) تقابل ص ٧٥ ٠ وقد وردت كلمة تنبت بدلا من تتب ، تسلسل ٤٤ ، ط ٤٢ ، ص ٧٥ ٠

(٤) ص ٧٦ ، والببر جنس من العجم ٠

(٥) ديوان ط ١٩٥١ ، م ٢ ص ٣٢ ـ ٤١ ، وط ١٩٤٢ ، ص ٧٩ ـ ٨١ ٠

(٦) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٨٠ ومعجم ، م ٢ ، ص ١٩٥٢ ، والنحب النذر ٠

(٧) ط ١٩٤٢ ، ص ٨٠ ومعجم ، م ٢ ، ص ١٥٢ ، ورد فيه ـ الى موقان ٠ وبالكديد، بالكسر٠

(٨) ط ٤٢ ص ٨٠ ومعجم م ١ ، ص ٦٥ ٠

٣١ ـ ويـوم التـل تـل البـذ ابنـا
ونحـن قصـار اعمـار الحقـود ـ ٣٩

٣٢ ـ قسمناهـم فشطـر للعوالـي
وآخر فـي لظـى حـرق الوقود ـ ٣٩

٣٤ ـ ويـوم انصـاع (١) بـابك مستمـرا
مبـاح العقـر مجتـاح العبيـد ـ ٤٠

٣٥ ـ تـأمل شخـص دولتـه فعنـت
بجسـم ليـس بالجسـم المـديد ـ ٤٠

٣٦ ـ فأزمـع نيـة هربـا فحـامت
حشـاشته علـى اجـل بليـد (٢) ـ ٤٠

٣٧ ـ تقنصه بنـو سنبـاط اخـذا
باشـراك المـواثق والعهـود ـ ٤٠

٣٨ ـ ولـولا ان ريحـك دربتهـم
لأحجمـت الكـلاب عـن الاسـود ـ ٤٠

٣٩ ـ وهرجـاما (٣) بطشـت بـه فقلنـا
خيـار البـذ كـان علـى القعـود ـ ٤٠

٤٠ ـ وقـائع قـد سكبت (٤) بهـا سـوادا
علـى مـا احمر مـن ريـش البـريد ـ ٤١

★ ★ ★

وقال ابو تمام يمدح المعتصم ويذكر امر الافشين (٥) وهو خيذر بن كاوس :

١ ـ الحـق ابـلج والسيـوف عـوار (٦)
فحـذار مـن اسـد العرين حـذار ـ ١٩٨

---

(١) ط ٤٢ ص ٨١ وانصاع ذهب في ناحية ٠

(٢) ط ٤٢ ، ص ٨١ ، والبليد المتباطىء المتحير اي حامت نفسه على اجله البليد حتى لـم يقتل يومئـذ ٠

(٣) هرجام اسم رئيس ، وفي ط ٤٢ ٠٠٠ كان على القعود ٠ وهرجام ملك الصيادنة ولقد روى هذا البيت بعد ٠٠ وقائع قد سبكت بها ، ص ٨١ ٠

(٤) اشار في الهامش (كان البريد اذا جاء وعليه السواد كان ذلك دليل الظفر واذا كان عليه الحمرة كان ذلك خلاف الظفر) ، وفي ط ٤٢ وقائع قد سبكت ، ص ٨١ ٠

(٥) ط ٥١ ، م ٢ ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٨ ، وط ٤٢ ، ص ١١٣ ـ ١١٦ ، والافشيـن هو حيـدر بن كـاوس ٠

(٦) اورد اليعقوبي هذا البيت وفيه (والسيوف عواري) ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ٠

١٩ ـ ما كان لولا فحش غدرة خيذر
ليكون في الاسلام عام فجار ـ ٢٠٢

٢٠ ـ ما زال سر الكفر بين ضلوعه
حتى اصطلى سر الزناد الواري ـ ٢٠٣

٢١ ـ نارا يساور جسمه من حرها
لهب كما عصفرت شق ازار ـ ٢٠٣

٢٢ ـ طارت لها شعل يهدم لفحها
اركانه هدما بغير غبار ـ ٢٠٣

٢٣ ـ مشبوبة رفعت لأعظم مشرك
ما كان يرفع ضوءها للساري ـ ٢٠٣

٢٤ ـ صلى لها حيا وكان وقودها
ميتا ويدخلها مع الفجار ـ ٢٠٣

٣٩ ـ يا قابضا يد آل كاوس عادلا
اتبع يمينا منهم بيسار ـ ٢٠٦

٤٤ ـ ولقد شفى الاحشاء من برحائها
ان صار بابك جار مازيار (١) ـ ٢٠٧

٤٥ ـ ثانيه في كبد السماء ولم يكن
لاثنين ثان اذ هما في الغار (٢) ـ ٢٠٧

٤٦ ـ وكأنما انتبذا لكيما يطويا
عن ناطس (٣) خبرا من الاخبار ـ ٢٠٧

٤٧ ـ سود الثياب (٤) كأنما نسجت لهم
ايدي السموم مدارعا من قار ـ ٢٠٨

٤٨ ـ بكروا واسروا في متون ضوامر
قيدت لهم من مربط النجار ـ ٢٠٨

(١، ٢) اوردهما اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ ، ديوان ط ٤٢ ، ص ١١٥ ٠

(٣) جاء في شرح هذا البيت (عن العبيدي) ـ : (ناطس) بطريق عمورية ، وفي نسخة (ياطس) بالياء ملك ٠ وفي الهامش قال المرزوقي : يعني بابك والمازيار ، وكانا لما صلبا قرب احدهما من الاخر وتنحى عنهما ناطس الرومي فقال كأنما تنحيا عن ناطس ليكتما عنه سرا ويطويا دونه خبرا ولا يريدان وقوفه عليه ٠ ورواية الصولي (ناطس) وجاء في ط٠ في حاشية الخارزنجي ابو يحيى : حكي ان جذعي مازيار وافشين كانا فوق جذع باطس وكلا الجذعين مائل وفي اصل الخارزنجي (ياطس) بالياء اخر الحروف ٠٠ هامش ص ٢٠٧ ، وفي طبعة ٤٢ ورد هذا البيت :

وكأنما ابتدرا لكيما يطويا عن باطس خبرا من الاخبار ـ ١١٥

(٤) المقصود ٠٠ الافشين وبابك والمازيار ٠ واراد بسواد ثيابهم اسوداد جلودهم بالشمس والرياح ، وورد هذا البيت في ط ١٩٤٢ سود اللباس بدلا من سود الثياب ـ ١١٥ ٠

٤٩ ـ لا يبرحون ومن رآهم خالهم
ابدا على سفر من الاسفار ـ ٢٠٨
٥٠ ـ كادوا النبوة والهدى فتقطعت
اعناقهم في ذلك المضمار ـ ٢٠٨
٥١ ـ جهلوا فلم يستكثروا من طاعة
معروفة بعمارة الاعمار ـ ٢٠٨

★ ★ ★

قال ابو تمام يمدح ابا دلف القاسم بن عيسى العجلي (١) :
١ ـ اما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا
فلا تكفن عن شانيك او يكفا (٢) ـ ٣٥٩
٢٥ ـ ان الخليفة والافشين قد علما
من اشتفى لهما من بابك وشفى ـ ٣٦٧
٢٦ ـ في يوم ارشق والهيجاء قد رشقت
من المنية رشقا وابلا قصفا ـ ٣٦٧
٣٢ ـ ومر بابك مر العيش منجذما (٣)
محلوليا دمه المعسول رشفا ـ ٣٦٩
٣٣ ـ حيران يحسب سجف النفع من دهش
طودا يحاذر ان ينقض او جرفا ـ ٣٦٩
٣٤ ـ ظل القنا يستقي من صفه مهجا
اما ثمادا واما ثره خسفا ـ ٣٦٩
٣٩ ـ ورب يوم كأيام تركت به
متن القناة ومتن القرن منقصفا ـ ٣٧١
٤٠ ـ ازرت (٤) ابرشتويما (٥) والقنا قصد
غيابه الموت والمقورة الشسفا ـ ٣٧١

---

(١) ديوان ط ٥١ ، م ٢ ، ص ٣٥٩ ـ ٣٨٥ ، وط ٤٢ ، ص ١٥٠ ـ ١٥٣ ٠
(٢) شانيك تثنية شأن وهي مجاري الدمع ، ويروى عن (شانيك) ، ورد في ط ٤٢، ص ١٥٢ ٠
(٣) ورد في ط ٣٢ ـ ومر بابك مر الرياح منجذبا ـ ص ١٥٢ ٠
(٤) (ازرت) من الزيارة وازرت بتشديد الزاي اي جعلت لها كالازار و (الغيابة) كالغمامة (والمقورة) الخيل الضامرة وتكون من صفات السمين وهو من الاضداد (الشسف) من قولهم شسف الفرس اذا ضمر ضمرا شديدا ٠ وورد في ط٤٢ والمقورة الشنفا ـ ص١٥٢ ٠
(٥) جاء في المعجم (معجم البلدان) ابرشتويم ـ وهو جبل بالبذ من ارض موقان من نواحي اذربيجان ، كان يأوي اليه بابك الخرمي ٠

٥٢ ـ وظل بالظفر الافشين مرتديا
وبات بابكها بالذل ملتحفا (١) ـ ٣٧٤
٥٣ ـ اعطى بكلتا يديه حين قيل له
هذا ابو دلف العجلي قد دلفا ـ ٣٧٤
٥٤ ـ تركت اجفانه مغضوضة ابدا
ذلا تمكن من عينيه ، لا وطفا ـ ٣٧٥

★ ★ ★

وقال يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف (٢) :

١ ـ اما انه لولا الخليط المودع
وربع خلا منه مصيف ومربع ـ ١٤٢
٣٢ ـ ويوم يظل العز يحفظ وسطه
بسمر العوالي ، والنفوس تضيع (٣) ـ ١٤٣
٣٦ ـ شققت الى جباره حومة الوغى
وقنعته بالسيف وهو مقنع (٤) ـ ١٤٤
٣٧ ـ لدى سندبايا لا تهاب وارشق
وموقان والسمر والىلادن تزعزع (٥) ـ ١٤٤
٣٨ ـ وابرشتويم والبيات وملتقى
سنابكها والخيل تردى وتمزع (٦) ـ ١٤٤

★ ★ ★

وقال يمدح المعتصم ويذكر الافشين (٧) : وقال غير ابي بكر كان ابو تمام بنيسابور على باب عبد الله بن طاهر (والي خراسان) فخرج ابو العميثل حاجبه برقعة فيها بيتان من شعر قالهما عبد الله فقال لابي تمام يقول لك الامير قل في معنى هذين البيتين ووزنهما وهما في الافشين وكان يحارب بابك في مدينة ارشق والبيتان هما :

---

(١) ورد في ط ٤٢ (فظل بالظفر الافشين ...) ، ص ١٥٣ .
(٢) ديوان ط ٤٢ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٤ والابيات غير محركة ، واعتمدنا تحريكها على ياقوت الحموي .
(٣) ذكره ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
(٤) ذكره ياقوت (شفقت الى جباره) ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
(٥) ذكره ياقوت (يزعزع) ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
(٦) ذكره ياقوت (والكذاج) ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
(٧) ديوان ط ٤٢ ص ١٨٦ ـ ١٨٨ .

لعمري لنعم السيف سيف بأرشق
نضى الجفن عنه خير حاف وناعل
تمنى به ضربا دراكا فأجفلت
نعامتهم عن بيضها المتقابل

فقال ابو تمام هذه القصيدة :

١ ـ غدا الملك معمور الحرا والمنازل
منور وحف الروض عذب المناهل ـ ١٨٦
٩ ـ لقد لبس الافشين قسطلة الوغى
محش بنصل السيف غير مواكل ـ ١٨٦
١٢ ـ رأى بابك منه التي لا سوى لها
سوى سلم ضيم او صفيحة قاتل ـ ١٨٧
١٧ ـ فلما رآه الخرميون والقنا
بوبل اعاليه مغيث الاسافل ـ ١٨٧
١٩ ـ عشية صد البابكي عن القنا
صدود المقالي لا صدود المجامل ـ ١٨٧

★ ★ ★

وقال يمدح المعتصم ويذكر اخذ بابك (١) :
١ ـ آلت امور الشرك شر مآل
واقر بعد تخبط وصيال (٢) ـ ١٩٦
٢ ـ غضب الخليفة للخلافة غضبة
رخصت لها المهجات وهي غوال ـ ١٩٦
٣ ـ لما انتضى جهل السيوف لبابك
اغمدن عنه جهالة الجهال ـ ١٩٦
٤ ـ فلأذربيجان اختيال بعدما
كانت معرس عبرة ونكال ـ ١٩٦
٢١ ـ فرماه بالافشين بالنجم الذي
صدع الدجى صدع الرداء البالي ـ ١٩٧

(١) ديوان ط ٤٢ ص ١٩٦ ـ ٢٠٠ ٠
(٢) نقل هذا البيت في شرح تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ ٠

٢٣ ـ يا يـــوم ارشق كنـــت رشـق منيـــة
للخـــرميـــة صـــــائب الآجــــال ـ ١٩٧
٢٧ ـ لمـــا رآهـــم بــــابك دون المنـــى
هجـــر الغــواية بعد طــول وصال ـ ١٩٧
٢٨ ـ تخـــذ الفـرار أخـا وايقـــن انـــه
جـــرى عـــزم مـــن ابـــي سمــــال ـ ١٩٧
٣١ ـ ووردنـــا موقـانا عليـــه شوازبـــا
شعثـــا بشعـــث كالقطـــا الارســـال ـ ١٩٧
٣٥ ـ وانصاع عـــن موقـــان وهـــي لجنـده
ولـــــه اب بـــــر وأم عيـــــال ـ ١٩٧
٤١ ـ وبهضبتـــــي ابرشتويـــــم ودروذ
لقحـــت لقـــاح النصر بعـــد حيـال ـ ١٩٨
٤٤ ـ فليشكـــــروا جنـــح الظـــلام ودروذا
فهـــم لدروذ والظـــلام مـــوال (١) ـ ١٩٨
٥٣ ـ فالبـــذ اغبـــــر دارس الاطـــــلال
ليد الـــردى اكل مــــن الآكــــال ـ ١٩٨
٥٤ ـ الـــوت بـــه يـــوم الخميس كتـــائب
ارسلنـــه مثـــلا مـــن الامثــــال ـ ١٩٨

★ ★ ★

وقال يمدح ابا سعيد (٢) :

١ ـ عسى وطـــن يـــدنو بهـــم ولعلمــــا
وان تعتـــب الايـــام فيهـــم فـربمـــا ـ ٢٢٢
١٨ ـ جدعـت لهـــم انـف الضـــلال بوقعـــه
تخـــرمت فـــي غمائهـــا من تخرما ـ ٢٢٣

(١) جاء في شرح تاريخ اليعقوبي ، ط النجف ص ٢٠٠ :

لـــولا الظـــلام وقلـة علقوا بها   بـــاتت رقـــابهم بغيـــر قلال
فليشكروا جنح الظـــلام ودروذا   فهـــم لدروذ والظلام مـــوال

وورد في كتاب بابك لسعيد نفيسي المترجم الى الاذربيجانية عن الفارسية هذا البيت :

فليشكر واجنح الظلام ودروذا   فهـــم لدروذو الظلام موالـــي

ص ٦٩ وسببه كما نظن جهل الطباع الباكوي باللغة العربية ٠

(٢) ديوان ط ٤٢ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ٠

١٩ ـ لئن كان امسى في عقر قس اجدعا
فمن قبل ما امسى بميمذا خرما ـ ٢٢٣

٢١ ـ قطعت بنان الكفر منهم بميمذ
واتبعتها بالروم كفا ومعصما ـ ٢٢٣

٢٢ ـ وكم جبل بالبذ منهم هددته
وغاو غوى حلمته لو تحلما ـ ٢٢٣

★ ★ ★

وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم المصعبي (١) :

٤٠ ـ غادرت بالجبل الاهواء واحده
والشمل مجتمعا والشعب ملتئما ـ ٢٣٠

وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم المصعبي (٢) :

٢٢ ـ نفسي فداؤك والجبال واهلها
في طرمساء من الحروب بهيم ـ ٢٣٢

٢٣ ـ بالداوذويه وخيزج وذواتها
عهد لسيفك لم يكن بذميم ـ ٢٣٢

★ ★ ★

وقال يمدح الافشين (٣) :

١ ـ بذ الجلاد البذ فهو دفين
ما ان به الا الوحوش قطين (٤) ـ ٢٤٧

٢ ـ لم يقر هذا السيف هذا الصبر
في هيجاء الا عز هذا الدين (٥) ـ ٢٤٧

٣ ـ قد كان عذره مغرب فافتضها
بالسيف فحل المشرق الافشين (٦) ـ ٢٤٧

---

(١) ن٠ م٠ ، ص ٢٢٨ ـ ٢٣١ ٠
(٢) ن٠ م٠ ص ٢٣١ ـ ٢٣٤ ٠
(٣) ن٠ م٠ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩ ٠
(٤ ـ ٥) الطبري ، م٣٠ ، ج ٢، ص ١٢٣٣ ٠ وقد كتب الطبري هذا البيت وذكر العجز : ما ان بها ٠٠٠ بدلا من (به) ٠
(٦) ذكره الطبري قد كان عذره سؤدد فاقتضها ، م ٣، ج ٢، ص ١٢٣٣ ـ ٤ ٠

٤ ـ فاعادها تعـوي الثعـالب وسطهـا
ولقـد تـرى بـالامس وهي عـرين (١) ـ ٢٤٧
٥ ـ جـادت عليهـا مـن جماجـم اهلهـا
ديـم امـارتها طـلي وشـؤون (٢) ـ ٢٤٧
١٣ ـ قـاد المنايـا والجيـوش فأصبحـت
ولهـا بأرشـق قسطـل عثنون ـ ٢٤٨
١٤ ـ فتركت ارشـق وهي يـرقى باسمهـا
صـم الصفـا فتفيض منـه عيـون ـ ٢٤٨
١٦ ـ لاقـاك بـابك وهـو يـزأر وانثنـى
وزئيـره قـد عـاد وهـو انيـن ـ ٢٤٨
٢٠ ـ اوقعـت فـي ابرشتويـم وقائعـا
اضحكـن سـن الدهـر وهو حزين ـ ٢٤٨
٣٠ ـ واخـذت بـابك حائـلا دون المنـى
ومنـى الضـلال مياههـن اجـون ـ ٢٤٨
٣١ ـ طعـن اللهـف قلبـه ففـؤاده
من غيـر طعنـة فـارس مطعـون ـ ٢٤٨
٣٢ ـ ورجـا بـلاد الـروم فاستعصـى بـه
اجـل اصـم عن النجـاء حـرون ـ ٢٤٩
٣٣ ـ هيهات لـو يعلـم بـأنك لـو ثوى
بالصين لـم تبعـد عليـك الصين ـ ٢٤٩
٣٤ ـ مـا نـال مـا قد نال فرعون ولا
هامـان فـي الدنيـا ولا قـارون ـ ٢٤٩
٣٥ ـ بـل كـان كالضحاك فـي سطواتـه
بالعـالمين وانـت افريـذون (٣) ـ ٢٤٩
٣٦ ـ فسيشكر الاسـلام مـا اوليتـه
واللـه عنـه بالوفـاء ضميـن ـ ٢٤٩

★ ★ ★

(١) الطبري ، ص ١٢٣٤ ٠
(٢) رواه الطبري ـ هطلت عليها من جماجم اهلها ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٤ ٠
(٣) رواه الجاحظ : وكأنه الضحاك في فتكاته بالعالمين وانت افريدون ، المحاسن والاضداد، طبع القاهرة ، ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م ، ص ٢٧٤ ٠

الملحــق ـ د ـ
جدول مقابلة التاريخ الهجري بالميلادي (١)
شهر رمضان لسنة ٢٢٢هـ

١	رمضان	يصادف	الثلاثاء	٧	آب	٨٣٧ م
٢	»	»	الاربعاء	٨	»	»
٣	»	»	الخميس	٩	»	»
٤	»	»	الجمعة	١٠	»	»
٥	»	»	السبت	١١	»	»
٦	»	»	الاحد	١٢	»	»
٧	»	»	الاثنين	١٣	»	»
٨	»	»	الثلاثاء	١٤	»	»
٩	»	»	الاربعاء	١٥	»	»
١٠	»	»	الخميس	١٦	»	»
١١	»	»	الجمعة	١٧	»	»
١٢	»	»	السبت	١٨	»	»
١٣	»	»	الاحد	١٩	»	»
١٤	»	»	الاثنين	٢٠	»	»
١٥	»	»	الثلاثاء	٢١	»	»
١٦	»	»	الاربعاء	٢٢	»	»
١٧	»	»	الخميس	٢٣	»	»
١٨	»	»	الجمعة	٢٤	»	»
١٩	»	»	السبت	٢٥	»	»
٢٠	»	»	الاحد	٢٦	»	»
٢١	»	»	الاثنين	٢٧	»	»
٢٢	»	»	الثلاثاء	٢٨	»	»
٢٣	»	»	الاربعاء	٢٩	»	»
٢٤	»	»	الخميس	٣٠	»	»
٢٥	»	»	الجمعة	٣١	»	»
٢٦	»	»	السبت	١	ايلول	٨٣٧ م
٢٧	»	»	الاحد	٢	»	»
٢٨	»	»	الاثنين	٣	»	»
٢٩	»	»	الثلاثاء	٤	»	»
٣٠	»	»	الاربعاء	٥	»	»
١	شوال	يصادف	الخميس	٦	»	»

تقويم شهر شوال سنة ٢٢٢هـ / ايلول ٨٣٧م

٢٢٢هـ				٨٣٧م			
٣٠	رمضان	يصادف	الاربعاء	٥	ايلول	٨٣٧ م	
١	شــوال	يصادف	الخميس	٦	»	»	
٢	»	»	الجمعة	٧	»	»	
٣	»	»	السبت	٨	»	»	
٤	»	»	الاحد	٩	»	»	
٥	»	»	الاثنين	١٠	»	»	
٦	»	»	الثلاثاء	١١	»	»	
٧	»	»	الاربعاء	١٢	»	»	
٨	»	»	الخميس	١٣	»	»	
٩	»	»	الجمعة	١٤	»	»	
١٠	»	»	السبت	١٥	»	»	(وصول بابك برزند)
١١	»	»	الاحد	١٦	»	»	
١٢	»	»	الاثنين	١٧	»	»	
١٣	»	»	الثلاثاء	١٨	»	»	
١٤	»	»	الاربعاء	١٩	»	»	
١٥	»	»	الخميس	٢٠	»	»	
١٦	»	»	الجمعة	٢١	»	»	
١٧	»	»	السبت	٢٢	»	»	
١٨	»	»	الاحد	٢٣	»	»	
١٩	»	»	الاثنين	٢٤	»	»	
٢٠	»	»	الثلاثاء	٢٥	»	»	
٢١	»	»	الاربعاء	٢٦	»	»	
٢٢	»	»	الخميس	٢٧	»	»	
٢٣	»	»	الجمعة	٢٨	»	»	
٢٤	»	»	السبت	٢٩	»	»	
٢٥	»	»	الاحد	٣٠	»	»	
٢٦	»	»	الاثنين	٣١	»	»	
٢٧	»	»	الثلاثاء	١	تشرين الاول	٨٣٧ م	
٢٨	»	»	الاربعاء	٢	» »	»	
٢٩	»	»	الخميس	٣	» »	»	
٣٠	شــوال	يصادف	الجمعة	٤	» »	»	
١	ذي القعدة	يصادف	السبت	٥	» »	»	

تقويم شهر صفر ٢٢٣هـ / كانون الثاني ٨٣٨م

٢٢٣هـ				٨٣٨م			
٣٠	محـــرم	يصادف	الثلاثاء	١	كانون	الثاني	٨٣٨ م
١	صفـــر	يصادف	الاربعاء	٢	»	»	»
٢	»	»	الخميس	٣	»	»	»	(وصول بابك سامراء)
٣	»	»	الجمعة	٤	»	»	»	(اعدام بابك)
٤	»	»	السبت	٥	»	»	»
٥	»	»	الاحد	٦	»	»	»
٦	»	»	الاثنين	٧	»	»	»
٧	»	»	الثلاثاء	٨	»	»	»
٨	»	»	الاربعاء	٩	»	»	»
٩	»	»	الخميس	١٠	»	»	»
١٠	»	»	الجمعة	١١	»	»	»
١١	»	»	السبت	١٢	»	»	»
١٢	»	»	الاحد	١٣	»	»	»
١٣	»	»	الاثنين	١٤	»	»	»
١٤	»	»	الثلاثاء	١٥	»	»	»
١٥	»	»	الاربعاء	١٦	»	»	»
١٦	»	»	الخميس	١٧	»	»	»
١٧	»	»	الجمعة	١٨	»	»	»
١٨	»	»	السبت	١٩	»	»	»
١٩	»	»	الاحد	٢٠	»	»	»
٢٠	»	»	الاثنين	٢١	»	»	»
٢١	»	»	الثلاثاء	٢٢	»	»	»
٢٢	»	»	الاربعاء	٢٣	»	»	»
٢٣	»	»	الخميس	٢٤	»	»	»
٢٤	»	»	الجمعة	٢٥	»	»	»
٢٥	»	»	السبت	٢٦	»	»	»
٢٦	»	»	الاحد	٢٧	»	»	»
٢٧	»	»	الاثنين	٢٨	»	»	»
٣٨	»	»	الثلاثاء	٢٩	»	»	»
٢٩	»	»	الاربعاء	٣٠	»	»	»
٣١	ربيع الاول	يصادف	الخميس	٣١	»	»	»

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

С П И С О К

использованных источников и литературы

К. Маркс. Капитал, М. 1953

К. Маркс, Ф. Энгельс. Избранные письма, М. 1953

К. Маркс. Британское владычество в Индии.

К. Маркс и Ф. Энгельс. Соч. т. 9, 2 изд.

К. Маркс и Ф. Энгельс. Немецкая идеология, М. 1956

Ф. Энгельс. Крестьянская война в Германии, М. 1952

Ф. Энгельс. Анти-Дюринг, К. Маркс и Ф. Энгельс, Соч. т. 20, 2 изд.

Ф. Энгельс. Происхождение семьи, частной собственности и государства, К. Маркс и Ф. Энгельс, Соч. т. 21, 2 изд.

В.И. Ленин. Критические заметки по национальному вопросу, Ленин, Соч. т. 20

ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد الجزري :
الكامل في التاريخ ، ٩ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٣١ ـ ١٩٤٠ ٠

احمد امين ، (الدكتور) :
فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٠ ٠
ضحى الاسلام ، ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٦ ٠
ظهر الاسلام ، ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ ٠
يوم الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٨ ٠

احمد ، محمد حلمي محمد :
الخلافة والدولة في العصر العباسي ، القاهرة ، ١٩٥٩ ٠

اربري ، ا٠ ج٠ :
تراث فارس ، نقله الى العربية محمد كفافي وجماعته ، القاهرة ، ١٩٥٩ ٠

الاسفرائيني ، ابو المظفر محمد بن طاهر :
التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الهالكين ، القاهرة ، ١٩٤٠ ٠

الاشعري ، ابو الحسن علي بن اسماعيل :
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، باعتناء هلموت ريتر ، الطبعة الثانية ، ويستبادن ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ٠

الاصفهاني ، ابو عبد الله حمزة بن الحسن :
كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، برلين ، ١٣٤٠هـ ، ليبزك ، ١٨٤٤م ٠

الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين :
الاغاني ، ٢١ جزءا ، القاهرة ، ١٩٠٤ م ٠

الاصفهاني ، ابو نعيم احمد بن عبد الله :
ذكر اخبار اصبهان ، مجلدان ، ليدن ، ١٩٣١ م ، ١٩٣٤ م ٠

الاصطخري ، ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي :
مسالك الممالك ، ليدن ، ١٨٧٠ م ٠

الآلوسي ، محمد شكري :

بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، باعتناء الاثري ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩٢٣ ٠

بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفيتش (المستشرق) :

تاريخ الحضارة الاسلامية ، نقله من التركية الى العربية حمـــزة طاهر ، القاهرة ٠

تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة احمد العيـــد سلمان ، القاهرة ، ١٩٥٨ ٠

المؤلفات ، مجلدات (باللغة الروسية) ٠

البحتري ، ابو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى ، (الشاعر) :

ديوان البحتري ، الطبعة الاولى ، القسطنطينية ، ١٣٠٠هـ ، وتحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، ١٩٦٣ ـ ٤ ٠

براون ، ادوارد جرانفيل :

تاريخ الادب في ايران ، (من الفردوسي الى سعدي) ، ترجمة د٠ ابراهيم امين الشواربي ، القاهرة ، ١٩٥٤ ٠

بروكلمان ، كارل :

تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة د٠ نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، ١٩٥٣ ٠

البستاني ، بطرس :

دائرة المعارف الاسلامية ، ٩ اجزاء ، بيروت ١٨٧٦ ـ ١٨٨٧ م ٠

البغدادي ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله الاسفرائيني :

الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ٠

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود :

فتوح البلدان ، ليدن ، ١٨٦٦ م ٠

انساب الاشراف ، الجزء الاول ، تحقيق محمد حميد اللـــه ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩ ٠

٤ اجزاء ، القدس ، ١٩٣٨ ٠

الجزء الحادي عشر ، باعتناء اهلوارت ، ليدن ، ١٨٨٣ ٠

البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي :
الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليبزك ، ١٨٧٨ ٠

ترتون ، ا٠ س ٠ :
اهل الذمة في الاسلام ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٤٩ ٠

ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ ٠

ابو تمام ، حبيب بن اوس الطائي :
ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، مجلدان ، مصر ١٩٥١ ٠
ديوان ابي تمام ، قدم له الاستاذان عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى ، القاهرة ، ١٩٤٢ ٠
ديوان الحماسة ، مختصر شرح العلامة التبريزي ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥ ٠

التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي بن محمد ، القاضي :
جامع التواريخ ، مصر ، ١٩٢١ ٠
الفرج بعد الشدة ، جزءان ، مصر ، ١٩٠٣ ـ ١٩٠٤ ٠

توما ، اميل :
العرب والتطور التاريخي ، ترجمة جبرا نقولا ، حيفا ، ١٩٦٢ ٠

الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل :
غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم ، طهران ، ١٩٦٣ ٠

الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب :
البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، والى الروسية ، ترجمة بارانوف ، موسكو ، ١٩٦٥ ٠
البيان والتبيين ، ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ ٠

ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي :
المنتظم من تاريخ الملوك والامم ، الاجزاء ٥ ـ ١٠ ، حيدر آباد ، ١٣٥٩هـ٠
تلبيس ابليس ، القاهرة ٠

جوزي ، بندلي صليبة :
من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، دار الروائع ، بيروت ٠

الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري :
الوزراء والكتاب ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٥٧هـ ، ١٩٣٨م ٠

حتي ، فيليب ، وجرجي ، ادورد ، وجبور ، جبرائيل (الدكاترة) :
تاريخ العرب (مطول) ، جزءان ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦١ ٠

حتي ، فيليب (الدكتور) :
العرب (تاريخ موجز) الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٤ ٠

حسن ، حسن ابراهيم (الدكتور) :
تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٣ ٠

حمزة ، عبد اللطيف :
ابن المقفع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ٠

ابن حوقل ، ابو القاسم محمد الحوقلي :
المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٧٣ ٠

خدابخش ، المؤرخ الهندي :
الحضارة الاسلامية ، ترجمة الخربوطلي ، علي حسني، القاهرة، ١٩٦٠ ٠

ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله :
المسالك والممالك ، ليدن ، ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٩م ٠

الخربوطلي ، د٠ علي حسني :
تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، القاهرة ، ١٩٥٩ ٠
الدولة العربية الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ٠

الخزرجي ، ابو دلف مسعر بن المهلهل :
الرسالة الثانية ، تحقيق بولغاكوف ، بطرس وخالدوف ، انس ، موسكو ، ١٩٦٠ ٠

الخضري ، الشيخ محمد :
الدولة العباسية ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ، ١٩٥٩ ٠

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد المغربي :
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ اجزاء ، القاهــرة ، ١٣٨٤هـ ، المقدمة ، بيروت ، ١٩٥٦ ٠

خليلي ، عباس :
ايران واسلام ، طهران ، ١٣٣٦ ش (باللغة الايرانية) ٠

دننت ، دانيل :
الجزية والاسلام ، ترجمة جاد الله ، فوزي فهيــم (الدكتور) ، بيروت ، ١٩٦٠ ٠

الدوري ، عبد العزيز (الدكتور) :
العصر العباسي الاول ، بغداد ، ١٩٤٥ ٠
دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، بغداد ، ١٩٤٥ ٠
مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، بغداد ، ١٩٤٩ ٠
الجذور التاريخية للقومية العربية ، بيروت ، ١٩٦٠ ٠
الجذور التاريخية للشعوبية ، بيروت ، ١٩٦٢ ٠
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بغداد ، ١٩٤٨ ٠
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٠ ٠
الجــذور التــاريخية للاشتراكية العــربية ، مجلــة الآداب ، العدد الثالث (آذار) ، ١٩٦٥ ٠

الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود :
الاخبار الطوال ، تحقيق جرجاس ، ليدن ، ١٨٨٨ ، وطبعة القاهرة ٠

الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد :
دول الاسلام ، جزءان ، الطبعة الثانية ، حيدر اباد ، ١٣٦٥هـ ٠
تاريخ الاسلام ، ٥ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ ٠
المختصر المحتاج اليه من (تاريخ الحافظ ابي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن الدبشي) ، وهو بانتقــاء الذهبي ، تحقيــق مصطفى جــواد (الدكتور) ، جزءان ، بغداد ، ١٩٥١م ، ١٩٦٣م ٠

الرازي ، فخر الدين ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين :
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، القاهرة ، ١٩٣٨م ٠

رستم ، اسد :
الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جزءان، بيروت ، ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ ٠

ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمران :
الاعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، ليدن ، ١٨٩١ ٠

زيدان ، جرجي :
تاريخ التمدن الاسلامي ، ٥ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٠٢ ــ ١٩٠٦ ٠

زيدان ، د٠ عبد الكريم :
احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ، بغداد ، ١٩٦٣ ٠

ابن الساعي ، تاج الدين ابو طالب علي بن انجب :
نساء الخلفاء ، تحقيق وتعليق د٠ مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر ٠
مختصر اخبار الخلفاء (منسوب اليه ، يقول مصطفى جواد في كتاب نساء الخلفاء ــ واما هذا المطبوع المسمى (مختصر اخبار الخلفاء) فهو مدسوس عليه ، نحله اياه بعض المزورين الذين اعتادوا التزوير في كل امورهم وشؤونهم ــ ص ٢٤) ، بولاق ، القاهرة ، ١٣٠٩هـ ٠

السجستاني ، ابو حاتم سهل بن محمد :
كتاب المعمرين ، ليدن ، ١٨٩٩ ٠

ابن ابي السرور (١) :
عيون الاخبار (ونزهة الابصار) ــ مخطوط ــ المتحف البريطاني ، الرقم ٥٦٣٣ ، الشرق ، لندن ٠

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد :
الانساب ، نشره مرغليوث ، ليدن ، ١٩١٢ ٠

شاكر ، مصطفى :
في التاريخ العباسي ، الجزء الاول ، دمشق ، ١٩٥٧ ٠

(١) ورد اسمه في مخطوطة لندن (ابن ابو السرور) ، فقط ، وذكره الدكتور مصطفى جواد ، معتمدا على مخطوطة دار الكتب الوطنية بباريس (رقم ١٥٦٠) ، الشيخ محمد بن محمد بن ابي السرور التيمي البكري الصديقي المتوفي ١٠٢٨هـ٠ مجلة سومر ، م ١٤ ، ج ١ ، ٢٢ بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤ ٠ وعلى هذا الاساس لا يمكن افتراض اسم المؤلف بـ (الروحي ، محمد بن ابي السرور بن عبد الرحمن ٠ صاحب كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ــ القاهرة ١٩٠٩) ٠

شريف ، محمد بديع (الدكتور) :
الصراع بين الموالي والعرب ، القاهرة ، ١٩٥٤ ٠

شلبي ، احمد جاب الله (الدكتور) :
في قصور الخلفاء العباسيين ، القاهرة ، ١٩٥٤ ٠

الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم :
الملل والنحل ، جزءان ، تحقيق محمد سيــد كيلاني ، القاهرة ، ١٣٨١هـ ــ ١٩٦١ م ٠

الصولي ، محمد بن يحيى :
ادب الكتاب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ ٠

الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير :
تاريخ الرسل والملوك ، طبعة دي غويه ، ليدن ــ بريل ١٨٧٩ــ١٨٨٥ ، طبعة القاهرة ، بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٦٠ ٠
اختلاف الفقهاء ــ نشره شاخت ، ليدن ، ١٩٣٣ م ٠

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا :
الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت ، ١٩٦٠ م ٠

ابن طيفور ، ابو الفضل احمد بن طاهر :
كتاب بغداد ، القاهرة ، ١٩٤٩ ٠

طه حسين ، (الدكتور) :
مرآة الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٩ ٠
الشيخان ، القاهرة ، ١٩٦٠ ٠
الفتنة الكبرى ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ ٠

ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد :
العقد الفريد ، ٨ اجزاء ، بتحقيق محمد سعيد العريان ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٣ ٠

عبد العال ، محمد جابر (الدكتور) :
حركات الشيعة المتطرفين ، القاهرة ، ١٩٥٤ ٠

ابن العبري ، ابو الفرج غريغوريوس بن هارون (الاب القديس) :
تاريخ مختصر الدول ، طبعة اوكسونيا ، ١٦٦٣ ، بيروت ، ١٨٩٠ ٠

ابو عبيد ، القاسم بن سلام :
الاموال ، تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ، ١٩٥٣ ٠

العدوي ، د٠ ابراهيم احمد :
الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ٠

العزيز ، حسين قاسم :
الشعوبية ، مجلة الغد ، العدد الثالث ، براغ (تموز) ١٩٦٤ ٠

العلي ، د٠ صالح احمد :
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، بغداد ، ١٩٥٣ ٠

علي بن الجهم ، ابو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود :
ديوان علي بن الجهم ، بتحقيق خليل مردم بك ، دمشق ، ١٩٤٦ ٠

العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، الجـزء الثالث ، (خلافة المعتصـم) ، (المؤلف مجهول) ، باعتناء ماتهسين ، ليدن ، ١٨٤٩ ٠

الغزالي ، ابو حامد محمد :
فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ م ٠

الفاخوري ، حنا :
تاريخ الادب العربي ، لبنان ، حريصا ، ١٩٥١ ٠

ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن علي :
المختصر في اخبار البشر ، ليبزك ، ١٨٣١ ، بيروت ، ١٩٥٦ ـ ١٩٦٠ ٠

ابو الفداء ، عماد الدين ، اسماعيل بن عمر :
البداية والنهاية ، ١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٩٣١ م ٠

فروخ ، عمر (الدكتور) :
ابن المقفع ، بيروت ، ١٣٦٠ هـ ٠

ابن فضلان ، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد :
رسالة ابن فضلان ، بتحقيق الدهان ، سامي (الدكتور) ، المطبعة الهاشمية دمشق ، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م ٠

ابن الفقيه ، احمد بن محمد الهمذاني :
مختصر كتاب البلدان ، باعتناء دي خويه ، ليدن ، ١٣٠٢هـ ـ ١٨٨٥م ٠

ابن قتيبة : ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري :

عيون الاخبار ، ٤ اجزاء ، طبعة كوتنكن ، ١٨٩٩ ، وطبعة القاهرة ، ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠ ·

المعارف ، ط كوتنكن ، ١٨٥٠ م والقاهرة ، ١٩٦٠ ·

انساب العرب في كتاب المغرب وملوك الشام والحيرة ، كوتا ، ١٧٧٥ ·

ادب الكاتب ، ليدن ، ١٩٠٠ ، مصر ، ١٣٠٠هـ ·

الامامة والسياسة (منسوب اليه) ، الطبعة الثالثة ، مصر ١٩٦٣م ·

فضل العرب ، نشره كرد علي ، محمد ضمن كتاب رسائل البلغاء ·

قدامة بن جعفر الكاتب ، ابو الفرج :

كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، نشر دي خويه نبذة منه وألحقه بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، ليدن ، ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٩م ·

القلقشندي ، ابو العباس احمد :

صبح الاعشى ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٩١٣ ـ ١٩١٨ ·

كرد علي ، محمد :

الاسلام والحضارة العربية ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ١٩٥٩ ·

رسائل البلغاء ، القاهرة ، ١٩١٣ ·

كريستنسن ، آرثر :

ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ ·

كريمر ، فون :

الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية ، ترجمه من الالمانية خدابخش الى الانكليزية ، وعربه الدكتور مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٤٧ ·

كولدتسهير ، اجناس :

العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة الدكتور يوسف موسى وجماعته ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ·

لوبون ، غوستاف (الدكتور) :

حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٥٦ ·

لويس ، برنارد (الدكتور) :

اصول الاسماعيلية ، ترجمة جلتو ، خليل احمد والرجب ، جاسم محمد ، القاهرة ، ١٩٤٧ ٠

العرب في التاريخ ، ترجمة فارس ، نبيه امين وزايــد ، محمـد يوسف ، بيروت ، ١٩٥٤ ٠

ليسترانج ، كـي :

بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير فرنسيس ، بغداد ، ١٩٣٦م٠

ماجد ، عبد المنعم (الدكتور) :

التاريخ السياسي للدولة العربية ، جزءان ، الطبعة الثانيـة ، القاهرة ، ١٩٦٠ ٠

مارغيليوث ، د٠ س ٠ :

دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار (الدكتور) ، بيروت ٠

المافـروخي ، مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الاصفهاني :

محاسن اصفهان ، طهران ١٣١٢ شمس ، ١٩٣٣ م ٠

الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي :

الاحكام السلطانية ، مخطوط في قسم الكتب النادرة بمكتبـة علي شيـر نوائي ، طاشقند ، رقم PB63 ٠ والطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م ٠

المبـرد ، ابو العباس محمد بن يزيد :

الكامل في اللغة والادب ، ليبزك ، ١٨٦٤م ، والقاهرة ، ١٩٥٦ ، بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة ٠

محفوظ ، حسين علي (الدكتور) :

حمزه بن الحسن الاصفهاني ، مجلة سومر العراقية ، المجلد التاسع عشر، الجزء الاول والثاني ، بغداد ، ١٩٦٣ ٠

رسالة في تحقيق لفظ الزنديق ، كمال باشا (متوفي سنة ٩٤٠ هـ) ، بغداد، ١٩٦٢ ٠

المدور ، جميل نخلة :

حضارة الاسلام في دار السلام ، بولاق ، القاهرة ، ١٩٣٦ ٠

المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسن بن علي :
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ اجزاء ، القاهـــرة ، ١٩٤٧ ، وطبعة ١٩٥٨ .
التنبيه والاشراف ، ليدن ، ١٨٩٣ .
اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب :
تجارب الامم ، ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٩١٤ ـ ١٩١٥ .
ومخطوط في مكتبة الاستشراق في طشقند ، رقم ٤١ .

المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد :
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، ١٨٧٧ .

المقدسي ، المطهر بن طاهر :
البدء والتاريخ ، طهران ، ١٩٦٢ م .

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي :
اغاثة الامة بكشف الغمة ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، القاهرة ، ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨ و ١٩١٣ م .

الملطي ، ابو الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن :
التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع ، استانبول ، ١٩٣٦ م .

المودودي ، ابو الاعلى :
مسألة ملكية الأرض في الاسلام ، ترجمة محمد عاصم الحداد ، دمشق ، ١٩٥٧ .

الانتخابات البهية من الكتب العربية والفارسية والتركية فيما يتعلق بتواريخ طبرستان وكيلان وجغرافية تلك النواحي ، جمعها ونقحه ابرنهارد دارن ، بطربورغ، ١٢٧٤ هـ .

النجار ، محمد الطيب :
الموالي في العصر الاموي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
ابن النديم ، محمد بن اسحق :

ابو النصر ، عمر :
الخوارج في الاسلام ، بيروت ، ١٩٥٦ ٠

نظام الملك ، ابو علي حسن الطوسي (الوزير) :
سياست نامه (بالفارسية) باهتمام هيوبرت دارك ، طهران ، ١٩٦٢ ٠

نفيسي ، د٠ سعيد :
اذربيجان قهرماني بابك خرم دين (بالاذربيجانية) ، باكو ، ١٩٦٠ ٠

ولهاوزن ، يوليوس :
الدولة العربية وسقوطها ، تعريب العش ، يوسف (الدكتور) ، دمشق ، ١٩٥٦ ٠

ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي :
معجم البلدان ، خمس مجلدات ، دار صادر ـ بيروت ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ ٠

يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الاموي :
الخراج ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ٠

اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر :
تاريخ اليعقوبي ، جزءان ، ليدن ، ١٨٨٣م ، ٣ اجزاء ، النجف ، ١٣٥٨هـ٠

ابو يعلي الحنبلي ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن احمد بن الفـرّاء :
الاحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ ٠

ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (القاضي) :
الخراج ، القاهرة ، بولاق ١٣٠٢ هـ ، والسلفيـة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ، والطبعة الثالثة ١٣٨٢هـ ٠

Amer Ali, A Shorter History of the Saracans, New York, 1955.

Arnold, Thomas Walker, The Caliphate, Oxford, 1924.

Бартольд В.В., Ислам (общий очерк), Пб. "Огни", 1918.

Бартольд В.В., Западный Туркестан со времени завоевания арабами до монгольской эпохи, Спб. 1900.

Бартольд В.В., Мусульманский мир, Наука и школа, Пб. 1922.

Бартольд В.В., Культура мусульманства (общий очерк), Пб. 1918.

Бартольд В.В., Иран, Сборник статей, 1927-9.

Бартольд В.В., Иран, Исторический обзор, Ташкент, 1926.

Becker, Carl H.,Beiträge zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam, Strassburg, 1902-3.

Беляев Е.А., Арабы, Ислам и арабский халифат в раннее средневековье, М. 1965.

Беляев Е.А., Мусульманское сектанство, Ислам, Сборник статей, М. 1931.

Беляев Е.А., Мусульманское сектанство, Исторические очерки, М. 1957.

Беляев Е.А., Ислам, Спутник атеиста, М. 1961.

Browne, Edward G.,Ibn Isfandiyar's History of Tabaristan (translation) Leyden-London, 1905.

Буниятов З.М., О термине "Хуррам", Известия АН Азерб. ССР № 2, 1959.

Буниятов З.М., О названии "Мингечаур". Доклады АН Азерб. ССР, т. 15, № 2, 1959.

Буниятов З.М., О локализации города-крепости Базз, Изв. АН Азерб. ССР № 5, 1959.

Буниятов З.М., Еще раз о неизданных страницах (истории - Агван) Моисея Каганкатвации, Изв. АН Азерб. ССР, № 4, 1961.

Буниятов З.М., Бабек и Византия, Доклады АН Азерб. ССР № 7, 1959.

Буниятов З.М., Новые данные о нахождении крепости Шаки, Доклады АН Азерб. ССР, № 9, 1959.

Буниятов З.М., Азербайджан в УII-IX вв., Баку, 1965.

Варга Е., Очерки по проблемам политэкономии капитализма, Москва, 1965.

Вардан, Всеобщая история, перевод с армянского Н. Эмина, М. 1861.

Васильев А.А., Лекции по истории Византии, П.Г., 1917.

Византия и арабы, Спб., 1900.

Гевонд, Вардапет, История халифов, перев. профессора Г. Петерман, Санкт-Петербург, 1862.

Gaetani, L., Annali dell' Islam, Milan, 1905-1918.

Gibb, Hamilton Alexander Rosskeen, Studies on the Civilization of Islam, Boston, 1962.

Gibb, H.A.R., The Arab Conquest of Central Asia, London, 1923.

Gibb, H.A.R., Mohammedanism, an Historical Survey, London, 1950.

Goldzicher, Ignaz, Muhammedanische Studien, Halle, a.s. 1889.

Dennet, Daniel, Conversion and the poll tax in early Islam, Cambridge, Massachusette, 1950.

Дьяконов М.М.., Очерк истории древнего Ирана, М. 1961.

Дозу, Райнхарт Питер, Очерк истории Ислама, перев. В.И. Каменского, Спб., 1904.

Flügel, Gustaf, Babek, Seine Abstammung und erstes Auftreten, Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, Leipzig, 1869.

Жузе П.К., Папак и папакизм, Известия Бакинского гос. университета, № I, Баку, 1921.

Заходер Б.Н., История восточного средневековья (халифат и Ближний Восток), М. 1944.

Ибрагимов З., Борьба азербайджанского народа против арабских захватчиков, Баку, 1941 (на азерб. языке).

Ибрагимов З., Бабек, Баку, 1944.

Ибрагимов З., Токаржевский Е.О., О доблести и мужестве азербайджанцев, Баку, 1943.

Иванов М.С., Очерк истории Ирана, М. 1952.

Irzi Ceipek, Babek, muz pred kterum se-traslichalifove, Novy Orient, Praha, 1952.

Климович Л.И., Ислам, Очерки, М. 1962.

Климович Л.И., Ислам, изд. второе дополненное, М. 1965.

Kraus, Paul, Les "Controverses" de Fakhr al-Din Razi B.I.E. XIX.

Kremer, Alfred von, Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen, erster Band Wien, 1875, zweiter Band Wien 1877.

Крымский А.Е., История мусульманства, М. 1904, 1912.

Крымский А.Е., Подзаголовок, Очерки религиозной жизни. Мир Ислама, Спб., 1912-3.

Крымский А.Е., История мусульманских народов, Солодов, 1902-3

Крымский А.Е., Страницы из истории Азербайджана Шеки, Сборник, М. 1939.

Лей, Герман, Очерк истории средневекового материализма, перев. с немецкого Горловой З.В. и Саца И.А., М. 1962.

Лео, История Армении, т. 2, Ереван, 1947 (на армян. яз.).

Le Strange, Guy, The Land of the Eastern Caliphate, London, 1905.

Le Strange, Guy, Bagdad, London, 1900.

Levy, Reuben, The Social Structure of Islam, Cambridge, 1957.

Lokkegaard, Frede, Islamic Taxation in the Classic Period, Copenhagen, 1950.

Массэ А., Ислам, перев. с французского Н.Б. Кобриной и Н.С. Луцкой, М. 1963.

Манандян Я.А. , Народные восстания в Армении против арабского владычества, Ереван, 1939.

МюллерА., История Ислама, перев. с немецкого Н.А. Медникова, Спб., 1895.

Минорский В.Ф., История Ширвана и Дербенда, М. 1963.

Minorsky, V., Studies in Caucasian History, London, 1953.

Muir, Sir William Temple, The Caliphate, its Rise, Decline and Fall, Edinburgh, 1924.

Muir, Sir W.T., The Apology al Kindy. Written at the Court of al-Mamun, London, 1887.

Низам ал-Мульк, Сиасет-Намэ, перев. профессора Б.Н. Заходера, М.-Л., 1949.

Nicholson, Reynold, A Literary History of the Arabs, London, 1923.

Payne, Rober, The Holy Sword, New York, 1959.

Пирен Анри, Средневековые города и возрождение торговли, перев. с англ. С.И. Архангельского, 1941.

Пигулевская Н.В., Города Ирана в раннем средневековье, М. 1956.

Пигулевская Н.В., Византия и Иран на рубеже VI и VII веков, М.-Л., 1946.

Плеханов Г.В., К вопросу о роли личности в истории, Госполитиздат, 1956.

Плеханов Г.В., Материалистическое понимание истории, Госполитиздат, 1956.

Полянский Ф.Я., Экономическая история зарубежных стран. Эпоха феодализма, М. 1954.

Rahmatalh, Maleeha, The Treatment of the Dhimmis, Bâgdad, 1963.

Sadighi G.H., Les Mouvements Religieux Iranians, Paris, 1938.

Sale G., The Koran, Commonly Called the alcoran of Mohammed, London, 1857.

Семенов А.А., Маздакизм, Вопросы истории религии и атеизма, № 5, М. 1958.

Семенов В.Ф., История средних веков, М. 1961.

Ben Shemesh, A., Taxation in Islam, Yahya ben Adam's Kitab al Kharaj, edited trans. and provided, Leiden, 1958.

Томара, М., Бабек, М. I936.

Wright E.M., Babek of Badhadh and al-Afshin during the years 816-841 A.D., The Muslim World, v. XXXIII N I,2, January, 1948.

Vlioten, G. Van, Recherches sur la Domunation Arabe, Amsterdam, 1894.

Эмин Н.О., Очерк религии и верований язычных армян, Исследования и статьи Н.О. Эмин, М. I896.

Якубовский А.Ю., Ирак на грани УIII-IX вв. М.-Л. I937.

Якубовский А.Ю., Восстание муканны - движение людей в белых одеждах, Советское востоковедение, У, М.-Л. I948.

Ямпольский З.И., Восстание Бабека, Баку, I94I.

x x
x

Всемирная история, т. 2-3, М. 1957.

Hudud al-Alam "The Regions of the World", A Persian Geography 372 A.N. 982 A.D. translated and explained by V. Minorsky, London, 1937.

The Geographical works of Sadik Isfahani, translated by J.C. London, 1832.

История Азербайджана, т. I, Баку, 1958.

История Ирана с древнейших времен УI до конца ХУIII века, Л. 1948.

История средних веков, т. I, под редакцией Е.А. Косминского, М. 1952.

История средних веков, т. 2, под редакцией А.С. Самоило, М. 1954

История средних веков, Учебник для студентов педагогических институтов, М. 1964.

История СССР, Часть первая, М. 1961.

История стран зарубежного Востока в средние века, М. 1957.

Сочинения В.В. Бартольда, I, М. 1963.

Спутник атеиста, М. 1961.

Худуд ал-Алем, (рукопись Туманского) с введением и указателем В.В. Бартольда, Л. 1930.

x x

x

The Encyclopedia of Islam, Volume 1, Adharbaudjan, V. Minorsky, Leiden, 1954, P. 188.

The Encycl. of Islam, 1, Armenia, Canard, Leiden, 1954, Pp. 635-638.

The Encycl. of Islam, Volume 1, new edition, Babek, D. Sourdel, Leiden, London, 1963, P. 844.

The Encycl. of Islam, Volume II, Djbal, L. Lockhart, Leiden, London, 1963, P. 534.

Enziklopedie des Islam, Babek, (cl. Huart), Band I, Leiden, Leipzig, 1913, Pp. 568-9.

Shorter Encycl. of Islam, Khurramiya, D.S. Margoliouth, Leiden, 1953, P. 257-8.

Большая советская энциклопедия, Бабек, т. 4, 2 изд., 1950, стр. 4-5.

Б. С. Энц., Ислам в период феодализма, т. 18, 2 изд., 1955, стр. 517.

Б. С. Энц., Хуррамиты, т. 46, 2 изд., 1957, стр. 416.

С. И. Энц., Бабек, "Бабека восстание", т. 2, М. 1962, стр. 14.

الفهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس الخرائط

مطبعة الرأي الجديد
خندق الغميق - شارع نايف تللو
تلفون ٢٣٠٠٣١